

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية: الآداب والحضارة الإسلامية

قسم: التاريخ



جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

مسابقات الخلفاء والولاة السياسية والإدارية

فيلق العهد الأموي

مدرسة تحليلية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط

تخصص: المشرق الإسلامي - تاريخ وحضارة - إلى غاية القرن السابع الهجري

تحت إشراف:

أ. د/ محمد فرقاني

إعداد الطالبة:

حسينة عيادي

السنة الجامعية: 1439-1440 هـ / 2018-2019م

شكر وعرفان

الحمد لله الذي يس لنا وقدرنا، وهدانا ووفقنا لإجازه هذا العمل، وبعد:

أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور محمد فرقاني الذي أشرف على هذا العمل، و الذي لم يدخل علي بالنصائح و التوجيهات و الإرشادات طوال فترة البحث، كما أقدم بالشكر الجزيل لزوجي الأستاذ مرحون عبد القادر الذي أمد لي يد العون و شجعني و دعمني .

هذا ولا أنسى شكر أمي الغالية التي لم تبخل علي بدعائها لي بالنوفيق

والسداد.

ولا حول ولا قوة إلا بالله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأزهر

جامعة الأزهر
الاسلامية

طَقَطَة

جامعة الأمير

مركز الأبحاث للعلوم الإسلامية

مقدمة

أحمد الله بمحامده التي هو لها أهل، وأثنى عليه الخير كله، لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، وأصلي وأسلم على خاتم رسله وأنبيائه، وإمام أوليائه وأصفياؤه، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

إن الوصايا فن من الفنون النثرية في الأدب العربي القديم ينقل لنا رؤية صاحبه وفلسفته في الحياة والناس، ومجالاته عديدة متنوعة تشمل جميع مناحي الحياة، ويكتسي قيمة كبيرة إن كان صادرا عن خبير كثير التجربة، أو قائدا أو صاحب سلطان نافذ القرار، له باع في السياسة والإدارة وتسيير شؤون الحكم، وفوق كل هذا تعكس الوصايا واقع الفترة التاريخية والتطورات الحادثة والطارئة على شؤونها، إضافة إلى كونها وثائق تاريخية هامة متعددة الاختصاصات يستمد منها المؤرخ الكثير من المعطيات وينفذ من خلالها للرؤية التي يحملها صاحبها ويفسر بها كثير من سلوكاته وتصرفاته، واستراتيجيته في الحكم وتدييره في السياسة والحكم والإدارة.

وقد وصلنا من تراث الأمويين الكثير من النصوص التي تندرج ضمن الوصايا غير أنها مشتتة في بطون المصادر باختلاف أنواعها وتعدد تخصصاتها، ولو أنها جُمعت ورُتبت وصُنفت حسب تخصصاتها ومضامينها لشكلت مادة دسمة لدراسة تُلقي الضوء الكثير على مدى تمرس الأمويين في السياسة وشؤون الحكم، وعبقرية بعض قادتهم في تعاطيهم مع ما طرأ من تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية على المجتمعات التي ساسوها، ومجاراتهم لكل هذه التغيرات بتطوير نظمهم الإدارية بشكل عجز عنه غيرهم ممن جاء بعدهم، وهو الأمر الذي لم يرقم به أحد من الباحثين حسب علمي، لذا ولسد هذا الفراغ وانطلاقا من هذه القيمة للوصايا فقد اخترت أن يكون هذا الموضوع محور دراستي هذه وقد سمته بالعنوان التالي:

وصايا الخلفاء والولاة السياسية والإدارية

في العهد الأموي

دراسة تحليلية

إن مفهوم الوصايا يشمل جوانب متعددة حسب غرض الموصي وحاجة الموصى له، لذا فللوصايا أنواع شتى وقد بينا ذلك في التمهيد الذي خصصناه لهذا الغرض.

واقترنت في هذه الدراسة على الوصايا الصادرة عن الخلفاء والولاة الأمويين، لما ارتبط بالدولة الأموية من خصوصية كونها أول تجربة سياسية وحضارية بعد دولة الرسول - ﷺ - ودولة الخلفاء

الراشدين، مما جعلها محط الأنظار وترصد الأخطاء، وصعب كثيرا من مهام خلفائها وولائهم، ولأقلص من حيز الدراسة فقد استثنيت الوصايا التي صدرت عن قادة الجيش والأعيان والأشراف.

كما وقد حصرت الدراسة في ما تعلق من هذه الوصايا بالجانبين السياسي والإداري، لارتباطهما ببعضهما البعض وليتسنى لنا الكشف عن التجربة السياسية للأمويين، ونقف على حقيقة الأحداث التاريخية الكبرى التي حدثت في زمنهم بما توفره نصوص وصاياهم، هذا إضافة إلى التطورات الحاصلة في الجهاز الإداري وربطه بالرؤية التي كان يحملها خلفاء وولاة البيت الأموي وضمنوها وصاياهم.

أما الإطار الزمني لهذه الدراسة فيشمل كامل الفترة الأموية من عام الجماعة وتنازل الحسن - عليه السلام - عن الخلافة لمعاوية سنة 41هـ/661م إلى غاية سقوط الدولة في عهد آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد على أيدي العباسيين سنة 132هـ/749م، لنتتبع خلال هذه الفترة - من خلال ما وصل إلينا من وصايا - الجانب السياسي والإداري للدولة في مرحلة تأسيسها ثم في مرحلة توسعها وانتشارها وتوطيد حكمها وتطوير نظمها واستحكام أمرها، لنمر إلى مرحلة ضعفها وهزالتها ثم سقوطها، معرجين مع كل ذلك على مراحل الفتن والثورات وكذا مراحل الإصلاح ثم الانقسام داخل البيت الأموي وتصعد أمره، وتجدر بنا الإشارة إلى ما تتميز به هذه الفترة من خصوصية، حيث عاش في هذه الفترة كثير من الصحابة من أولي الفضل والسابقة وانتشروا في كثير من أقاليم الدولة، إضافة إلى شخصيات وأفراد آل البيت من العترة الطاهرة كسبطي النبي عليه الصلاة والسلام والحسن والحسين - عليهم السلام - فامتحن بهم خلفاء الأمويين وولائهم، وامتألت مصادر التاريخ بتنوع مشاربها واختصاصاتها بأخبارهم، وقد عكست وصاياهم السياسية والإدارية كثيرا من آرائهم وتعاطيهم مع هذه الفئات.

أما الإطار الجغرافي للدراسة فشمل الرقعة الجغرافية التي ورثها الأمويون عن دولة الخلفاء الراشدين، وما أضافوه لها من فتوحات وتوسعات وهي كثيرة، حتى باتت تتربع دولتهم في نهاية عهدها على مساحة مترامية الأطراف، تمتد من فرغانة في أواسط آسيا شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن جبال القوقاز وأذربيجان وجبال البرانس بالأندلس شمالا إلى السند واليمن والنوبة في جنوب مصر، إلى الأطراف الشمالية للصحراء الكبرى في إفريقيا الشمالية جنوبا.

أسباب اختيار الموضوع

ومما حدا بي اختيار هذا الموضوع، الوقوف على هذا التراث من وصايا الأمويين وجمعه من بطون الكتب وتحقيقه ودراسته، وإخراجه إلى النور في حلة جديدة قابلة للانتفاع بها في الدراسات التي تتعلق بهم لعلهم يجدون ما يتأسى أو يتعظ به ويعتبر، هذا من الناحية الموضوعية أما من الناحية الذاتية فقد وقع اختياري على هذا الموضوع بناء على اقتراح وتحفيز من الأستاذ الدكتور محمد فرقاني وهو المشرف

على هذا العمل، ومصادفته لهوى في نفسي ورغبة في التعامل مع النصوص التاريخية المتعلقة بالفترة الأموية.

أهمية الموضوع

لا تتضمن الوصية إلا الإخلاص في النصح والإرشاد والعهد لما يراه الموصي مناسباً وموافقاً لما يجب أن يكون، مراعيًا في ذلك ظروف الدولة وظروف الإقليم وإدراكًا بالواقع، ومراعاة لمصلحة الدولة والبيت الأموي والصالح العام، وفوق كل ذلك ما يخدم الإسلام وأمة الإسلام، لذا تكتسي هذه النصوص أهمية خاصة بين كل أنواع النصوص الأخرى من الرسائل والخطب والأقوال، كما تظهر أهمية هذه النصوص في كونها كثيرة وتغطي كل فترة حكم الأمويين مارة بما في جميع محطاتها وظروفها في حالة الحرب والسلام وحالة الفتن والنزاع وفي حالة البناء والتشييد أو في حالة الإصلاح والترميم، ثم أنها تنتشر في أهم أقاليم الدولة مسيطرة الضوء على واقعها وما تمر به من ظروف خاصة وما يناسبها من حلول ورؤى واستراتيجيات تراعي خصوصيته، إضافة إلى تنوع هذه النصوص في مواضيعها فهي أحياناً تكون فيما يتعلق بالأمّة بشكل عام وأحياناً تتعلق بفئات خاصة من بين فئات المجتمع الأموي، وفي أحيان أخرى تتعلق بأحد أقاليم الدولة أو بالسياسة العامة للدولة وتوجهاتها، كما أنها قد تحمل في طياتها دواء لفتنة أو حسم لأمر جلل، وقد تتخصص الوصايا في جانب إداري بتطوير نظام من النظم التي كانت في هذه الفترة ما زالت في مرحلة البلورة والتنشئة وتُنظَر له، كالقضاء أو الحجابة أو غيرها.

ومن جهة أخرى فإن هذه الوصايا تحمل أهمية انطلاقاً من الجهة التي وجهت لها، فكثير منها وجهها الخلفاء الأمويون لأولياء العهد، وهي على رأس النصوص من حيث الأهمية إذ تلخص سياسة الموصي ورؤيته واستراتيجيته وما فشل فيه أحياناً وما أراد أن يبلغه وقصر عنه وما خلصت إليه تجربته، كما أن بعض تلك الوصايا وُجّهت للولاة أو لبعض العمال كالقضاة أو الحجاب وغيرهم، وهكذا تندرج في الأهمية حسب الموصى له وموقعه في الدولة والجهاز الإداري لها أو مكانته في الأمّة وقدره عند الناس.

هذا من جهة النصوص أما من جهة الدراسة التحليلية فتبرز أهمية هذا الموضوع في تتبع السياق الذي صدرت فيه الوصية والإطار الزمني والمكاني لها، ثم تتبع سلوك الموصى له وعمله فيها إن أمكن بما تتيحه الأخبار التاريخية في شتى المصادر، وأهم من كل ذلك نتائج العمل بالوصية وانعكاساتها أحياناً، وأحياناً أخرى مغبة عدم الامتثال لما جاء فيها أو مخالفتها، هذا وبالإضافة إلى ما في كل هذه النصوص من الفائدة والمتعة والقيمة البلاغية والجودة اللغوية.

أهداف الدراسة

وتهدف هذه الدراسة إلى:

- أنه من أراد من القادة السياسيين الذين يبحثون عما ينير لهم الطريق لإصلاح حال الأمة والسير بها إلى مراقي العز والسؤدد وفق أصول دينها ومقوماتها الفكرية وتطوير نظمها السياسية والإدارية، عليهم أن يقتدوا بالنماذج التي تتناولها هذه الدراسة خاصة من كان منهم على درجة كبيرة من الذكاء والحلم والأناة كعماوية بن أبي سفيان، أو من كان منهم على درجة كبيرة من الرشد والتقوى والصلاح كعمر بن عبد العزيز، حتى ينالوا أجر التأسّي بهم، ويوفروا على الأمة كذلك الجهد والمال والوقت باستلهاهم لتجربة الأمويين المليئة بالمنجزات والاستفادة من أخطائهم وعثراتهم.
- أما رجال التاريخ فيعيدون النظر في تقييمهم لأعمال خلفاء هذه الدولة بناء على ما جاء في هذه الوصايا بعيدا عن الانحياز لهذا التيار أو ذاك، ودون الغلو في مدحهم أو ذمهم، فعلى قدر المقارنة بين منجزاتهم ومنجزات غيرهم ممن جاء بعدهم تكون مكانتهم وقيمتهم.
- أما الأدباء فستكون تحت أيديهم مادة وفيرة من النصوص تمكنهم هم الآخرون من تقييم نظرتهم وتعميقها بدراستهم للخصائص الفنية والأدبية لنصوص هذه الوصايا.
- دحض ما أشيع في الكثير من المصادر التاريخية التي دونت في العهد العباسي عن الخلفاء الأمويين وبعض ولائهم وطغنت فيهم وضربت الصفح ذكرا عن منجزاتهم وجميل موافقهم وأعمالهم ودلست وطغنت في خيرة رجالهم، رغم أن من جاء بعدهم لم يداني ما قدموه لأمة الإسلام ولم يأتوا بربعه أو نصيفه.

الدراسات السابقة

أما عن الدراسات السابقة فإن جمع الوصايا ليس بالأمر الجديد من حيث الفكرة في مجال البحث العلمي، فقد سبقنا إليه طائفة من العلماء والباحثين القدماء والمحدثين كل منهم اهتم بوصايا فئة معينة، فقد ألف أبو حاتم السجستاني في القرن الثالث الهجري كتابا جمع فيه وصايا من عاش أكثر من مئة وعشرين عاما سماه "كتاب المعمرون والوصايا"، كما ألف المبرد كتابا سماه "التعازي والمراثي والمواظ والوصايا"، ومن المحدثين الذين اقتحموا هذا المجال مُجّد نايف الدليمي في كتابه "جمهرة وصايا العرب" في ثلاثة أجزاء خصص الأول منها للعصر الجاهلي والثاني لفترة صدر الإسلام والدولة الأموية، أما الثالث فخصصه للعصر العباسي وعرب الأندلس، ثم الدكتورة سهام عبد الوهاب الفريح في كتابها "الوصايا في الأدب العربي القديم"، وكذلك الأستاذ زهير الحموي في كتابه "من أدب الوصايا" الذي جمع فيه الكثير من نصوص الوصايا من العصر الجاهلي والإسلامي، ودراسات كل هؤلاء المحدثين لم تنقص جميع الوصايا ولم تخضعها لمنهج التحقيق العلمي لضبط نصوصها، وتقصي جميع مصادرها، والإشارة

للاختلافات الواردة فيها، إلا أن العمل الأكاديمي والذي اشترك وتقاطع مع موضوعنا هذا في الكثير من النصوص فهو أطروحة الدكتوراه التي أعدها الأستاذ الدكتور مُجَّد فرقاني تحت عنوان "رسائل عمر بن عبد العزيز، جمعا ودراسة وتحقيقا" والتي طبع مؤخرا في كتاب من أربعة أجزاء، وقد تضمنت هذه الرسائل التي جمعها وحققها ودرسها، العديد من وصايا عمر بن عبد العزيز، وقد استفدت منها أيما استفادة بل واكتفيت بالتحقيق الذي أجراه حولها والذي هو من حيث الجودة لا يكاد يدانيه فيه أحد، فجزاه الله عني وعن سائر الباحثين خير الجزاء وأن يجعله في ميزان حسناته.

ولا شك فإن هناك جهودا أخرى من علماء وباحثين آخرين ممن لم تصلنا معلومات عنهم قد اعتنوا بهذا الموضوع.

أما مجموع عدد الوصايا التي تضمنها هذا البحث فيبلغ عددها -105- وصية، فمنها الطويلة جدا والتي استغرقت حوالي 35 صفحة مثل وصية مروان بن مُجَّد لابنه في الرسالة التي كتبها له عبد الحميد الكاتب، ومنها دون ذلك، ومنها القصيرة جدا كما هو واضح من النصوص في البحث.

إشكالية الدراسة

تعالج الدراسة إشكالية عامة تتمثل في السؤال التالي:

- هل حققت وصايا الخلفاء والولاة الأمويين أهدافها التي كتبت من أجلها في المجالين السياسي والإداري؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة إشكاليات فرعية:

1- ما هي القواعد التي سار عليها الأمويون في سياستهم العامة للدولة من خلال وصايا خلفائهم وولاتهم؟

2- كيف تعامل الأمويون مع العناصر الفاعلة في مجتمعهم: آل البيت، الصحابة والأشراف، سائر الرعية، المعارضين لهم والخارجين عليهم؟

3- ما هي قواعد سياسة الخلفاء والولاة الإدارية من خلال وصاياهم؟

4- ما هي المعايير التي وضعها الأمويون في اختيارهم للولاة وسائر عمالهم؟ وماهي الصلاحيات التي منحوها لهم؟ وبما أن المال يشكل أهم عنصر في بقاء الدولة ما هي الأساليب التي

حددها الأمويون لعمالهم في جباية الأموال؟

المنهج المتبع في عرض الوصايا وتحقيقها

تعددت وصايا الخلفاء والولاة الأمويين السياسية والإدارية واختلفت رواياتها وتنوعت مضامينها وتعرض بعضها للتشويه على يد الرواة لسوء حفظهم تارة ولتساهلهم تارة أخرى في أمر الإسناد، واختلاط الحوادث عليهم وإهمالهم لتوثيقها في إطارها الزمني والمكاني.

ومما زاد في الاختلاف بين روايات هذه الرسائل عمل النساخ والكتاب، الذين تساهلوا في ذلك عند نسخهم لها فأضافوا حروفا وكلمات ما كان يحق لهم أن يضيفوها، وحذفوا أخرى ما كان يحق لهم أن يحذفوها.

وقد حاولت قدر المستطاع اتباع منهج الدكتور محمد فرقاني في دراسته لرسائل عمر بن عبد العزيز، لما اتصف به من ضبط وإتقان من جهة ولتشابه النصوص ومصادرها وطرق ورودها من جهة أخرى.

حاولت المزج بين منهج المحدثين في جزء يسير منه، في عرض الروايات ونقدها وتصحيحها، بعيدا عن الحكم على رجال السند، الذي له أهميته في تصحيح الروايات، وبين منهج البحث عند المؤرخين في الكشف عن الحقيقة وإبرازها والاستفادة منهما، مركزين على الراوي الأول الذي روى الوصية بغض النظر عن معاصرتة لها أو عكس ذلك، بالتأكد من صحة نسبة هذه الوصية لقائلها أو لكتابتها، وتحديد الموصى له، وكذا التأكد من صدق مضمونها، مستعينين على ذلك بمختلف المعارف لإثبات صحة النص أو زيفه، وعلى هذا تعدد مقارنتنا لروايات هذه الوصايا فيما بينها من الكتب المطبوعة في الوقت ذاته نقدا وتقويما وتصحيحا لما جاء فيها من أخطاء.

كان عملت على جمع هذه الوصايا من المصادر وتصنيفها وفق رواتها، واعتبرت الروايات المتعددة للنص الواحد من طريق زاوٍ واحد بمثابة نسخة واحدة مثبتة في المتن الرواية الكاملة والسليمة في أسلوبها وتكامل مضمون معلومتها حتى ولو جاءت في مصدر متأخر أصلا، وتجري مقارنة بقية نصوص هذه الرواية للراوي نفسه معها، فنكمل منها ما نقص في الرواية المعتمدة في المتن، ونبه على ما زاد عنها في بقية الروايات، كما هو واضح في هذا البحث، ولا نثبت من اختلاف بين الروايات في الهامش إلا ما يخدم النص ويوضح معانيه.

أما إذا تعدد الرواة للوصية الواحدة فنكرر الرواية في المتن ويجري عملنا معها كما جرى مع الرواية الأولى وهكذا دواليك، مع الإشارة إلى ترقيم كل وصية برقم أساسي متسلسل، والمكرر منها من الروايات برقم فرعي، فمثلا الوصية الأساسية الأولى تحمل رقم: 1، والمكرر من روايتها تحمل رقم: 1أ، 1ب، كما هو واضح من الوصايا، وقدوتنا في ذلك عمل الأستاذ الدكتور محمد فرقاني في ترتيبه لرسائل عمر بن عبد العزيز في أطروحته، والذي هو بدوره اقتدى بالسلف الصالح من علماء الحديث، عند عرضهم لأحاديث رسول الله -ﷺ- في كتبهم التي ألفوها، وقد حدونا حدوهم إذ عز علينا ترك روايات عديدة للرسائل

بحجة أنها مكررة، أو ضعيفة، أو لا قيمة لها بجانب غيرها، إنما يعد ترك ذلك ضياعاً لثروة علمية كبيرة، فقد يأتي في رواية أخرى بما حُذِفَ أو حُرِّفَ أو صحف أو بها سقط، أو غموض في روايات أخرى، وقد تتفق في موضع وتفترق في موضع آخر فيكون هذا الاختلاف مفتاحاً لحل هذه المشكلات في روايات أخرى، كتحديد الشخص الموصى له، فكان هذا مدعاة لهذا التكرار لنصوص الوصايا كما هو واضح في بحثنا هذا.

أما إذا تطابق نص رواية مخالفة لما سبقها في الراوي فلا نعيدها، إلا إذا كانت الضرورة تتطلب ذلك، ونشير في الهامش إلى ما بينهما من فروق إن وُجِدَت. تصحيحاً للرواية وترميماً للنص. وقمت بترتيب المصادر في الهامش وفق أولوية الروايات وأقدمية المصدر في أحيان أخرى، ومكثت هذه الطريقة من معرفة المصادر التي استقى منها المؤلفون المتأخرون نصوصهم. كما لم أعمد إلى سرد سلسلة السند للرواية بتمامه وإنما اكتفينا بذكر اسم الراوي الأول الذي يتصدر السلسلة بغض النظر إن كانت الرواية متصلة السند أو منقطعة.

كما مارست بقية مكملات التحقيق والدراسة على النحو الآتي: رقت الوصايا من أول وصية إلى آخر وصية، لما لذلك من فائدة توثيقية علمية وتنظيمية. قمت بتخريج الأحاديث الواردة في متون الرسائل من أمهات كتب الحديث دون الإطالة في التخريج.

قمت بتخريج الآيات القرآنية بذكر إسم السورة ورقم الآية. عرّفت بالأماكن والبلدان التي وردت في الوصايا من كتب البلدان. عرّفت بأسماء الأعلام والرجال الذين ورد ذكرهم في الوصايا، أو أولئك الرواة الذين يستدعي الأمر التعريف بهم، أما المشهورون منهم كالخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية فلم أعرف بهم، أما من لم أجد عنه ترجمة فنبهت على ذلك في الهامش.

قمت بشرح الكلمات الصعبة شرحاً لغوياً، كما عرفت بالمصطلحات بما يوضح معناها والمعنى العام للروايات.

محاور البحث

اتبعت خطة تناسب الموضوع من حيث التنوع ومن حيث الشمول، فقسمت العمل إلى مقدمة وثمانية فصول وخاتمة.

ففي المقدمة عرفت بالموضوع وبينت حدوده ووضحت أهمية الدراسة وأهدافها وما تحتمله من إشكاليات، كما وضحت منهجي في تحقيق النصوص وغيرها.

وخصصت الفصل الأول لوصايا الخلفاء الأمويين لأبنائهم وأولياء عهدهم فيما ينبغي أن تكون عليه سياستهم مع الرعية، وتناولت فيه أسباب ودوافع الحسن في تنازله عن الخلافة لمعاوية سنة 41هـ، ثم انتقلت إلى وصايا خلفاء الفرع السفيفاني 41-64هـ، وأتبعها بوصايا خلفاء الفرع المرواني لأبنائهم 64-132هـ.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه وصايا الخلفاء الأمويين لولاتهم فيما ينبغي أن تكون عليه سياستهم للرعية، ومعالجة الأحداث السياسية، وقسمته إلى قسمين قسم خصصته لوصايا الخلفاء السفيفانيين والآخر للمروانيين.

في حين خصصت الفصل الثالث لوصايا ولاية بني أمية لأبنائهم وعمالهم في كيفية سياستهم لرعييتهم. أما الفصل الرابع فتناولت فيه وصايا الخلفاء الأمويين الخاصة بسياستهم نحو آل البيت، ومهدت له بالكلام عن موقف خلفاء بني أمية من آل البيت ثم تكلمت فيه عن وصايا خلفاء الفرع السفيفاني الخاصة بآل البيت والصحابة وغيرهم وأتبعها بوصايا خلفاء الفرع المرواني.

الفصل الخامس تناولت فيه شروط ومواصفات اختيار الخلفاء والولاية الأمويين لعمالهم، ومراقبتهم ومحاسبتهم من خلال وصاياهم، وقسمته إلى ثلاثة أقسام تكلمت في الأول منها عن شروط تعيين الخلفاء الأمويين لعمالهم من خلال وصاياهم، أما الثاني فتكلمت فيه عن وصايا الولاية لعمالهم، أما الثالث فخصصته لوصايا الخلفاء والولاية المتعلقة بمراقبة أعوانهم ومحاسبتهم.

والفصل السادس فتكلمت فيه عن وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم الخاصة بالقضاء والمظالم والشرطة، ومهدت له بالكلام عن القضاء في العهد الأموي وما يشترط فيمن يولى عليه، وقسمته إلى أربعة أقسام، الأول فيه وصايا الخلفاء الأمويين الخاصة بالقضاء ومواصفات من يولى عليه ومصادر الأحكام، والثاني ففيه وصايا الولاية للقضاة، أما الثالث فخصصته لوصايا الخلفاء والولاية الأمويين الخاصة بالنظر في المظالم، والرابع لوصايا الخلفاء والولاية الأمويين المتعلقة بالشرطة.

أما الفصل السابع فتكلمت فيه عن وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم الخاصة بالحجابة والبريد، ومهدت له بالكلام عن الحجابة والحجاب في العهد الأموي مهامهم وصفات من يولى، ثم تكلمت فيه عن وصايا الخلفاء ثم الولاية الخاصة بالحجابة والحجاب، ثم تطرقت لوصايا الخلفاء المتعلقة بالبريد.

وأخيرا الفصل الثامن والأخير خصصته لوصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم في تحديد مهام أعوانهم، وأساليب جبايتهم، مهدت له بالكلام عن سياسة خلفاء بني أمية المالية جباية وإنفاقا، ثم تطرقت لوصايا الخلفاء في تحديد مهام العمال، وأخيرا تكلمت عن أساليب تحصيل جباية الخراج.

وختتمت الدراسة بخاتمة لخصت فيها النتائج التي توصلت إليها في الدراسة.

كما وضعت فهرسا بأرقام الوصايا وعناوينها مدعما بإحصاء لعدد الوصايا الأصلية في كل فصل وكذا الوصايا المكررة.

وفي نهاية الدراسة وضعت فهرس الأعلام والبلدان.

عرض ونقد أهم المصادر والمراجع

وقد اعتمدت في انجاز هذا البحث على العديد من المصادر المتنوعة الأغراض والمضامين، بالإضافة إلى الأبحاث والدراسات الحديثة، وتنقسم حسب تخصصاتها إلى ما يلي:

أولاً: مصادر التراجم والطبقات

ويأتي في مقدمتها:

- كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، وهو مصدر خصب وثري بنصوص الوصايا، وتمتاز نصوصه بالدقة والإيجاز، مع ميزة الإسناد للروايات الذي أعطاهها قيمة تاريخية علمية توثيقية عند تصنيفنا لها.
- تاريخ دمشق لابن عساكر الذي يتضمن ثروة ضخمة من المعلومات عن أفراد البيت الأموي والشخصيات البارزة في دولتهم، أما موارده فجاءت من مصادر سابقة له بعضها وصل إلينا والكثير منها ضاع وعفا عنه الزمن فوفر بذلك علينا نصوصها، كما أفادنا في تصحيح الروايات التي جاءت في المصادر الأخرى، ذاكرا لسلسلة سندها مما أعطاهها قيمة كبرى إذا قورنت بما جاء عند غيره.
- كتاب أنساب الأشراف للبلاذري الذي خص الشخصيات الأموية بتراجم، بعضها مطول والبعض منها مختصر ذكر فيها مناقبهم وأعمالهم والكثير من أقوالهم، وهو مصدر هام لانفراده بذكر الكثير من المعلومات والنصوص التي لا تتوفر في غيره، لكنه لم يهتم بالإسناد في بعض الروايات، ولو ذكره لأعطاهها قيمة توثيقية أكثر.

ثانياً: المصادر الفقهية والقضائية

وهي كثيرة، نذكر منها:

- كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم، وقد استعنت بها في تحديد معاني المصطلحات الاقتصادية والمالية كالخراج والفيء والنفل وغيرها.
- كتاب الولاية وكتاب القضاة للكندي وله مكانة مرموقة لما تضمنه من روايات ونصوص ومعطيات تاريخية وقد أفادني كثيرا في التحقق من بعض الأخبار كأن يذكر اسم شخص على أنه كان وال على مصر وحقيقة الأمر أنه لم يكن كذلك، كما أفادني كثيرا في تعريف الشخصيات كولاية مصر وقضاتها، بالإضافة إلى ذكره لبعض الوصايا.

وكذلك الحال بالنسبة لكتاب: أخبار القضاة لو كيع الذي كان دون الأول من حيث ذكره لنصوص الوصايا، غير أننا استعنا به في تعريف بعض القضاة.

ثالثا: المصادر التاريخية

منها الشاملة في عرضها للأحداث زمانا ومكانا، ومنها الإقليمية في مادتها، وتتفاوت أهميتها من مصدر إلى آخر، فالأقدم منها أهم والمتأخر عنها دونها، ومن أهمها: تاريخ خليفة بن خياط وتاريخ الطبري وهما المصدران الرئيسيان في تاريخ الدولة الأموية وأخبارها وشكلا الأرضية الرئيسية للدراسة وتتبع منجزات الأمويين، ومثلهما الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكذا تاريخ ابن خلدون الذي كان دون هذا الأخير، وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي الذي أورد وصية معاوية لابنه يزيد وزاد في نصها الشيء الكثير، ثم البداية والنهاية لابن كثير الذي دعم أخباره بالتعليقات الهامة وترجيح بعض الروايات على غيرها، ومروج الذهب للمسعودي الذي تعد رواياته دون روايات بقية المصادر، وذلك لعدم دقتها إضافة إلى تساهله في تمحيص الأخبار.

رابعا: المصادر الأدبية

وهي كثيرة وتتفاوت أهميتها من مصدر إلى آخر و نذكر منها:

المعمرون والوصايا للسجستاني، إلا أن النسخة التي تحصلت عليها قديمة وناقصة مما اضطرني إلى الاعتماد على النسخ الإلكترونية المتوفرة في المكتبة الشاملة وهي غير موافقة للمطبوع، البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، والكامل في اللغة والأدب للمبرد، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وصبح الأعشى للقلقشندي والذي أخذت عنه نص رسالة مروان بن محمد لابنه عبد الله كاملا في خمسة وثلاثين صفحة، والتي لم يذكرها غيره سوى ابن طيفور في كتابه المنشور والمنظوم والذي لم يتيسر لي الاطلاع عليه، وغيرها من المصادر، التي استعنت بها في مقارنة روايات الوصايا التي وردت بها.

خامسا: المراجع الحديثة

وهي كثيرة واستعنا بما جاء فيها من معلومات في نقد وتفسير وتأويل النصوص وبلورة وتوضيح سياسة الأمويين العامة، وتتبع التعليقات والتفسيرات والاستنتاجات التي أوردتها حول المنجزات الحضارية للأمويين وتطور أجهزتهم الإدارية، وتتفاوت في أهميتها باختلاف مضامينها وتخصصاتها كما تبين ذلك قائمتها في آخر البحث.

صعوبات البحث

أما الصعوبات التي واجهتني في جمع هذه الوثائق فمتعددة وشاقة، فمنها ما يتعلق بنص الوصية إذ يرد في عديد المصادر باختلاف كبير أو حتى في المصدر الواحد بروايتين مختلفتين قد ترد فيها أسماء شخصيات مختلفة، مما يصعب كثيرا ترجيح إحدى الروايات وتحليلها والتعليق على ما جاء فيها، كما لاقت صعوبة كبيرة في تحديد النصوص وتحديد إذا ما كانت وصايا أم لا خاصة وأن الكثير من الرسائل والأقوال المطولة تحمل في طياتها وصايا، ناهيك عن كون بعض الوصايا لا تتعلق بالجانب السياسي أو الإداري فقط بل تتعداه إلى جوانب أخرى، وفي أحيان كثيرة يتداخل الجانب السياسي مع المالي والاقتصادي مما يصعب كثيرا تحديد الوصايا المتعلقة بموضوعنا من عدمه، وخير مثال على ذلك رسائل قرة بن شريك والي مصر.

كما أن نصوص الوصايا لا تغطي جميع الجوانب السياسية والإدارية بشكل كاف، بل هي تتعلق ببعض الجوانب فقط مما يخص كل خليفة، إضافة إلى أن بعض الخلفاء لم تصلنا عنهم أي وصايا كالوليد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد، مما صعب من تحقيق الرؤية الشاملة والحكم العام على كل خليفة. وفي الأخير لا يسعني إلا أن أقدم خالص شكري للدكتور محمد فرقاني الذي أشرف على البحث توجيهها وتقويمها وتصحيحها، فجازاه الله خير الجزاء.

تمهيد

الوصايا أنواعها ونهاياتها

❖ أولاً: تعريف الوصية

1- لغة

2- اصطلاحاً

❖ ثانياً: أنواع الوصايا

1- الوصية الشرعية

2- الوصية الدينية

3- الوصية السياسية

4- الوصية الإدارية

5- الوصية الحربية

6- الوصية الاقتصادية

7- الوصية الاجتماعية

تمهيد: الوصايا، أنواعها وغاياتها

أولاً: تعريف الوصية

1- لغة

لكلمة الوصية في اللغة معان عدة، منها "العهد" ومنها "الفرض"، ومنها "الوصل"، فيقال: أوصى الرجل ووصَّاه: عَهِدَ إليه، وأوصيتُ له بشيءٍ، وأوصيتُ إليه: إذا جعلته وصيك، وأوصيته ووصيته بمعنى، وتواصى القوم: أي أوصى بعضهم بعضاً، وفي الحديث: (...استوصوا بالنساء خيراً)⁽¹⁾، والإسم الوصاة، والوصاية، والوصاية: الذي يُوصي والذي يُوصى له، وهو من الأضداد، والوصية: ما أوصيت به، وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت⁽²⁾. و﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾⁽³⁾: أي يعهد الله إليكم⁽⁴⁾.

2- اصطلاحاً

والوصية في اصطلاح الفقهاء: «تخصيص الوصية بالتبرع المضاف لما بعد الموت، والوصاية بالعهد إلى من يقوم على من بعده»⁽⁵⁾. وقال أسامة بن منقذ: «الوصية وصيتان: وصية الأحياء للأحياء - وهي أدب وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وتحذير من زلل، وتبصرة بصالح عمل ووصية الأموات للأحياء، عند الموت - بحق يجب عليهم أدأؤه، ودين يجب عليهم قضاؤه»⁽⁶⁾.

(1) - صحيح مسلم، رقم 60، ج 2، ص 1091.

(2) - الفراهيدي: العين، ج 1، ص 102، مادة «عهد»، ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ج 8، ص 358، مادة «وصي»، ابن منظور: لسان العرب، ج 3، ص 311، مادة «عهد»، الزبيدي: تاج العروس، ج 40، ص 209، مادة «وصي».

(3) - سورة النساء: الآية 11.

(4) - تفسير الطبري، ج 7، ص 30.

(5) - الشريبي: مغني المحتاج، ج 4، ص 66.

(6) - لباب الآداب، ص 1.

وعرّف الدكتور مُجد رجب النجار الوصية بأنها: «فنُّ قولٍ شفويٍّ الأصلِ يصدر عن رؤيةٍ أو عن نزعةٍ مثاليةٍ في مضمونه وغايته، والغاية من الوصية نقل الخبرة العملية وحشد التجربة الإنسانية وتنظيم أمور الحياة الخاصة أو العامة من الأكبر للأصغر على نحو مثالي ونموذجي»⁽¹⁾.

وعرّفت الدكتورة سهام عبد الوهاب الفريح الوصية بأنها: «الثمرة الفكرية التي يكتسبها الفرد من تجاربه في حياته اليومية، ومن تفاعل هذه التجارب مع بيئته ومجتمعه، وهي كالحكمة، ولعلها تتكوّن من الحكم والأمثال»⁽²⁾.

وعلى هذا فإن مفهوم الوصية يشمل الأمر بمعروف والنهي عن المنكر، والتحذير من الزلل، والتبصرة بصالح العمل⁽³⁾.

ويمكن أن تُعد الوصية خلاصة فكرية يكتسبها المرء من تجاربه في بيئته ومجتمعه، وهي تشبه الحكمة والمثل من هذه الناحية، بل تتكون منهما، وفي الغالب يرتبط استعمال الوصية بإرادة الخير والتوجيه إلى هو واجب من فضائل النفس والسلوك، ويمكن أن تلقي الوصايا ضوءاً مهماً على العلاقات الاجتماعية السائدة، وعلى تطور القيم والأفكار في مجتمع بعينه⁽⁴⁾.

وإذا كان بعض المختصين من المعاصرين، يشترط لدخول النص في فن الوصايا - من ناحية التعريف والوظيفة- أن يتوجه الموصي إلى فرد بعينه معروف له على المستوى الشخصي، من خلال كلمات بعينها مثل: «وصية، وأوصي، وأوصي، وأوصيكم، وما في معناها»، فإن ثمة من يرى أن مفهوم الوصية يتسع ليشمل النصوص المشتملة على معاني النصيحة، والإرشاد، والموعظة، والنصيحة، والأمر بمعروف والنهي عن المنكر، والتحذير من الزلل، والتبصرة بصالح العمل، كما يدخل في معنى الوصية العهد والحكمة والتذكير؛ لا سيما وأن هذا التداخل موجودٌ في كثير من كتب الأدب وهذا ما أخذت به في هذه الدراسة.

ثانياً: أنواع الوصايا

جاءت الوصايا بشكل عام لتتنقل عموم الخبرة الشخصية والعامة التي تحصلت لدى الموصي إلى الآخرين، فشرع الموصي يستنفر طاقاته اللغوية وامكانياته المعرفية لينتج نصوصاً وعظية في المقام الأول أدبية في المقام الثاني، إذ كان الهدف الأول الإيحاء فكانت نصوص الوصايا نسيجاً متكاملًا وظفت فيه

(1) - النثر العربي القديم، ص 55.

(2) - الوصايا في الأدب العربي القديم، ص 17.

(3) - زهير الحموي: من أدب الوصايا، ص 24.

(4) - فنون النثر العربي القديم، مقرر جامعة القدس المفتوحة، ص 17.

اللغة من أجل حمل مضمون وعظي ناصح يوصي به صاحب الوصية، ولما كان الموصي حريصاً على ألا يدّخر شيئاً عن المتلقين عرجت الوصايا على موضوعات شتى وميادين مختلفة فكان منها الديني الذي ينظم العلاقات بين العبد وخالقه، والاجتماعي الذي ينظم العلاقات الإنسانية العامة والخاصة، والسياسي الذي يتعلق بشؤون السياسة المرتبطة بالخلفاء والسلطين وبين خلفائهم وعماهم أو رعيتهم، ومنها ما هو عسكري وقد تتسع أكثر إذ تأتي على الحديث في كثير من الموضوعات الإدارية والتربوية والقضائية وغيرها⁽¹⁾.

1- الوصية الشرعية

وقد اختلف تعريفها باختلاف المذاهب الفقهية وهي تدور في مجملها فيما يوصي به المرء أهله وذويه عند الموت فيما يتصرفون به مما تركه لهم من مال ومتاع، لإيفاء دين أو سداد مغرم، أو ما إلى ذلك من أمور تتعلق بذمة الموصي⁽²⁾، وقد ذهب الشافعية إلى أنها: «تبرع بحق مضاف ولو تقديراً لما بعد الموت»⁽³⁾، وذهب الحنفية إلى أنها: «تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع»⁽⁴⁾، في حين ذهب الحنابلة إلى أنها: «التبرع بالمال بعد الموت»⁽⁵⁾.

وهي تعريفات متقاربة في دلالاتها والخلاف بينها لفظي كما هو واضح أما المالكية فقد عرفوها بأنها: «عقد يوجب حقاً في ثلث مال عاقده يلزم بموته أو يوجب نيابة عنه بعد موته»⁽⁶⁾، أما تعريفها المختار عند الفقهاء المحدثين فهو أنها: «عهد خاص بتمليك عين أو منفعة ولو تبرعاً، أو فك مال، أو تسليط على تصرف بعد الوفاة»⁽⁷⁾.

غير أن هذا النوع من الوصايا لم نغنى به في دراستنا هذه، ودراستها من اختصاص أهل الفقه.

2- الوصية الدينية

نهل الموصون على اختلاف أنواعهم سواء كانوا خلفاء أو ولاة أو سواهم من معين الدين الإسلامي الحنيف في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد حاولوا في كثير مما انتجوه في هذا المضمار أن

(1) - حذيفة عبد الله عزام: الوصايا في الأدب الأندلسي، ص 30.

(2) - محمد نايف الدليمي: جمهرة وصايا العرب، ج 1، ص 16.

(3) - السنيكي: أسمى المطالب في شرح روض الطالب، ج 3، ص 29.

(4) - البابري: العناية شرح الهداية، ج 10، ص 412، الكاساني: بدائع الصنائع، ج 6، ص 119.

(5) - التنوخي: الممتع في شرح المقنع، ج 3، ص 218.

(6) - العبدري: التاج والاكليل لمختصر خليل، ج 8، ص 513.

(7) - محمد الشيخ جعفر: الوصية وأحكامها في الفقه الإسلامي، ص 32.

يحثوا الموصون لهم على امتثال أوامر الله عز وجل، فقد كانت التعاليم الدينية مصدرهم الذي ينطلقون منه ليصلوا إليه، فركزوا على ضرورة التزام العمل الصالح والتقرب من القرآن حفظاً وتلاوة، والحفاظ على الصلاة والصيام وإقامة شعائر الإسلام، وفي العموم جاءت الوصايا الدينية تحث المتلقين على امتثال أوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه والتزام جادة الشريعة والطريق القويم⁽¹⁾.

ومما يجدر بنا ملاحظته هو أن الوصية الدينية هي ضرب من الوصايا الأدبية فهي تختلف عن الوصية الشرعية المتعلقة بالإرث والتي تكلمنا عنها آنفاً، كما أننا نقصد بالوصية الدينية الوصية الوعظية المحظية، وإلا فإن جميع الوصايا في عصر صدر الإسلام هي وصايا دينية أياً كان موضوعها إذ نظم الإسلام حياة المسلمين في جميع جوانبها، فلا توجد كبيرة ولا صغيرة إلا وللإسلام فيها حكم وتوجيه، فمن هذا الباب فإن جميع الوصايا الدينية، مهما كان غرضها، إلا أننا نصنف الوصايا حسب مضامينها إلى مجالات شتى قصد تسهيل دراستها فحسب.

3- الوصية السياسية

يشكل هذا النوع من الوصايا مجال دراستنا هذه، وهذه الوصايا لها جذور قبل الإسلام، إذا نظرنا إلى وصايا الحكماء ورؤساء القبائل التي تحدد علاقتهم بغيرهم من القبائل وملوك العرب، على أنها وصايا سياسية، إلا أن هذا النوع من الوصايا طرأت عليه لاحقاً تغيرات وتطورات عديدة من حيث المنطلق والغاية، فالوصايا السياسية في عصر صدر الإسلام ظاهرة واضحة ذلك أنه أصبحت للعرب وللمسلمين دولة، وهذه الدولة تحتاج إلى جهاز إداري كامل، وتحتاج إلى تنظيم علاقاتها مع جيرانها، وتحتاج كذلك إلى بيان موقفها من الكثير من الفئات المكونة لمجتمعها، وكانت بحاجة إلى بيان ضوابطها في انتقال السلطة من خليفة إلى آخر، وكل ذلك كان مصحوباً بالوصية في التعامل لكي يتم التواصل بين متعهدي الأجهزة الإدارية بأصول التعامل الإسلامي العامة ويقوانين الإسلام وتشريعاته في كل قضية وموقف⁽²⁾.

وبمجيء العصر الأموي تطورت المعطيات السياسية وتعمدت عما كانت عليه في عصر النبوة والخلافة الراشدة، وألقى ذلك كله بظلاله على الوصية السياسية، خاصة بعد أن تحولت الخلافة إلى ملك في مظاهرها، وتغيرت آليات انتقال الخلافة إلى نظام الوراثة، كما تبدلت مناهج الحكم والسنن المألوفة في دولة الراشدين، لذلك فإن الوصية السياسية تطورت وتنوعت مفاهيمها وصورها ومقاصدها، معبرة عن

(1) - علي محمد التمر: الوصايا في عصر صدر الإسلام، ص 218-219، حذيفة عبد الله عزام: الوصايا في الأدب الأندلسي، ص 31.

(2) - علي محمد التمر: الوصايا في عصر صدر الإسلام، ص 222.

مطالب العصر وحاجات الأمة، وما يراه الخليفة أو العامل من ضرورات الحكم وسياسة الدولة⁽¹⁾، وهي تصدر في الغالب عن المتنفذين في الجهاز الإداري للدولة أو لهم رأي في رسم معالم السياسة العامة للدولة بشكل عام أو في إقليم معين من أقاليمها.

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أن طائفة من هذا النوع من الوصايا قد أخذت طابع الرسائل فكانت وصايا مدوّنة، أو ضُمّنت في الخطب فشكّلت جزءاً منها بالرغم ما للخطبة من خصائص وأغراض تختلف عن خصائص وأغراض الوصية⁽²⁾، وقد اتخذ هذا النوع من الوصايا عدة أشكال هي:

- عهود الاستخلاف، إذ يعتبر العهد وصية كما رأينا في المعنى اللغوي للوصية.
- وصية الخليفة لولي عهده.
- وصايا الخلفاء لولايتهم وعمالمهم على الأقاليم والبلدان.
- وصايا الخلفاء للرعية.
- وصايا الولاة لعمالمهم.
- وصايا الولاة للرعية.

4- الوصية الإدارية

يدخل هذا النوع من الوصايا في إطار دراستنا هذه، وتتقارب الوصية الإدارية كثيراً مع الوصية السياسية، إذ كلاهما تصدران عن نفس الجهة، وتتميز الوصايا الإدارية بأن تختص بالجوانب الإدارية المتعلقة بشتى خطط الدولة كالقضاء والشرطة، والكتابة، والبريد، والحجابه، وإدارة المال المختصة بجبايته وإنفاقه، ولم يكن هذا النوع من الوصايا معروفاً عند العرب قبل الإسلام، وظهرت بعد أن تأسست دولة الرسول ﷺ بالمدينة، وقد تطور هذا النوع من الوصايا كثيراً بتطور نظم دولة الإسلام وتشعبها، ففي العصر الأموي ظهرت بعض الدواوين التي لم تكن موجودة في العصر الراشدي كديوان الخاتم، وتطورت مع تطور الدواوين خطة الكتابة، وتوسعت مهام بعض العمال كالحجاب فزيد في صلاحياتهم الشيء الكثير، فأدى كل ذلك إلى متابعة العمال بالوصايا لترقية أدائهم إلى متطلبات الحكم ومقتضياته في ظل تطور المجتمع وتغير بنيته وتكوينه.

5- الوصية الحربية

تسمى أيضاً بالوصية الجهادية، وهي معروفة عند العرب قبل الإسلام، ولكنها في الإسلام اتخذت منحى دينياً، فبعد أن كان هدفها قبل الإسلام الحث على القتال وإلحاق أبلغ الأذى بالخصم، أصبحت

(1) - محمد جاسم الحديثي: وصايا الخلفاء والأمراء السياسية والإدارية في العصر العباسي الأول، ص 57.

(2) - للمقارنة بين الخطبة والوصية انظر: صلاح الدين الهادي: الأدب في عصر النبوة والراشدين، ص 194-203.

في ظل الإسلام تهدف إلى غايات إنسانية من خلال اختلاف الغاية، إذ أصبحت تحث على دعوة الناس إلى الهدى، وتجنب إلحاق الأذى بهم ما كان إلى ذلك سبيلا، وتعرف هذه الوصية بأنها متعلقة بالعمليات من حيث الخطط وكيفية التنفيذ وتوضيح ما يدور حول العمليات من تساؤلات وبيان الأهداف المستقبلية لها، وتكون هذه الوصية من القيادة الموجهة العليا إلى من دوهم من قادة الجيش، وإلى سائر المقاتلين⁽¹⁾، وأهم وصية وصلتنا من هذا النوع وصية مروان بن محمد لابنه عبد الله. ولا يدخل هذا النوع من الوصايا في مجال دراستنا.

6- الوصية الاقتصادية

لم يظهر هذا النوع من الوصايا قبل الإسلام لعدم وجود جهة تشرف على تنظيم أو تأطير المعاملات المالية أو غيرها في المجتمعات القبلية العربية، لكن بعد تأسيس دولة الإسلام وظهور النظام الإقتصادي الإسلامي والذي حددته نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وباتت الدولة مشرفة عليه، هنا ظهرت الوصايا التي توظف المعاملات المالية والنشاطات الزراعية والحرفية بين جميع فئات المجتمع المسلم، وهي كثيرة جدا في الفترة الأموية، وتتعلق بالزكاة والجزية والخراج، والعطاء والإنفاق والجباية، كما تتعلق بالزراعة والري والصناعة وغيرها.

وقد استثنيت هذا النوع من الوصايا في دراستي هذه لأنه يتطلب دراسة منفصلة تعطيه حقه.

7- الوصية الاجتماعية

وهي الوصية التي يترك فيها الموصي لمُتلقيه فيضا من خبراته ومشاهداته ويسجل له خلاصة تجاربه وعصارة حياته، ويترك له أسسا وقواعد عامة في التعامل مع الآخرين المقربين منهم والأبعدين على اختلاف طبقاتهم وأطيافهم وميولهم⁽²⁾، ويقصد أيضا بهذا النوع من الوصايا كل ما يُراد به النصح والإرشاد والتربية كوصية الآباء إلى الأبناء والأمهات إلى البنات، بقصد التقويم الخلقى، وتعليم طرائق التعامل الاجتماعي على أسس قويمية، وقد عُرف هذا النوع من الوصايا قبل الإسلام، إلا أن مضامينه قد اختلفت بعد مجيء الإسلام، ذلك أن منطلقها الأساس أصبح من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأنها ما عادت تبغى سلامة الموصى إليه في الدنيا فحسب بل كان التركيز عليها على الفوز بالآخرة وبرضى الله سبحانه وتعالى، كما أن الوصايا الاجتماعية لم تعد محصورة بالأبناء فحسب بل تعدت ذلك لتشمل عامة المسلمين، لذا باتت الخليفة يوصي عامة الناس، وأصبحت الوصية أدبا متبادلا بين الجميع⁽³⁾.

(1) - علي محمد التمر: الوصايا في عصر صدر الإسلام، ص 225.

(2) - حذيفة عبد الله عزام: الوصايا في الأدب الأندلسي، ص 36.

(3) - علي محمد التمر: الوصايا في عصر صدر الإسلام، ص 227.

وهذا النوع من الوصايا هو الآخر يتطلب دراسة منفصلة وهو من الأهمية بمكان، لذا هو ليس في مجال بحثنا هذا.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن نصوص الوصايا التي وصلتنا من العصر الأموي، كثير منها لم يختص بنوع واحد من الوصايا، بل تضمن جوانب دينية وأخرى حرية وأخرى سياسية أو إدارية، خاصة منها النصوص الطويلة، لذا يصعب تصنيفها، وقد حملتها في دراستي هذه على ما يغلب عليها عادة، فإن غلب عليها الجانب الحربي الذي لا نتعرض له في هذه الدراسة ومس جوانب سياسية وإدارية، فأحملها على الجانب السياسي إن غلب على الجانب الإداري، كما فعلت مع رسالة مروان بن محمد لابنه عبد الله إذ صنفتها ضمن الوصايا السياسية رغم أنه يغلب عليها الجانب العسكري والحربي.

الفصل الأول

وصايا الخلفاء الأمويين لأبنائهم وأولياء عهوتهم

فيما ينبغي أن تكون عليه سياستهم مع الرعية

❖ أولا: تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية سنة 41هـ، الأسباب والدوافع

❖ ثانيا: وصايا خلفاء الفرع السفلي: 41-64هـ

- 1- وصايا معاوية لابنه يزيد في كيفية سياسة الناس
- 2- وصية معاوية ليزيد ولي عهده عند مرضه فيما يجب أن يكون موقفه من رجال الحجاز الثلاثة الذين عارضوا عهده إليه، وكيف تكون سياسته مع أهل العراق والشام

تمهيد: أسباب عهد معاوية لابنه يزيد بولاية العهد

3- وصية معاوية لبني أمية

4- وصية معاوية بن يزيد

❖ ثالثا: وصايا خلفاء الفرع المرواني لأبنائهم: 64-132هـ

- 1- وصايا مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز
- 2- وصية عبد الملك بن مروان عند وفاته
- 3- وصية سليمان بن عبد الملك بولاية العهد لعمر بن عبد العزيز
- 4- وصية عمر بن عبد العزيز حين قرب أجله ليزيد بن عبد الملك بالأمة خيرا
- 5- وصية مروان بن محمد لابنه عبد الله

الفصل الأول: وصايا الخلفاء الأمويين لأبنائهم وأولياء عهدهم فيما ينبغي أن تكون عليه سياستهم

مع الرعية

أولاً: تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية سنة 41هـ، الأسباب والدوافع

ضاق الخليفة البار علي بن أبي طالب عليه السلام ذرعاً بأصحابه، خاصة وأن هناك من غالى في حبه حتى رفعه فوق منزلته البشرية كالذين يزعمون أنهم شيعة، وهناك من وقف بجانبه بالنصرة والتأييد. وهناك فرقة أخرى غالت في بغضه حتى كفرته كالخوارج الذين ابتلاه الله بهم، حتى أنه كان في أواخر حياته يتمنى أن يقبض الله روحه قال: «اللهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني وحملوني على غير طبعي وخلقى، وأخلاق لم تكن تعرف لي، اللهم فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني، اللهم أمت قلوبهم موت الملح في الماء»⁽¹⁾، فلم يلبث إلا فترة حتى قتله أشقاها عبد الرحمن بن ملجم الخارجي⁽²⁾ في صبيحة السابع عشر من رمضان سنة 40هـ، فلم يمض حتى توفاه الله ورضي عنه، وقبل أن يتوفى طلب منه أصحابه أن يستخلف فقال لهم: «لا ولكن ادعكم كما ترككم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعني بغير استخلاف - فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -»⁽³⁾.

فبايع أهل الكوفة ابن الحسن خليفة من بعده، وكان على دراية بما عليه الوضع في العراق والأسباب التي أدت إلى اغتيال والده، وقتل عثمان من قبله، حيث كان من بين الرجال المدافعين عنه يوم الدار، كما وقف إلى جانب والده في الصراع الذي نشب بينه وبين معاوية وبين أصحاب الجمل - عائشة، الزبير، طلحة - وما حصل في صفين، ولذلك كانت له خبرة عميقة بنفسية أهل العراق، وبدوافع

(1) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 124.

(2) - عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي: أحد بني تدؤل، وكان فارسهم بمصر، شهد فتح مصر واختط بها مع الأشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقهاء، أدرك الجاهلية وهاجر في خلافة عمر وقرأ على معاذ بن جبل وكان من العباد، وقيل إن عمر كتب إلى عمرو أن قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقهاء فوسّع له مكان داره، وكان من شيعة عليّ، وخرج إليه إلى الكوفة؛ ليبايعه، ويكون معه، وشهد معه صفين، ولما دفن علي أحضر ابن ملجم وجاء الناس بالنفط والبواري وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه ثم قطع لسانه ثم أحرق في قوصرة، وكان أسمر حسن الوجه أفلح شعره مع شحمة أذنه وفي جبهته أثر السجود وكانت قتلته سنة 40 هـ. تاريخ ابن يونس، ج 1، ص 314 وما بعدها؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 2، ص 373؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 18، ص 172.

(3) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 131.

الفتنة التي أدت إلى ما أدت إليه ومثيريها الذين يتواجدون في صفه.

خرج الحسن سنة 40هـ لمحاربة معاوية بجيش كثيف ولى عليه قيس بن سعد، ونزل الحسن المدائن ببعض الجيش، وأشيع بأن قيس بن سعد قد قتل، فأمر الجيش الذي كان معه بالتأهب للرحيل وبينما هو يستعد لذلك إذ بالناس يثورون يتهبون أمتعة بعضهم بعضا حتى انتهوا ما كان في خيمة الحسن، حتى نازعوه بساطا كان جالسا عليه وطعنه أحدهم في فخذه وقيل طعنه أحد الخوارج وهو يصيح عليه: «أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل»⁽¹⁾، فازداد بغضه ومقته لهم واشتدت به العلة وتفرق عنه أصحابه وحمل إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود الثقفي فاقترح عليه ابن أخيه المختار بن أبي عبيد: «أن يوثقه ويسير به إلى معاوية» فقبح رأيه ورفض اقتراحه⁽²⁾، فبقي عنده حتى شفي.

في هذا الوقت كان معاوية قد خرج لمقاتلة الحسن، ومعه عمرو بن العاص فلما بدأت الحرب تلوح في الأفق قلق معاوية أشد القلق وكذا عمرو بن العاص على مصير الإسلام والمسلمين في الإقليمين للأثار الوخيمة التي تركها على الطرفين، قال عمرو بن العاص لمعاوية: «إني أرى كتاب لا تولى حتى تقتل أقرانها».

فقال معاوية- وكان والله خير الرجلين-: إن قتل هؤلاء هؤلاء هؤلاء هؤلاء- أي قتل أهل العراق لأهل الشام والعكس- من لي بأمور الناس؟ من لي بضعفتهم؟ من لي بنسائهم؟ فبعث إليه- أي إلى الحسن- رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر⁽³⁾، فعرضاً عليه الصلح.

رأى الحسن -ﷺ- بعد أن درس الوضع من جميع جوانبه بعين بصيرة ورؤيا بعيدة قرر عندها عدم المضي في حرب خاسرة حتى وإن انتصر، فانتسابه لبيت النبوة لا يكفي وحده لقيادة المسلمين ولا تجلب له النصر والتمكين، فوالده رغم سابقته إلى الإسلام، وشجاعته وتقواه وزهده وعلمه عجز عن ترويض أهل العراق وحملهم على نصرته فكيف به وهو دونه؟⁽⁴⁾.

ولذلك لما عرض عليه رسولا معاوية الصلح قبله مبدئياً إلا أنه عرض الأمر على المسلمين في الكوفة ليعرف رأيهم في الأمر إذ خطب عليهم فقال: «إنا والله ما يثينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فثيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في

(1)- البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص 35.

(2)- المصدر نفسه، ج3، ص36؛ تاريخ يعقوبي، ج2، ص 214-215.

(3)- ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 135-136.

(4)- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 2، ص 35.

مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم. ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، وأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر. ألا إن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله -عز وجل- بظبا السيوف [حد السيوف] وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا. فناداه الناس من كل جانب: البقية، البقية، وأمضى الصلح»⁽¹⁾.

أرأيت كيف كان على دراية بمواقفهم وتحاذلهم وتفكك صفهم فلما عرض عليهم ما عرض سارعوا إلى تأييده فيما عزم عليه، وهو -ﷺ- بعمله هذا يريد أن يحملهم معه جزءاً من المسؤولية في الذي قرر عقده معاوية.

وهناك دوافع أخرى دفعته إلى قبول الصلح بيَّنها في قول له قال: «سخي»⁽²⁾ نفسي عنكم ثلاث: قتل أبي، وطعني، وانتهاج بيتي»⁽³⁾.

اشتراط الحسن على معاوية شروطاً تفاوتت المصادر في ذكر بنودها في مقابل التنازل له عن الخلافة ونحن نذكرها مجملة دون الدخول في إيراد ما بينها من خلاف هي :

1- ألا يأخذ أحد من شيعته وشيعة والده وأنصاره من أهل العراق عامة بما أصابوا في الفتنة من دماء.

2- أن يأخذ لنفسه ما في بيت مال الكوفة من مال فكان مبلغه خمسة آلاف ألف درهم [5ملايين].

3- أن يجعل له خراج دار بجرد [إقليم] من أرض فارس فأبى عليه أهل البصرة على أساس أنه فيئهم، فعوضه معاوية عن ذلك بجوائز وهدايا سنوياً تقدر بستة آلاف ألف- [6ملايين].

4- أن يكف عن شتم والده فلم يف له بذلك.

5- أن يحمل لأخيه الحسين ألفي ألف درهم كل سنة [2 مليون].

6- أن يكون الأمر شورى بين المسلمين بعد وفاته يولون عليهم من أحبوا فلم يف له بذلك

(1) -قتيل النهروان: أي أولئك الذين قتلهم الخوارج في منطقة النهروان. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص7.

(2) -سخي نفسي: أي تركته ولم تنازعني نفسي إليه- أي للأمر وهي الخلافة. ابن منظور: لسان العرب، ج14، ص373، مادة «سخي».

(3) -تاريخ الطبري، ج5، ص159؛ تاريخ ابن خلدون، ج2، ص649.

وجعل ابنه يزيد ولياً للعهد⁽¹⁾.

فلما تمت الموافقة على الصلح بين الطرفين اتجه معاوية إلى الكوفة فدخلها في 25 ربيع الأول سنة 41 هـ لأخذ البيعة من أهلها فبايعه الحسن والحسين وسائر الناس منهم المطيع ومنهم الكاره لذلك، وامتن الحسن على أهل الكوفة في خطبة له خطبها عليهم بحضور معاوية قال: «أيها الناس، إن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دمائكم بآخرون، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول - إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾»⁽²⁾.

وبذلك يكون قد وضع حداً لذلك النزاع والخصام الذي استمر 5 سنوات، والذي أدى إلى سفك الكثير من الدماء التي كان من الأولى أن تسفك في سبيل الله لإعزاز دينه والدفع به إلى أقصى مدى في أرض المشرق والمغرب.

وبذلك تحققت نبوءة النبي - ﷺ - الذي قال في حقه وهو على المنبر ينظر إليه تارة وإلى المسلمين المتواجدين أمامه تارة أخرى: «ابني هذا سيد ولعل أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»⁽³⁾.

بعد هذا أخذ الحسن والحسين أهلها والتحقا بالمدينة المنورة، فسخط على ما فعل قسم من شيعتهم، ورضي قسم آخر، وقد سئل بعدها عن دوافع تنازله عن الخلافة لمعاوية: «ما حملك على ما فعلت؟»

قال: كرهت الدنيا، ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحد أبداً إلا غلب، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هواء مختلفين لا نية لهم في خير ولا شر، لقد لقي أبي منهم أموراً عظيماً، فليت شعري لمن يصلحون بعدي؟»⁽⁴⁾، لم يصلحوا لأحد بعده إلا باستعمال القوة الغاشمة ضدهم.

لزم الحسن - ﷺ - بيته في المدينة راضياً بما فعل، فكان معاوية يكرمه ويتحفه بالجوائز والهدايا الوفيرة حتى توفاه الله سنة 49 هـ بالمدينة المنورة - فرضي الله عنه وأرضاه - لقد عرف قدره، وعرف زمانه فرضي

(1) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 203؛ ابن كثير: البداية و النهاية، ج 8، ص 41. البلاذري: أنساب

الأشراف، ج 3، ص 283-285، وجاء في ص 286 أنه اشترط عليه أن يكون خليفة من بعده. وهذا شيء مستبعد لا يصدق عاقل ولا الذي يقرأ الأحداث ويربط بينها، فكيف يتنازل عنها ثم يطلبها من جديد لنفسه.

(2) - ابن الجوزي: المنتظم، ج 5، ص 183؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 203؛ والآية من سورة الأنبياء.

رقم: 111.

(3) - صحيح البخاري، ج 4، ص 205، رقم 3629.

(4) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 204.

لإخوانه المسلمين السلامة والأمن والعافية بحقن دمايتهم مجنبا إياهم المزيد من الويلات والنكبات هم في غنى عنها.

ثانياً: وصايا خلفاء الفرع السفياي: 41-64هـ

1- وصايا معاوية لابنه يزيد في كيفية سياسة الناس

وصية معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بالأشراف

-رقم: 1-

أدرك معاوية أهمية الزعامات القبلية وأشرف الناس ومتقدميهم لما لهم من دور بارز في ضبط سلوكياتهم والسيطرة على مواقفهم من أجل توطيد الأمن العام، واستقرار نظام الحكم والنظام العام، ولما لهم من تأثير قوي عند اشتداد الأزمات والمواقف والقضايا المصيرية، لذلك فقد كان لزاماً على الأمويين مراعاة هذه الفئة بالإهتمام بها بكسب مواقفها عن الحاجة إليها في المواقف الحرجة، ففهم قادة الرأي والتأثير في أتباعهم، ومن يتولون أمرهم، وسيأتي ما يؤكد هذه الحقيقة عبر هذا البحث، فكان معاوية بن أبي سفيان قد رسم هذه السياسة، وركز عليها معهم مستفيداً في ذلك من سيرة رسول الله ﷺ في تعامله مع الزعامات القبلية، ومثل ذلك من تعامل الخلفاء الراشدين-رضوان الله عليهم- مع هذه الفئة التي لها مكانتها في المجتمع.

ولذا كان مما أوصى به ابنه يزيد في شأنهم: فكان مما قال هشام ابن الكلبي فيما يرويه عن شيخ لهم: «قال معاوية ليزيد:

يا بني اتخذ المعروف عند ذوي الأحساب لتستميل به مودتهم وتعظم به في أعينهم وتكف به عنك عاديتهم⁽¹⁾، وإياك والمنع فإنه مفسدة للمرءة وإزراء بالشريف»⁽²⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 1أ-

في حين ذكر الآبي رواية باختلاف عما سبق إذ قال له يوصيه: «يا بني، اتخذ المعروف عند ذوي الأحساب تستمل به قلوبهم، وتعظم به في أعينهم، وتكف به عنك عاديتهم، وقال: عليك

(1) - في التذكرة الحمدونية «اتخذ المعروف عند ذوي الإحسان تستمل به قلوبهم، وتعظم به في أعينهم، وتكف به عنك عاديتهم». وهي دون سند.

(2) - البلاذري: أنساب، ج5، ص26. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج1، ص370.

بصديقك الأول، فإنك تلقاه على عهد واحد، تقدم العهد أو شطت الدار، وإياك وكل مستحدث فإنه يستأكل كل قوم، ويسعى مع كل ربح»⁽¹⁾.

يعني مراعاة من تقدمت مودته، ولم يغير من موقفه نحوه، وإن بعدت داره، فهذا ينبغي أن يكرم ويتعهده بالمعروف والإحسان، ويحذره من كل من يتقرب إليه نفاقاً وتصنعاً، غايته تحقيق مآربه، لا يقدم ولاءه إلا لمن وجد فيه مصلحة.

وهذه الوصية تذكرنا بالحادثة التي وقعت بين معاوية ومالك بن هبيرة السكوني⁽²⁾ الذي طلب منه أن يسلمه قريبه حجر بن عدي، لكن معاوية رفض، فغضب مالك، واعتبر ذلك جوراً منه، فبذل معاوية كل ما في وسعه للمحافظة على ولاء مالك بن هبيرة لما منحه مئة ألف درهم ولاطفه⁽³⁾، لأن نفور مالك منه يؤدي إلى إفلات قبيلته بأكملها عن سيطرته، فهو سيد قبيلته التي بدلت نفسها من أجل مصالح الخليفة⁽⁴⁾، ذلك أن بقاء الخلافة الأموية واستمرارها في الحكم كان مرهوناً بقدره معاوية والأسرة الأموية من بعده والولاة في الأقاليم على اتباع سياسة متوازنة تجاه القبائل وهذا يعتمد بدوره على خلق علاقة جيدة برؤساء القبائل الذين يتحكمون بمواقف المقاتلة، وكان هؤلاء الرؤساء القادة يدركون دورهم وأهميتهم في بقاء الأمويين في السلطة، كما يظهر ذلك من قول مالك بن هبيرة السكوني حين أبي معاوية أن يهب له حجراً وقد اجتمع إليه قومه من كندة والسكون وناس من اليمن كثير، فقال: «والله لنحن أغنى عن معاوية من معاوية عنا، وإنا لنجد في قومه منه بدلاً، ولا يجد منا في الناس خلفاً»⁽⁵⁾.

(1) -الآبي: نثر الدر في المحاضرات، ج 3، ص 27.

(2) -مالك بن هبيرة السكوني: من رؤساء كندة في العصر الأموي بالشام، أدرك النبي ﷺ - وروى أحاديث، وكان مع معاوية أيام صفين، وقد كان معاوية ولاءه حمص في سنة 56 هـ ونزع في الحرم سنة 57 هـ، كانت له بدمشق دار عند الباب الشرقي، وكان بدمشق حين قتل حجر بن عدي، كما كان مع مروان بن الحكم بالجابية حين بويغ بالخلافة، وشهد معه المرح، وكان على الرجالة، مات في أيام مروان بن الحكم. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 24، ص 75؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 5، ص 225؛ الزركلي: الأعلام، ج 5، ص 267.

(3) -تاريخ الطبري، ج 5، ص 274.

(4) -بثينة بن الحسين: الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية، ص 358.

(5) -تاريخ الطبري، ج 5، ص 278.

وصية معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد ببلال بن أبي بردة خيرا

-رقم: 2-

استهل معاوية بن أبي سفيان خلافته بالإحسان إلى الصحابة وأبنائهم، فقد خطب مرة في أهل الحجاز بعد توليه الخلافة فاعتذر عن عدم سلوكه طريقة الخلفاء الراشدين قبله، فقال: «وأين مثل هؤلاء؟ ومن يقدر على أعمالهم؟ هيهات أن يدرك فضلهم أحد من بعدهم؟ رحمة الله ورضوان الله عليهم، غير أنني سلكت بها طريقاً لي فيه منفعة، ولكم فيه مثل ذلك، ولكم فيه مؤاكلة حسنة، ومشاركة جميلة، ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه، ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذني، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فارضوا مني بعضه، بمثل هذه السيرة صار خليفة المسلمين وانقاد له أبناء المهاجرين والأنصار، وكل من يعتقد أنه أولى منه بالخلافة»⁽¹⁾.

كان معاوية يحفظ وصية رسول الله - ﷺ - في صحبه بل ويتعدى ذلك لأبنائهم حتى وإن كان على خلاف معهم، فعن «حميد بن هلال عن أبي بردة بن أبي موسى⁽²⁾ قال: دخلت على معاوية حين أصابته قرحته فقال: هلم يا ابن أخي فانظر إليها، فنظرت إليها وقد سبرت⁽³⁾ فقلت: ليس عليك يا أمير المؤمنين بأس، ودخل يزيد فقال له:

«إن وليت من أمر المسلمين شيئاً فاستوص بهذا فإن أباه كان أخي وخليلاً، غير أنني رأيت في القتال غير رأيه»⁽⁴⁾.

لعله يشير إلى قتاله لعلي - ﷺ - الذي كان أبو بردة يرى غير رأي معاوية.

(1) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 332.

(2) - اسمه عامر بن عبد الله بن قيس أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، ولد سنة 24 هـ تابعي فقيه من أهل الكوفة وولي القضاء بها بعد شريح القاضي، ثم عزله الحجاج ولي مكانه أخاه أبا بكر، توفي سنة 103 هـ، وقيل 104 هـ. ابن سعد: الطبقات، ج 6، ص 277؛ وكيع: أخبار القضاة، ج 2، ص 408 وما بعدها؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 26، ص 43 وما بعدها.

(3) - لم يذكر ابن سعد بقية الرواية واقتصر على ما ذكر.

(4) - ابن سعد: الطبقات، ج 4، ص 84؛ البلاذري: أنساب، ج 5، ص 41؛ ونقلها عن ابن سعد؛ تاريخ الطبري، ج 5، ص 332؛ تاريخ دمشق، ج 26، ص 45؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج 7، ص 267؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 401.

وصية معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بإكرام ابن صهيب الرومي

-رقم: 3-

عن قتادة قال: حرم مروان بن الحكم ابنا لصهيب⁽¹⁾ عطاءه، فبلغ ذلك معاوية فكتب إليه معاوية: «إنك حفظت على ابن صهيب ما كان من أبيه في أمر عثمان، ونسيت ما كان من سابقته مع رسول الله -ﷺ- فأردد عليه عطاءه وأكرمه وأحسن مجاورته، إن شاء الله»⁽²⁾. ولم نجد لمن أوصى من أبنائه الثلاثة الذي أشير إليهم في الهامش. اشتهر الخلفاء الأمويون وأغلب ولائهم بدرجات متفاوتة حسب معدن كل منهم وتجربته في الحياة السياسية، وقد فاقهم في هذا الخلق معاوية بن أبي سفيان، حيث وصفه ابن طباطبا فقال: «وأما معاوية -ﷺ- فكان عاقلا في دنياه، لبيا عالما حليما، ملكا قويا، جيد السياسة حسن التدبير لأموال الدنيا، ... يحلم في موضع الحلم، ويشتد في موضع الشدة، إلا أن الحلم كان أغلب عليه»⁽³⁾.

وقد جنى الأمويون كثيرا من ثمرات انتهاجهم سياسة الحلم، فبفضلها امتصوا غضب أعدائهم واستمالوا مناوئهم، خاصة وأن زمنهم كان زمن الانتفاض والانتفاض والخروج عليهم، ومنافسيهم كثر والمتربصون بهم بالمرصاد، وقد سجل عليهم التاريخ أنهم كلما غابت عنهم سياسة الحلم ارتكبوا الفظائع لأن الفترة الزمنية التي حكموا فيها كان لها من الخصوصية ما لها. وقد عرف معاوية زمنه ورجاله حق المعرفة وكيف ينبغي أن يساسوا، فقال لابنه يزيد حين سأله إن كان قد ندم على عاقبة حلم قط: «ما حلمت من لئيم قط وإن كان وليا إلا أعقبني ندما ولا أقدمت على عقوبة كريم قط وإن كان عدوا إلا وأعقبني أسفا»⁽⁴⁾. وقد ذكرت المصادر العديد من الروايات التي تبين ما كان يتصف به معاوية من الحلم، في مواقفه وأقواله نذكر منها:

(1) -ذكر ابن سعد لصهيب الرومي ثلاثة أبناء، هم: عمارة، وحمزة، وصيفي، أما هذا الأخير فقتل يوم الحرة. الطبقات، ج5، ص185؛ أما ابن حبان فلم يذكر إلا الأخير. الثقات، ج4، ص384، ومثل ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص301.

(2) -البلاذري: أنساب، ج5، ص108.

(3) - الفخري في الآداب السلطانية، ص110.

(4) - الشيزري: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، ص344.

- قال بعضهم: « أسمع رجل معاوية كلاماً شديداً، فقيل له: لو سطوت عليه! فقال: إني لأستحي أن يضيق حلمي عن أحد من رعيتي»⁽¹⁾.

- قال معاوية: «إني لأستحي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أكبر من حلمي، أو تكون عورة لا أوارئها بستري»⁽²⁾.

- وقال: «ما وجدت لذة شيء ألد عندي من غيظ أتجرعه، ومن سفه بالحلم أقمعه»⁽³⁾.

- وقال أيضاً: «لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم»⁽⁴⁾.

- قال رجل لمعاوية: من أسود الناس؟ فقال: «أسخاهم نفساً حين يسأل، وأحسنهم في المجالس خلقاً، وأحلمهم حين يستجهل»⁽⁵⁾.

- قال معاوية: «أفضل ما أعطيه الرجل العقل والحلم، فإن ذكر ذكر، وإن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن غضب كظم، وإن قدر غفر، وإن أساء استغفر، وإن وعظ ازدجر»⁽⁶⁾.

كما «جرى بين معاوية وبين أبي الجهم كلام، حتى كان من أبي الجهم إلى معاوية كلام غمه، فأطرق ثم رفع رأسه فقال:

يا أبا الجهم! إياك والسلطان، فإنه يغضب غضب الصبيان، ويعاقب عقاب الأسد، وإن قليله يغلب كثير الناس، ثم أمر له بمال، فأنشأ أبو الجهم يقول:

نميل على جوانبه كأنا *** إذا ملنا نميل على أبنينا
نقلبه لنخبر حالتيه *** فنخبر منهما كراماً ولينا»⁽⁷⁾.

وقد كان هذا الخلق همزة وصل بينه وبين من يعاملونه بشيء من الجفاء من أفراد رعيته، أو يصارحونه بقوة بما يرونه حقاً وهو يخالفهم في ذلك - وكان لتخلقه بخلق الحلم الذي لم يخالطه ضعف أثر

(1) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 440.

(2) - المصدر نفسه، ج 11، ص 440.

(3) - الآبي: نثر الدر، ج 3، ص 27.

(4) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 59، ص 184.

(5) - المصدر نفسه، ج 59، ص 186؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 442.

(6) - البلاذري: أنساب، ج 5، ص 40.

(7) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 59، ص 182.

في نجاحه في تثبيت أركان دولته، وذلك بمقدرته الفائقة على امتصاص غضب المخالفين، وتحويلهم إلى الرضى والقناعة بسياسته، وهكذا تأتي مكارم الأخلاق التي من أهمها الحلم والعفو والصبر والكرم لتكون من أهم عناصر السيادة، وقد أبان في هذه الأقوال بأن الحلم يخالطه شيء من الذل في غير وهن ولا ضعف، ولكن أبدى سروره بذلك الذل لما يترتب عليه من النتائج الحميدة التي منها اكتساب الأصدقاء والأنصار⁽¹⁾، ومواقفه في الحلم كثيرة.

وقد أثنى على معاوية ممن عاصره وعرفه عن قرب منهم: أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - مثنيا عليه: «دعوا فتى قريش وابن سيدها، إنه لمن يضحك في الغضب ولا ينال منه إلا على الرضا، ومن لا يؤخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه»⁽²⁾.

وقال عنه الخليفة عبد الملك بن مروان: «ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه»⁽³⁾.

وقال عنه عامر بن شراحيل الشعبي: «كان دهاة العرب أربعة فأما معاوية فللأناة والحلم»⁽⁴⁾.
والحلم»⁽⁴⁾.

قال ابن خلدون في وصف خلافة معاوية وسياسته: «أقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة التي لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يدا من أهل الترشيح من ولد فاطمة وبني هاشم وآل الزبير وأمثالهم ويصانع رؤوس العرب وقروم مضر بالإغضاء والاحتمال والصبر على الأذى والمكروه وكانت غايته في الحلم لا تدرك وعصابته فيها لا تنزع ومراقته فيها تزل عنها الأقدام»⁽⁵⁾.

ولكن كان قد غاب عنه رشده وحلمه لما قتل نصير الإمام علي - رضي الله عنه - ووليه حجر بن عدي الكندي - رضي الله عنه - سنة 51هـ، فما ضره إن حلم عنه، وقد تجاوز عن كثير ممن لاصحبه لهم ولا فضل كفضله.

وغاب عنه رشده وحلمه عندما أمر بشتيم الإمام من على المنابر، ولا يشتم إلا من كان ذون المشتوم في الفضل.

(1) - الصلابي: معاوية بن أبي سفيان، 185 وما بعدها.

(2) - المرجع نفسه، ج 11، ص 415.

(3) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 439.

(4) - ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 59، ص 190.

(5) - تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 5.

كما غاب الرشيد في اختياره لولده يزيد خليفة على المسلمين الذي لم يكن في مستوى المسؤولية التي تولاها، ولم يتمتع بما ولي عليه إلا أربع سنين.

الحقيقة أنه إذا نظرنا إلى سياسته في المسلمين لم تكن قائمة على الحلم فقط بل رافقها شراء المواقف والذمم من معارضيه بالأموال يغدقها عليهم فمنهم من احتواهم ومنهم من بقوا نافرين منه معادين له.

ولكن إذا ما وازنا بينه وبين من جاء بعده من خلفاء بني أمية وجدناهم دونه بكثير عدا عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنهما وأرضاهما - وهو عند من لا يظلم عنده أحدا.

وما نقول عنه إلا بما وصل إلينا من سبقنا، وإن كان هذا الذي وصلنا يحتاج بعضه إلى إعادة قراءة بروية وتأن دون مدح وتبرير من قبل البعض، أو ذم له من قبل مبغضيه، ذلك أن الصراع بين بني أمية وغيرهم امتد إلى التدوين التاريخي بوضع الأخبار من قبل التيارات والاتجاهات الفكرية المؤيدة لهم والمناوئة. وهذا بدوره يحتاج إلى باحث متمرس يكشف عنه في رسالة مستقلة غير رسالتنا هذه.

ولنواصل الكلام عن وصايا معاوية لابنه

وصية معاوية لابنه يزيد بالحلم الذي يدفع به مضلات الأمور

-رقم: 4-

وفي هذا الشأن قال معاوية لابنه يزيد:

«عليك بالحلم والاحتمال حتى تتمكنك الفرصة فإذا أمكنتك فعليك بالصفح فإنه يدفع عنك مضلات⁽¹⁾ الأمور ويوقيك مصارع الخذور»⁽²⁾.

ولا يكون الصفع إلا عند المقدرة.

وصية معاوية لابنه يزيد في الغرض السابق

-رقم: 5-

ذكر الأبيشيبي أنه قيل أن معاوية قال لابنه:

«يا بني من عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب، فإذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء فداوه بمثل هذا الدواء»⁽³⁾.

(1) - عند النويري والبرقوقي: «...معضلات...».

(2) - الوطواط: غرر الخصائص الواضحة، ص 469، النويري: نهاية الإرب، ج 6، ص 50.

(3) - المستطرف في كل فن مستطرف، ص 199.

ومناسبة هذه الوصية على ما رواه الأبشيهي أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض إلى جانب أرض معاوية، فدخل عبيد معاوية في أرضه، فكتب كتابا إلى معاوية يقول له فيه: «أما بعد، يا معاوية: إن عبيدك قد دخلوا في أرضي، فاتهم عن ذلك، وإلا كان لي ولك شأن، والسلام». وعندما وقف معاوية على كتابه، وقرأه دفعه إلى ولده يزيد وسأله عن رأيه، فكان جوابه الذي يدل على ثوره وسرعة غضبه: «أرى أن تبعث إليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه».

وكان رد معاوية أن أخذ ورقة، وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير، يقول فيه: «أما بعد، فقد وقفت على كتاب ولد حواري رسول الله -ﷺ-، وسأني ما ساءه، والدنيا بأسره هينة عندي في جنب رضاه، نزلت عن أرضي لك فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال والسلام»، فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية، كتب إليه:

«قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ولا أعدمه الرأي الذي أحله من قريش هذا الخل والسلام». فقرأه معاوية ورمى به إلى ابنه يزيد وقال له هذه الوصية.

تدل هذه الوصايا الموجهة من معاوية إلى يزيد بعد هذه المواقف على أن يزيد كان ضيق الأفق قليل الصبر سريع الغضب لا يحتمل الإهانة من أحد، وقد اختبر منه معاوية ذلك مرارا فرام تدريبه وتهذيبه ليرتقي بخصلة الحلم وسعة الصدر تجاه خصومه، وتلقينه كيفية الربط بين السياسة والأخلاق، فلم يكن يدع فرصة سانحة يمكن اغتنامها إلا استغلها في توجيهه.

ففي هذه الوصية دليل واضح على أن يزيد يضيق صدره حتى لا يتحكم في غضبه أمام ابن الزبير، كما تعكس هذه المواقف من يزيد على أنه لا يكتفي عند الغضب أو الوعد والوعيد، بل يبني قرارات تصل إلى درجة تسيير جيش من الشام إلى الحجاز لقتل ابن الزبير على كلمة قالها للخليفة ليس له القدرة فعلا على تنفيذها، لذا تعددت وصايا معاوية له في ذلك كما تكررت مواقفها معه في تدريبه على الحلم، وقد نقلت لنا المصادر بعض هذه المواقف حيث قال البلاذري:

«بيننا رجل يخاطب معاوية إذ قال: والله يا معاوية لتستقيمن أو لنقومن صعرك، قال: ومن أنت رحمك الله؟ قال: أنا فلان بن فلان الحميري، قال: وما كان عليك لو كان كلامك ألين من هذا؟ فلما ولى قال يزيد بن معاوية: يا أمير المؤمنين لو نكلت بهذا تأدب به غيره، فقال: يا بني لرب غيظ قد تحطم بين جوانح أبيك لم يكن وباله إلا على من جناه»⁽¹⁾.

(1) - البلاذري: أنساب، ج 5، ص 52.

فأراد معاوية من ابنه ألا يكون متسرعا ينكل بمن يخطئ بحقه، بل عليه أن يكسب الناس إلى صفه بالحلم والروية، والتجاوز عن ذنوبهم والصبر على هفواتهم. وقد كان يزيد في الكثير من المواقف لا يرى رأي أبيه في الحلم بل كان ينتقده عليه ويأبى عليه سياسته فيه، ويخشى أن ينزل ذلك من مكانته وقدره بين الناس، ويحمل على أنه جبن منه وضعف فكان يقول له: «لقد أفرطت في الحلم حتى خفت أن يعد ذلك منك ضعفا وجبنا»، فيرد عليه معاوية: «أي بني إنه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مذمة»⁽¹⁾.

إلا أن المصادر التاريخية نقلت إلينا رواية تدل على أن يزيد قد أخذ يتعلم من أبيه الحلم ويسبقه إليه في مجلسه، وذلك ما كان منه حين دخل سعيد بن عثمان بن عفان على معاوية ويزيد إلى جانبه وعاتبه لأنه تجاوزه في البيعة وفضل يزيد عليه وهو خير منه، فرد عليه معاوية: «وذكرت أنك خير من يزيد، فوالله يا ابن أخي ما يسرني أن الغوطة عليها رجال مثل يزيد، فقال له يزيد: مه يا أمير المؤمنين! ابن أخيك استعمل الدالة عليك، واستعتبك لنفسه، واستزاد منك فزده وأجمل له في ردك، واحمل على نفسك، وولّه خراسان بشفاعتي وأعنه بما يظهر به موروثه»⁽²⁾.

فعلق القلقشندي على هذا الموقف من يزيد بقوله: «فكان ذلك أعجب ما ظهر من حلم يزيد»⁽³⁾.

كانت هذه بعض مواقف يزيد في حياة أبيه من الحلم، والسؤال الذي يطرح هنا كيف كانت مواقفه مع الحلم وكيف تصرف مع وصايا أبيه بعد وفاته؟. سنرى ذلك في موقفه مع أهل المدينة المنورة لما ثاروا عليه، فالأحداث وحدها كفيلة بإظهار خبايا معادن الرجال.

وصية معاوية لابنه يزيد ببسط الخير

-رقم: 6-

تولى معاوية الحكم، وساعده على حسن إدارة الملك سابقة له من تجربة طويلة، ابتدأت منذ كان كاتب وحي رسول الله -ﷺ-، فتتقف على أتم ما يكون من الكمال، ورأى منه أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- ما رآه من صاحبهما من الغناء، فولي الشام عشرين سنة تمرس خلالها بالسياسة، واتسع أمامه أفق

(1) - اليلادري: انساب، ج 5، ص 79.

(2) - القلقشندي: صبح الأعشى، ج 1، ص 304.

(3) - المصدر نفسه، ج 1، ص 304.

جديد من النظر، فأدهش من تولى أمرهم بحلمه، وعلمه وثاقب رأيه، وفرط دهائه، وكان أبوه من قبله يعالج شؤون الناس، ويتألفهم ويعرف ما يصلحهم، وعنه أخذ معاوية شيئاً في هذا المعنى، والناشئ في مثل هذه الأعمال يتحنك في الإدارة، ويكون إماماً في صناعته⁽¹⁾.

قال الآبي: قال معاوية لابنه:

«إذا وليت فابسط الخير، فإنه يعفي على العيب، واتق الله يقك، وإياك والقتل، فإن الله قتل للقاتلين»⁽²⁾.

2- وصية معاوية ليزيد ولي عهده عند مرضه فيما يجب أن يكون موقفه من رجال الحجاز الثلاثة

الذين عارضوا عهده إليه، وكيف تكون سياسته مع أهل العراق والشام

تمهيد: أسباب عهد معاوية لابنه يزيد بولاية العهد

ولما توفي الحسن رضي الله عنه، سنة 49 وقيل 50 هـ⁽³⁾ وبإشارة من المغيرة بن شعبه⁽⁴⁾، ارتأى معاوية أن يُعين ولياً للعهد سنة 51 هـ وقيل 55 هـ وقيل 56 هـ⁽⁵⁾، يعهد إليه بالخلافة من بعده ليجنب أمة الإسلام مغبة الوقوع في الاختلاف والاحتكام للسيوف وإهراق الدماء مرة أخرى، وخوض غمار فتنة لا يُعلم منتهاها، وقد قال لعبد الله بن عمر: «إني أرهب أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها»⁽⁶⁾، فرشح لخلافته ابنه يزيد لاعتبارات عدة منها:

1- أن يزيد يحظى بتأييد أهل الشام الذين شكلوا العامل الأبرز والأقوى في استقرار دولة معاوية، وقد بنى ابن خلدون دفاعه عن صنيع معاوية في ولاية العهد على أن المصلحة تقتضي ذلك حيث قال: «والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع

(1) - محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ج2، ص146.

(2) - نثر الدر، ج3، ص26.

(3) - تاريخ خليفة، ص203، وكتابه الطبقات: ص403، تاريخ دمشق، ج13، ص303، تاريخ الإسلام، ج4، ص40.

(4) - تاريخ الطبري، ج5، ص302؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص275.

(5) - تاريخ خليفة، ص203؛ تاريخ الطبري، ج5، ص301؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص118؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص275؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج11، ص306؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج4، ص147؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص97.

(6) - البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص41 وما بعدها؛ تاريخ الطبري، ج5، ص159.

الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحلّ والعقد عليه حينئذ من بني أمية إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم فأثره بذلك دون غيره ممن يظنّ أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع»⁽¹⁾.

2- كما أن معاوية خشى من انهيار الجهود التي بذلها خلال ثلاثين عاما في تأسيس دولة أموية الهوى، خاصة وأن الصراع الدامي بينهم وبين بني هاشم كان لا يزال في أوجه، وأن اختيار هاشمي للخلافة من بعده من شأنه إزالة كل مرشح محتمل من الأمويين من الوجود وهو أمر لا يقبله الأمويون وهم «أهل الملة أجمع وأهل الغلب»⁽²⁾.

3- ومن جهة أخرى رأى أن مركز الخلافة يجب أن يبقى في بلاد الشام بفعل أن أهله أطوع للخليفة من أهل الأمصار الأخرى، وأن الاتجاه السياسي الذي يمثله هؤلاء يجب أن سياسة الحكم والخلافة لأنها السياسة التي أثبتت وجودها في إدارة العرب والمسلمين آنذاك⁽³⁾.

4- وفي هذه الفترة كانت من أهم الأمور التي تشغل الرأي العام وحدة الكلمة وعدم الدخول في أتون فتنة قد لا يعلم منتهاها، هذا دعاه إلى إثارة ابنه بالعهد دون غيره ممن يظن أنه أولى به، وعدل عن الفاضل إلى المفضول تحقيقا لاجتماع الأهواء، ولا يظن بمعاوية غير ذلك، فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك، وحضور أكابر الصحابة ذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب⁽⁴⁾.

5- ومما سوّغ لمعاوية اختيار ابنه أن تجربة المسلمين في الخلافة لم تستقر على صورة واحدة ثابتة، بل تعددت صورها وتنوعت أشكالها وأن انتخابهم للخليفة لم يتم بطريقة محددة راسخة، بل كثرت طرقه، وتباينت أساليبه، فإن من سبقه من أتقياء المسلمين من المهاجرين الأولين والخلفاء الراشدين اجتهد كل منهم رأيه للأمة في الخلافة، فأخذت به، وانقادت له، وإذا اجتهد رأيه مثلهم، فإنه لا يبتدع، بل يتبع،

(1) - تاريخ ابن خلدون، ص 263؛ الصلابي: الدولة الأموية، ص 447.

(2) - تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص 260، سهيل طقوش: تاريخ الدولة، ص 22-23.

(3) - سهيل طقوش: تاريخ الدولة، ص 23.

(4) - المرجع نفسه، ص 23.

وهو لا يروم في اجتهاده إلا مصلحة الأمة⁽¹⁾، وعبر عن ذلك بقوة حين أبي الحسين بن علي أن يبايع لابنه يزيد، إذ قال لأهل المدينة: «أيها الناس، قد علمتم أن رسول الله ﷺ قبض، ولم يستخلف أحدا، فرأى المسلمون أن يستخلف الناس أبا بكر، وكانت بيعته بيعة هدى، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة، رأى أن يستخلف عمر، فعمل عمر، فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر، اختارهم من المسلمين، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، كل ذلك يصنعونه نظرا للمسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد، لما وقع الناس فيه من الاختلاف، ونظرا لهم بعين الإنصاف»⁽²⁾.

إلا أن هذا كله لم يكن كافيا ففي الأمة رجال من صحابة رسول الله ﷺ، ومن أبنائهم من لهم الفضل والسبق، لخدمة الإسلام وقادوا الجيوش وتولوا إدارة الأمصار وتمرسوا سياسة الناس هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانوا أصحاب ورع وتقوى مما أكسبهم مكانة عظيمة إذ كانوا محط رضى وقبول واسع بين الناس، ومنهم من كانت له قرابة من النبي ﷺ، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر والحسين بن علي و عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير رضوان الله عليهم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقارن يزيد بواحد منهم.

لذلك أراد معاوية أن يلتزم لولي عهده مهمة يعود نفعها على الإسلام وترفع من شأنه وتعلي مكانته في أعين الناس، ويتمرس من خلالها على القيادة، فلم يجد معاوية أفضل من إرساله على رأس حملة جيش إلى القسطنطينية سنة 50 هـ⁽³⁾، وقد ضم هذا الجيش جماعات من سادة الصحابة منهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري⁽⁴⁾، وقد أثبت يزيد في هذه

(1) - حسين عطوان: نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي، ص 11-12.

(2) - ابن قتيبة: الامامة والسياسة، ج 1، ص 189.

(3) - تاريخ خليفة، ص 210؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج 4، ص 22، غير أن الطبري ذكر أن ذلك كان سنة 49 هـ.

تاريخ الطبري، ج 5، ص 232.

(4) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 232، ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 421.

(4) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 421.

الحملة قدرة وكفاءة عالية، إضافة إلى صلابة وشدة في تعامله مع العدو تجلّى ذلك بوضوح من خلال مراسلاته مع إمبراطور الروم في شأن قبر أبي أيوب الأنصاري⁽¹⁾.

ولم يكتف معاوية بذلك بل لم يأل جهداً في إعداده لتولي أمر الحكم وسياسة الناس أخذاً برأي زياد الذي نصحه أن يقبل على استكمال فضائله والنهوض بكفاءته، لذا قرّبه من مجلسه ليشاركه المشورة والسياسة، ويتعلم منه أسرار القيادة وينهل من حنكته وخبرته الطويلة، ولم يبخل عليه بالنصائح كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وما دربه عليه وحاول تغيير سيرته والارتقاء بكفاءته لم يكن كافياً لإعداده للمهمة الثقيلة الصعبة التي تنتظره فإعداده لذلك جاء متأخراً، إضافة إلى الحكم وإدارته ملكة في النفس قبل كل شيء، والحوادث التي حدثت في عهده كما ستراه كانت كافية لإظهار ضعفه وعجزه عن معالجتها.

وصية معاوية لابنه يزيد في كيفية التعامل مع قادة الرأي الثلاثة في المدينة

وكيف تكون سياسته مع أهل العراق والشام

-رقم: 7-

لما أحس معاوية بقرب أجله، لم يجد بداً من تقديم نصيحة جامعة لابنه يزيد لعها تفيده فيما يستقبل من حياته السياسية التي تنتظره، لخص له فيها خبرته وحكمته وسياسته التي علمته إياها الأيام، رسم له فيها الخطوط العريضة لما ينبغي أن تكون عليه سياسته للمسلمين عامة، ونحو من عارض بيعته خاصة، وتعد هذه الوصية من بين أهم الوصايا السياسية من خليفة حنكته التجارب، وعلمته الأحداث التي مرت بالأمة، وقد تناقلت كتب التاريخ والأدب هذه الوصية واختلفت اختلافاً بيناً في إيراد صيغتها، ونحن ذاكرون هذه الصيغة، لتكون الصورة واضحة شاملة في ذهن الباحثين خاصة والقراء عامة، محملين إياهم معنا جزءاً من الكشف عن حقيقة هذه الوصية وما تضمنته من حقائق خالفونا، أو وافقونا فيما نحن بصدد ذكره

من الأمور التي اختلفت حولها المصادر تاريخ الوصية فهل كانت سنة ستين للهجرة، عندما ألم المرض بمعاوية أم قبلها، وهل أوصى بذلك للضحاك بن قيس الفهري، ومسلم بن عقبة المري؟ أم شافه بها ابنه يزيد؟ لكن لا نجيب عن ذلك إلا بعد عرضنا لروايات هذه الوصية. ولنبدأ بما جاء عند ابن سعد الذي يعد أول مصدر ذكر هذه الوصية عن شيخه الواقدي الذي حدثه أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة: «عن مروان بن أبي سعيد بن المعلى، قال: قال معاوية ليزيد، وهو يوصيه عند الموت:

(1) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 16، ص 62.

يا يزيد، اتق الله، فقد وطأت لك هذا الأمر، ووليت من ذلك ما وليت، فإن يك خيراً، فأنا أسعد به، وإن كان غير ذلك، شقيت به. فارفق بالناس، وأغض عما بلغك من قول تُؤذَى به وتُنقَصُ به، وطأ عليه يهنك عيشك، وتصلح لك رعيتك، وإياك والمناقشة وحمل الغضب؛ فإنك تمكك نفسك ورعيتك، وإياك وجبة⁽¹⁾ أهل الشرف، واستهانتهم والتكبر عليهم، لئن لهم لئناً لا يرون منك ضعفاً ولا خوراً، وأوطئهم فرشك وقربهم، فإنه يُعلم لك حَقك، ولا تهنهم⁽²⁾ وتستخف بحقهم، فيهيئونك ويستخفون بحقك، ويقولون فيك⁽³⁾.

فإذا أردت أمراً، فادع⁽⁴⁾ أهل السن والتجربة من أهل صنائعي والانقطاع إلي، فشاورهم، ثم لا تخالفهم، وإياك والاستبداد برأيك، فإن الرأي ليس في صدر واحد،⁽⁵⁾ أصدق من أشار عليك حتى يجيبك على ما يعرف، ثم أطعه فيما أشار به، واخزن ذلك عن نساءك وخدمك. وشمر إزارك، وتعاهد جنديك، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، لا تدع لهم فيك مقالا، فإن الناس سراع إلى الشر.

واحضر الصلاة، فإنك إذا فعلت ما أوصيتك به، عرف لك حَقك، وعظمت مع مملكتك⁽⁶⁾. وشرف أهل المدينة ومكة، فإنهم أصلك وعشيرتك ونسبك. وشرف⁽⁷⁾ أهل الشام، فإنهم أنصارك وحماتك، وجندك الذين تصول بهم أهل طاعة. واكتب إلى أهل⁽⁸⁾ الأمصار بكتاب تعدهم منك المعروف، فإن ذلك يبسط آمالهم.

⁽¹⁾ في مختصر تاريخ دمشق: «وجفوة» وعن ابن كثير «إياك وخيرة أهل الشرف» أما: جِبَةٌ: تعني الجماعة من الناس، وجِبَةٌ الرجل يَجِبُهُ جِبَاهًا رَدَّهُ عن حاجته واستقبله بما يكره وجِبَهُتُ فلاناً إذا استقبلته بكلام فيه غِلْظَةٌ وجِبَهُتُهُ بالمروره إذا استقبلته به. ابن منظور: لسان العرب، ج 13، ص 483. مادة: «جبه». ويعني أنه ينبغي ألا يعاملهم بالجفاء والغلظة.

⁽²⁾ عند ابن كثير: «ولا تستخف بحقهم فيهيئونك».

⁽³⁾ في مختصر تاريخ دمشق: «ولا تستخف بحقهم فيهيئونك ويستخفوا بحقك ويقعوا فيك».

⁽⁴⁾ في مختصر تاريخ دمشق، وابن كثير: «فادع ذوي السنين والتجربة من أهل الخير من المشايخ، وأهل التقوى، فشاورهم».

⁽⁵⁾ في مختصر تاريخ دمشق، وابن كثير: «وصدق من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف».

⁽⁶⁾ عند ابن كثير: «وعظمت في أعين الناس واعرف شرف أهل».

⁽⁷⁾ في مختصر تاريخ دمشق، وابن كثير: «واحفظ للأهل الشام شرفهم... بهم تصول وتنتصر على أعدائك وتصل إلى».

⁽⁸⁾ في مختصر تاريخ دمشق: «أمصارك تعدهم فيه المعروف، فإن ذلك ينشط آمالهم، وإن وفد عليك وافد».

ووفد عليك من الكُور⁽¹⁾ كلها، فأحسن إليهم وأكرمهم، فإنهم لمن ورائهم،⁽²⁾ ولا تسمعَنَّ قول قارف ولا ماحل، فإني رأيتهم وزراء سوء»⁽³⁾.

انفرد الواقدي بذكر هذه الوصية، حيث لم يشر فيها إلى الشخصيات الأربعة الآتي ذكرها في بقية الروايات، فهل يعني ذلك أن معاوية أوصاه بوصيتين؟ أم أن الواقدي اختصرها؟ هذا ما سنذكره لاحقاً بعد الانتهاء من عرض هذه الوصية.

وصية أخرى لمعاوية لابنه يزيد في الغرض السابق

-رقم: 17-

في حين ذكر البلاذري رواية أخرى حدثه بها «عبد الحميد بن حبيب عن أشياخه قالوا: لما أخذ معاوية البيعة ليزيد على أهل الحجاز وقدم الشام قال له:

يا بني إني قد وطأت لك الأمور وأخضعت لك أعناق العرب، ولم يبق إلا هؤلاء النفر وهم حسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير، ولست أتخوف أن ينازعك في هذا الأمر غيرهم.

فأما حسين فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً وقرباً بالنبي ﷺ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فلو أي الذي إلي أمره لعفوت عنه.

وأما ابن عمر فرجل قد وقذته⁽⁴⁾ العبادة وقراءة القرآن وتخلي من الدنيا، ولا أظنه يرى قتالك قتالك على هذا الأمر، ولا يريد ما لم يأت به عفواً.

وأما عبد الرحمن فشيخ عظمة هامة اليوم أو غد، وهو مشغول عنك بالنساء.

(1)- الكور: كلمة فارسية جمعه كورة، وهي الناحية، والإقليم الذي يشتمل على عدة قرى من كل بلاد. ابن منظور:

لسان العرب، ج 5، ص 154. مادة «كور». ياقوت: معجم البلدان، ج 1، ص 36. مادة «الكورة».

(2)- في مختصر تاريخ دمشق: «ولا تسعف قول قاذف، ولا عاجل».

(3)- ابن سعد: الجزء المتمم للطبقات، ص 143، وذكر هذه الوصية ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق، ج 28،

ص 26، في حين لم أجده عند ابن عساكر في تاريخ دمشق؛ وذكر الذهبي سطرين من أول هذه الرواية ناقلاً إياها

عن ابن سعد، قال في آخر ما ذكر: «أهل الشرف والتكبر عليهم. في كلام طويل». تاريخ الإسلام، ج 4،

ص 316.

(4)- وقذته: وقذته يقذهُ وقذاً: وُقِدَ الرجلُ فهو موقوذ ووقيد والوقيد من الرجال البطيء الثقيل كأنَّ ثقله وضعفه وقذَهُ والوقيد والموقوذ الشديد المرض، والمعنى أن العبادة أضعفته، فأصبح لا يرغب في شيء آخر غيرها. ابن منظور:

لسان العرب، ج 3، ص 519، مادة «وقذ».

وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنته فرصة وثب، فهو عبد الله بن الزبير، فإذا فعلها فاستمكنت منه فلا تبق عليه، قطعه إربا إربا إلا أن يلتمس منك صلحا، فإن فعل فاقبل منه.

واحقن دماء قومك ما استطعت.

ولم يمكث إلا يسيرا حتى أتاه موت عبد الرحمن بن أبي بكر فدعا يزيد فبشره بذلك»⁽¹⁾.

رواية أخرى

رقم: -7ب، ج-

في حين أورد البلاذري رواية ثانية أخرى تختلف عما سبق، حدد له فيها المواطن التي ينبغي أن يهتم برجالها، والتي تشكل عليه خطرا، والرجال الذي ينبغي عليه أن يحذرهم، في حين أوجزت الثالثة ذلك، ونحن نذكرها لكون عوانة أحد رواتهما:

رواية البلاذري الثالثة-رقم: 7ج-	رواية البلاذري الثانية -رقم: 7ب-
فقد ذكر أن عباس بن هشام الكلبي حدثه عن أبيه «عن عوانة وغيره ⁽²⁾ قالوا:	فعن «حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال: قال معاوية لابنه في وصيته:
لما حضرت معاوية الوفاة، وذلك في سنة ستين كان يزيد غائبا، فدعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري- وكان على شرطه- ومسلم بن عقبة بن رياح ⁽³⁾ بن أسعد المري، فأوصي إليهما فقال: بلغا يزيد وصيتي، وكتب فيها:	يا بني إني قد وطأت لك الأشياء، وأذلت لك الأعداء، وأخضعت أعناق الناس ببيعتك.
يا بني! انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهده من غاب عنك من وجوههم.	فانظر أهل مكة والمدينة فأكرمهم، فإنهم أصلك ومنصبك: من ورد عليك منهم فأكرمه، ومن لم يأتك فابعث إليه بصلته.
وانظر أهل العراق وإن سألوك أن تعزل عنهم في كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أهون	وانظر أهل العراق فإنهم أهل طعن على الأمراء وملاة لهم، فإن يسألوك أن تبذل لهم كل يوم

(1)- أنساب الأشراف، ج5، ص152.

(2)- يعني ذلك أن الرواية جاءت قد رويت عن غير عوانة.

(3)- أنساب الأشراف، ج5، ص153.

عليك من أن تشهر عليك مائة ألف سيف.	عاملا فافعل.
وانظر أهل الشام فإنهم بطانتك وعيبتك، فإذا رابك من عدو شيء فانتصر بهم، ثم ردهم إلى بلادهم، فإن هم أقاموا في غيرها فسدت أخلاقهم» ⁽²⁾ .	وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك وحصنك، فمن رابك أمره فارمه بهم، فإذا فرغوا فأقفلهم إليك فإني لا آمن الناس على إفسادهم وقد كفاك الله عبد الرحمن بن أبي بكر، فلست أخاف عليك إلا حسيننا وابن عمر وابن الزبير. فأما حسين فلست أشك في وثوبه عليك، فسيكفيكه من قتل أباه وجرح أخاه، إن آل أبي طالب قد مدوا أعناقهم إلى غاية أبت العرب أن تعطيههم المقادة فيها، وهم محدودون. وأما ابن عمر فقد وقَّده الإسلام وشغله عن منازعتك. وأما ابن الزبير فخب خدع فإذا شخص إليك فالبد له فإنه يفسخ على المطاولة» ⁽¹⁾ .

ذكرت الرواية أن الله قد كفى يزيد عبد الرحمن، يعني بالوفاء، وذلك يعني أنه توفي قبل وصيته إليه، وأن ماجاء من الإشارة إليه في بقية الروايات، يبقى محل نظر ونقد، رغم أن بعضها أشارت إلى سنة الستين وأن معاوية أوصاه بها عند مرضه، وهذا التاريخ يبقى عرضة للأخذ والنظر، ولا يفسر إلا بتفسيرين:

- أولهما: أنه كرر وصيته له، ومن ثم لم تذكر بعض الروايات عبد الرحمن لعلمها أنه توفي، أو أنها حذفته عمدا، بعد أن كان مذكورا في الوصية.
- ثانيهما: أنه لم يذكر أصلا في الوصية، وهذا يؤدي إلى القول أنه أوصاه عند مرضه.

(1) - أنساب الأشراف، ج5، ص153.

(2) - المصدر نفسه، ج5، ص15.

أما ذكر هذه الوصية أن العرب لم تعط " المقادة " أي القيادة وأنهم " محدودون " أي منعتهم من توليها، فهذا تجن على الحقيقة، وقول دعائي لاغير ليس عليه دليل، وإنما معاوية هو الذي حال بينهم وبين الحكم، وحتى تنازل الحسن له لا يعني أنهم ليسوا بأكفاء.

رواية أخرى

-رقم: 7د-

في حين ذكر الجاحظ رواية عن «المهيثم بن عدي، عن أبي بكر بن عيَّاش، عن أشياخه، قال: لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب، دعا معاوية مسلم بن عقبة المري، والضحاك بن قيس الفهري، فقال: أبلغا عني يزيد وقولا له:

انظر إلى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد منهم عنك فتعهده.

وانظر إلى أهل العراق، فإن سألك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم، فإن عزل عامل في كل يوم أهون عليك من سلّ مائة ألف سيف ثم لا تدري علام أنت عليه منهم.

ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار، فإن رابك من عدوك ريب فارمه بهم، فإن أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، ولا يقيموا في غير ديارهم فيتأدبوا بغير أدبهم.

لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي.

فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقده الورع.

وأما الحسين فإني أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه.

وأما ابن الزبير فإنه خبّ ضبّ⁽¹⁾. وفي غير هذه الرواية: «فإن ظفرت بابن الزبير فقطعه إربا

إربا»⁽²⁾.

فالجاحظ هنا لم يذكر عبد الرحمن، وهذا يلتقي -إن صح ما ذكر ولم يحذف اسم عبد الرحمن- مع ما قلناه سابقاً، أن الوصية يمكن أن تكون قد كررها أو كانت بعد وفاته.

(1) - في العقد الفريد: لم يذكر ملاحظة الجاحظ بل ذكرها موصولة بالنص.

(2) - البيان والتبيين، ج2، ص89-90؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج4، ص175.

رواية أخرى

-رقم: 7هـ-

قال الطبري: «وكان عهده الذي عهد، فيما ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخزومة، أن معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها دعا يزيد ابنه، فقال:

يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد.

(1) وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش، الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر.

فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك.
وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنك، فإن له رحماً ماسة وحققاً عظيماً.

وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همّة إلا في النساء واللّهو (2).

وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً (3).

وما جاء في آخر هذه الرواية يخالف ماجاء في أخرى إن التمس الصلح فليقبل منه.

(1) - بداية رواية مسكويه.

(2) - نهاية رواية مرآة الزمان، وقد نسبه لأبي مخنف.

(3) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 322-323؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج 2، ص 37-38؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج 5، ص 320، وهي الرواية الأولى له؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج 8، ص 5؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 391-392؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج 3، ص 153.

رواية أخرى

-رقم: 7، و، ز-

رواية الطبري-رقم: 7ز-	رواية الدينوي-رقم: 7و-
في حين أورد الطبري رواية أخرى هي: «قال هشام: قال عوانة: قد سمعنا في حديث آخر أن معاوية لما حضره الموت- وذلك في سنة ستين- وكان يزيد غائباً، فدعا بالضحاك بن قيس الفهري- وكان صاحب شرطته- ومسلم بن عقبة المري، فأوصى إليهما فقال: بلغا يزيد وصيتي:	قال أبو حنيفة الدينوري: «ولما دخلت سنه ستين مرض معاوية مرضه الذي مات فيه، فأرسل الى ابنه يزيد- وكان غائباً عن مدينة دمشق- فلما أبطأ عليه دعا الضحاك بن قيس الفهري، وكان على شرطه، ومسلم بن عقبة- وكان على حرسه- فقال لهما: أبلغا يزيد وصيتي، واعلماه:
انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب.	أني أمره في أهل الحجاز أن يكرم من قدم عليه منهم، ويتعهد من غاب عنه من اشرافهم، فإنهم أصله.
وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إليّ من أن تشهر عليك مائة ألف سيف.	وإني أمره في أهل العراق أن يرفق بهم ويداريهم ويتجاوز عن زلاتهم، وإني أمره في أهل الشام أن يجعلهم عينيه ⁽¹⁾ وبطانتهم، وألا يطيل حبسهم في غير شامهم، لئلا يجزوا على أخلاق غيرهم.
وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ⁽²⁾ ، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم.	واعلماه إني لست أخاف عليه إلا أربعة رجال: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير.
وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير.	فأما الحسين ابن علي فاحسب أهل العراق غير تاركه حتى يخرجوه، فإن فعل، فظفرت به، فاصفح عنه.

(1) - انظر اللفظة في بقية الروايات.

(2) - حماية الرواية الثانية لابن الجوزي.

وأما عبد الله بن عمر فإنه رجل قد وقّدتَه العبادَه، وليس بطالب للخلافة إلا أن تأتيه عفوًا.	فأما ابن عمر فرجل قد وقّده الدين، فليس ملتَمَسًا شيئًا قبلك.
وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه ليس له في نفسه من النباهة والذكر عند الناس ما يمكنه طلبها، ويحاول التماسها إلا أن تأتيه عفوًا.	وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وإن له رحمة ماسة وحققًا عظيمًا وقربة من محمد ﷺ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإنني لو أُنِي صاحبه عفوت عنه.
وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك روغان الثعلب، فإن أمكنته فرصه وثب فذاك عبد الله بن الزبير، فإن فعل وظفرت به، فقطعه إربا إربا إلا أن يلتمس منك صلحًا، فإن فعل فاقبل منه.	وأما ابن الزبير فإنه خب صب، فإذا شخص لك فالبُدْ له، إلا أن يلتمس منك صلحًا، فإن فعل فاقبل.
واحقن دماء قومك بجهدك، وكف عاديتهم بنوالك، وتغمدهم بحلمك.	واحقن دماء قومك ما استطعت» ⁽¹⁾ .
ثم قدم عليه يزيد، فأعاد عليه هذه الوصية، ثم قضى» ⁽²⁾ .	

الحقيقة أن ما ذكره الدينوري من حقائق تختلف في بعضها عما جاء في الروايات السابقة واللاحقة، وبعضها يتقاطع معها، والذي ينبغي الإشارة إليه:

- الصيغة التي جاءت في الرفق بأهل العراق، فهي مختلفة عما جاء في بقية الروايات.

(1) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 323؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج 5، ص 321. وهي الرواية الثانية؛ ابن كثير: البداية

والنهاية، ج 11، ص 392-393؛ تاريخ ابن خلدون، 3، ص 24.

(2) - الأخبار الطوال، ص 225-226.

- ذكره عبد الرحمن بن أبي بكر بالصيغة التي جاءت في الوصية مخالف لما جاء في بقية الوصايا، وهذا يدعو إلى القول بأن ما جاء فيها يعود إلى ما قبل وفاته سنة ثمانية وخمسين للهجرة، على ضوء ما أشارت إليه أخرى أنه أوصاه عند عودته من الحجاز لما أخذ منهم البيعة لابنه.

- نصحه له بقبول الصلح إن طلبه ابن الزبير، وهو الذي أشارت إليه رواية الطبري ومن تابعه عليها. وكل هذه الاختلافات كررتها لما لها من أهمية في الكشف عن حقيقة هذه الوصية، إذ أن ما ذكرته أقرب إلى الواقعية دون تجن على طرف من الأطراف التي كانت بعض الروايات متحاملة عليهم، بتشويه سمعتهم أدى بها إلى الانزلاق في الكذب فيما أوردته، فمن كان عرض الحقيقة لا يعتمد إلى تشويه طرف على حساب طرف آخر، وكأني بأن هناك منهج انتقائي استعمل في التعامل مع هذه الوصية، تدخلت الميول والأهواء في تشويهها، بعد تشويه الأشخاص الذين جاءوا فيها.

رواية أخرى

- رقم: 7ح-

وجاءت هذه الوصية عند ابن الأثير ببعض الاختلاف ودن سند، ونحن نذكرها لما لها من أهمية، قال: «خطب معاوية قبل مرضه وقال: إني كزرع مستحصد، وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني، وتمنيت فراقكم، وتمنيتم فراقني، ولن يأتيكم بعدي إلا من أنا خير منه، كما أن من قبلي كان خيراً مني، وقد قيل: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»، اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقاءني وبارك لي فيه⁽¹⁾! فلم يمض غير قليل حتى ابتدأ به مرضه، فلما مرض المرض الذي مات فيه دعا ابنه يزيد فقال:

« يا بني إني قد كفيتك الشد والترحال، ووطأت لك الأمور، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد.

فانظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، وأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف.

وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن رابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم.

(1) - ذكر ابن سعد هذا الخطبة بسنده عن عبادة بن نسي، الجزء المتتم للطبقات، ص 141.

وإني لست أخاف عليك أن ينازحك في هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر.

فأما ابن عمر فإنه رجل قد وقفته العبادة، فإذا لم يبق أحد غيره بايعك.

وأما الحسين بن علي فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً وقرابة من محمد ﷺ.

وأما ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله، ليس له همة إلا في النساء واللهو.

وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فظفرت به فقطعه إرباً إرباً، واحقن دماء قومك ما استطعت.

هكذا في هذه الرواية ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر، وليس بصحيح، فإن عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد مات قبل معاوية.

وقيل: إن يزيد كان غائباً في مرض أبيه وموته، وإن معاوية أحضر الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري فأمرهما أن يؤديا عنه هذه الرسالة إلى يزيد ابنه، وهو الصحيح⁽¹⁾.

ما جاء في هذه الرواية يتفق في بعض وجوهه مع ما جاء في رواية الطبري عن أبي مخنف، ومع رواية البلاذري الأولى في بعض فقراتها.

أما إشارة هذا الرواية إلى عبد الرحمن إلى انشغاله بالنساء فيخالف ما جاء في نفي أخرى عنه، كما سبق ذكره، وما ذكرت المصادر عنه هذا الذي اتهم به، بل وصفته بالشجاعة والقوة والصلاح، والدعابة أي مُزاحٍ يقول الكلمة يستروح بها عن النفس، ولم يكن كيزيد في شغفه باللهو.

تلك هي مجمل هذه الروايات التي تكمل بعضها بعضاً ويصحح بعضها ما جاء في بعضها مع انفراد الواقدي بتلك الرواية التي صدرنا بها هذه الروايات التي تبقى محل نظر ما لم تأت بسند آخر عن غيره من الرواة المشهود لهم بالصدق والأمانة لما يروون.

لكن يبقى أمر مشافهة معاوية لابنه بما مسألة مقبولة، على ضوء ما ذكر الواقدي في أول روايته، والبلاذري في الأولى بأنه قالها له عند عودته من الحجاز بعد أخذ البيعة من العبادة الثلاثة، والحسين -

(1) - الكامل في التاريخ، 3، ص 119-120؛ الفخري في الآداب السلطانية، ص 115-116. وكان قد مهد لها بقوله: «وكانت وفاة معاوية ﷺ في سنة ستين من الهجرة. ولما أدركته الوفاة أوصى إلى ابنه يزيد وصية تدل على عقله ولبته، وخبرته بالأمر ومعرفته بالرجال فلم يعمل يزيد بشيء منها وقد أثبتتها هنا حسنهما وسدادها»؛ النويري: نهاية الأرب، ج 20، ص 229-230؛ تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 23-24؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج 3، ص 153. ويظهر أنهم نقولها عن ابن الأثير.

رضي الله عن الجميع-، وهذا شيء مقبول في نظري بعد سبر أمرهم عن قرب، فأوصاه بما أوصاه بالطريقة التي ينبغي أن يعاملوا بها، ولكن بغير التشويه الذي حصل في نص الرواية، وذكر البلاذري هذه المشافهة، في الرواية الثانية له بغير ذكره لزمناها التي جاءت عن عوانة الذي خالفه الطبري الذي أوردتها من طريقه، بأنه أوصى للضحاك ومسلم بن عقبة المري أن يبلغاه، وذكر الطبري أيضا في روايته عن أبي مخنف أنه شافهه بها وهذا معروف بالتلاعب بالأحداث وتقليب الأخبار، فالخبر لا يمتثل الصدق والكذب عن هذا الراوي في آن واحد معا فإما أن يكون صادقا، أو كاذبا، وهذا منهج الروايين عوانة وأبو مخنف الذي يقلبان الحقائق ويرويان الغرائب نصره لاتباعهما الشيعي، اللذان لاتباعهما مكانة الأشخاص ولا صدقية الأخبار، بل إساءة لمن خالفهما في الاتجاه، وقد مدحهما رجال الشيعة⁽¹⁾، وتابع ابن الأثير الطبري فيما ذكر من مشافهة معاوية لابنه يزيد، ومثل ذلك النويري في نهاية الأرب، وابن الطقطقي هؤلاء في مشافهة معاوية لابنه بهذه الوصية، والبقية من الروايات كما مثبت فيها تشير إلى أنه أوصاه في غيبته للرجلين أن يبلغاه.

هذا الاختلاف بين النصوص، وقد رجح ابن الأثير فقال: « إن يزيد كان غائبا في مرض أبيه وموته... وهو الصحيح»⁽²⁾، وهو أمر يبقى محل نظر للأسباب التي ذكرت من قبل.

أما الملاحظة الأخرى تلاحظ وهي: ورود اسم عبد الرحمن بن أبي بكر-رضي الله عنهما- في بعض هذه الروايات ضمن النفر الذين يخشى أن ينازعوا ابنه أمر الخلافة، وعبد الرحمن بن أبي بكر اختلف المؤرخون وعلماء الرجال في تحديد تاريخ وفاته، ودون شك أنه توفي قبل سنة 60هـ، غير أن الروايات معظمها تدور حول سنتين الأولى سنة 53هـ وقد ذكر ذلك عدة مؤرخين⁽³⁾، والثانية هي سنة 58هـ وقد ذكرها كل من البخاري وابن حبان مرجحا إياها⁽⁴⁾.

(1) -الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، ج7، ص241؛ ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج3، ص91، 93؛ ص89 وما بعدها؛ نور الولي: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص89 وما بعدها.

(2) -الكامل في التاريخ، ج3، ص120.

(3) - خليفة بن خياط: الطبقات، ص48؛ ابن حبان: الثقات، ج3، ص249؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج2، ص824؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج35، ص27؛ النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ص294؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص69؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص520؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج18، ص95؛ ابن حجر: تقريب التهذيب، ص337.

(4) - البخاري: التاريخ الكبير، ص242؛ ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص34.

ولكننا نذكر ما علق به ابن الأثير على الرواية التي أشارت إلى وفاته سنة 53هـ: «ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر لا يستقيم على قول من يجعل وفاته سنة ثلاث وخمسين، وإنما يصح على قول من يجعلها بعد ذلك الوقت»⁽¹⁾، كما رجح ابن كثير وفاته سنة 58هـ في قوله: «وكانت وفاته في هذا العام في قول كثير من علماء التاريخ»⁽²⁾.

والدليل أنه توفي قبل عائشة -رضي الله عنها- التي توفيت سنة 58هـ بفترة، وزارت قبره بمكة كما أكدت ذلك المصادر التي عرفت بها⁽³⁾.

وقد نفى كل من البلاذري، وابن الأثير وابن كثير ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر في وصية معاوية، فقال البلاذري: «روى بعضهم أن عبد الرحمن كان باقياً حتى مات معاوية، وذلك باطل»⁽⁴⁾، وقال ابن الأثير حيث معلقاً على الرواية التي ذكر فيها عبد الرحمن: «هكذا في الرواية ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر، وليس بصحيح؛ فإن عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد مات قبل معاوية»⁽⁵⁾، وكذا ابن كثير الذي قال معلقاً على الرواية التي لم يذكر فيها عبد الرحمن: «ولم يذكر عبد الرحمن بن أبي بكر، وهذا أصح»⁽⁶⁾.

وعلى كل فإن عبد الرحمن بن أبي بكر توفي قبل أن يمرض معاوية مرضه الذي توفي فيه بكثير، فكيف يمكن أن يحذر معاوية يزيد منه وهو قد مات؟! وهذا يجعلنا نقول بشيء من التحفظ أن هذه الوصية إما وصيتان: إحداهما ذكر فيها قبل وفاته والثانية، بعد وفاته، أو كررها بترك ذكره لما توفي.

أما ما تعلق بابن عمر -رضي الله عنهما- فهذا أمر مشكوك في بعض ما تعلق به خاصة طلبه الخلافة، وسعيه لتوليها، وهو أمر بعيد عن الصواب على ضوء مواقفه السابقة من الصراع الذي نشب حولها من بعد عثمان رضي الله عنه الذي رفض الدخول في شيء من الفتنة التي حدثت، فماذا يفعل بالخلافة وسنه في هذا الوقت في حدود 73 سنة، إضافة أن العبادة شغلته عن كل شيء وهو الأمر الذي جاء في

(1) - ابن الأثير: الكامل، ج3، ص104.

(2) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص331.

(3) - البلاذري: أنساب، ج5، ص146؛ البغوي: معجم الصحابة، ج4، ص417.

(4) - أنساب: ج5، ص146.

(5) - الكامل، ج3، ص120.

(6) - البداية والنهاية، ج11، ص392.

الوصية، والظاهر أن معاوية أشار إليه في شأن أخذ البيعة منه لأنه قدوة الناس، وهو الذي حصل بعد استخلاف يزيد.

وأما ابن الزبير فحذره منه لما يعرف عنه من رغبة في ذلك لأنه ابن حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام -رضي الله عنهما-، وابن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-، وليس ليزيد ماض كماضيه في الجهاد بعد ذلك، ولكن التحفظ فيما أمر به معاوية أن يقطعه إربا إربا، وهو الأمر يخالف استثناء معاوية كما أشارت إليه روايات أخرى «إلا أن يلتمس منك صلحا، فإن فعل فاقبل منه» عاملا على حقن دماء قومه، وهو الأولى بالصواب.

والسؤال الأخير الذي يطرح بعد عرضنا لهذه الوصية، هل تقييد يزيد بهذه الوصية؟

الحقيقة أن ذلك لم يكن منه، بل عمل عكس ما جاء فيها، لقد ابتلي بثلاث حوادث شهيرة، لم يفلح في أحدها أبدا:

أولها: قتل الحسين بن علي -رضي الله عنهما: الذي لم يلزم عبيد الله بن زياد بالذي كتب به إليه، ولم يتابع أمر ما كتب به بالتقييد به، بل لم يراجع في المقترحات الثلاثة التي اقترحها عليه الحسين ﷺ، وتصرف تصرف المجرمين مع الحسين -رضوان الله عليه- فقتله، فباء بالخزي والعار إلى يوم الدين.

وندم يزيد على ما جرى للحسين ﷺ أشد الندم، ولم ينفعه ذلك إذ كان يقول: «لعن الله ابن مرجانة [يقصد عبيد الله بن زياد]، فإنه أخرج، واضطره، وقد كان سأله أن يخلي سبيله أو يأتيني، أو يكون بثغر من ثغور المسلمين... بل أبي عليه وقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين وزرع لي في قلوبهم العداوة، فأبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسينا...»⁽¹⁾.

إلا أن تحسره هذا لا يعفيه من المسؤولية المباشرة على ما جرى خاصة وأن مروان بن الحكم وسعيد بن عمر بن سعيد بن العاص كتبا إليه يحذرانه من قتله أو يناله سوء: «ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين، فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء، ولا تنساه العامة، ولا تدع ذكره والسلام»⁽²⁾.

أين المشاركة التي أوصاه بها والد لدوي السن والتجربة؟ لقد تركها وراء ظهره.

والحق أن سمعته تلطخت وساءت كثيرا إذ حجت هذه الحادثة الأليمة كل ما كان له من

(1) -ابن كثير: ج 11، ص 651؛ الخضري حسين: محاضرات في الأمم الإسلامية - الدولة الأموية-، ج 2، ص 129-

(2) -ابن سعد: الجزء المتتم للطبقات، ص 452؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 14، ص 212.

حسناً، ذلك هو خطؤه الأكبر يصدر الأوامر ولا يضع التفاصيل ولا يتابع ما أمر به حتى ينفذ وفق ما يراه مناسباً، ورغم هذا النجاح الذي حققه عبيد الله لصالح النظام الأموي، فإن سياسة يزيد الداخلية فشلت فشلاً ذريعاً كانت لها آثارها الوخيمة على مصير حكم الفرع السفلي وانتقاله إلى الفرع المرواني، وقد أدرك عبد الملك آثار هذه الحادثة، فكان أثناء خلافته يتجنب الاصطدام بآل البيت فقد كتب في هذا الشأن إلى الحجاج يقول له: «جنبي دماء آل أبي طالب فإني رأيت الملك استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم»⁽¹⁾.

لقد أدت هذه الحادثة إلى زيادة الفرقة بين المسلمين، واعتبرت الميلاد الحقيقي للحركة الشيعية اتخذتها الطوائف التي قضى الإسلام على نفوذها وسلطانها وسيلة - خاصة الجوس - ذريعة للكيد للإسلام والمسلمين متخذين آل البيت وسيلة لتحقيق أهدافهم.

والحادثة الثانية: موقعة الحرة سنة 63هـ: لم تقف المصائب التي لحقت بالمسلمين عند قتل الحسين - رضوان الله عليه - بل حدثت حادثة أخرى لا تقل شناعة عن السابقة، وهي انتهاك حرمة المدينة التي حرمها رسول الله ﷺ مثلما حرم إبراهيم الخليل - عليه السلام - بيت الله الحرام وما حوله، لقد كانت هذه الحادثة كرد فعل مباشر لحادثة كربلاء، وبين مسلكه وسوء تصرف مع أهل المدينة، الذي لم يحسن معالجة المشكلة، فكلف مسلم بن عقبة المري أحد الجبابرة بغزوها، الذي عبر بما فعل عن سلوك جاهلي نحو سكانها سنة 63هـ الذي أمره أن يستبيحها ثلاثاً، وأذل كثير من الصحابة واستهان بهم بعد قتل من قتل منهم إن لم يسجبيوا للخضوع، فنزلت هذه الموقعة بسمعة يزيد إلى الحضيض⁽²⁾.

والحادثة الثالثة: غزو الكعبة وضربها بالمنجنيق سنة 64هـ: بعد أن قضى مسلم بن عقبة المري الذي لقبه أهل المدينة بـ "مسرف" على ثورة أهل المدينة، اتجه نحو ابن الزبير الذي اعتصم بمكة وسمي العائد بالبيت، وهلك مسلم بن عقبة وهو في الطريق إليها، فقاد الجيش يزيد بن نمر السكوني، فضرب عليها حصاراً ثم رماها بالمنجنيق، ولم يراع لها حرمة ولا قداسة، بل لم يقع هذا في أيام الجاهلية، وهو على ذلك بلغه موت يزيد، فرفع عنها الحصار عائداً إلى الشام فتخطف جيشه أهل المدينة بالقتل، فعاد بما بقي معه منه⁽³⁾.

تلك هي ثالث هذه الحوادث التي وقعت في عهد يزيد التي دلت دلالة قاطعة على فشله في

(1) - المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص 170.

(2) - ابن الأثير، ج 3، ص 311-312، 314-315؛ ابن كثير: البداية، ج8، ص 619-620.

(3) - انظر الطبري حوادث سنة 64هـ، ابن الأثير حوادث هذه السنة.

سياسته الداخلية في العراق والحجاز، وعدم أخذه بوصية والده لقلّة خبرته وتجاربه إضافة إلى عدم تقريبه للرجال الأكفاء الذين كان ينبغي أن يستشيرهم فيما ينبغي أن يسير عليه في المسلمين. ولم يمتنع بما استخلف عليه، وهو بذلك بيت معاوية إلى الحضيض، وخلفه في الحكم البيت المرواني الذي تمتع إلى فترة من الزمان بعد تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة سنة 64هـ.

3- وصية معاوية لبني أمية

وصية معاوية لبني أمية في الحلم

-رقم: 8-

وسع حلم معاوية كل القرشيين الذين وفدوا عليه، كما وسعتهم صلته⁽¹⁾ وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عباس والحسين بن علي وعبد الله بن عمر، فقد كان يتجاوز عن مقارعتهم له بالكلام والسلوكات التي لا يتحملها الملوك عادة من الرعية وبلغ معهم غاية الحلم، وأراد من بني أمية انتهاج السياسة نفسها معهم، فقد قال ابن أبي الدنيا فيما رواه عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي، عن شيخ له قال: قال معاوية:

«يا بني أمية، قارعوا⁽²⁾ قريشا بالحلم، فوالله إني كنت لألقى الرجل من الجاهلية يوسعني شتما وأوسعهم حلما، فأرجع وهو لي صديق أستنجد به فينجدي وأثيره فيثور معي وما دفع الحلم عن شريف شرفه ولا زاده إلا كرما»⁽³⁾.

هذا الذي جاء عن معاوية ليس عاما، بعدما كان السبب في تفكيك وحدتها بخروجه عن الإمام علي وادعى أنه ولي دم عثمان، وكأنه لا يوجد خليفة إليه أمر النظر فيمن قتل عثمان رضي الله عنه، فانشقت هذه القبيلة التي كانت إمام الناس وهاديهم في الجاهلية، وكل العرب يعرفون ذلك لهم، وعصبية العرب اجتمعت في قريش ما دامت كذلك، ولذا أوصى رسول الله أن يكون الأئمة من قريش باعتبارها قائدة العرب وزعيمتهم، ومن ثم كان حريصا على دخولها إلى الإسلام موفورة الجانب لها هيبتها، ولما فعل معاوية بانشقاقه على علي -رضي الله عنهما- ومحاربه، فأزال بذلك هيبتها من النفوس وجرأ عليها من كان يرى لها من الفضل ما يرى، وكل ما امتد الزمن زادت قريشا تفككا، وواصل ابن معاوية سياسة التفكيك والتحريض على قريش بقتله للحسين، وقتاله لابن الزبير -رضي الله عنه-، وتبعهم لبني هاشم وخاصة

(1) - ابن عساکر: تاریخ دمشق، ج 59، ص 198.

(2) - عند ابن عساکر وابن منظور: «قاربوا»، عند ابن كثير: «فارقوا قريشا» .

(3) - ابن أبي الدنيا: الحلم، ص 37، ابن عساکر: تاریخ دمشق، ج 59، ص 183، ابن منظور: مختصر تاریخ دمشق،

ج 25، ص 59؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 441.

أبناء علي واستمرار قتلهم لهم كما فعلوا يزيد بن علي بن الحسين سنة 121هـ، وابنه يحيى سنة 125هـ، فكان تصدعا خطيرا دفعت قريشا ثمنه باقتتالها فيما بينها حتى وإن تغلب على بني أمية بنو هاشم ممثلين في آل العباس لاحقا، لقد كان عقلاؤهم في جاهليتهم أكثر حرصا على وحدتهم من معاوية ومن جاء بعده.

هل يمكننا أن نسمي من هدم قريشا وشق وحدتها حلما وذوي عقول راجحة؟ حلما ما بقيت السلطة في أيديهم، ولم يشاركهم غيرهم في ذلك، أما وأن يكون العكس فلا حلم ولا عقل ولا مهادنة في قتل وقتال من ينوي أخذ ذلك منهم.

4- وصية معاوية بن يزيد

وصية معاوية بن يزيد فيمن يصلي عليه وبالناس

حتى يختاروا خليفة عليهم

رقم: 9 -

لما مات يزيد بن معاوية استخلف معاوية ابنه في شهر ربيع الأول سنة 64هـ بعهد من أبيه⁽¹⁾، وهو ابن واحد وعشرين سنة وقيل بل سبعة عشر سنة⁽²⁾، فبايعه الناس وأتته بيعة الآفاق إلا ما كان من ابن الزبير، فولي ثلاثة أشهر وقيل أربعين يوما، ويقال عشرون يوما ولم يزل في أيامه مريضا، وكان الضحاك بن قيس يصلي بالناس، فلما ثقل قيل له لو عهدت عهدا فقال⁽³⁾:

«والله ما نفعني حيا أفأحملها ميتا، والله لا يذهب بنو أمية بحلاوتها القليلة وأتحمل مرارتها الطويلة، وإذا مت فليصل عليّ الوليد بن عتبة، وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختاروا لأنفسهم رجلا مرضيا عندهم»⁽⁴⁾.

لم يباشر معاوية بن يزيد عمله كخليفة، إذ كان منشغلا بمرضه ضعيفا عن النهوض بتبعات المنصب، وقام الضحاك بأمر الناس بدمشق، ولم يعزل معاوية بن يزيد أحدا من عمال أبيه ولا حرك شيئا ولا أمر ولا نهي وكان موته سنة 64هـ⁽⁵⁾.

(1) - البلاذري: أنساب، ج 5، ص 356.

(2) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 5، ص 140؛ ابن حبان: الثقات، ج 2، ص 314.

(3) - البلاذري: أنساب، ج 5، ص 356.

(4) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 29، البلاذري، أنساب، ج 5، ص 356، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 5،

ص 140، ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 31، ص 3، ج 57، ص 260، ج 59، ص 302.

(5) - البلاذري: أنساب، ج 5، ص 356.

وكان صادقاً مع نفسه ومع الناس، فأعلن ذلك صراحة، يروي ابن كثير أنه بعد أن صلى على أبيه وتم دفنه، وأقبل عليه الناس وبايعوه بالخلافة، نادى في الناس: الصلاة جامعة، وخطب فيهم، وكان مما قال: «يا أيها الناس، إني قد وليت أمركم وأنا ضعيف عنه، فإن أحببتم تركتها لرجل قوي، كما تركها الصديق لعمر، وإن شئتم تركتها شورى في ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب وليس فيكم من هو صالح لذلك، وقد تركت لكم أمركم، فولوا عليكم من يصلح لكم، ثم نزل ودخل منزله، فلم يخرج منه حتى مات، رحمه الله تعالى»⁽¹⁾، فمعاوية بن يزيد ترك لهم أمرهم يولون من يشاءون، واعتبر هذا الموقف منه دليلاً على عدم رضاه عن تحويل الخلافة من الشورى إلى الوراثة، إذ رفض أن يعهد لأحد من أهل بيته حينما قالوا له إعهد إلى أحد من أهل بيتك فقال ما جاء في وصيته⁽²⁾.

وكان من نتائج ذلك حدوث فراغ سياسي في السلطة في بلاد الشام، كما ظهر الخلاف بين الأمة من جديد حول الخلافة ومن يتولاها، فبرزت العصبية القبلية وعمت الفتن وظهر الانقسام بين القبائل الشمالية والجنوبية، انتهت بتعيين مروان بن الحكم شيخ بني أمية وصاحب الخبرة الواسعة وأكبرهم سناً لمنصب الخلافة⁽³⁾، وكان ذلك في الجابية التي هي من أعمال دمشق بالقرب من حوران، فقد ذكر البلاذري عن محمد بن عمر قال: «لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية واختلف الناس بالشام دعا الضحاك بن قيس لعبد الله بن الزبير، وكتب إليه عبد الله بن الزبير بولايته على الشام، وبويع لمروان بن الحكم فسار إليه فالتقوا بمرج راهط فاقتتلوا فقتل الضحاك بن قيس بمرج راهط للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين»⁽⁴⁾.

وبذلك يكون قد أسدل الستار على دور الفرع السفيفاني، وانبثق عهد جديد ساد فيه البيت المرواني، الذي ستتابع في الآتي وصايا خلفائه.

ثالثاً: وصايا خلفاء الفرع المرواني لأبنائهم: 64-132هـ

1- وصايا مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز

وصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز بما ينبغي فعله مع رؤساء القبائل

-رقم: 10-

(1) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 664.

(2) - عبد الشافي: العالم الإسلامي، ص 127.

(3) - حسين عطوان: ولاية العهد، ص 61.

(4) - ابن سعد: الطبقات، ج 7، ص 288.

لما بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة في مكة سنة 64هـ، وبايعه المصريون وتوجه إليه منهم جماعة كثيرة وبايعوه، أرسل إليهم عبد الرحمن بن عقبة بن جحدم فوصل إلى مصر في شعبان سنة 64هـ، ودخل معه مصر جماعة كثيرة من الخوارج وأظهروا دعوة عبد الله بن الزبير بمصر ودعوا الناس لبيعته فتابعهم الناس والجنود، فبينما هم في ذلك وصل الخبر من الشام ببيعة مروان بن الحكم بالخلافة وأن أمره تم، فصارت مصر معه في الباطن، وفي الظاهر لابن الزبير، فجهز مروان بن الحكم جيشاً مع ابنه عبد العزيز وقصد مصر؛ فلما بلغ عبد الرحمن بن جحدم ذلك استعدّ لحربه وحفر خندقاً في شهر، أو قريب من شهر، وسار مروان حتى نزل مدينة عين شمس⁽¹⁾ فخرج إليه عبد الرحمن، فتحاربوا يوماً أو يومين، فكانت بين الفريقين مقتلة كبيرة، ثم آل الأمر بينهما إلى الصلح، واصطلحا على أن مروان يقر عبد الرحمن ويدفع إليه مالاً وكسوة، ودخل مروان مصر في غرة جمادى الأولى سنة 65هـ، ثم عزل مروان عبد الرحمن بن جحدم عن إمرة مصر وفتح خزائنه ووضع العطاء، فبايعه الناس، فولى ابنه عبد العزيز بن مروان على مصر وجمع له الصلاة والخراج معاً⁽²⁾، وعندما أراد الخروج من مصر يريد الشام بعد أن بقي فيها شهرين، قال له عبد العزيز: «يا أمير المؤمنين! كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي؟»، فقال له مروان: «يا بني عمّهم بإحسانك يكونوا كلهم بني أبيك، واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودّتهم، وأوقع إلى كل رئيس منهم إنه خاصتك دون غيره، يكن لك عينا على غيره، وينقاد قومه إليك، وقد جعلت معك أخاك بشراً⁽³⁾ مؤنسا، وجعلت لك موسى بن نصير وزيراً أو مشيراً، وما عليك يا بني أن تكون أميراً بأقصى الأرض، أليس ذلك أحسن من إغلاق بابك وخمولك في منزلك»⁽⁴⁾.

وصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز في كيفية سياسته لرعيته

- رقم: 11 -

(1) - عين شمس: اسم مدينة فرعون موسى بمصر، بينها وبين القسطاط ثلاثة فراسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص178.

(2) - تاريخ الطبري، ج5، ص540، الكندي: الولاة والقضاة، ص34، ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص704،

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص165-166.

(3) - بشر بن مروان: بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، كان سمحاً جواداً، ولي إمرة العراقين (البصرة والكوفة) لأخيه عبد الملك سنة 74 هـ، وهو أول أمير مات بالبصرة، توفي سنة 75 هـ. ابن قتيبة: المعارف، ص355؛

الذهبي: تاريخ الإسلام، ج5، ص370؛ الزركلي: الأعلام، ج2، ص55.

(4) - الولاة والقضاة، ص38، المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج1، ص387.

وعند عودة مروان إلى الشام بعد أن رتب أمور مصر بعد استعادتها من ابن الزبير وترك عبد العزيز واليا عليها أوصاه مرة أخرى فيما ينبغي أن تكون عليه سياسته مع أعوانه ومن ينبغي أن يعتمد عليهم في إدارة الإقليم وكذا مع الرعية، مزودا إياه بخلاصة تجربته السياسية. قال له:

«أرسل حكيمًا ولا توصه. أي بني، انظر إلى عمالك، فإن كان لهم عندك حقّ غدوة فلا تؤخرهم إلى عشية، وإن كان لهم عشية فلا تؤخرهم إلى غدوة، وأعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم.

وإياك أن يظهر لرعيك منك كذب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق. واستشر جلساءك وأهل العلم؛ فإن لم يستبن لك فاكتب إليّ يأتك رأيي فيه - إن شاء الله تعالى-.

وإن كان بك غضب على أحد من رعيك فلا تؤاخذ به عند سورة الغضب، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطفيء الجمرة، فإن أول من جعل السجن كان حليما ذا أناة.

ثم انظر إلى ذوي الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك؛ ثم ارفع منازلهم منك على غيرهم، على غير استرسال ولا انقباض، أقول هذا وأستخلف الله عليك»⁽¹⁾.

وصية أخرى له لابنه عبد العزيز

في الحفاظ على الصلوات، والإيفاء بما يعد ومشاورة ذوي الرأي

- رقم: 12-

لم يقتصر مروان على وصيته لابنه عبد العزيز الأنفة الذكر بل أوصاه بأخري عند خروجه من مصر لمستهل رجب سنة 65هـ بعد بقاءه فيها مدة شهرين رتب أمورهما، قال « حرمة بن عمران، أن عبد العزيز بن مروان، قال: أوصاني مروان حين ودعته عند مخرجه من مصر إلى الشام. فقال:

أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيتك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وأوصيك أن لا تجعل لداعي الله عليك سبيلا، فإن المؤذنين يدعون إلى فريضة افترضها الله عليك ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾. (النساء: 103). وأوصيك أن لا تعد الناس موعدا إلا أنفذته، وإن حملت على الأسته.

⁽¹⁾ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 1، ص 41، النويري: نهاية الإرب، ج 6، ص 42، أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب

العرب، ج 2، ص 191.

وأوصيك أن لا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير، فإن الله - عز وجل - لو أغنى أحدا عن ذلك لأغنى نبيه محمداً ﷺ عن ذلك بالوحي الذي يأتيه، قال الله - عز وجل - ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. (آل عمران: 159) ﴿١﴾.

عين مروان ابنه عبد العزيز واليا على مصر ولما توفي سنة 65هـ، واستخلف عبد الملك بن مروان أقر أخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر سنة 70هـ، فخرج عبد العزيز منها، ونزل حلوان، فاتخذها دارا وسكنها، وجعل بها الأعوان، وبنى بها الدور والمساجد، وعمرها أحسن عمارة، وغرس نخلها وكرمها، ومات سنة 86هـ⁽²⁾.

وقد عمل عبد العزيز بموجب الوصايا التي وجهها له أبوه قبل توجهه إلى دمشق، فأحاط نفسه بمجموعة من الرجال الأكفاء المشهود لهم بالفضل والعزم والحزم والأكثر من ذلك الولاء التام للبيت الأموي، وعينهم في أهم مناصب الولاية خاصة على رأس جهازي الشرطة والقضاء، فعين على شرطته عابس بن سعيد المرادي كما عينه قاضيا، وكان صاحب الشرطة بمثابة نائب الوالي يؤم الناس في الصلاة إذا مرض الوالي، ويحكم الولاية إذا خرج الوالي من مقر ولايته⁽³⁾.

وكان عابس محل ثقة وتقدير من عبد العزيز، فقد استخلفه على مصر حين خرج إلى أخيه الخليفة عبد الملك سنة 67هـ، ففرض عابس في غيابه فروضا وزاد في أعطيات الناس من الجند⁽⁴⁾، فلما عاد عبد العزيز أقرها له.

أما فيما تعلق بالقضاء فكان القاضي من أقرب المقربين للوالي ومعينه ومستشاره وهو من خاصة الخاصة، ومن بين الأشخاص الذين أوصى بهم مروان ابنه بأن يحيط نفسه بهم، ومن بين أهم الشخصيات التي تولت القضاء في ولاية عبد العزيز عبد الرحمن بن حجيرة الأكبر (69-83هـ)، وكان يجمع مع القضاء ولاية القصص وولاية بيت المال⁽⁵⁾، وهو الذي أشار على عبد العزيز بأن لا ينفذ أمر عبد الملك بفرض الجزية على من أسلم من القبط حيث قال ابن عبد الحكم: «كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد العزيز بن مروان، أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة، فكلّمه ابن حجيرة

(1) - الكندي: الولاة والقضاة، ص 38؛ المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج 1، ص 387.

(2) - المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج 2، ص 92.

(3) - سيدة إسماعيل كاشف: عبد العزيز بن مروان، ص 44.

(4) - الكندي: الولاة والقضاة، ص 39.

(5) - سيدة إسماعيل كاشف: عبد العزيز بن مروان، ص 137-138.

في ذلك، فقال: أعيدك بالله أيها الأمير أن تكون أول من سنّ ذلك بمصر، فوالله إنّ أهل الذمة ليتحمّلون جزية من ترهب منهم، فكيف تضعها على من أسلم منهم؟ فتركهم عند ذلك»⁽¹⁾.

كان عبد العزيز بن مروان يمثل سياسة الخلافة في مصر، وكان عهده عهد رخاء ويسر، وقد اهتم بشؤون البلد وأدخل فيها إصلاحات كثيرة، وفضلا عن هذا فقد عرف عبد العزيز بالجود والكرم وكان يقول «وا عجباً من مؤمن يوقن أن الله يرزقه ويوقن أن الله يخلف عليه، كيف يدخر مالاً عن عظيم أجر أو حسن سماع»⁽²⁾، وكانت له ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره، وكانت له مئة جفنة تحمل على العجل، ويطاف بها على قبائل مصر⁽³⁾، وفي ذلك يقول الشاعر:

كل يوم كأنه يوم أضحى *** عند عبد العزيز أو يوم فطر
وله ألف جفنة مترعات *** كل يوم تمدّها ألف قدر⁽⁴⁾

ووصفه ابن تغري بردي بقوله: «وكان عبد العزيز جواداً ممدحاً سيوساً حازماً»⁽⁵⁾.

وقد بنيت كنائس عدة في عهد عبد العزيز، كذلك جدد بناء المسجد الجامع وزاد فيه، كما انفق مالا كثيرا في بناء مدينة حلوان، وقد زيدت أعطيات الجند في عهده، وقيل أن عبد العزيز بن مروان كان يجبي مصر أسبوعيا خوفا من فتنة تنزل به يحتاج فيها إلى المال، ولم يزل على ذلك حتى قتل عبد الله بن الزبير سنة 73هـ⁽⁶⁾، كما قام عبد العزيز باحصاء كل الرهبان في جميع الكور وفرض عليهم دينارا واحدا على واحد منهم، وكانت هذه أول ضريبة وأول جزية تفرض على الرهبان، وذكر ساويرس بن المقفع أن عبد العزيز ألزم أساقفة الكور أن يؤدوا ألفي دينار سنويا بالإضافة إلى خراج أملاكهم⁽⁷⁾. وقد يفسر ذلك بأن المسلمين لما فتحوا مصر حافظوا على التقليد الذي كان قبلهم والذي يحرم فرض أي ضريبة أو جزية على الرهبان، وبذلك وجدت تحت حكم المسلمين طبقة كبيرة من المسيحيين لا تقع تحت طائلة الأعباء المالية، وقد لجأ كثير من الأقباط إلى الأديرة كي يتخلصوا من الضرائب، ولكن عبد العزيز بن

(1) -فتوح مصر وافريقية، ص 182.

(2) -ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 1، ص 175.

(3) -الكندي: الولاة والقضاة، ص 41.

(4) -المصدر نفسه، ص 41.

(5) -النجوم الزاهرة، ج 1، ص 175.

(6) -سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ج 2، ص 41.

(7) -تاريخ البطارقة، ج 1، ص 121.

مروان تفتن لهذا الامر خاصة بعد أن زادت أعباء ولايته المالية، لذا قام بما قام به، وحارب الرهينة لأنها سلوك سلبي يحرم البلاد من كثير من الأيدي العاملة⁽¹⁾.

وهكذا نرى أن سياسة عبد العزيز بن مروان نحو الأقباط وإزاء بناء الكنائس كانت استمرارا لسياسة المسلمين منذ الفتح وقاعدة لما اتبع بعد ولايته طوال عصر الولاة، فهي سياسة لا تنطوي على تفرقة بين العرب وأهل البلاد من القبط، أو تعصب ضد المسيحيين وإنما كانت سياسة عطف وتسامح وتقدير لأهل البلاد⁽²⁾.

2-وصية عبد الملك بن مروان عند وفاته

وصية عبد الملك لأبنائه في خاصة أنفسهم وعلاقتهم ببعضهم

ومع الحجاج وبقية الرعية

-رقم: 13-

واجهت الخلافة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الكثير من التحديات على الصعيد الداخلي مثل ثورة ابن الزبير وثورة محمد بن الأشعث⁽³⁾ بالعراق، وقد بذل عبد الملك جهودا مضنية لفرض سلطة الخلافة المركزية ووحدة أقاليمها وحماية حدودها، وبعد وفاة ولي عهد عبد الملك، عبد العزيز بن مروان سنة 85هـ بايع عبد الملك لابنيه: الوليد، ثم من بعده لسليمان، جاعلا إياهما وليي عهده على المسلمين، وكتب إلى بقية الأقاليم بأخذ البيعة لهما، فبايع الناس لهما⁽⁴⁾، ولكن عبد الملك أدرك أن المحافظة على الانجازات التي حققها يتطلب تماسك الأسرة الأموية وتعاضدها، حتى لا تعطي الفرصة لكثير من الطامحين الذين يتربصون بحكمهم الدوائر إذا ما انقسموا فيما بينهم فيستغلونه للإطاحة بحكمهم⁽⁵⁾، لذلك لما أحس بدنو أجله في مرضه الذي توفي فيه جمعهم فأوصاهم بوصية اختلفت

(1)-سيدة إسماعيل كاشف: عبد العزيز بن مروان، ص 70.

(2)-المرجع نفسه، ص 153.

(3)- محمد بن الأشعث: بن قيس الكندي يكنى أبا القاسم، كان شريفا مطاعا في قومه، من أصحاب مصعب بن الزبير، شهد معه أكثر وقائعه. وكان هو وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، على مقدمة جيش مصعب، في حربه مع المختار الثقفي قتل سنة 67 هـ مع مصعب بن الزبير أيام المختار. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 22، ص 39-41؛ المزي: تهذيب الكمال، ج 24، ص 496؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 2، ص 704؛ الزركلي: الأعلام، ج 6، ص 39.

(4)-تاريخ الطبري، ج 6، ص 416؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج 6، ص 262

(5)- ص 137 ما بعدها.

المصادر في ذكر نصها إلى حد بعيد، ونحن نذكر رواياتها المتفقة في نصها كل واحدة مع ما يقاربها في مضمون نصها معاً من ذلك ما ذكره سحيم بن حفص الذي قال:

«أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حلية، وأحصن كهف، ليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير حق الكبير.

وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فإنه نايكم الذي عنه تفترون، ومجنكم⁽¹⁾ الذي عنه ترمون. وأكرموا الحجاج فإنه الذي وطأ لكم المنابر، ودوخ لكم البلاد، وأذل الأعداء. وكونوا بني أم بررة لا تدب بينكم العقارب، وكونوا في الحرب أحراراً، فإن القتال لا يقرب منية قبل وقتها.

وكونوا للمعروف منازل فإن المعروف شيء يبقى آخره وذخره وذكره، وضعوا معروفكم عند ذوي الأحساب، فإنهم أصون له، وأشكر لما يؤتى إليهم منه. وتغمدوا⁽²⁾ ذنوب أهل الذنوب، فإن استقالوا فأقبلوا، وإن عادوا فانتقموا»⁽³⁾.

رواية أخرى لما سبق

— رقم: 13أ—

وذكر أبو مخنف وغيره على حسب تعبير البلاذري أن عبد الملك لما اشتدت به العلة دعا بنيه فقال لهم حين حضروا:

«يا بني أوصيكم بتقوى الله فإنها عصمة باقية وجنة واقية، وقرؤا كبيركم وأرحموا صغيركم، وابدلوا للناس معروفكم، وجنبوهم أذاكم.

وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فإنه سنكم الذي به تتزينون، ونايكم الذي عنه تفترون، وسيفكم الذي به تصولون، فاقبلوا قوله، واصدروا عن رأيه، وأسندوا جسيم أمركم إليه.

وأكرموا الحجاج بن يوسف، فإنه وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد، قد عرفتم بلائه في الملحد ابن الزبير، وفي طغاة أهل العراق، واجتهاده في طاعتنا، ومحاماته علينا»⁽¹⁾.

(1) — المجن: الترس الذي يحمي المقتال به نفسه. ابن منظور: لسان العرب، ج 13، ص 92. مادة «جنن».

(2) — تغمدوا: استروا، قال ابن منظور: «تَغَمَّدْتُ فُلَانًا: سَتَرْتُ مَا كَانَ مِنْهُ وَعَظِيئُهُ». لسان العرب، ج 3، ص 326. مادة «غمد».

(3) — البلاذري: أنساب، ج 7، ص 168-269.

رواية أخرى لما سبق

- رقم 13ب -

رواية المعافي بن زكريا	رواية المبرد
«عن العتيبي قال: لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة جمع ولده وفيهم مسلمة وكان سيدهم فقال: حضرته الوفاة فقال لبيته:	(2) قال المبرد: «وأوصى عبد الملك بن مروان حين حضرته الوفاة فقال لبيته:
أوصيكم بتقوى الله تعالى فإنها عصمة باقية وجنة واقية، وهي أحسن كهف وأزين حلية	أوصيكم بتقوى الله، فإنها عصمة باقية وجنة واقية، والتقوى خير زاد، وأفضل في المعاد، وأحسن كهف، وأزين حلية.
وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير منكم حق الكبير، مع سلامة الصدور، والأخذ بجميل الأمور.	ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير، مع سلامة الصدور، والأخذ بجميل الأمور
(3) وإياكم الفرقة والخلاف فهما هلك الأولون، وذل ذوو العزة المعظمون.	فإنكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعزّ خُلُقَاء، وهابتكم الأعداء.
انظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فإنه نابكم الذي عنه تفترون ومجننكم الذي به تستجنون،	إياكم والتباغي والتحاسد فإن بهما هلك الملوك الماضون، وذوو العز المتكبرون.
وأكرموا الحجاج فإنه وطأ لكم المنابر وأثبت لكم الملك	انظروا يا بَنِيّ، مسلمة بن عبد الملك فاصدروا عن رأيه، فإنه نابكم الذي تفترون عنه، ومجننكم الذي تَسْتَجِنُونَ به.
وكونوا بني أم برزة ⁽¹⁾ وإلا دبت بينكم العقارب.	وأكرموا الحجاج، فإنه الذي وطأ لكم المنابر،

(1) -المصدر نفسه، ج 1، ص 214 وما بعدها.

(2) -عند المسعودي « وقيل إن عبد الملك نظر إلى الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه، فقال: يا هذا! أحنين الحمامة والأمة؟! إذا مت فشمروا وتر، والبس جلد نمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه... ثم أقبل على جميع ولده فقال: « وذكر هذه الفقرة ابن الجوزي مقتصرًا عليها. المنتظم، ج 6، ص 273.

(3) -عنده « وإياكم والبغي والتحاسد فيها هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين».

	وكفاكم قَحَمَ تلك القناطر.
كونوا في الحرب أحرارا وللمعروف منارا، وَاحْلُولُوا في مرارة، وَلِينُوا في شدة.	(2) كونوا أولاداً أبراراً، وفي الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً، وَاحْلُولُوا في مرارة، ولينوا في شدة.
وضعوا الذخائر عند ذوي الحساب والألباب، فإنه أصون لأحسابهم وأشكر لما يسدى إليهم.	ثم رفع رأسه إلى الوليد فقال:
ثم أقبل على ابنه الوليد فقال:	(3) لا ألفتينك يا وليد، إذا وضعتني في حفرتي تعصر عينيك كما تفعل الأمة، بل شمر واتزر، والبس جلد نمر، وادع الناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا.
لا ألفتينك إذا مت تجلس تعصر عينيك وتحن حنين الأمة، ولكن شمر واتزر والبس جلدة نمر ودلني في حفرتي وخلي وشأني وعليك وشأنك، بهما.	(4) أوصيك بأخيك عبد الله بن عبد الملك ويعمر بن عبد العزيز خيراً ⁽¹⁾ ، لا تعزلهما ولا تستبدل بهما.

(1) - أرى الكلمة مصحفة انظرها في بقية الروايات، أما معنى: برزة: فهي المرأة الموثوق برأيها وعقلها وعفافها التي تبرز للناس وتحادثهم. ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص309، مادة: «برز».

(2) - عنده «وكنوا أبرارا وفي الحرب أحرارا وللمعروف منارا، وعليكم السلام» وتنتهي. المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص160-161، وذكر أخرى مختصرة قال: «وكان عبد الملك مواظباً على حث أولاده على اصطناع المعروف، وبعثهم على مكارم الأخلاق، وقال لهم: يا بني عبد الملك، أحسابكم أحسابكم، صونها ببذل أموالكم، فما يبالي رجل منكم ما قيل فيه من الهجو بعد قول الأعشى:

تبيتون في المَشْتَى مِلاءً بطونكم *** وجاراتكم غَرَّتْني بيتن خمائصا

وما يبالي قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير:

على مكثريهم حَقُّ من يعتر بهم *** وعند المقلين السماحة والبذل» ج، 3، ص167

(3) - ذكر هذه الفقرة أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، 325؛ ومثله اليعقوبي، ج2، ص280؛ والذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص975.

(4) - بداية رواية الجاحظ «لا تعزل أخاك عبد الله عن مصر، وانظر عمك محمد بن مروان فأقره على الجزيرة، وأما الحجاج فأنت أحوج إليه منه إليك، وانظر علي بن عبد الله فاستوص به خيراً». البيان والتبيين، ج3، ص153. وتنتهي. وانظر بقية روايات المتعلقة بهؤلاء

ثم ادع الناس إلى البيعة فمن قال هكذا فقل بالسيف هكذا.	
ثم أرسل إلى عبد الله ابن يزيد بن معاوية وخالد بن أسيد ⁽²⁾ ، فقال: هل تدرين لم بعثت إليكما؟	وأوصيك بابن عمنا هذا خيراً—يعني علي بن عبد الله بن العباس—
قالا: نعم لترينا أثر عافية الله تعالى إياك	فأما الحجاج فلست تستغني عنه
قال: لا، ولكن قد حضر من الأمر ما تريان، فهل في أنفسكما من بيعة الوليد شيء؟	ثم أرسل إلى خالد وعبد الله، ابني يزيد بن معاوية. فلما جلسا قال: ما تقولان: أأقبلكما بيعة الوليد؟
فقالا: لا، والله ما نرى أحدا أحق بها منه بعدك يا أمير المؤمنين، وقال: أولى لكما، أما والله ولو غير ذلك قلتما لضربت الذي فيه أعينكما،	قالا: معاذ الله يا أمير المؤمنين.
وقال: أولى لكما، أما والله ولو غير ذلك قلتما لضربت الذي فيه أعينكما	قال: لو قلتما غير ذلك لقتلتكما على حالي هذه. قوما.
ثم رفع فراشه فإذا السيف مشهور، ولم يزل بين مقاتلين حتى فاض، مقاتله الأولى ⁽¹⁾ حتى مات ⁽²⁾ .	فقاما فخرجا. ثم دعا بقдах بَعْدَه ولده فأمر بها فجمعت، ثم دفعها إلى الوليد فقال: اكسرها. فلم يقدر على ذلك، ثم دفعت إلى آخر، ثم آخر، حتى استقراهم جميعاً، فأعياهم كسرها؛ فأمر بها

(1) - ما ذكر عن عدم عزله لابنه عبد الله صحيح، لكونه عينه واليا على مصر سنة 86هـ، أم معزل عمر بن عبد العزيز فغير صحيح لأن الوليد هو الذي عينه على الحجاز سنة 87هـ، ومن ثم ما ذكر عنه مقحمة على النص.

(2) - أما ذكره عبد الله بن يزيد فمن المعلوم أن ليزيد ابنان بهذا الاسم الأكبر والأصغر ذكرهما البلاذري لاندري أيهما قصد، ولعله الأكبر: أنساب، ج5، ص355 وما بعدها، والأمر يتعلق بخالد بن يزيد، وأخيه عبد الله، وفق ما جاء في رواية المبرد، خاصة خالداً لأنه الأقرب إلى الحقيقة باعتباره كان ولي عهد مروان بايعه أهل الشام على ذلك بعد موقعة مرج راهط سنة 64هـ، ثم عزله وولى بعده ابنه عبد الملك، فبقي في نفس عبد الملك من ذلك منه ريبة لعله يثير الشغب على ابنه الوليد، وخالد لم تكن له فيها رغبة بل انصرف إلى العلم. ابن سعد: الطبقات، ج6، 545-546، الطبري: ج5، ص535 وما بعده ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص80.

	<p>ففرقت، ثم دفع إلى كل واحد منهم قدحاً وأمره بكسره ففعل⁽¹⁾. فقال: هكذا أنتم بعدي، إن اجتمعتم لم يكسر أحد، وإن تفرقتم كسرتم، وقال: احفظوا عني هذه الأبيات: ⁽²⁾ (من الكامل)</p> <p>انفوا الصغائن عنكم وعليكم عند المغيب وفي الحضور الشهد بصلاح ذات البين طول بقائكم إن مدّ في عمري وإن لم يمدد فلمثل ريب الدهر ألف بينكم بتواصلٍ وتراحمٍ وتودد حتى تلين قلوبكم وجلودكم لمسود منكم وغير مسود إنّ القداح إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنقٍ وكسرٍ أيد</p>
--	---

(4) - مقالته الأولى هي قوله: «فهل من خالد إما هلكنا *** وهل بالموت يا للناس عار ومقالته الثانية: الحمد لله الذي لا يبالي من أخذ من خلقه وترك صغيراً أو كبيراً» أي بقي يكررها حتى مات، والقول الأول ذكره معاوية. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 59، ص 222؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 2، ص 976.

(5) - المعافى بن زكريا: المجلس الصالح، ص 453-454. ثم ذكر قول مسلمة: «إياكم والضجاج فإنكم إن صلحتم صلح الناس، وإن فسدتم كان الفساد أسرع»، ثم خطبة الوليد يعني فيها وفاة والده، وما قلده من أمر الخلافة، ودعوته لمبايعته، ثم ذكر الأبيات التي أشار إليها المبرد في روايته ببعض الزيادة والأختلاف. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 63، ص 171-172؛ ونقلها عن المعافى بن زكريا؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 26، ص 320-321.

(1) - هذا المثل الذي ذكره عبد الملك في التعاون والتآز ونفي الفرقة، ضربه أكنم بن صيفي لأولاده عند موته، ثم ذكر البيتين الأخيرين. الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج 1، ص 433.

(2) - ذكر هذه الأبيات أسامة بن منقذ على أنها وصية عبد الملك لبنيه، ولم يذكر ما قبلها. لباب الآداب، ص 31.

عزت فلم تكسر وإن هي بُدّدت فالوهن والتكسير للمتبدّد» ⁽¹⁾ .
--

رواية أخرى

- رقم: 13 ج-

أما ابن أعثم فذكر رواية أخرى قال: « فلما نزل الموت بعبد الملك بن مروان دعا بأولاده وجلسائه فأجلسهم بين يديه ثم قال: إني أوصيكم بتقوى الله، فإن التقوى أزين حلية وأحسن حلة، وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير منكم حق الكبير، وإياكم والاختلاف والفرقة! فإن بهما هلك الملوك الماضين وذوي العز المتكبرين. وانظروا ابني مسلمة- حفظه الله- إذا قدم من أرض الروم، فاعرفوا له حق الجهاد في سبيل الله.

وكذلك فاعرفوا لأخي محمد بن مروان حقه وسنه. وأكرموا الحجاج بن يوسف فإنه وطأ لكم البلاد، وأذل لكم العباد، وعقد لكم القناطر، وداس لكم رقاب العرب، وكفاكم المئون وشدة الفتن. وانظروا يا بني أن تكونوا بني أم برة، لا تدب العقارب بينكم. وكونوا في الحرب أعوانا وعلى المعروف إخوانا، وضعوا ذخائركم عند ذوي الميراث منكم، فإنها أصون لأحسابكم، واشكروا لما يسدى إليكم، وكونوا ذوي حلاوة في مرارة، ولين في شدة، ألا!

وإني قد استخلفت عليكم ابني الوليد من بعدي⁽⁴⁾، فاسمعوا وأطيعوا، وإذا هلك فابني سليمان، فإذا هلك فاختراروا من شئتم وأحببتم من أولادي، أو من خيار بني أمية، ثم أنشأ يقول:

انفوا الضغائن والتخاذل بينكم *** في الغائبين وفي الحضور الشهد

(1) - التعازي والمراثي، ص 146.

(4) - الحقيقة أنهم يعرفون من قبل بعد أن أخذ له البيعة وليا للعهد ومن بعده سليمان سنة 85 بعد وفاة أخيه عبد العزيز، وذكرهما هنا فيه نظر، إن لم يكن قد أكد ذلك لهم، ولكن التعبير غير مناسب ولا دقيق من الناقل للرواية.

بصلاح ذات البين طول بقائكم *** إن مدّ في عمري وإن لم يمدد
 حتى تلين قلوبكم وجلودكم *** لمسود منكم وغير مسود
 فلمثل ريب الدهر ألف بينكم *** بتواصل وتراحم وتودود
 وتكون أيديكم معا في أمركم *** ليس اليدان في التعاون كاليد
 لا تقطعوا أرحامكم فتفرقوا *** ليس الجميع كواحد متفرد
 إن القداح إذا جمعن فرامها *** بالكسر ذو حنق وبطش أيدي
 عزت فلم توهن وإن هي بددت *** فالوهن والتضييع للمتبدد
 قال: فأجابه الوليد وهو يقول⁽¹⁾:

إني لما أوصيتني لحافظ *** أرحاه غير مقصر في المحتد
 وأكون للأعداء سما ناعما *** ولذي القرابة كالحميد الأيد
 ولكل إخواني وجل عشيرتي *** أرحى المغيب في حفظهم في المشهد
 وأقوم بعدك في الرعية بالذي *** أوصيتني بهم بحسن تودود

قال: فقال له عبد الملك: أحسنت يا بني! وأرجو أن تكون عند ظني بك، فانظر يا بني من مال عنك برأسه هكذا فكن كما قال حسان بن ثابت:

بنو الحرب لا نعي بشيء نريده *** ولا نحن مما يحدث الدهر نجزع
 لنا ميت في كل يوم فلا نرى *** لنا مقلة في سالف الدهر تدمع⁽²⁾.
 قال: ثم جعل عبد الملك بن مروان يردد هذا البيت وهو يقول:
 فهل من خالد إن نحن متنا *** وهل بالموت للأحياء عار⁽³⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 13د-

(1) - ما علمنا - في حدود علمنا - أن الوليد يقول الشعر، وهو المعروف عنه أنه كان لحانا إذا تكلم، ومن ثم نشك أن يكون قد قال ذلك بل نخله إياه الرواة.

(2) - والبيتان لم اجدهما في طبعت الديوان التي رجعت إليها، ولا لغيره.

(3) - الفتوح، ج 7، ص 133-135. والبيت الأخير نسبه الذهبي لعباد بن زيد.

أما ابن ابن الجوزي فذكر رواية أخرى من طريق المدائني بها تقديم وتأخير تختلف عما ذكره المعافي بن زكيا وغيره، بادئا بذكر فاطمة وحبته لها التي لم يكن له من البنات غيرها، حتى قال: « وكان عند عبد الملك بنوه: الوليد، وسليمان، ومسلمة، وهشام، ويزيد، فقال لأذنه:

أخرج فانظر من الباب ثم أعلمني.

فخرج فنظر ثم أتاه، فقال: بالباب خالد بن يزيد بن معاوية، وخالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص⁽¹⁾.

فقال: اتني بسيفي، فأتاه به، فقال: جرده، فجرده، ثم قال: ضعه تحت ثني فراشي، ففعل ثم

قال: ائذن لهما، فلما دخلا قال: أتعرفاني؟

قالا: سبحان الله يا أمير المؤمنين، أنت أمير المؤمنين، وسيد الناس وولي أمرهم.

قال: لا إلا باسمي واسم أبي.

قالا: أنت عبد الملك بن مروان.

قال: فمن هذا، وأشار إلى الوليد- وكان خلفه قد تساند إليه-

قالا: هذا سيد الناس بعدك، وولي أمرهم.

قال: لا، إلا باسمه واسم أبيه.

قالا: هذا الوليد بن عبد الملك.

قال: أتدريان لماذا أذنت لكما؟

قالا: لترينا أثر نعمة الله عندك وما قد صرت إليه من التماثل والآفاق.

قال: لا ولكنه قد نزل بي من الأمر ما قد تريان، فهل في أنفسكما من بيعة الوليد شيء؟

قالا: لا، ما نرى أن أحدا هو أحق بها منه بعدك،

قال: أولى لكما، أما والله لو غير ذلك قلتما لضربت الذي فيه عيناكما، ثم رفع فراشه فإذا

بالسيف مجرد قد هياه لهما، فخرجا عند ذلك، ثم أقبل على بنيه فقال⁽²⁾:

يا بني أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حلة، وأحصن كهف، وأخرز جنة⁽³⁾، وأن يعطف الكبير

منكم على الصغير، وأن يعرف الصغير منكم حق الكبير.

⁽¹⁾ - في رواية المبرد السابقة ذكر خالد بن يزيد وعبد الله، وعند المعافي بن زكريا أضاف إليهما خالد بن أسيد. والمتعلق

بخالد بن أسيد باطل وهو الأمر الذي سبق ذكره في تعليقنا على ما جاء في رواية المعافي بن زكريا

⁽²⁾ - بداية رواية سبط بن الجوزي

⁽³⁾ - عند سبط بن الجوزي: « كهف وأن يعطف ».

وإياكم والفرقة والاختلاف، فإن بها هلك الأولون، وذل به (1) ذو العز.
 أنظروا مسلمة وأصدروا عن رأيه، فإنه مجنم الذي به تستجنون، ونابكم الذي عنه تفترون.
 وكونوا بني آدم (2) برره، ولا تُدنوا العقارب منكم.
 وكونوا في الحرب أحرارا، وللمعروف منارا، فإن الحرب لن تدني منية قبل وقتها، وإن المعروف
 يبقى آخره وذكره، واحلولوا في مرارة ولينوا في شدة، وضعوا الصنائع عند ذوي الأحساب
 (3) والأخطار فإنهم أصون لأحسابهم، وأشكر لما يؤتى إليهم.

وإياكم أن تخالفوا وصيتي، وكونوا كما قال ابن عبد الأعلى الشيباني (4) [من الكامل]:

إني أؤمل يا بني حرب الذرى *** أن تخلدوا وجدودكم لم تخلد
 فاتقوا الضغائن والتخاذل عنكم *** عند المغيب وفي الحضور الشهد
 بصلاح ذات البين طول بقائكم *** إن مد في عمري، وإن لم يمدد
 وتكون أيديكم معا في عونكم *** ليس اليدان لذي التعاون كاليد
 إن القداح إذا اجتمعن فرامها *** بالكسر ذو حنق وبطش أيدي
 عزت فلم تكسر إن هي بددت *** فالكسر والتوهين للمتبدد.

ثم أقبل على الوليد فقال:

يا وليد، اتق الله فيما أخلفك فيه، واحفظ وصيتي، وخذ بأمرى: وانظر أخي معاوية، فإنه ابن
 أمي، وقد ابتلي في عقله بما قد علمت، ولولا ذلك لآثرته بالخلافة عليك، فصل رحمه واعرف
 حقه، واحفظني فيه.

وانظر أخي محمد بن مروان فأقرره على عمله بالجزيرة ولا تعزله عنه.
 وانظر أخاك عبد الله بن عبد الملك، ولا تؤاخذ به بشيء كان في نفسك عليه، وأقرره على
 عمله بمصر.

(1) - عند سبط بن الجوزي: « ذوو العز وعليكم بمسلمة فاصدروا ».

(2) - في مرآة الزمان « وكونوا بني أم واحدة »، وانظر الكلمة في بقية الروايات.

(3) - عند سبط بن الجوزي: « فإنهم أشكر لما يؤتى إليهم ».

(4) - عند ابن عساکر: « قال عبد الملك بن مروان لبنيه في مرض موته: كونوا كما قال عبد الله بن عبد الأعلى » مقتصرًا

على ذكر الأبيات فقط. تاريخ دمشق، 73، ص 225؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 12، 334-

وانظر ابن عمنا هذا علي بن عبد الله بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته وهواه ونصيحته، وله نسب وحق، فصل رحمه، واعرف حقه، وأحسن صحبته وجواره.

وانظر الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد، ويدك على من ناوأك، فلا تسمعن فيه قول أحد، واجعله الشعار دون الدثار، وإن كان في نفسك عليه إحنة فلا تؤاخذ به، فإن الإحنة ليست من الخلافة في شيء، وأنت إليه أحوج منه إليك.

والألفينك إذا أنا مت تعصر عينيك، وتحن كما تحن الأمة، شمر واتزر وألبس جلد النمر، وضعني في حفرتي، وخلي وشأني، وعليك بشأنك.

وخذ سيفي هذا، فإنه السيف الذي قتلت به عمرو بن سعيد، وادع الناس إلى البيعة، فمن قال بسيفه هكذا فقل بسيفك هكذا، ثم تمثل بقول عيسى بن زيد حيث يقول:

فهل من خالد إما هلكنا *** وهل بالموت يا للناس عار⁽¹⁾

هذه الرواية يتقارب كثيرها مع رواية المعافى بن زكريا، أما كيف تفرد بها فهذا ما لا تسعفها به المصادر التي رجعت إليه.

رواية أخرى

—رقم: 13هـ—

وذكر ابن كثير رواية أخرى تختلف عما سبق نصها: «إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك: ما هذا؟ أتحن حنين الجارية والأمة؟! إذا أنا مت فشمر واتزر والبس جلد النمر، وضع الأمور عند أقرانها، واحذر قريشا.⁽²⁾ ثم قال له:

يا وليد! اتق الله فيما أستخلفك فيه، واحفظ وصيتي: وانظر إلى أخي معاوية⁽³⁾ فصل رحمه واحفظني فيه.

(1) — ابن الجوزي: المنتظم، ج 6، ص 274-276؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج 9، ص 394، وهي دون سند؛ الذهبي: تاريخ لإسلام، ج 2، ص 975-976، وجاءت نهاية روايته ببعض الاختلاف عما ذكر ابن الجوزي؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 166. ط. نزار الباز

(2) — بداية رواية سبط بن الجوزي

(3) — عند سبط بن الجوزي: « فإنه ابن أمي وقد أصيب في عقله ولولا ذلك لاستخلفته وأخي محمد فأقره على الجزيرة ولا تعزله.»

وانظر إلى أخي محمد فأمره على الجزيرة ولا تعز له عنها.
وانظر إلى ابن عمنا علي بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته⁽¹⁾ ونصيحته، وله نسب وحق
فصل رحمه واعرف حقه.
⁽²⁾ وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه، فإنه هو الذي مهد لك البلاد، وقهر الأعداء
وخلص لكم الملك، وشتت الخوارج.
وأثمك وإخوتك عن الفرقة، وكونوا أولاد أم واحدة.
وكونوا في الحرب أحرارا، وللمعروف منارا، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها، وإن المعروف
يشيد ذكر صاحبه، ويميل القلوب بالمحبة، ويذل الألسنة بالذكر الجميل، والله در القائل:
إن الأمور إذا اجتمعن فرامها *** بالكسر ذو حنق وبطش باليد
عزت فلم تكسر وإن هي بُددت *** فالكسر والتوهين للمتبدد
ثم قال: إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك فمن أبي فالسيف، وعليك بالإحسان إلى أخواتك
فأكرمهن وأحبهن إلي فاطمة- وكان قد أعطاها قرطي مارية والدرة اليتيمة - ثم قال: اللهم
احفظني فيها»⁽³⁾.

رواية أخرى

-رقم: 13 و-

قال ابن قتيبة: وذكروا أن عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة، جمع بنيه وقال لهم:
«اتقوا الله ربكم، وأصلحوا ذات بينكم، وليجل صغيركم كبيركم، وكبيركم صغيركم.

(1)- عند سبط بن الجوزي: « وله نسب وحق وفضل، فاعرف حقه وقدره، وأحسن صحبته وجواره ».

(2)- عند سبط بن الجوزي: « واحفظ الحجاج فإنه هو الذي وطأ لنا البلاد، وذل لنا العباد، وهو سيفك ويدك على من
ناوأك، ولا تسمعن فيه قول قائل، وخذ سيفي هذا، فبه قتلت عمرا، وخذ الناس بالبيعة، فمن قال برأسه كذا فقل
بسيفك كذا. ثم تمثل بقول عدي بن زيد العبادي: [من الوافر]

فهل من خالد إما هلكنا *** وهل بالموت يالللناس عار

يا وليد، ليس بين السلطان وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزم أو تأن، يا وليد، كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح
له إلا من كان له سيف مسلول، ومال مبدول، وعدل تطمئن إليه النفس، وصدق تميل إليه القلوب». وهذا ما
خلت منه بقية الروايات، ومن ثم يبقى موضع شك.

(3)- ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص393؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج9، ص394-395، وروايته
هذه دون سند.

انظروا أحاكم مسلمة، فاستوصوا به خيراً، فإنه شيخكم ومجنكم الذي به تستنجنون، وسيفكم الذي به تضربون، أوصيكم به خيراً.

وانظروا إلى ابن عمكم عمر بن عبد العزيز فاصدروا عن رأيه، ولا تخلوا عن مشورته؛ اتخذوه صاحباً لا تجفوه، ووزيراً لا تعصوه، فإنه من علمتم فضله ودينه، وذكاء عقله، فاستعينوا به على كل مهمم، وشاوروه في كل حادث.

قال: ثم دخل عليه خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فقال لهما أتجان أن أسألكما بيعة الوليد وسليمان فقالا يا أمير المؤمنين معاذ الله من ذلك.

قال: فأوماً بيده إلى مصلى كان مضطجعا عليه فأخرج من تحته سيفاً مصلتا.

فقال لهما: والله لو قتلتما غير ذلك لضربت أعناقكما بهذا السيف ثم خرجا من عنده ودخل عليه عمر بن عبد العزيز، فقال عبد الملك:

يا أبا حفص استوص خيراً بأخويك الوليد وسليمان إن زلا فشلهما وإن مالا فأقمهما وإن غفلا فذكرهما وإن ناما فأيقظهما وقد أوصيتهما بك وعهدت إليهما أن لا يقطعاً شيئاً دونك.

فقال عمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين! أوصيتهما بكتاب الله فليقيماه في عباده وبلاده وسنة رسول الله ﷺ فليحييها ويحملا الناس عليها.

فقال عبد الملك قد فعلت⁽¹⁾ وولي فيكم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

ثم قال: وقد علمت يا عمر مكان فاطمة مني ومحلها من قلبي وإني آثرك بما على جميع آل مروان لفضلك وورعك، فكن عند ظني بك ورجائي فيك وقد علمت أنك غير مقصر ولا مضيع

حقها ولكن الله قد قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين، قوموا عصمكم الله وكفاكم ثم خرجوا من عنده

قال: ثم دعا عبد الملك بالوليد وسليمان فدخلا عليه، فقال للوليد اسمع يا وليد قد حضر الوداع وذهب الخداع وحل القضاء.

قال: فبكى الوليد.

فقال له عبد الملك: لا تعصر عينيك علي كما تعصر الأمة الوكساء، إذا أنا مت فاغسلني وكفني وصل علي وأسلمني إلى عمر بن عبد العزيز يدليني في حفرتي وأخرج أنت إلى الناس والبس لهم جلد نمر، واقعد على المنبر وادع الناس إلى بيعتك فمن مال بوجهه عنك كذا، فقل له بالسيف

(1) - هذا ما لم يأت في روايات الوصايا. ولو ذكرها لذكرها الرواة.

كذا، وتنكر للصديق والقريب، واسمح للبعيد، وأوصيك بالحجاج خيرا، فإنه هو الذي وطأ لكم المناير وكفاكم تقحم تلك الجرائم»⁽¹⁾.

الحقيقة أن انفراد صاحب الإمامة بما جاء في هذه الوصية بهذه الصيغة خاصة آخرها الذي يبقى محل نظر خاصة ما تعلق بكتاب الله، لكن ما تعلق بعمر فيه بعض الصواب ويفسره موقف كل من الوليد وسليمان من بعد من عمر اللذان اتخذاه ناصحا ومشيرا لهما، فالوليد ولاه على الحجاز لنجابهته وفطنته، وهو مرضي عند أهلها الذين عرفوه أيام دراسته بما بحسن السيرة والاستقامة وسداد الرأي، ثم قربه إليه بعض عزله بتدبير من الحجاج، ثم استخلصه سليمان من بعده لنفسه وقربه إليه فكان كالوزير له يأخذ بكثير مما يشير به عليه⁽²⁾.

تلك هي وصية عبد الملك بن مروان برواياتها التي رأينا أنها تكمل بعضها بعضا، ويوضح ما ماجاء في بعضها الآخر، رغم اختلاف صيغها في ذكر ترتيب الأحداث، و نعتقد أن الأمر راجع إلى الرواة بالدرجة الأولى الذين لم يكونوا من الفطنة بمكان حتى يذكروا ترتيبها، في حين نعتقد أن بعضهم حور في الوصية بما يتلاءم ودوقه ولم يقفوا معها موقف النقلة الأمراء.

والأمر الآخر الذي ينبغي أن نشير إليه بشيء من التحفظ أنه يمكن أن يكون الخليفة قد كرر ما أوصى به وفي زمن قصير، مما أدى إلى هذا الاضطراب في الرواية، خاصة ما شأها من أخطاء منها ذكر خالد بن أسيد، وولاية عمر الذي لم يتول إطلاقا على ولاية من الولايات زمن عبد الملك.

توفي عبد الملك في منتصف شوال من سنة 86 هـ⁽³⁾، وقد أكد في وصيته على ضرورة تماسك أبنائه وتعاضدهم من بعده، حفاظا على ما حققه من إنجازات في عهده، إلا أن أبرز مؤشر في هذه الوصية هو إدراكه أن ولي العهد ما إن يتسلم الخلافة فإنه يميل إلى أولاده ويفضلهم ويجفوا إخوته، كما فعل هو وأسلافه من قبله، وهذا ما حدث واستمر من بعده⁽⁴⁾.

وقد أكد عبد الملك في وصيته لأولاده على ولده مسلمة؛ إذ لم يكن لعبد الملك ابن أرشد رأيا، ولا أدكى عقلا، ولا أشجع قلبا، ولا أسمح نفسا، ولا أسخى كفا من مسلمة⁽⁵⁾؛ إذ أثبتت الوقائع

(1) - الإمامة والسياسة، ج2، ص224-225. ط. دار الكتب العلمية

(2) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج1، ص63.

(3) - تاريخ خليفة، ص291.

(4) - عبد الستار: وصايا الخلفاء في العصر الأموي، ص139.

(5) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج7، ص143.

والأحداث بأنه فارس بنى أمية وسيفها الضارب، ومنقذها عند الملمات⁽¹⁾، قال ابن كثير عنه: «كانت لمسلمة مواقف مشهورة ومساع مشكورة، وغزوات متتالية ومنثورة، وقد افتتح حصونا وقلاعاً، وأحيا بعزمه وحزمه قصورا وبقاعاً»⁽²⁾، وقال عنه الذهبي: «كان أولى بالخلافة من سائر إخوته»⁽³⁾، لأنه ابن أمة وبنوا أمية لم يكونوا يولون الخلافة أبناء الإمام.

وعلى الرغم من كل ميزاته وصفاته إلا أنه لم يول الخلافة لأنه ابن أمة، والأمويون لم يكونوا يولون أبناء الإمام حتى هذه المدة⁽⁴⁾.

ولم ينسى عبد الملك أن يوصي ولي عهده الوليد بالحجاج بن يوسف الثقفي، الذي تولى العراق في أخرج أوقاته، وفرض سلطة الخلافة عليه، وقمع الكثير من الثورات ووضع حدا للطامعين في الخلافة، وأرسى أسسها في العراق والمشرق والحجاز⁽⁵⁾، فأوصى عبد الملك بالحجاج لأنه كان لا يجهد مكانته وفضله على الدولة فكان يقول: «إن الحجاج جلدة ما بين عيني، لا وإن الحجاج جلدة وجهي كله»⁽⁶⁾.

وقد بقي الحجاج واليا على العراق وسائر بلاد المشرق، فلم تغير وفاة عبد الملك شيئا من سياسته والخطة التي رسمها لنفسه، وكذلك لم يحد الوليد عن وصية أبيه في الحجاج، حتى أنه لما توفي الحجاج سنة 95هـ، حزن عليه، حتى أنه جلس يتلقى التعازي عنه، وكأنه من آل البيت المرواني⁽⁷⁾. هذا وقد حدث أن سمع يزيد بن عبد الملك ما يبغضه من أخيه هشام، فأراد أن يذكره بوصية أبيه فكتب إليه: «نحن مغتفرون ما كان منك، ومكذبون ما بلغنا عنك، فاحفظ وصية عبد الملك إيانا، وقوله لنا في ترك التباغي والتخاذل، وما أمر به وحض عليه من صلاح ذات البين واجتماع الأهواء، فهو خير لك»⁽⁸⁾.

ولكن هل عمل أبنائه بما جاء في وصيته؟

(1) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج7، ص468 وما بعدها.

(2) - البداية والنهاية، ج13، ص103.

(3) - سير أعلام النبلاء، ج5، ص241 وما بعدها.

(4) - عبد الستار: وصايا الخلفاء في العصر الأموي، ص138.

(5) - المرجع نفسه، ص139.

(6) - البلاذري: أنساب، ج13، ص385.

(7) - ابن عبد الحكم: سيرة عمر، ص28؛ تاريخ خليفة، ص307.

(8) - المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص202.

إذا ما تتبعنا علاقتهم ببعض البعض نجدها علاقة متينة، فهذا سليمان يحذر من الاختلاف لأخوته عندما أوصى بالخلافة لعمر بن عبد العزيز، لإدراكه خطر الفرقة والاختلاف على مستقبل حكمهم، إلى أن تولى هشام بن عبد الملك الذي ساءت سيرته الوليد بن يزيد بن عبد الملك التي ساهمت الأباطيل في ترويجها، الذي كان ولي عهده، باختيار والده له من بعد هشام، فحاول عزله وتولية ابنه مسلمة بن هشام، فحقد عليه الوليد، فكانت النتيجة ولأسباب أخرى ليس هنا محل ذكرها، أن تولى الوليد بن يزيد الخلافة سنة 125هـ، فتخلص منه ابن عمه يزيد بن الوليد بقتله سنة 126هـ ولم يرع في ذلك عاقبة ما فعل فأنحدرت نظامهم بسرعة إلى الهاوية في ست سنين كانت كافية لأن يداول الله بينهم وبين بني العباس.

3- وصية سليمان بن عبد الملك بولاية العهد لعمر بن عبد العزيز

وصية سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز بولاية العهد

-رقم: 14-

كتاب سليمان بن عبد الملك بالعهد لعمر بن عبد العزيز، وقد تطرق الدكتور محمد فرقاني لهذا العهد معالجا مختلف رواياته نقدا وتحقيقا بما لا يدع مجالاً للإضافة⁽¹⁾، لذلك نكتفي بما ذكره مقتصرين على أهم أحداث الكتاب.

عندما أخذ الخليفة عبد الملك البيعة للوليد ولياً للعهد ومن بعده سليمان أخذ عليهما العهد أن يعهد آخرهما بالخلافة لمن بقي حياً من ابني عاتكة بنت يزيد بن معاوية: مروان أو يزيد فتوفي الأول سنة 98هـ، فخالف سليمان وصية والده، وبايع لابنه أيوب بولاية العهد⁽²⁾، ولكن القدر عاجله فتوفي في السنة السابقة الذكر، عندها بقيت ولاية العهد شاغرة.

وفي هذا الظرف يجرد سليمان حملة عسكرية برية وبحرية على القسطنطينية سنة 98هـ بعد أن اتخذ من دابق قرب حلب معسكراً له ليسهل عليه إمداد المقاتلين بما يحتاجون إليه، وأقسم أن لا يرفع عنها الحصار حتى يفتحها، ولكنه مرض وهو مرابط هناك، فلما اشتد عليه المرض كتب كتاباً أوصى فيه بالخلافة لأحد أبنائه لم يبلغ الحلم بعد.

لكن رجاء بن حيوة أثناء عن ذلك بقوله له: «إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح»⁽³⁾.

(1) - رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 176-184.

(2) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 531-533؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 22، ص 186.

(3) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 550.

وبعد عدة محاولات وبطريقة ذكية استطاع رجاء بن حيوة أن يقنع سليمان أن يعهد لعمر بن عبد العزيز، وصادف ذلك ارتياحا عند سليمان وخاصة أن عمر بن عبد العزيز كانت له يد فضل عليه، بعد أن أثنى الوليد بن عبد الملك عن فكرة تعيين ابنه وليا للعهد بعده بدل سليمان⁽¹⁾، إلا أن سليمان كان مترددا في هذا القرار، وهذا التردد في موقفه كان له ما يبرره إذ قال لرجاء: «والله لئن وليته ولم أول أحدا من ولد عبد الملك لتكونن فتنة ولا يتركونه يلي عليهم، إلا أن أجعل أحدهم بعده...»⁽²⁾، فاقترح على رجاء أن يجعل يزيد بعده حتى يُسكتهم ويرضون بالتالي بعمر، فأيده رجاء في ذلك، وبذلك تجاوز سليمان هذه العقبة وذل هذه الصعوبة.

ثم دعا بقرطاس، فكتب فيه العهد: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني وليته الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيكم»⁽³⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 14أ-

في حين جاءت الوصية عند ابن عساكر⁽⁴⁾ من طريق محمد بن سعيد مولى سليمان، ولكن باختلاف قليل نصها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

من عبد الله سليمان أمير المؤمنين إلى أمة محمد -ﷺ- فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد.

فإني قد استخلف عليكم من بعدي عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك

(1) - الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 1، ص 606.

(2) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 550.

(3) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 258؛ البلاذري: أنساب، ج 8، ص 101، 126؛ الطبري: تاريخ، ج 6، ص 551؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 45، ص 163؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ص 60؛ ابن الأثير: الكامل، ج 4، ص 152؛ تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 301؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 12، ص 651؛ تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 74؛ نقلا عن محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 181.

(4) - ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 2، ص 186 وما بعدها.

فاسمعوا لهما وأطيعوا، وأحسنوا مؤازرتكما، فإني لم ألكم ونفسي نُصْحَةً، والسلام عليكم ورحمة الله»⁽¹⁾.

وقد رجح الدكتور مُجَّد فرقاني ما جاء في نص الرواية السابقة، لما جاء فيها من تحذير من الفرقة التي كان سليمان يتمنى ألا تقع بين أفراد البيت الحاكم برفضهم استخلاف عمر⁽²⁾.

وبذلك يكون رجاء قد حقق هدفه الذي رسمه مع سليمان في سرية تامة، مستغلا فترة فراغ منصب ولاية العهد بعد موت أيوب بن سليمان، وكذا ميل هذا الأخير إلى أن يختم حياته باستخلاف خير أهل بيته، فحقق بما دبر انقلابا جذريا بالغ الشأن في حياة الأمة الإسلامية.

يقول رجاء بن حيوة متحدثا عما قام به بعد ذلك: «فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أبي أحكمت الأمر قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات»⁽³⁾، ففوجئوا بالنبأ، فاسترجعوا، ثم فتح الكتاب فاشرأبت الأعناق وشخصت الأبصار، وتسارعت الأنفاس من المسلمين الذين كان يغص بهم مسجد دابق، خاصة أبناء عبد الملك الذين لا يرغبون إلا في سماع اسم الخليفة الجديد، فلما بلغ رجاء بالقراءة إلى ذكر عمر بن عبد العزيز انهارت معنوياتهم، وخارت قواهم وبهتوا مرة أخرى، إلا ما كان من هشام بن عبد الملك الذي لم يتحكم في نفسه فصرخ: «لا نبايعه أبدا!»، فهدده رجاء بضرب عنقه، إن لم يفعل ثم واصل القراءة فإذا يزيد بن عبد الملك من بعده فهدأت أصواتهم وتراخت أعصابهم وقواهم⁽⁴⁾.

4- وصية عمر بن عبد العزيز حين قرب أجله ليزيد بن عبد الملك بالأمة خيرا

وصية الخليفة عمر بن عبد العزيز ليزيد بالأمة خيرا

-رقم: 15-

لم يكن الخليفة عمر يملك من أمر النظر في مستقبل منصب ولاية العهد شيئا، ذلك أن الخليفة سليمان كان قد قرر مصيرها في حياته، وقد عرفنا من قبل كيف كانت بيعته مشروطة بجعل يزيد من بعده وليا للعهد ليقبلوا به خليفة عليهم.

(1) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 21، ص 338؛ ج 53، ص 99؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 22، ص

(2) - رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 182.

(3) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 260؛ تاريخ الطبري، ج 6، ص 552.

(4) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 260؛ تاريخ الطبري، ج 6، ص 552؛ مُجَّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز،

ولكن بالرغم من كل هذا فقد كان يحس بتأنيب الضمير كلما تذكر ذلك، لما كان يعرف أن الخلافة ستصير إلى رجل غير مأمون، بل كان يتمنى أن لو كان يملك من أمر مصير ولاية العهد شيئاً قليلاً لا يختار للأمة غيره من أصلح الرجال وأعلامهم كفاءة وأشدهم مقدرة فولاه، فاختيار غير يزيد يعني إسقاط شرعية خلافته، لأنه كان يدرك أنه ببيع لهما في عقدة واحدة.

ولكن لما ألم به المرض أدرك الرجال المقربون إليه ما يشغل باله، فاقترحوا عليه أن يكتب إلى يزيد يوصيه بالأمة خيراً، ويخوفه عقاب الله. يقول ابن عبد الحكم: فقال: «والله إني لأعلم أنه من بني عبد الملك. فقال له رجاء بن حيوة: يكون حجة عليه وعُدراً لك عند الله، فأمر كاتبه أن يكتب إليه فأملى عليه:

أما بعد. يا يزيد! فاتق الصرعة عند الغفلة، فلا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة، وتترك ما تترك لمن لا يحمذك، وتنقلب إلى من لا يعذرك، والسلام»⁽¹⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 15أ-

وعن عيسى بن يزيد قال: «ما احتضر عمر بن عبد العزيز قيل له: أكتب إلى يزيد وأوصه بالأمة. قال: وبماذا أوصيه؟! إني لأعلم أنه من بني مروان!»⁽²⁾ ثم كتب إليه: أما بعد. فاتق الله [يا يزيد]!⁽³⁾ واتق الصرعة بعد الغفلة،⁽⁴⁾ فلا تُقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة، [إنك] تترك ما تترك لمن لا يحمذك، وتصير إلى من لا يعذرك، والسلام»⁽⁵⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 15ب-

أما سليمان بن موسى فقال: أنه لما حضر عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن عبد الملك:

(1) - سيرة عمر، ص 106-107.

(2) - عند ابن الأثير وابن خلدون، وابن تغري بردي: «إنه من بني عبد الملك».

(3) - ابن الأثير، ابن خلدون: «فاتق يا يزيد»، وما أثبت من عندهما.

(4) - عند البلاذري وابن الأثير، ابن خلدون «حين لاتقال».

(5) - المبرد: النعازي، ص 149، البلاذري: أنساب، ج 8، ص 201؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 165-

166؛ تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 76؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 1، ص 238-239، وليس

لرواياتهم سند.

«أما بعد. فإياك أن تُدركك الصرعة عند العِزَّة، فلا تُقال العثرة، ولا تُمكن من الرجعة، ولا يحمذك من خَلَّفَت، ولا يعذرك من تقدم عليه، والسلام»⁽¹⁾.

وصية أخرى له إلى يزيد في هذا الشأن

-رقم: 15 ج-

في حين قال سالم بن بشير⁽²⁾: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن عبد الملك حين حضره الموت:

«سلام عليك، أما بعد، فإني لا⁽³⁾ أراي إلا لَمَّا بي، ولا أرى الأمر إلا سيفضي إليك، والله الله في أمة مُحَمَّد النبي ﷺ⁽⁴⁾، فتدع الدنيا لمن لا يحمذك، وتفضي إلى من لا يعذرك، والسلام عليك»⁽⁵⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 15 د-

وقال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: «أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن عبد الملك: إياك أن تدركك الصرعة عند العِزَّة، فلا تُقال العثرة، ولا تُمكن من الرجعة، ولا يحمذك من خلفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه⁽⁶⁾ بما اشتغلت به، والسلام»⁽⁷⁾.

(1) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 317.

(2) - عند الذهبي وابن عساكر: «سليم بن بشير»، وهو في مصادر أخرى سالم بن بشير، وسليم بن بشير، وسلم بن بشير. وقال عنه ابن حجر العسقلاني: «سالم بن بشير... قلت هذا غلط نشأ عن تحريف وإنما هو سلم بسكون اللام بعدها ميم» وذكره تحت اسم: سلم. تعجيل المنفعة، ج 1، ص 564. رقم: 356، ص 597، رقم: 397. وانظر بقية مصادر علم الرجال.

(3) - الذهبي: «لا أرى إلا ملما بي، الله الله».

(4) - الذهبي: «فإنك تدع»؛ ابن كثير: «فإنك عما قليل ميت فتدع».

(5) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 314؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 65، ص 306؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13، ص 14، وليس لروايته سند؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 7، ص 280.

(6) - نهاية رواية الأزدي.

(7) - ابن المبارك: الزهد، ص 6، رقم: 16؛ الآجروني: أخبار أبي حفص، ص 84؛ البيهقي: الزهد الكبير، ج 2، ص 203، رقم 507، وجاءت عنده بأنه قد كتب بما إلى عدي بن أرطاة، والأمر على غير ذلك، بل هي ليزيد؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 65، ص 305؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 16، ص 290-291؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص 19؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ص 318.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 15هـ-

قال يزيد بن جابر: « كتب عمر حين حضرته الوفاة إلى يزيد بن عبد الملك: أما بعد. فإني كتبت إليك كتابي وأنا ذَنْفٌ من وجعي، وقد علمت أي مسئول عما وُلِيت، يحاسبني الله ملك الدنيا والآخرة، يقول: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقْضُنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾⁽¹⁾، وإني مشفق مما أقدم عليه لأدري على ما أطلع؟! فإن تجاوز الرحيم عني فقد أفلحت، ونجوت من القول [كذا] الطويل، وإن سخط، فيا ويح نفسي! إلى ما تصير؟! أسأل الله الذي لا إله إلا هو رضوانه والجنة، وأعود به من سخطه والنار.

فعليك فيما وليت بتقوى الله، فإنك قد وليت أمر الرعية، فالله الله في الرعية! ثم الله الله في الرعية! فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً»⁽²⁾.

رواية أخرى لوصيته

-رقم: 15و-

وجاء نص هذه الوصية عند أبي نعيم ومن وافقه في روايته بأطول مما سبق من روايات، فعن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: إن عمر كتب إلى ولي العهد من بعده:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد. فإني كتبت إليك وأنا ذَنْفٌ من وجعي، وقد علمت أي مسئول عما وُلِيت، يحاسبني عليه ملك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئاً، يقول فيما يقول: ﴿ فَلَنَقْضُنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾⁽³⁾، فإن يرضى عني الرحيم، فقد أفلحت، ونجوت من الهوان الطويل، وإن سخط علي، فيا ويح نفسي إلى ما أصير إليه?!.

(1) - الأعراف: الآية: 6-7.

(2) - تاريخ الخلفاء المجهول، ص 373-374.

(3) - الأعراف: الآية: 7.

(4) - بداية نصي كل من أبي نعيم، وابن الجوزي المختصرين: « وأنا مشفق مما وليت، لا أدري على ما أطلع، فإن يعف عني فهو العفو الغفور، وإن يؤخذني بذنبي فيا ويح نفسي إلى ماذا تصير؟!... » وينتهيان.

أسأل الله الذي لا إله إلا هو- أن يجيرني من النار برحمته، وأن يمن علي برضوانه والجنة- فعليك بتقوى الله، والرعية الرعية، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً حتى تلحق باللطيف الخبير، والسلام»⁽¹⁾.

تلك هي روايات هذه الوصية الهامة من أمير المؤمنين عمر-رحمه الله- إلى ولي عهده يزيد، يذكره بالمصير الذي ينتظره بعد الموت، إن جار في حكمه، ذلك أن أمير المؤمنين يعرفه تمام المعرفة، إذ هو لم يقبل على استكمال فضائل نفسه، ومن ثم خشي أن تذهب إنجازاته أدرج الرياح، ولذلك أوصاه بما أوصاه به، عله يوقظ في نفسه الشعور بضخامة المسؤولية ورهبتها التي تنتظره. الحقيقة أن المسلمين شقوا أثناء فترة حكمه شقاوة ما بعدها شقاوة، بالقدر نفسه الذي سعدت به جماهير المسلمين في عهد عمر.

ولكن الشيء المؤسف! أن هذه الوصية لم تجد آذاناً صاغية من يزيد بن عبد الملك الذي كان لا يملك سياسة واضحة ومن ثم رؤية شاملة للواقع بجميع أبعاده في الداخل والخارج، وإدراك عميق بمقتضيات المرحلة التي تمر بها الدولة، وقد حصل له هذا نتيجة لعدم درايته دراية كافية بمبادئ الإسلام في المجتمع والاقتصاد، والتربية والتوجيه، والدعوة إلى الله تبليغاً باللسان وجهاداً بالسنان، ومن ثم لم يعمل على حماية تلك الإنجازات العظيمة التي حققها أمير المؤمنين لصالح الإسلام والمسلمين، فما بالك بتوسيعها وتعميقها، فانتكست التجربة نتيجة لذلك، تقول بعض الروايات أنه حاول أن يسير بسيرة عمر، فاستمر على ذلك فترة، ثم غلب طبعه على تطبعه فانقلب إلى الضد من ذلك⁽²⁾. إلا أن ذلك حصل منه- في نظرنا- بعد أن لامه مسلمة بن عبد الملك على إقباله على اللهو، وظلم أعوانه للناس، قال له: «إنما مات عمر أمس! وقد كان من عدله ما قد علمت! فينبغي أن تظهر للناس العدل، وترفض هذا اللهو! فقد اقتدى بك عمالك في سائر أفعالك وسيرتك»⁽³⁾.

(1) - حلية الأولياء، ج 5، ص 274-275؛ الرواية الثانية له، ج 5، ص 275، وروايتها: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر؛ القزويني: التدوين في أخبار قزوين، ج 2، ص 90؛ تاريخ الخلفاء المجهول، ص 373-374، والراوي لنصه هو نفسه الراوي للنص الثاني لأبي نعيم، وإن كان جاء تحت اسم: يزيد بن جابر؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ص 317-318؛ النص الثاني المختصر: ص 318، وهو يطابق النص الثاني لأبي نعيم المختصر أيضاً.

(2) - البلاذري، أنساب، ج 8، ص 262؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 7، ص 279-281؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9، ص 232.

(3) - المسعودي: مروج الذهب، ج 3، ص 197.

فأظهر الندم، وبقي مدة يحاول التشبه بعمر، ولكن قرناء السوء ومَحْظِيَّتِيهِ: حباة وسلامة، ومن جعلهما وسيلة لتحقيق أطماعهم، صرفوه عن التأسى به، مزينين له الإقبال على اللهو الذي كانا أيضا أحد أسباب سقوط الدولة.

5- وصية مروان بن مُحمَّد لابنه عبد الله

وصية مروان بن مُحمَّد لابنه عبد الله لما أرسله

لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي

-رقم: 16-

إن معركة الخوارج في فترة خلافة مروان بن مُحمَّد كانت قوية جدا، وكان رجالهم أكثر عددا خلافا للفترات السابقة في أول عهد الدولة الأموية، حيث كانوا يكتفون بالمناوشات والمعارك الصغيرة في حروبهم مع أعدائهم، وحين كانوا مطبوعين بطابع التعصب الشديد لعقيدتهم وآرائهم، وحين كانوا لا يقبلون في صفوفهم إلا من آمن بما كانوا يؤمنون به، ومن ناحية أخرى لم تشكل حركتهم في أيامها الأولى تهديد لكيان الدولة الأموية، وذلك لأن هدفهم كان يومئذ خلاص أنفسهم، وتطهيرها من مفسد الدنيا، أما في عهد مروان فقد تبدل موقفهم وكثر عددهم بمن انضم إليهم من مختلف الطبقات، ولم تعد حركتهم تقتصر على المؤمنين الصادقين في إيمانهم، بل أصبحت حركة سياسية أكثر منها دينية، وبالتالي غدت مستعدة لأن تقبل في صفوفها كل من أراد حرب بني أمية حتى وإن كان لا يؤمن بما آمنوا به⁽¹⁾.

بدأ الخوارج حركتهم الجديدة في الجزيرة الفراتية موطن مروان، وكان دعواتها من أبناء ربيعة المقيمين في شمال الجزيرة، ومن ربيعة بنو شيبان وهم الذين رفعوا من شأن الخوارج، وصاروا دعواتهم وعماد حركتهم منذ أيام شيبان الخارجي، الذي تغلب عليه الحجاج سنة 78هـ، فلما قُتل الوليد الثاني خرج في الجزيرة رجل من الخوارج من بني شيبان، اسمه سعيد بن بحدل الشيباني، وقد باعته الناس خليفة سنة 126هـ، فتوجه نحو العراق، لما بلغه من تشتت الأمر بها، واختلاف أهل الشام وقتال بعضهم بعضا⁽²⁾.

وفي طريقه إلى الكوفة أصابه طاعون ومات فتولى الأمر بعده الضحاك بن قيس الشيباني، ثم انضم إليه جماعات أخرى من خوارج أرمينية وأذربيجان، سار بهم جميعا نحو الكوفة، وكان بالكوفة يومئذ النضر بن سعيد الحرشي ومعه المضريين، وبالخيرة عبد الله بن عمر ومعه اليمانية، وبين الفريقين يومئذ حزازات يقتتلون من أجلها، فلما دنا منهم الضحاك اصطلحا واتفقا على قتال الضحاك، فهزمهما الخوارج شر هزيمة فلحق الحرشي بمروان وذهب ابن عمر إلى واسط، فلحقه الضحاك بجيشه وحاصره

(1) - نبيه عاقل: تاريخ خلافة بني أمية، ص 367.

(2) - تاريخ خليفة، ص 371-372.

بواسطة سنة 127هـ، وكان جيش الضحاك كبير العدد فاضطر ابن عمر أن يخرج إلى الضحاك ويطلب الأمان ويبيعه بالخلافة، وأقر بأنه كان على ضلال وأنه خالف الإسلام وكفر⁽¹⁾، وقد قال أحد الشعراء في بيعته هذه ساخرا:

ألم تر أن الله أظهر دينه *** فصلت قريش خلف بكر بن وائل⁽²⁾

وعاد الضحاك إلى الكوفة وما لبث فيها إلا قليلا حتى غادرها إلى الجزيرة، ليستعد لملاقات مروان وجيشه بعد أن فرغ من الشام، واستولى على الموصل وطرد منها عمال مروان، وأتاه الناس من كل وجه سيما بعد أن زاد عطاء رجاله، فبلغ عددهم 120 ألفا، وأصبح جيشه يضم رجالا من الكلبية كما انضم إليه سليمان بن هشام مع فرقة الذكوانية، وكان مروان في هذا الوقت ما يزال محاصرا حمص، فلم يرغب في تركها، وطلب من ابنه عبد الله الذي كان بحران أن يتقدم إلى نصيبين ويحارب الضحاك، ويجول دون تقدمه غربا⁽³⁾، وزوده بوصية هامة متعددة الأغراض والمضامين، فرأيت وضعها في هذا الفصل لغلبة الجانب العسكري والسياسي الذي طغى عليها. قال القلقشندي: كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب⁽⁴⁾، عن مروان بن محمد لبعض من ولاة⁽⁵⁾

(1) - تاريخ خليفة، ص 376، تاريخ الطبري، ج 7، ص 316-320.

(2) - تاريخ خليفة، ص 378.

(3) - تاريخ الطبري، ج 7، ص 345-346.

(4) - عبد الحميد بن يحيى: بن سعد أبو يحيى الأنباري، أصله من قيسارية، تتلمذ على صالح بن عبد الرحمن وسالم مولى هشام بن عبد الملك المعروف بالكاتب، عالم بالأدب من أئمة الكتاب، يضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون، سكن الشام واختص بمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في المشرق، وكان يعقوب بن داود وزير المهدي يكتب بين يديه وعليه تخرج، ولما قوي أمر العباسيين وشعر مروان بزوال ملكه، قال لعبد الحميد: «قد احتجت أن تصير إلى عدوي، وتظهر الغدر بي، وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك ستحوجهم إلى حسن الظن بك». فأبى عبد الحميد مفارقتة، وبقي معه إلى أن قتل معا في بوسير بمصر سنة 132 هـ. الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص 72 وما بعدها، ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج 3، ص 228-230، الذهبي: سير أعلام

النبلاء، ج 5، ص 462؛ الزركلي: الأعلام، ج 3، ص 289-290

(5) - قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في كتابه المنشور والمنظوم وهو غير محقق - فيما أعلم لحد الآن - : «ومن الرسائل المفردات رسالة عبد الحميد بن يحيى إلى عبد الله بن مروان حين وجه لمحاربة الضحاك الخارجي في تعبئة الحروب فإنه يقال أنها لا مثل لها في معناها»، وسنعمد نصه في المقارنة مع ما جاء عند القلقشندي، نقلا عن محمد كرد علي

:رسائل البلغاء، ج 1، ص 66.

«- [الهدف مما أوصاه به] ⁽¹⁾: أما بعد، فإنَّ أمير المؤمنين - عندما اعتزم عليه من توجيهك إلى عدوِّ الله الجلف الجافي الأعرايِّ، المتسكِّع في حيرة الجهالة، وظلم الفتنة، ومهاوي الهلكة، ورعاعه الذين عاثوا في أرض الله فساداً، وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافاً، وبدلوا نعمة الله كفراً، واستحلوا دماء أهل سلمه جهلاً - أحبَّ أن يعهد إليك في لطائف أمورك، وعوامِّ شؤونك، ودخائل أحوالك، ومصطرف ⁽²⁾ تنقلك عهداً يحمِّلك فيه أدبه، ويشرع لك به عظته، وإن كنت بحمد الله من دين الله وخلافته بحيث اصطنعك الله لولاية العهد مختصاً لك بذلك دون لحمتك وبني أبيك. ولولا ما أمر الله تعالى به، دالاً عليه، وتقدّمت فيه الحكماء آمريين به: من تقديم العظة، والتذكير لأهل المعرفة وإن كانوا أولي سابقة في الفضل وخصيصة ⁽³⁾ في العلم، لاعتمد أمير المؤمنين على اصطناع الله إياك، وتفضيله لك بما رآك أهله في محلِّك من أمير المؤمنين، وسبقك إلى رغائب أخلاقه، وانتزاعك محمود شيمه، واستيلائك على مشابه تدييره، ولو كان المؤدّبون أخذوا العلم من عند أنفسهم، أو لقنوه إلهاماً من تلقائهم ولم نُصبهم تعلّموا شيئاً من غيرهم، لنحلناهم علم الغيب، ووضعناهم بمنزلة قصر بما عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته في فردانيته وسابق لاهوتيته، احتجاجاً منهم لتعقّب في حكمه، وتثبت في سلطانه وتنفيذ إرادته، على سابق مشيئته، ولكنّ العالم الموقّق للخير، المخصوص بالفضل، الخبُّ بمزية العلم وصفوته، أدركه مُعاناً عليه بلطف بحثه، وإذلال كنفه، وصحة فهمه، وهجر سأمته ⁽⁴⁾.

وقد تقدّم أمير المؤمنين إليك، آخذاً بالحجّة عليك، مؤدّياً حقّ الله الواجب عليه في إرشادك وقضاء حقّك، وما ينظر به الوالد المعنيّ الشفيق لولده. وأمير المؤمنين يرجو أن ينزهك الله عن كل قبيح يهشّ له طمع، وأن يعصمك من كلّ مكروه حاق بأحدٍ، وأن يحصنك من كلّ آفة استولت على امرئ في دين أو خلق، وأن يبلغه فيك أحسن ما لم يزل يعودده ويريه من آثار نعمة الله عليك،

⁽¹⁾ - ما وضع بين الحاصرتين من محقق صبح الأعشى فتركناه لأهميته في تحديد محاور الوصية
⁽²⁾ - مصطرف: يُقال: فلان مُصطرفٌ ومحترفٌ، أي إذا كان مُحتالاً كسوباً. العسكري: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص 106.

⁽³⁾ - خصيصة: يقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد، قال السيوطي: أطبقت أئمة اللغة والعربية على أن خصيصة بألف القصر، وقد تمدّ شذوذاً فيقال: خصيصة، مصدر بمعنى الخصوصية، ويقال: خصه بالشيء خصوصاً وخصوصية وخصيصة وخصيصة في لغة وخاصة. ابن منظور: لسان العرب، ج 7، ص 24، مادة «خصص»؛ الحاوي للفتاوي، ج 2، ص 338.

⁽⁴⁾ - السامة: الملل والضجر. جمال الدين الكجراتي: مجمع بحار الأنوار، ج 3، ص 8، مادة «سأم».

سامية بك إلى ذروة الشرف، متبجحة بك بسطة الكرم، لائحة بك في أزهر معالي الأدب، مورثة لك أنفس ذخائر العز؛ والله يستخلف عليك أمير المؤمنين ويسأل حياطتك، وأن يعصمك من زيغ الهوى، ويحصرك داعي التوفيق، معانا على الإرشاد فيه، فإنه لا يعين على الخير ولا يوفق له إلا هو.

- [الحرص على الحكمة وإخلاص تقوى الله والشكر على نعمه]: اعلم أن للحكمة مسالك تُفضي مضائق أوائلها بمن أمها سالكا، وركب أخطارها قاصدا، إلى سعة عاقبتها، وأمن سرحها، وشرف عزها، وأنها لا تعار بسخف الخفة، ولا تنشأ بتفريط الغفلة، ولا يتعدى فيها بامريء حدّه؛ وربما أظهرت بسطة العي مستور العيب. وقد تلقّتك أخلاق الحكمة من كلّ جهة بفضلها، من غير تعب البحث في طلبها، ولا متناول لمناولة ذروتها؛ بل تأثّلت⁽¹⁾ منها أكرم نبعاتها، واستخلصت منها أعتق جواهرها؛ ثم سموت إلى لباب مصاصها⁽²⁾، وأحرزت منفس ذخائرها، فاقتعد ما أحرزت، ونافس فيما أصبت.

واعلم أن احتواءك على ذلك وسبقك إليه بإخلاص تقوى الله في جميع أمورك مؤثرا لها، وإضمار طاعته منطويا عليها، وإعظام ما أنعم الله به عليك شاكرا له، مرتبطا فيه للمزيد بحسن الحياطة له والذّب عنه من أن تدخلك منه سامة ملال، أو غفلة ضياع، أو سنة تهاون، أو جهالة معرفة: فإن ذلك أحق ما بدئ به ونظر فيه، معتمدا عليه بالقوة والآلة والعدة والانفراد به من الأصحاب والحامة⁽³⁾، فتمسك به لاجئا إليه، واعتمد عليه مؤثرا له، والتجئ إلى كنفه متحيزا إليه: فإنه أبلغ ما طلب به رضا الله، وأنجح مسأله، وأجزله ثوابا، وأعوّده نفعا، وأعمّه صلاحا؛ أرشدك الله لحظك، وفهّمك سداده، وأخذ بقلبك إلى محموده.

ثم اجعل لله، في كل صباح ينعم عليك ببلوغه، ويظهر منك السلامة في إشراقه، من نفسك، نصيبا يجعله له شكرا على إبلاغه إياك يومك ذلك بصحة جوارح وعافية بدن، وسبوغ نعم، وظهور كرامة. وأن تقرأ فيه من كتاب الله - تبارك وتعالى - جزءا تردّد رأيك في آيه، وترتل لفظك بقراءته، وتحضره عقلك ناظرا في مُحكمه، وتتفهّمه مفكرا في متشابهه: فإن في القرآن شفاء الصدور من

(1) - تأثّل: تأثّل فلان بعد حاجة أي اتخذ أكلة، والأثلة: الميرة. ابن منظور: لسان العرب، ج 11، ص 9، مادة «أثّل».

(2) - المصاص: خالص كل شيء. ومصاص الشيء ومصاصته ومصاصه: أخلصه. ابن منظور: لسان العرب، ج 7، ص 91، مادة «مصص».

(3) - الحامة: العامة، وهي أيضا خاصة الرجل من أهله وولده. يقال: كيف الحامة والعامة؟. ابن منظور: لسان العرب،

ج 12، ص 153، مادة «حمم».

أمراضها، وجلاء وساوس الشيطان وصعاصعه⁽¹⁾، وضيء معالم النور، تبيانا لكل شيء وهدي ورحمة لقوم يؤمنون⁽²⁾.

– [مجاهدة النفس والهوى والسبيل إلى ذلك]: ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك: فإنه مغلاق

الحسنات، ومفتاح السيئات، وخصم العقل، واعلم أن كل أهوائك لك عدو يحاول هلكتك، ويعترض غفلتك: لأنها خُدع إبليس، وخواتل مكره، ومصايد مكيدته، فاحذرنا مجانبنا لها، وتوقها محترسا منها، واستعد بالله عز وجل من شرها، وجاهدنا إذا تناصرت عليك بعزم صادق لا ونية⁽³⁾ فيه، وحزم نافذ لا مثنوية⁽⁴⁾ لرأيك بعد إصداره، وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه، ومضاعة صارمة لا أناة معها، ونية صحيحة لا خلجة شك فيها: فإن ذلك ظهري صدق لك على ردها عنك، وقمعها دون ما تتطلع إليه منك، فهي واقية لك سخطة ربك، داعية إليك رضا العامة عنك، ساترة عليك عيب من دونك، فازدن بها متحليا، وأصب بأخلاقك مواضعها الحميدة منها، وتوق عليها الآفة التي تقتطعك عن بلوغها، وتقصّر بك دون شأوها: فإن المؤونة إنما اشتدت مستصعبة، وفدحت باهظة أهل الطلب لأخلاق أهل الكرم المنتحلين سمو القدر، بجهالة مواضع ذميم الأخلاق ومحمودها، حتى فرط أهل التقصير في بعض أمورهم فدخلت عليهم الآفات من جهات أمنوها، فنسبوا إلى التفریط، ورَضُوا بَدَلَ المنزل، فأقاموا به جاهلين بموضع الفضل، عمهين⁽⁵⁾ عن درج الشرف، ساقطين دون منزلة أهل الحجا، فحاول بلوغ غاياتها محرزا لها بسبق الطلب إلى إصابة الموضع، محصنا أعمالك من العجب: فإنه رأس الهوى، وأول الغواية، ومقاد الهلكة؛ حارسا أخلاقك من الآفات المتصلة بمساوي الألقاب وذميم تنازها، من حيث أتت الغفلة، وانتشر الضياع، ودخل الوهن. فتوق غلوب الآفات على عقلك، فإن شواهد الحق ستظهر بأماراتها

(1) – الصَّعَصَعَةُ: التَّفْرِيقُ، صعاصع الشيطان : تفريقاته. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج1، ص737، مادة «صعصع».

(2) – هذا معن آية آية ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾. النحل: الآية 89.

(3) – الونية: يقال: افعل ذلك بلا ونية أي بلا توان. ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص416، مادة «وني».

(4) – مثنوية: لا ثنية ولا مثنوية ولا استثناء، كله واحد، وأصل هذا كله من الثني والكف والرد. ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص124، مادة «ثني».

(5) – عمه: عَمَهُ يَعْمُهُ عَمَهَا. فهو عَمَةٌ وهم عَمَهُونَ: إذا تَرَدُّوا فِي الضَّلَالَةِ. الفراهيدي: العين، ج1، ص110، مادة «عمه».

تصديق آرائك عند ذوي الحجا، وحال الرأي وفحص النظر، فاجتلب لنفسك محمود الذكر وباقي لسان الصّدق بالحدّز لما تقدّم إليك فيه أمير المؤمنين، متحرّزا من دخول الآفات عليك من حيث أمّنك وقلة ثقّتك بمحكّمها: من ذلك أن تملك أمورك بالقصد، وتداري جُنْدك بالإحسان، وتصون سرّك بالكتمان، وتداوي حقدك بالإنصاف، وتدلّل نفسك بالعدل، وتحصّن عيوبك بتقويم أودك⁽¹⁾، وتمنع عقلك من دخول الآفات عليه بالعجب المردي. وأنتك فوقّها الملّال وفوت العمل، ومضائتك فدرّعها رويّة النظر واكنفها بأناة الحلم، وخلوتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة، وصمتك فانف عنه عيّ اللفظ، وخف سوء القالة؛ واستماعك فأرعه حسن التفهّم، وقوه بإشهاد الفكر، وعطاءك فامهد له بيوتات الشرف وذوي الحسب، وتحزّز فيه من السرف واستطالة البذخ وامتنان الصنّيعه، وحياءك فامنع من الخجل، وبلادة الحصر⁽²⁾، وحلمك فرغّه عن التّهاون وأحضره قوّة الشكّيمة، وعقوبتك فقصر بها عن الإفراط، وتعمّد بها أهل الاستحقاق، وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق، وخذ به واجب المفترض، وأقم به أود الدّين، واستتناسك فامنع منه البذاء وسوء المناقنة⁽³⁾، وتعهدك أمورك فحدّه أوقاتا، وقدره ساعات، لا تستفرغ قوتك، ولا تستدعي سآمتك، وعزّمتك فانف عنها عجلة الرأي، ولجاجة الإقدام؛ وفرحاتك فاشكّمها عن البطر، وقيدّها عن الزهوّ، وروعاتك فحطّها من دهش الرأي، واستسلام الخضوع، وحذراتك فامنعها من الجبن، واعمد بها الحزم، ورجاءك فقيده بخوف الفات، وامنع من أمن الطّلب.

هذه جوامع خلال، دخّال النقص منها واصل إلى العقل بلطائف أبنه وتصاريّف حويله⁽⁴⁾، فأحكّمها عارفا بها، وتقدّم في الحفظ لها، معترّما على الأخذ بمراشدها والانتهاه منها إلى حيث بلغت بك عظة أمير المؤمنين وأدبه إن شاء الله.

— [اختيار البطانة وكيفية التعامل معها]: ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك، ودخلاؤك في سرّك، أهل الفقه والورع من خاصّة أهل بيتك، وعامة قوادك ممن قد حنّكته السنّ بتصاريّف

(1) — الأود: الأثقال؛ تقول: قد آدني هذا؛ أي: أثقلني. ابن مرار: كتاب الجيم، ج 1، ص 276، مادة «الأود».

(2) — الحصر: أصل الحصر عند العرب: الحبس والضيق. قال الله ﷻ: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ خَصِرَتِ صُدُورُهُمْ﴾، سورة النساء:

الآية 90، أي: قد ضاقت صدورهم. الانباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، ج 1، ص 419.

(3) — المناقنة: يقال نقث فلان فلانا بالكلام: آذاه. الفيروزآبادي: القاموس، ج 1، ص 177، مادة «نقث».

(4) — الحويل: يقال: ما أحسن حويله، أي ما أحسن مذهبه الذي يريد. ابن منظور: لسان العرب، ج 1، ص 194،

مادة «حول».

الأمور، وخبطته فصالحها⁽¹⁾ بين فراسن⁽²⁾ البزل⁽³⁾ منها، وقلبتة الأمور في فنونها؛ وركب أطوارها: عارفا بمحاسن الأمور ومواضع الرأي وعين المشورة؛ مأمون النصيحة، منطوي الضمير على الطاعة. ثم أحضرهم من نفسك وقارا يستدعي لك منهم الهيبة، واستئناسا يعطف إليك منهم المؤدّة، وإنصاتا يفلّ إفاضتهم له عندك بما تكره أن ينشر عنك من سخافة الرأي وضياح الحزم، ولا يغلبن عليك هواك فيصرفك عن الرأي، ويقتطعك دون الفكر. وتعلّم أنك - وإن خلوت بسرّ فالقيت دونه ستورك، وأغلقت عليه أبوابك - فذلك لا محالة مكشوف للعامة، ظاهر عنك وإن استترت برّما ولعلّ وما أرى إذاعة ذلك وأعلم، بما يرون من حالات من ينقطع به في تلك المواطن. فتقدّم في إحكام ذلك من نفسك، واسدد خللك عنك: فإنه ليس أحد أسرع إليه سوء القالة ولغط العامة بخير أو شرّ ممن كان في مثل حالك ومكانك الذي أصبحت به من دين الله والأمل المرجوّ المنتظر فيك. وإيّاك أن يغمز فيك أحد من حامتك وبطانة خدمتك بضعفة يجد بها مساعا إلى التّلق عندك بما لا يعتزلك عيبه، ولا تخلو من لائمته، ولا تأمن سوء الأحداث فيهِ، ولا يرخص سوء القالة به إن نجم ظاهرا أو علن باديا، ولن يجترئوا على تلك عندك إلا أن يروا منك إصغاء إليها، وقبولا لها، وترخيصا لهم في الإفاضة بها.

- [تحذير من الفكاهة والضحك والتبهي الصلّف]: ثمّ إيّاك وأن يفاض عندك بشيء من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي يستخفّ بها أهل البطالة، ويتسرع نحوها ذو والجهالة، ويجد فيها أهل الحسد مقالا لعب يذيعونه وطعنا في حقّ يحدونه؛ مع ما في ذلك من نقص الرأي، ودرن العرض، وهدم الشرف، وتأثيل⁽⁴⁾ الغفلة، وقوّة طباع السوء الكامنة في بني آدم ككمون النار في الحجر الصّلد، فإذا قدح لاح شرره، وتلهّب وميضه، ووقد تصرّمه؛ وليست في أحد أقوى سطوة، وأظهر توقّدا، وأعلى كمونا، وأسرع إليه بالعبب وتطرّق الشين منها لمن كان في مثل سنك: من أغفال الرجال وذوي العنفوان في الحداثة، الذين لم تقع عليهم سمات الأمور، ناطقا عليهم لائحها، ظاهرا فيهم وسمها، ولم تمحضهم شهادتها، مظهرة للعامة فضلهم، مذبة حسن الذكر عنهم، ولم

(1) - الفصال: جمع فصيل وهو ما فطم من الإبل. ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص522، مادة «فصل».

(2) - الفرسن: للبعير، كالحافر للدابة؛ والفرسن طرف خف البعير. ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص163، مادة «فرس».

(3) - البزل: جمع بازل وهو البعير الذي طلع نابه. الجوهري: تاج العروس، ج28، ص78، مادة «بزل».

(4) - التأثيل: التأصيل. ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص09، مادة «أثل».

يبلغ بهم الصّيت في الحنكة مستمعا يدفعون به عن أنفسهم نواطق السن أهل البغي، وموادّ أبصار أهل الحسد.

ثمّ تعهد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من أهل السلطان والقدرة: من أبطال الذرع⁽¹⁾ ونخوة الشرف والتّيه وعيب الصّلف⁽²⁾، فإنها تسرع بهم إلى فساد وتهجين عقولهم في مواطن جمّة، وأنحاء مصطرفة، منها قلّة اقتدارهم على ضبط أنفسهم في مواكبهم ومسايرتهم العامة: فمن مقلقل شخصه بكثرة الالتفات عن يمينه وشماله، تزدهيه الخفّة، ويبطره إجلاب الرجال حوله، ومن مقبل في موكبه على مداعبة مساييره بالمفاكهة له والتّضحك إليه، والإيجاف⁽³⁾ في السير مرحا، وتحريك الجوارح متسرّعا، يخال أنّ ذلك أسرع له وأحثّ لمطيّته، فلتحسن في ذلك هيأتك، ولتجمل فيه دعتك؛ وليقلّ على مساييرك إقبالك إلا وأنت مطرق النظر، غير ملتفت إلى محدّث، ولا مقبل عليه بوجهك في موكبك لمحدثه، ولا موجف في السير مقلقل لجوارحك بالتحريك والاستنهاض؛ فإنّ حسن مسايير الوالي واتّداعه⁽⁴⁾ في تلك الحالة دليل على كثير من عيوب أمره ومستتر أحواله.

– [التصدي للسعاية والسعاة]: واعلم أنّ أقواما يتسرّعون إليك بالسعاية، ويأتونك على وجه التّصيحة، ويستميلونك بإظهار الشّفقة، ويستدعونك بالإغراء والشّبهة، ويوظئونك عشوة⁽⁵⁾ الحيرة: ليجعلوك لهم ذريعة إلى استئكال⁽⁶⁾ العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة، أو أسرعوا بك في أمره إلى الطّنة، فلا يصلنّ إلى مشافهتك ساع بشبهة، ولا معروف بتهمة، ولا منسوب إلى بدعة فيعرضك لإيتاغ⁽⁷⁾ دينك، ويحملك على رعيتك بما لا حقيقة له

(1) – الذرع: البدن. ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص95، مادة «ذرع».

(2) – الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا. ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص196، مادة «صلف».

(3) – الإيجاف: سرعة السير. ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص352، مادة «وجف».

(4) – الاتّداع: ايتدع، فهو متدع أي صاحب دعة، بمعنى سكن وترفه. ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص383، مادة «ودع».

(5) – العِشوة: أول ظلمة الليل. ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص59، مادة «عشا».

(6) – الاستئكال: من قوهم استأكل الضعفاء إذا أخذ أموالهم. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مادة ص22، «استأكل».

(7) – الايتاغ: الوتغ: الإثم. وقلّة العقل في الكلام. الفراهيدي: العين، ج4، ص438، مادة «وتغ».

عندك، ويلحملك أعراض قوم لا علم لك بدخلهم، إلا بما أقدم به عليهم ساعيا وأظهر لك منهم منتصحا.

- [تكليف صاحب الشرطة بالتحقق من أمر السعيات]: وليكن صاحب شرطتك⁽¹⁾ المتوَّي لإتهاء ذلك هو المنصوب لأولئك، والمستمع لأقوابلهم، والفاحص عن نصائحهم؛ ثمَّ لئنه ذلك إليك على ما يُرفع إليه منه لتأمره بأمرك فيه، وتقفه على رأيك من غير أن يظهر ذلك للعامّة: فإن كان صوابا نالتك خيرته، وإن كان خطأ أقدم به عليك جاهل أو فرطة سعى بها كاذب فنالت الساعي منهما أو المظلوم عقوبة، أو بدر من واليك إليه عقوبة ونكال، لم يعصب ذلك الخطأ بك ولم تنسب إلى تفريط، وخلوت من موضع الذمّ فيه: محضرا إليه ذهنك وصواب رأيك، وتقدّم إلى من توَّي ذلك الأمر وتعتمد عليه فيه أن لا يقدم على شيء ناظرا فيه، ولا يحاول أخذ أحد طارقا له، ولا يعاقب أحدا منكلا به، ولا يخلي سبيل أحد صافحا عنه: لإصحار⁽²⁾ براءته، وصحّة طريقته، حتى يرفع إليك أمره، وينهي إليك قضيتّه على جهة الصّدق، ومنحى الحق، ويقين الخبر، فإن رأيت عليه سبيلا لمحبس أو مجازا لعقوبة، أمرته بتوَّي ذلك من غير ادخاله عليك، ولا مشافهة لك منه، فكان المتوَّي لذلك ولم يجر على يديك مكروه رأي ولا غلظة عقوبة، وإن وجدت إلى العفو عنه سبيلا، أو كان مما قرف به خليّا كنت أنت المتوَّي للإنعام عليه بتخلية سبيله، والصفح عنه بإطلاق أسرّه، فتولّيت أجر ذلك واستحققت ذخره، وأنطقت لسانه بشكرك، وطوّقت قومه حمدك، وأوجبت عليهم حقّك، فقرنت بين خصلتين، وأحرزت حظوتين: ثواب الله في الآخرة، ومحمود الذّكر في الدّنيا.

- [رفع المسائل الجند والخاصة والبطانة إلى الكاتب قبل رفعها لولي العهد]: ثم وإياك أن يصل إليك أحد من جندك وجلسائك وخاصّتك وبطانتك بمسألة يكشفها لك، أو حاجة بيدهك بطلبها، حتى يرفعها قبل ذلك إلى كاتبك الذي أهدافته لذلك ونصبتّه له، فيعرضها عليك منها لها على جهة الصّدق عنها، وتكون على معرفة من قدرها: فإن أردت إسعافه بها ونجاح ما سأل منها، أذنت له في طلبها، باسطا له كنفك، مقبلا عليه بوجهك، مع ظهور سرورك بما سألك، وفسحة

(1) - في رسائل البلغاء: «وليكن صاحب شرطتك ومن أحببت أن يتولى ذلك من قوادك إليه انتهاء ذلك وهو

المنصوب». ص 144.

(2) - لإصحار: يقال: أصحر الرجل: خرج إلى الصحراء. الرازي: مختار الصحاح، ص 173، مادة «صح».

رأي وبسطة ذرع، وطيب نفس، وإن كرهت قضاء حاجته، وأحببت ردّه عن طلبته، وتقل عليك إجابته إليها، وإسعافه بها، أمرت كاتبك فصفحه عنها، ومنعه من مواجهتك بها، فخفت عليك في ذلك المؤونة، وحسن لك الذكر، ولم ينشر عنك تجهم الردّ، وينلك سوء القالة في المنع، وحمل على كاتبك في ذلك لائمة أنت منها بريء الساحة.

- [استقبال الرسل والوفود]: وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طراً عليك من الوفود وأتاك من الرسل، فلا يصلنّ إليك أحد منهم إلّا بعد وصول علمه إليك، وعلم ما قدم له عليك، وجهة ما هو مكلّمك به، وقدر ما هو سائلك إيّاه إذا هو وصل إليك، فأصدرت رأيك في حوائجه، وأجلت فكرك في أمره، واخترت معتزماً على إرادتك في جوابه، وأنفذت مصدور رويّتك في مرجوع مسألته قبل دخوله عليك، وعلمه بوصول حاله إليك، فرفعت عنك مؤونة البديهة، وأرخيت عن نفسك خناق الرويّة، وأقدمت على ردّ جوابه بعد النّظر وإجالة الفكر فيه؛ فإن دخل إليك أحد منهم فكلمك بخلاف ما أنهى إلى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك، دفعته عنك دفعا جميلا، ومنعته جوابك منعا وديعا، ثم أمرت حاجبك بإظهار الجفوة له، والغلظة عليه، ومنعه من الوصول إليك، فإنّ ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الأسباب، صارفا عنك مؤونتها، ومسهلا عليك مستصعبها .

- [التحذير من العجب والغضب والحيلولة دون الغيبة والنميمة من البطانة]: احذر تضييع رأيك وإهمالك أدبك في مسالك الرضا والغضب واعتوارهما إيّاك، فلا يزدھينك إفراط عجب تستخفك روائعه، ويستهبوك منظره، ولا يبدرنّ منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه إن حلّ بك، أو حادث إن طراً عليك، وليكن لك من نفسك ظهري⁽¹⁾ ملجأً تتحرّز به من آفات الردى، وتستعضده في موهم النازل، وتتعبّ به أمورك في التدبير، فإن احتجت إلى مادّة من عقلك، ورويّة من فكرك، أو انبساط من منطقتك، كان انخيازك إلى ظهريّك مزدادا مما أحببت الامتياح⁽²⁾ منه والامتياز؛ وإن استدبرت من أمورك بوادر جهل أو مضى زلل أو معاندة حقّ أو خطل تدبير، كان ما احتجنت⁽³⁾ إليه من رأيك عذرا لك عند نفسك، وظهريّا قويا على ردّ ما كرهت، وتخفيفا لمؤونة

(1) - الظهريّ: وهو ما جعلته عدة لحاجتك. الأزهري: تهذيب اللغة، ج6، ص138، مادة «ظهر».

(2) - الامتياح: مثل النزول إلى البئر وملء الدلو منها وذلك إذا قل ماؤها. الرازي: مختار الصحاح، ص301، مادة «ميح».

(3) - الاحتجان: واحتجنت الشيء لنفسي، وذلك إمالتك إياه إلى نفسك. الرازي: مقاييس اللغة، ج2، ص142. مادة «حجن».

الباغين عليك في القالة وانتشار الذكر، وحصنا من غلوب الآفات عليك، واستعلائها على أخلاقك.

وامنع أهل بطانتك وخاصة خدمك من استلحام أعراض الناس عندك بالغبية، والتقرب إليك بالسعاية، والإغراء من بعض ببعض، أو النميمة إليك بشيء من أحوالهم المستترة عنك، أو التحميل لك على أحد منهم بوجه التصيحة ومذهب الشفقة: فإن ذلك أبلغ بك سموا إلى منالة الشرف، وأعون لك على محمود الذكر، وأطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير.

واملك نفسك عن الانبساط في الضحك والانفهاق، وعن القطوب بإظهار الغضب وتنحله: فإن ذلك ضعف عن ملك سؤرة الجهل، وخروج من اتحال اسم الفضل، وليكن ضحكك تبسما أو كشرا في أحيان ذلك وأوقاته، وعند كل راع مستخف مطرب، وقطوبك إطراقا في مواضع ذلك وأحواله، بلا عجلة إلى السطوة، ولا إسراع إلى الطيرة، دون أن يكنفها روية الحلم، وتملك عليها بادرة الجهل.

- [آداب المجلس]: إذا كنت في مجلس مَلَيْك، وحيث حضور العامة مجلسك، فإياك والرمي بنظرك إلى خاص من قوادك، أو ذي أثره عندك من حشمك، وليكن نظرك مقسوما في الجميع، وإراعتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة، ووقار حسن، وحضور فهم مجتمع، وقلة تضجر بالمحدث، ثم لا يبرح وجهك إلى بعض حرسك وقوادك متوجها بنظر ركين، وتفقد محض، فإن وجه إليك أحد منهم نظره محذقا، أو رماك ببصره ملحا، فاخفض عنه إطراقا جميلا باتداع وسكون، وإياك والتسرع في الإطراق، والخفة في تصريف النظر، والإلاح على من قصد إليك في مخاطبته إياك رامقا بنظره.

واعلم أن تصفحك وجوه جلسائك وتفقدك مجالس قوادك، من قوة التدبير، وشهامة القلب، وذكاء الفطنة، وانتباه السنة، فتفقد ذلك عارفا بمن حضرك وغاب عنك، عالما بمواضعهم من مجلسك، ثم اعد بهم عن ذلك سائلا لهم عن أشغالهم التي منعتهم من حضور مجلسك، وعاقبتهم بالتخلف عنك.

إن كان أحد من حشمك وأعاونك تثق منه بغيب ضمير، وتعرف منه لين طاعة، وتشرف منه على صحة رأي، وتأمنه على مشورتك، فإياك والإقبال عليه في كل حادث يرد عليك، والتوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك، وأن تربه أو أحدا من أهل مجلسك أن بك حاجة إليه موحشة، أو أن ليس بك عنه غنى في التدبير، أو أنك لا تقضي دونه رأيا، إشراكا منك له في رويتك، وإدخالا

منك له في مشورتك، واضطرارا منك إلى رأيه في الأمر يعرّوك: فإنّ ذلك من دخائل العيوب التي ينتشر بها سوء القالة عن نظرائك فانفها عن نفسك خائفا لاعتلاقتها ذكرك، واحجبها عن رويتك قاطعا لأطماع أوليائك عن مثلها عندك، أو غلوبهم عليها منك.

واعلم أنّ للمشورة موضع الخلوّة وانفراد النظر، ولكلّ أمر غاية تحيط بحدوده، وتجمع معالمه، فابغها محرزا لها، ورمها طالبا لنيلها، وإيّاك والقصور عن غايتها أو العجز عن دركها، أو التفريط في طلبها. إن شاء الله تعالى.

إيّاك والإغرام عن حديث ما أعجبك، أو أمر ما ازدهاك بكثرة السؤال، أو القطع لحديث من أراذك بحديثه حتّى تنقضه عليه بالخوض في غيره أو المسألة عمّا ليس منه: فإنّ ذلك عند العامة منسوب إلى سوء الفهم وقصر الأدب عن تناول محاسن الأمور والمعرفة بمساوئها، ولكن أنصت لخديتك وأرعه سمعك حتّى يعلم أنّ قد فهمت حديثه، وأحطت معرفة بقوله: فإنّ أردت إجابته فعن معرفة بحاجته وبعد علم بطلبته، وإلا كنت عند انقضاء كلامه كالمتعجب من حديثه بالتبسّم والإغضاء، فأجزى عنك الجواب، وقطع عنك ألسن العتب.

إيّاك وأن يظهر منك تبرّم بطول مجلسك، أو تضجّر ممن حضرك؛ وعليك بالثبّت عند سورة الغضب، وحميّة الأنف، وملال الصبر في الأمر تستعجل به والعمل تأمر بإنفاذه، فإنّ ذلك سخف شائن، وخفّة مردية، وجهالة بادية؛ وعليك بثبوت المنطق، ووقار المجلس، وسكون الريح، والرّفص لحشو الكلام، والتّرك لفضوله، والإغرام بالزيادات في منطقتك والترديد للفظك: من نحو اسمع، وافهم عني، ويا هناه، وألا ترى، أو ما يلهج به من هذه الفضول المقصّرة بأهل العقل، الشائنة لذوي الحجا في المنطق، المنسوبة إليهم بالعبي، المردية لهم بالذّكر. وخصال من معائب الملوك والسّوقة عنها غبيّة النظر إلا من عرفها من أهل الأدب، وقلّما حامل لها، مضطلع بها، صابر على ثقلها، آخذ لنفسه بجوامعها، فانفها عن نفسك بالتحقّظ منها، واملك عليها اعتيادك إيّاها معتنيا بها: منها كثرة التنخّم، والتبصّق، والتنخّع، والثّوباء، والتمطّي، والجشّاء، وتحريك القدم، وتنقيض الأصابع، والعبث بالوجه واللّحية أو الشارب أو المخصرة أو ذؤابة السيف، أو الإيماض بالنظر، أو الإشارة بالطّرف إلى بعض خدمك بأمر إن أردته، أو السرار في مجلسك، أو الاستعجال في طعمك أو شربك، وليكن طعمك متدعا، وشربك أنفاسا، وجرعك مصّا، وإيّاك والتسرّع إلى الأيمان فيما صغر أو كبر من الأمور، والشّتيمة بقول يا ابن الهناة؛ أو الغميمة لأحد من خاصّتك بتسويغهم مقارفة الفسوق بحيث محضرك أو دارك وفناؤك: فإنّ ذلك كلّه مما يقبح ذكره، ويسوء موقع القول

فيه، وتحمل عليك معاييه، وبنالك شينه، وينتشر عليك سوء النبا به فاعرف ذلك متوقيا له، واحذره مجانبا لسوء عاقبته.

- [الاستكثار من فوائد الخير والاعتناء بالعامّة]: استكثر من فوائد الخير: فإنها تنشر المحمّدة، وتقليل العثرة، واصبر على كظم الغيظ: فإنه يورث الراحة، ويؤمن الساحة، وتعهّد العامّة بمعرفة دخلهم، وتبطن أحوالهم، واستثارة دقاتهم، حتى تكون منها على رأي عين، ويقين خبرة، فتتعش عديمهم، وتجبر كسيرهم، وتقيم أودهم، وتعلم جاهلهم، وتستصلح فاسدهم: فإن ذلك من فعلك بهم يورثك العزة، ويقدمك في الفضل، ويبقي لك لسان الصدق في العاقبة، ويجرز لك ثواب الآخرة، ويرد عليك عواطفهم المستنفرة منك، وقلوبهم المنتحبة عنك.

- [تقريب أهل الفضل في الدين وأصحاب الرأي والعقل]: قس بين منازل أهل الفضل في الدين

والحجا والرأي، والعقل والتدبير، والصيت في العامّة، وبين منازل أهل النقص في طبقات الفضل وأحواله، والحمول عند مباهاة النسب؛ وانظر بصحبة أيهم تنال من مودته الجميل، وتستجمع لك أقاويل العامّة على التفضيل، وتبلغ درجة الشرف في أحوالك المتصرفّة بك، فاعتمد عليهم مدخلا لهم في أمرك، وآثرهم بمجالستك لهم مستمعا منهم، وإياك وتضييعهم مفرطاً، وإهمالهم مضيقاً.

هذه جوامع خصال قد لخصها لك أمير المؤمنين مفسراً، وجمع لك شواذها مؤلفاً، وأهداها إليك مرشداً، فقف عند أوامرها، وتناه عن زواجرها، وتثبت في مجامعها، وخذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى، وتتل أنفس الحظوظ ورغيب الشرف، وأعلى درج الذكر، وتأنل سطر العز والله يسأل لك أمير المؤمنين حسن الإرشاد، وتتابع المزيد وبلوغ الأمل، وأن يجعل عاقبة ذلك بك إلى غبطة يسوغك إياها، وعافية يملك أكنافها، ونعمة يلهمك شكرها: فإنه الموفق للخير، والمعين على الإرشاد؛ منه تمام الصالحات، وهو مؤتي الحسنات، عنده مفاتيح الخير، ويده الملك وهو على كلّ شيء قدير.

- [تقوى الله عند لقاء العدو، ومعاملة الجند بالأخلاق الفاضلة]: فإذا أفضيت نحو عدوك،

واعترمت على لقائهم، وأخذت أهبة قتالهم، فاجعل دعامتك التي تلجأ إليها، وثقتك التي تأمل النجاة بها، وركنك الذي ترتجي منالة الظفر به، وتكتهف به لمعاليق الحذر تقوى الله مستشعرا لها بمراقبته، والاعتصام بطاعته متبعا لأمره، محتذيا سنته، والتوقّي لمعاصيه في تعطيل حدوده، أو تعدّي شرائعه، متوكّلا عليه فيما صمدت له، واثقا بنصره فيما توجهت نحوه، متبرّتا من الحول والقوة فيما نالك من ظفر، وتلقاك من عزّ، راغبا فيما أهاب بك أمير المؤمنين إليه من فضل

الجهاد ورمى بك إليه، محمود الصبر فيه عند الله من قتال عدو المسلمين، أكلبهم عليه وأظهره عداوة لهم، وأفدحه ثقلاً لعامتهم، وآخذه بربقهم⁽¹⁾، وأعلاه عليهم بغيا، وأظهره عليهم فسقا وفجورا، وأشدّه على فيئهم الذي أصاره الله لهم وفتحته عليهم مؤونة وكلاً⁽²⁾، والله المستعان عليهم، والمستنصر على جماعتهم، عليه يتوكّل أمير المؤمنين، وإياه يستصرخ عليهم، وإليه يفوض أمره وكفى بالله ولياً وناصرًا ومعينًا، وهو القويّ العزيز.

ثم خذ من معك من تباعك وجندك بكفّ معرفتهم⁽³⁾، وردّ مشتعل جهلهم، وإحكام ضياع عملهم⁽⁴⁾، وضمّ منتشر قواصبيهم، ولمّ شعث أطرافهم، وتقبيدهم عمّن مروا به من أهل ذمتك وملتك بحسن السيرة، وعفاف الطّعمة، ودعة الوقار، وهدي الدّعة، وجمام المستجم، محكما ذلك منهم، متفقدا لهم تفقدك إياه من نفسك. ثم اصمد لعدوك المنتسبي بالإسلام، الخارج من جماعة أهله، المنتحل ولاية الدّين مستحلاً لدماء أوليائه، طاعنا عليهم، راغبا عن سنّتهم، مفارقا لشرائعهم، يغييهم الغوائل، وينصب لهم المكاييد، أضرم حقدًا عليهم، وأرصد عداوة لهم، وأطلب لغزات فرصهم من التُّرك، وأمم الشرك، وطواغي الملل، يدعو إلى المعصية والفرقة، والمروق من دين الله إلى الفتنة، مخترعا بهواه للأديان المنتحلة والبدع المتفرقة خسارا وتحسيرا، وضلالا وتضليلا، بغير هدى من الله ولا بيان، ساء ما كسبت له يداها وما الله بظلام للعبيد وساء ما سوّلت له نفسه الأمانة بالسوء، والله من ورائه بالمرصاد: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾⁽⁵⁾.

حصن جندك، واشكم نفسك بطاعة الله في مجاهدة أعدائه، وارج نصره، وتجز موعوده، متقدما في طلب ثوابه على جهادهم، معترما في ابتغاء الوسيلة إليه على لقائهم: فإنّ طاعتك إياه فيهم، ومراقبتك له ورجاءك نصره مسهل لك وعوره، وعاصمك من كل سبّة⁽⁶⁾، ومنجيك من كل هوة، وناعشك من كل صرعة، ومقيلك من كل كبوة، ودارئ عنك كلّ شبهة، ومذهب عنك لطفة

(1) - الرِّبْقُ بالكسر جبل فيه عدة عرا تشد به البهم. الرازي: مختار الصحاح، ص 117، مادة «ربق».

(2) - الكلّ: الذي هو عيال وثقل على صاحبه، وهذا كلّّي، أي: عيالي، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ سورة النحل، الآية: 76. الفراهيدي: العين، ج 5، ص 279، مادة «كل».

(3) - المعرّة: ما يصيب الإنسان من الإثم، قال الله تعالى: ﴿فَنُصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بغيرِ عِلْمٍ﴾ سورة الفتح، الآية: 25. الرازي: مقاييس اللغة، ج 4، ص 34، مادة «عر».

(4) - عند ابن طيفور: «مستعلي جورهم وإحكام خللهم»، نقلا عن محمد كرد علي: رسائل البلغاء.

(5) - سورة الشعراء، الآية: 227.

(6) - السبّة: العار. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج 1، ص 95، مادة «سبه».

كلّ شك، ومقويك بكلّ أيدٍ ومكيدة، ومعزّك في كل معترك قتال، ومؤيّدك في كلّ مجمع لقاء، وكالك عند كل فتنة مغشية، وحائطك من كال شبهة مردية؛ والله وليّك ووليّ أمير المؤمنين فيك، والمستخلف على جندك ومن معك.

—[سلامة الجند خير الظفر]: اعلم أنّ الظفر ظفران: أحدهما وهو أعمّ منفعة، وأبلغ في حسن الذكر قاله، وأحوطه سلامة، وأتمّه عافية⁽¹⁾ وأحسنه في الأمور⁽²⁾ وأعلاه في الفضل شرفاً، وأصحّه في الروية حزماً، وأسلمه عند العامة مصدراً— ما نيل بسلامة الجنود، وحسن الحيلة، ولطف المكيدة ويمن النقيبة واستنزال طاعة ذوي الصدوف⁽³⁾ بغير إخطار الجيوش في وقدة جمرة الحرب، ومبارزة الفرسان في معترك الموت؛ وإن ساعدتك طلوق الظفر، ونالك مزيد السعادة في الشرف؛ ففي مخاطرة التلّف مكروه المصائب، وعضاض السيوف وألم الجراح، وقصاص الحروب وسجالها بمغاورة أبطاها، على أنك لا تدري لأيّ يكون الظفر في البديهة، ومن المغلوب بالدولة، ولعلك أن تكون المطلوب بالتمحيص، فحاول إصابة أبلغهما في سلامة جندك ورعيّتك، وأشهرهما صيتاً في بدو تدبيرك ورأيك، وأجمعهما لألفة وليّك وعدوك، وأعوّهما على صلاح رعيّتك وأهل ملّتك، وأقواهما شكيمة في حزمك، وأبعدهما من وصم عزمك، وأعلقهما بزمام النجاة في آخرتك، وأجزهما ثواباً عند ربّك.

—[انذار العدو والاعذار إليه ودعوته لمراجعة الطاقة قبل القتال]: وابدأ بالإعذار إلى عدوك، والدعاء لهم إلى مراجعة الطاعة، وأمر الجماعة، وعزّ الألفة، آخذا بالحجّة عليهم، متقدّماً بالإنذار لهم، باسطة أمانك لمن لجأ إليك منهم، داعياً لهم إليه بألين لفظك وألطف حيلك، متعطفاً برأفتك عليهم، مترفقاً بهم في دعائك، مشفقاً عليهم من غلبة الغواية لهم، وإحاطة الهلكة بهم، منفذا رسلك إليهم بعد الإنذار، تعدّهم إعطاء كلّ رغبة يهشّ إليها طمعهم في موافقة الحق، ويسط كل أمان سألوه لأنفسهم ومن معهم ومن تبعهم، موطناً نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بعهدك، والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عقدك، قابلاً توبة نازعهم عن الضلالة، ومراجعة مسيئتهم إلى الطاعة، مرصداً للمنحاز إلى فئة المسلمين وجماعتهم إجابة إلى ما دعوته إليه وبصيرته إياه من حقك وطاعتك، بفضل المنزلة، وإكرام المثوى، وتشريف الجاه، وليظهر من أترك عليه، وإحسانك ما

(1) — زاد ابن طيفور «... وأعوّده عاقبة...» نقلاً عن مُجّد كرد علي: رسائل البلغاء.

(2) — زاد ابن طيفور «... موردا...» نقلاً عن مُجّد كرد علي: رسائل البلغاء.

(3) — الصدوف: واحدتها صدف وهي الميل عن الشيء. ابن منظور: لسان العرب، ج 9، ص 187، مادة «صدف».

يرغب في مثله الصادف عنك، المصّر على خلافك ومعصيتك، ويدعو إلى اعتلاق حبل النجاة وما هو أملك به في الاعتصام عاجلاً، وأنجي له من العقاب آجلاً، وأحوطه على دينه ومهجته بدءاً وعاقبة، فإن ذلك مما يستدعي به من الله نصره عليهم، ويعتضد به في تقديمه الحجة إليهم، معذراً أو منذراً، إن شاء الله.

- [اذكاء العيون الجواسيس على العدو تطلع أخباره، واستشارة ذوي السن والخبرة]: ثم أذك عيونك على عدوك متطلّعا لعلم أحوالهم التي يتقلّبون فيها، ومنازلهم التي هم بها، ومطامعهم التي قد مدّوا أعناقهم نحوها، وأيّ الأمور أدعى لهم إلى الصلح، وأقودها لرضاهم إلى العافية، وأسهلها لاستنزال طاعتهم، ومن أيّ الوجوه مأتاهم: أمن قبل الشدة والمنافرة والمكيدة والمباعدة والإرهاب والإيعاد؟، أو التّرجيب والإطماع؟، متثبّتا في أمرك، متخيّرا في رويّتك، مستمكنا من رأيك، مستشيرا لذوي النصيحة الذين قد حنّكتهم السنّ، وخبطتهم التجربة، ونجّدتهم الحروب، متشزّنا⁽¹⁾ في حربك، آخذا بالحزم في سوء الظن، معدّا للحذر، محتزّسا من العرّة، كأنك في مسيرك كله ونزولك أجمع مواقف لعدوك رأي عين تنتظر حملاتهم، وتتخوّف كراتهم، معدّا أقوى مكايذك، وأرهب عتادك، وأنكأ جدّك، وأجدّ تشميرك، معظّما أمر عدوك لأعظم مما بلغك، حذرا يكاد يفرض: لتعدّ له من الاحتراس عظيما، ومن المكيدة قويّا، من غير أن يفنأك⁽²⁾ ذلك عن إحكام أمورك، وتديبر رأيك، وإصدار رويّتك، والتأهب لما يحزبك⁽³⁾، مصغّرا له بعد استشعار الحذر، واضطمار الحزم، وإعمال الرّويّة، وإعداد الأهبة: فإن ألفت عدوك كليل الحدّ، وقم⁽⁴⁾ الحزم، نضيض⁽⁵⁾ الوفر، لم يضرك ما اعتددت له من قوة، وأخذت له من حزم، ولم يزدك ذلك إلا جرأة عليه، وتسرعاً إلى لقائه. وإن ألفتته متوقّدا الحرب، مستكنف الجمع، قويّ التّبّع، مستعلي سورة الجهل، معه من أعوان الفتنة وتبع إبليس من يوقد لهب الفتنة مُسعّرا، ويتقدّم إلى لقاء أبطالها مُتسرعاً، كنت لأخذك بالحزم، واستعدادك بالقوّة، غير مهين الجند، ولا مفرط في الرأي، ولا متلهّف على إضاعة تديبر،

(1) -التشزن: التأهب والتهيؤ للشيء والاستعداد له. ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص237، مادة «شزن».

(2) -فنأ الرجل غضبه: كسره، ويفنأك: يكسرك. ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص120، مادة «فنأ».

(3) -يحزبك: ينوبك. الفراهيدي: العين، ج3، ص164، مادة «حزب».

(4) -القمّ: ما يُقمّ من القمامات والقماشات تجمعها بيدك. الفراهيدي: العين، ج5، ص30، مادة «قم».

(5) -نضيض: نص: نضيض من الماء أي نصّ قليل، كأنما يخرج من حجرٍ، وتقول: نصّ الماء ينضض: نضيض من الماء أي نصّ قليل، كأنما يخرج من حجرٍ، وتقول: نصّ الماء ينضض، ويتناسب في النص مع معنى قليل. الفراهيدي: العين،

ج7، ص11، مادة «نض».

ولا محتاج إلى الإعداد وعجلة التأهب مبادرة تدهشك، وخوفا يقلقك. ومتى تعترّ بتريق المرققين، وتأخذ بالهويني في أمر عدوك لتصغير المصغرين، ينتشر عليك رأيك، ويكون فيه انتقاض أمرك ووهن تدبيرك، وإهمال للحزم في جندك، وتضييع له وهو ممكن الإصحار، رحب المطلب، قويّ العصمة، فسيح المضطرب، مع ما يدخل رعيتك من الاغترار والغفلة عن إحكام أحراسهم، وضبط مراكزهم، لما يرون فيه من استنامتك إلى الغرّة، وركونك إلى الأمن، وتهاونك بالتدبير، فيعود ذلك عليك في انتشار الأطراف، وضياح الأحكام، ودخول الوهن بما لا يستقال محذوره، ولا يدفع مخوفه.

- [كيفية التعامل مع جواسيسه]: احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك، وإيّاك ومعاينة أحد منهم على خبر إن أتاك به أهمته فيه أو سؤت به ظناً وأتاك غيره بخلافه، أو أن تكذّبه فيه فتردّه عليه ولعله أن يكون قد محضك النصيحة وصدقك الخبر، وكذبك الأول، أو خرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك، وقد أبرموا لك أمراً، وحاولوا لك مكيدة، وأرادوا منك غرّة، فازدلفوا⁽¹⁾ إليك في الأهبة ثم انتقض بهم رأيهم، واختلف عنه جماعتهم، فأرادوا رأياً، وأحدثوا مكيدة، وأظهروا قوّة، وضربوا موعداً، وأموا مسلّكاً لمدد أتاها، أو قوّة حدثت لهم، أو بصيرة في ضلالة شغلتهم؛ فالأحوال بهم متنقلة في الساعات، وطوارق الحادثات. ولكن البسهم جميعاً على الانتصاح، وارضح لهم بالمطامع، فإنك لن تستعبدهم بمثلها، وعدمهم جزالة المثلثوب، في غير ما استنامة منك إلى تريقهم أمر عدوك، والاغترار إلى ما يأتونك به دون أن تعمل رويتك في الأخذ بالحزم، والإستكثار من العدة، واجعلهم أوثق من تقدر عليه، وآمن من تسكن إلى ناحيته: ليكون ما يرم عدوك في كل يوم وليلة عندك إن استطعت ذلك، فتنقض عليهم برأيك وتديريك ما أبرموا، وتأتيهم من حيث أمنوا، وتأخذ لهم أهبة ما عليه أقدموا، وتستعدّ لهم بمثل ما حذروا.

واعلم أنّ جواسيسك وعيونك ربّما صدقوك، وربّما غشوك، وربّما كانوا لك وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك وغشوك ونصحوا عدوك، وكثيراً ما يصدقونك ويصدقونه، فلا تبدرنّ منك فرطة عقوبة إلى أحد منهم، ولا تعجل بسوء الظن إلى من أهمته على ذلك، واستنزل نصائحهم

(1) - ازدلف: اقترب وسميت المزدلفة، لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة من عرفات. الفراهيدي: العين، ج7،

بالمياحة⁽¹⁾ والمنالة⁽²⁾، وابتسط من آمالهم فيك من غير أن يرى أحد منهم أنك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع له، أو عملت على رأيه عمل الصادر عنه، أو رددته عليه ردّ المكذّب به، المتهم له، المستخفّ بما أتاك منه، فتفسد بذلك نصيحتة، وتستدعي غشّه، وتحتّرّ عداوته. واحذر أن يعرفوا في عسكرك أو يشار إليهم بالأصابع، وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وأمين سرّك، ويكون هو الموجه لهم، والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم.

- [الحذر من عيون وجواسيس العدو في عسكره]: واعلم أن لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة، وجواسيس متجسّسة، وأنه لن يقع رأيه عن مكيدتك بمثل ما تكايد به، وسيحتال لك كاحتيالك له، ويعدّ لك كإعدادك فيما تراوله منه، ويحاولك كمحاولتك إياه فيما تقارعه عنه، فاحذر أن يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه، فيعدّ له المراسد، ويحتال له بالمكايد. فإن ظفر به فأظهر عقوبته، كسر ذلك ثقات عيونك، وخذلهم عن تطلّب الأخبار من معادنها، واستقصائها من عيونها، واستعذاب اجتنائها من يبايعها، حتّى يصيروا إلى أخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة، لقطا لها بالأخبار الكاذبة، والأحاديث المرجفة. واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضاً: فإنّك لا تأمن تواطؤهم عليك، وممالأهم عدوك، واجتماعهم على غشك، وتطابقهم على كذبك، وإصفاقهم⁽³⁾ على خيانتك، وأن يورط بعضهم بعضاً عند عدوك؛ فأحكم أمرهم فإنهم رأس مكيدتك، وقوام تدبيرك، وعليهم مدار حريك، وهو أوّل ظفرك، فاعمل على حسب ذلك وحيث رجاؤك به، تنل أملك من عدوك وقوتك على قتاله، واحتيالك لإصابة غرّاته وانتهاز فرصه، إن شاء الله.

- [صفات من يتولى الشرطة وأمر العسكر]: فإذا أحكمت ذلك وتقدّمت في إتقانه، واستظهرت بالله وعونه، فولّ شرطتك وأمر عسكرك أوثق قوادك عندك، وأظهرهم نصيحة لك، وأنفذهم بصيرة في طاعتك، وأقواهم شكيمة في أمرك، وأمضاهم صرمة⁽⁴⁾، وأصدقهم عفاً، وأجزأهم غناء،

(1) - المياحة: يقال ماحه مياحاً: أعطاه. والميخ يجري مجرى المنفعة. وكل من أعطى معروفاً، فقد ماح، ومحت الرجل: أعطيته. ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص609، مادة «ماح».

(2) - المنالة: العطية. الفراهيدي: العين، ج8، ص333، مادة «نيل».

(3) - الإصفاق: أصفق القوم على الأمر، إذا تضافروا عليه. وأصفق الرجل على الأمر، إذا عزم عليه. ابن دريد: جمهرة اللغة، ج2، ص890، مادة «صفق».

(4) - الصرمة: الصرمة والعزيمة واحدة، وهي الحاجة التي قد عزمت على فعلها. ابن الأزهري: تهذيب اللغة، ج2، ص91، مادة «عزم».

وأكفاهم أمانة، وأصحهم ضميراً، وأرضاهم في العامة ديناً، وأحمدهم عند الجماعة خُلُقاً، وأعطفهم على كافّتهم رافّةً، وأحسنهم لهم نظراً، وأشدّهم في دين الله وحقّه صلابة؛ ثم فوّض إليه مقوياً له، وابسط من أمله مظهرها عنه الرضا، حامداً منه الابتلاء، وليكن عالماً بمراكز الجنود، بصيراً بتقدّم المنازل، مجرباً، ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة، له نباهة في الدّكر، وصيت في الولاية، معروف البيت، مشهور الحسب، وتقدّم إليه في ضبط معسكره، وإذكاء أحراره في آناء ليله ونهاره؛ ثم حدّره أن يكون منه إذن لجنوده في الانتشار والاضطراب، والتقدّم لطلائعك، فتصاب لهم غرّة يجترئ بها عدوك عليك، ويسرع إقداما إليك، ويكسر من إيد جندك ويوهن من قوتهم: فإنّ الصوت في إصابة عدوك الرجل الواحد من جندك أو عبيدهم مطمع لهم فيك، مقو لهم على شحذ أتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك، وتوهينهم تدبيرك، فحدّره ذلك وتقدّم إليه فيه، ولا يكون منه إفراط في التضيق عليهم، والحصص لهم، فيعتّمهم أزله⁽¹⁾، ويشملهم ضنكهم، وتسوء عليهم حاله، وتشتدّ به المؤونة عليهم، وتخبث له ظنّوهم؛ وليكن موضع إنزاله إيّاهم ضامّاً لجماعتهم، مستديراً بهم جامعا لهم، ولا يكون منبسطة منتشرة متبدّداً، فيشقّ ذلك على أصحاب الأحرار، وتكون فيه النهزة⁽²⁾ للعدوّ، والبعد من المادة إن طرق طارق في فجآت الليل وبغتاته. وأوعز إليه في أحراره، وتقدّم إليه فيهم كأشدّ التقدّم وأبلغ الإيعاز، ومره فليولّ عليهم رجلاً ركيناً مجرباً جريء الإقدام، ذاكي الصّرامة، جلد الجوارح، بصيراً بمواضع أحراره، غير مصانع ولا مشقّع للناس في التنحي إلى الرّفاهية والسّعة، وتقدّم العسكر والتأخّر عنه، فإن ذلك مما يضعف الوالي ويوهنه لاستنماته إلى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه.

– [التأكيد على أهمية مواضع الأحرار من المعسكر]: واعلم أنّ مواضع الأحرار من معسكرك، ومكانها من جندك، بحيث الغناء عنهم والرّدّ عليهم، والحفظ لهم، والكلاءة لمن بغتهم طارقاً، أو أرادهم خاتلاً، ومراصدها المنسلّ منها والآبق من أرقائهم وأعبدهم؛ وحفظها من العيون والجواسيس من عدوّهم. واحذر أن تضرب على يديه أو تشكّمه عن الصّرامة بمؤامرتك في كلّ أمر حادث وطارئ إلا في المهمّ النازل والحدث العام: فإنك إذا فعلت ذلك به، دعوته إلى نصحك، واستوليت على محصول ضميره في طاعتك، وأجهد نفسه في ترتيبك، وأعمل رأيه في بلوغ موافقتك

(1) – الأزل: المضيق عليه في العيش من الأزل وهو الضيق. ابن دريد: جمهرة اللغة، ج 1، ص 286، مادة «حوب».

(2) – النهزة: الخلسة. الفراهيدي: العين، ج 4، ص 197، مادة «نمز».

وإعانتك، وكان ثقتك وردأك وقوتك ودعامتك، وتفرّغت أنت لمكايدة عدوك، مريحا لنفسك من همّ ذلك والعناية به، ملقيا عنك مؤونة باهظة وكلفة فادحة.

- [صفات القاضي وأهميته في الجيش]: واعلم أنّ القضاء من الله بمكان ليس به شيء من الأحكام، ولا بمثل محله أحد من الولاة: لما يجري على يديه من مغاليط الأحكام ومجاري الحدود، فليكن من تولّيه القضاء في عسكريك من ذوي الخير في القناعة والعفاف والتزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع، والبصر بوجوه القضايا ومواقعها، قد حنّكته السنّ وأيدته التجربة وأحكمته الأمور، ممن لا يتصنّع للولاية ويستعدّ للنهزة، ويجتريء على المحاباة في الحكم، والمداهنة في القضاء، عدل الأمانة، عفيف الطّعمة، حسن الإنصاف، فهم القلب، ورع الضمير، متخشع السمّت، بادي الوقار، محتسبا للخير. ثم أجر عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه، وفرّغه لما حمّلته، وأعنه على ما وليته: فإنك قد عرّضته لهلكة الدنيا وبوار الآخرة، أو شرف الدنيا وحظوة الآجلة، إن حسنت نيّته، وصدقت رويّته، وصحّت سريرته وسلّط حكم الله على رعيّته، مطلقا عنانه، منقّذا قضاء الله في خلقه، عاملا بسنّته في شرائعه، آخذا بمحدوده وفرائضه. واعلم أنه من جندك بحيث ولايتك، الجارية أحكامه عليهم، النافذة أفضيته فيهم، فاعرف من تولّيه ذلك وتسنده إليه.

- [الطلائع وأنواع أسلحتها وأهميتها ومن يتولى أمر قيادتها]: ثم تقدّم في طلائعك فإنها أوّل مكيدتك، ورأس حربك، ودعامة أمرك، فانتخب لها من كلّ قادة وصحابة رجالا ذوي نجدة وبأس، وصرامة وخبرة، حماة كفاة، قد صلوا بالحرب وذاقوا سجالها، وشربوا مرار كؤوسها، وتجرعوا غصص درّتها، وزينتهم⁽¹⁾ بتكرار عواطفها، وحمّلتهم على أصعب مراكبها، وذلّلتهم بثقاف أودها. ثم انتقمهم على عينك، واعرض كراعهم بنفسك، وتوخّ في انتقائك ظهور الجلد، وشهامة الخلق، وكمال الآلة. وإيّاك أن تقبل من دوابهم إلا الإناث من الخيل المهلوبة⁽²⁾، فإنّهنّ أسرع طلبا، وأنجى مهربا، وألين معطفا، وأبعد في اللّحوق غاية، وأصبر في معترك الأبطال إقداما؛ وخذهم من السّلاح بأبدان الدّروع، ماذية⁽³⁾ الحديد، شاكة النّسج، متقاربة الحلق، متلاحمة المسامير وأسوق الحديد، مموّهة الركب، محكمة الطّبع، خفيفة الصّوغ، وسواعد طبعها هنديّ، وصوغها فارسيّ، رقاق المعاطف،

(1) - زين: الحرب تزبن الناس إذا صدمتهم. الفراهيدي: العين، ج7، ص374، مادة «زين».

(2) - المهلوبة: يقال: فرس مهلوبٌ: هُلبَ ذنبه، أي: استُوصِلَ جزأ. الفراهيدي: العين، ج4، ص53، مادة «هلب».

(3) - ماذية: الماذي من أسماء الدّروع، والماذي: الحديد كله الدّرع والبيض والمغفر والسّلاح أجمع ممّا كان من الحديد فهو

الماذي. ودرعٌ ماذيةٌ، وسيفٌ ماذيٌّ. الفراهيدي: العين، ج8، ص204، مادة «مذي».

بأكف واقية وعمل محكم. ويلمق⁽¹⁾ البيض مذهبة ومجرّدة، فارسيّة الصّوغ، خالصة الجوهر، سابعة الملبس، واقية الجنن⁽²⁾، مستديرة الطّبع، مبهمة السرد⁽³⁾، وافية الوزن كترك⁽⁴⁾ التّعام في الصّنع واستدارة التّقيب، واستواء الصّوع معلمة بأصناف الحرير وألوان الصّبغ، فإنّها أهيب لعدوّهم، وأفت لأعضاد من لقيهم، والمعلم محشيّ محذور، له بديهة رادعة، وهيبة هائلة، معهم السيوف الهندية، وذكور البيض اليمانية، رقاق الشّفرات، مسنونة الشّحد، مشطّبة الضرائب، معتدلة الجواهر، صافية الصّفائح، لم يدخلها وهن الطبع، ولا عابها أمت⁽⁵⁾ الصّوغ، ولا شاتها خفة الوزن، ولا فذح حاملها بهور⁽⁶⁾ الثقل، قد أشرعوا لدن القنا، طوال الهوادي⁽⁷⁾، مقومات الأود، زرق الأسنان، مستوية الثعالب⁽⁸⁾؛ وميضها متوقّد، وسنخها⁽⁹⁾ متلهّب، معاقص⁽¹⁰⁾ عقدها منحوتة،

(1) - يلمق: القباء، فارسي معرب. ابن منظور: لسان العرب، ج 10، ص 387، مادة «يلمق».

(2) - الجنن: مفردتها الجنّة: السّتر، يُقال: استجنّ بجنّة أي استتر بسّتر. ابن منظور: لسان العرب، ج 13، ص 94، مادة «جنن».

(3) - السرد: اسم جامع للدروع ونحوها من عمل الحلق، وسمي سردا لأنه يُسردُ فيثقب طرفا كلّ حلقة بمسار فذلك الحلق المُسرّد. الفراهيدي: العين، ج 7، ص 226، مادة «سرد».

(4) - ترك النعام: بيضة النعام، وسميت تريكاً لأن النعام لا تبيض في السنة إلا واحدة في كلّ سنة، ثم تركها وتذهب. الجوهري: تاج العروس، ج 27، ص 94، مادة «ترك».

(5) - أمت: في القرآن: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾ سورة طه، الآية: 107. والأمت: أن تصب في السقاء ماء فلا تملؤه فيتشّي، وذلك الثّئي هو الأمت، وإذا ملئها وتمدّد فلا أمت فيه. الفراهيدي: العين، ج 8، ص 141، مادة «أمت».

(6) - الهور: مصدر: هار الجرف، يهور إذا أنصدع من خلفه وهو ثابت بعد مكانه فهو هائر هار فإذا سقط فقد انهار وتهور. الفراهيدي: العين، ج 4، ص 82، مادة «هور».

(7) - الهادي: من كلّ شيء أوّلُهُ. أقبلت هادي الحيل، أي: بدت أعناقها، وفي النص يصف الرماح. الفراهيدي: العين، ج 4، ص 78، مادة «هدي».

(8) - الثعالب: ثعلب الرمح: ما دخل في عامل صدره في جبة السنان. الفراهيدي: العين، ج 2، ص 340، مادة «ثعلب».

(9) - سنخ النصل: الحديد التي تدخل في رأس السهم. ابن منظور: لسان العرب، ج 3، ص 26، مادة «سنخ».

(10) - المعاقص: مفردتها المعقّص: وهو السهم ينكسر نصله فيبقى سنخه في السهم، فيخرج ويضرب حتى يطول ويرد إلى موضعه فلا يسدّ مسدّه لأنه دقّق وطول. ابن منظور: لسان العرب، ج 7، ص 56، مادة «عقص».

(1) أودها مقومة، وأجناسها مختلفة، وكعوبها جعدة، وعقدتها حبكة، شطبة⁽²⁾ الأسنان، مموهة مموهة الأطراف، مستحدة الجنبات، دقاق الأطراف، ليس فيها التواء أود، ولا أمت وصم، ولا بها مسقط عيب، ولا عنها وقوع أمنية، مستحقي كنان التبل وقسي الشوحط والتبع⁽³⁾؛ أعرابية التعقيب، ورومية التصول، مسمومة الصوغ، ولتكن سهامها على خمس قبضات سوى التصول، فإنها أبلغ في الغاية، وأنفذ في الدروع، وأشك في الحديد، سامطين⁽⁴⁾ حقايبهم على متون خيولهم، مستخفين من الآلة والأمتعة والزاد إلا ما لا غناء بهم عنه.

واحذر أن تكل مباشرة عرضهم وانتخابهم إلى أحد من أعوانك وكتائبك، فإنك إن وكلته إليهم أضعت مواضع الحزم، وفرطت حيث الرأي، ووقفت دون عزم الروية، ودخل عملك ضياع الوهن، وخلص إليك عيب المحابة، وناله فساد المداينة، وغلب عليه من لا يصلح أن يكون طليعة للمسلمين ولا عدّة ولا حصنا يدثرون به، ويكتهفون بموضعه. والطلائع حصون المسلمين وغيوتهم، وهم أول مكيدتك، وعروة أمرك، فليكن اعتناؤك بهم، وانتقاؤك إياهم بحيث هم من مهمّ عملك، ومكيدة حربك، ثم انتخب للولاية عليهم رجلا بعيد الصوت، مشهور الاسم، ظاهر الفضل، نبيه الذكر، له في العدو وقعات معروفة، وأيام طوال وصولات متقدّمات، قد عرفت نكايته، وحذرت شوكته، وهيب صوته، وتنكب لقاءه، أمين السريرة، ناصح الجيب؛ قد بلوت منه ما يسكنك إلى ناحيته: من لين الطاعة، وخالص الموادة، وركانة الصرامة، وغلوب الشهامة، واستجماع القوة، وحصافة التدبير، ثم تقدّم إليه في حسن سياستهم، واستنزال طاعتهم، واجتلاب مودّاتهم واستعداد ضمائرهم، وأجر عليهم وعليه أرزاقا تسعهم، وتمدّد من أطماعهم، سوى أرزاقهم في العامة، فإنّ ذلك من القوة لك عليهم، والاستئمان إلى ما قبلهم.

واعلم أنّهم في أهمّ الأماكن لك، وأعظمها غناء عنك وعمّن معك؛ وأقمعها كتبنا لمحادك وأشجاها غيظا لعدوك؛ ومن يكن في الثقة، والجلد، والبأس، والطاعة، والقوة، والنصيحة والعدّة،

(1) - الوصم: صدع أو كسر غير بائن في عظم ونحوه، في عود وكل شيء. ووَصِمَ الرُمحُ فهو موصوم، وهو صدع الأنبوب طولاً. الفراهيدي: العين، ج 7، ص 172، مادة «وصم».

(2) - شَطْبَةُ السَّيْفِ: عموده الناشئ في منته. ابن منظور: لسان العرب، ج 1، ص 497، مادة «شطب».

(3) - الشوحط والتبع: شجر واحد، فما كان منها في قمة الجبل فهو نبع، وما كان منها في سفحه فهو شوحط ويصنع منهما القسي والنبال. ابن منظور: لسان العرب، ج 7، ص 329، مادة «شحط».

(4) - السِّمَطُ: معاليق السرج من السيور، وسامطين في النص تعني معلقين حقايبهم بالسَّمَط. ابن منظور: لسان العرب، ج 7، ص 322، مادة «سمط».

والنجدة حيث وصف لك أمير المؤمنين وأمرك به، يضع عنك مؤونة لهم، ويرخ من خناقك روع الخوف، وتلتجىء إلى أمر منيع، وظهر قوي، ورأي حازم، تأمن به فجآت عدوك، وغرآت بغتاتهم، وطوارق أحداثهم، ويصير إليك علم أحوالهم، ومتقدّمات خيولهم، فانتخبهم رأي عين، وقوهم بما يصلحهم من المنال والأطماع والأرزاق، واجعلهم منك بالمنزل الذي هم به من محارز علاقتك، وحصانة كهوفتك، وقوة سيّارة عسكريك. وإياك أن تدخل فيهم أحدا بشفاعته، أو تحتمله على هواة، أو تقدّمه لأثرة، أو أن يكون مع أحد منهم بغل نفل، أو فضل من الظّهر، أو ثق فادح، فتشتدّ عليهم مؤونة أنفسهم، ويدخلهم كلال السّامة فيما يعالجون من أثقالمهم، ويشغلون به عن عدوّهم إن دهمهم منه رافع، أو فجأهم منه طليعة، فتفقّد ذلك محكما له، وتقدّم فيه آخذا بالحزم في إمضائه، أرشدك الله لإصابة الحظّ، ووقفك ليمن التدبير، وقصد بك لأسهل الرأي وأعوده نفعاً في العاجل والآجل، وأكبتة لعدوك وأشجاء لهم، وأردعه لعاديتهم.

- [صفات من يتول حشد العسكري، وصلاحيات أمراء الجند وقادة الخيل]: ولّ درّاجة عسكري وإخراج أهله إلى مصافّهم ومراكزهم رجلا من أهل بيوتات الشرف، محمود الخبرة، معروفا بالنجدة، ذا سنّ وتجربة، لينّ الطاعة، قديم النّصيحة، مأمون السّريرة، له بصيرة بالحق نافذة تقدّمه، ونيّة صادقة عن الإدهان تحجزه، واطمئن إليه عدّة نفر من ثقات جنك وذوي أسنانهم يكونون شرطة معه؛ ثم تقدّم إليه في إخراج المصافّ، وإقامة الأحرار، وإذكاء العيون، وحفظ الأطراف، وشدّة الحذر، ومره فليضع القواد بأنفسهم مع أصحابهم في مصافّهم، كلّ قائد بإزاء مكانه، وحيث منزله، قد سدّ ما بينه وبين صاحبه بالرّماح شارعة، والرّسة موضونة، والرجال راصدة، ذاكية الأحرار، وجلة الرّوع، خائفة طوارق العدوّ وبياته، ثم مره فليخرج كلّ ليلة قائدا في أصحابه أو عدّة منهم إن كانوا كثيرا، على غلوة⁽¹⁾ أو اثنتين من عسكريك، منتبذا عنك محيطا بمنزلك، ذاكية أحراره، قلقلة التردّد، مفرطة الحذر، معدّة للرّوع، متأهبة للقتال، آخذة على أطراف المعسكر ونواحيه، متفرّقين في اختلافهم كردوسا⁽²⁾ كردوسا؛ يستقبل بعضهم بعضا في الاختلاف ويكسع⁽³⁾ تال متقدّما في

(1) - الغلوة: المسافة التي يقطعها السهم حين يرمى بالقوس. الفراهيدي: العين، ج 4، ص 446، مادة «غلو».

(2) - الكردوس: الخيل العظيمة، كزّوس القائد خيله كراديس: جعلها كتيبة كتيبة. الفراهيدي: العين، ج 5، ص 426 مادة «كردس».

(3) - يكسع: الكسع: ضرب يدٍ أو رجلٍ على دبر شيءٍ وكسعهم، وكسع أديارهم إذا تبع أديارهم فضرهم بالسيف.

الفراهيدي: العين، ج 1، ص 192، مادة «كسع».

التردد، واجعل ذلك بين قوادك وأهل عسكريك نوبا معروفة، وحصصا مفروضة، لا تعر منها مزدلفا منك بمودة، ولا تتحامل فيه على أحد بموجدة، إن شاء الله تعالى.

فوض إلى أمراء أجنادك وقواد خيلك أمور أصحابهم، والأخذ على قافية أيديهم، رياضة منك لهم على السمع والطاعة لأمرائهم، والاتباع لأمرهم، والوقوف عند نهيهم، وتقدم إلى أمراء الأجناد في النوائب التي ألزمتهم إيها، والأعمال التي استجدتكم لها، والأسلحة والكرع التي كتبتها عليهم، واحذر اعتلال أحد من قوادك عليك بما يحول بينك وبين تأديب جنديك، وتقويمهم لطاعتك، وقمعهم عن الإخلال بمراكزهم لشيء مما وكلوا به من أعمالهم؛ فإن ذلك مفسدة للجندي، مفثأة للقواد عن الجد والإيثار للمناصحة، والتقدم في الاحكام.

واعلم أن في استخفافهم بقوادهم وتضييعهم أمر رؤسائهم دخولا للضياع على أعمالك، واستخفافا بأمرك الذي يأمرون به ورأيك الذي ترتتي؛ وأوعز إلى القواد أن لا يقدم أحد منهم على عقوبة أحد من أصحابه، إلا عقوبة تأديب في تقويم ميل، وتثقيف أود؛ فأما عقوبة تبلغ تلف المهجة وإقامة حد في قطع، أو إفراط في ضرب أو أخذ مال، أو عقوبة في شعر فلا يلين ذلك من جنديك أحد غيرك، أو صاحب شرطتك بأمرك وعن رأيك وإذتك، ومتى لم تدلل الجندي لقوادهم، وتضرعهم لأمرائهم، توجب لهم عليك الحجة بتضييع - إن كان منهم - لأمرك، أو خلل - إن تهاونوا به - من عملك، أو عجز - إن فرط منهم - في شيء مما وكتبتهم به أو أسندته إليهم، ولا تجد إلى الإقدام عليهم باللوم وعض العقوبة عليهم مجازا تصل به إلى تعنيفهم، بتفريطك في تدليل أصحابهم لهم، وإفسادك إياهم عليك وعليهم؛ فانظر في ذلك نظرا محكما، وتقدم فيه برفقك تقدما بليغا؛ وإياك أن يدخل حزمك وهن، أو يشوب عزمك إيثار، أو يخلط رأيك ضياع، والله يستودع أمير المؤمنين نفسه ودينك.

- [التدابير العسكرية عند القرب من العدو، وآليات التعبئة والمسير]: إذا كنت من عدوك على مسافة دانية وسنن لقاء مختصر، وكان من عسكريك مقتربا قد شامت⁽¹⁾ طلائعك مقدّمات ضالته، وحماة فنتته، فتأهب أهبة المناجز، وخذ اعتداد الحذر، وكتب خيولك، وعب جنديك، وإياك والمسير إلا في مقدّمة وميمنة وميسرة وساقّة، قد شهروا الأسلحة، ونشروا البنود والأعلام؛ وعرف جنديك مراكزهم سائرين تحت ألويتهم، قد أخذوا أهبة القتال، واستعدّوا للقاء، ملتجئين إلى موافقهم، عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم، وليكن ترخّلهم وتنزّلهم على راياتهم وأعلامهم وفي

(1) - شام: مخايل الشيء تطلع نحوه ببصره منتظرا له. الرازي: مختار الصحاح، ص 171، مادة «شام».

مراكزهم، قد عرّف كلّ قائد منهم أصحابه مواقفهم: من الميمنة والميسرة والقلب والساقية والطلّيعة، لا زمين لها، غير مخّلين بما استنجدوا له، ولا متهاونين بما أهيّب بهم إليه؛ حتى تكون عساكر في منهل تصل إليه ومسافة تختارها كأنها عسكر واحد في اجتماعها على العدو، وأخذها بالحزم، ومسيرها على راياتها، ونزولها في مراكزها، ومعرفتها بمواضعها، إن ضلّت دابة من موضعها، عرف أهل العسكر من أيّ المراكز هي، ومن صاحبها، وفي أيّ المحلّ حلوله منها فردّت إليه، هداية معروفة بسمت صاحب قيادتها، فإنّ تقدّمك في ذلك وإحكامك له طارح عن جندك مؤونة الطّلب، وعناية المعرفة، وابتغاء الصّالة.

- [صفات قائد مؤخرة الجيش وواجباته]: ثم اجعل على ساقتك أوثق أهل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذا ورضا في العامة، وإنصافا من نفسه للرعية وأخذا بالحق في المعدلة، مستشعرا تقوى الله وطاعته، آخذا بھديك وأدبك واقفا عند أمرك ونهيك معترما على مناصحتك وتزيينك نظيرا لك في الحال، وشبيها بك في الشرف، وعديلا في الموضع، ومقاربا في النسب؛ ثم أكثف معه الجمع، وأيده بالقوة، وقوّه بالظّهر، وأعنه بالأموال، واعمده بالسلاح، ومره بالتعطف على ذوي الضّعف من جندك ومن أزحفت به دابته وأصابته نكبة: من مرض أو رجلة⁽¹⁾ أو آفة، من غير أن يأذن لأحد منهم في التنحي عن عسكره، أو التخلّف بعد ترحّله، إلا لمجهود سقما، أو لمطروق بافة جائحة. ثم تقدّم إليه محذرا، ومره زاجرا، وأنّه مغلظا في الشدّة على من مرّ به منصرفا عن معسكرك من جندك بغير جوازك، شادا لهم أسرا، وموقرهم حديدا، ومعاقبهم موجعا، وموجّهم إليك فتنهكهم عقوبة، وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة.

واعلم أنه إن لم يكن بذلك الموضع من تسكن إليه واثقا بنصيحته قد بلوت منه أمانة تسكّنك إليه، وصرامة تؤمّنك مهاتته، ونفاذا في أمرك يرخي عنك خناق الخوف في إضاعته، لم يأمن أمير المؤمنين تسلّل الجند عنك لوأذا⁽²⁾، ورفضهم مراكزهم، وإخلائهم بمواضعهم وتخلّفهم عن أعمالهم، آمينين تغيير ذلك عليهم، والشدّة على من اجترمه منهم، فأوشك ذلك في وهنك، وخذل من قوّتك، وقلل من كثرتك.

(1) - الرُّجْلَةُ : فعل الرّجل الذي لا دابة له. الفراهيدي: العين، ج 6، ص 103، مادة «رجل».

(2) - لَأَذَبِهِ: لجأ إليه ولاذ به، ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَأَذًا﴾ النور: الآية 63. الرازي: مختار الصحاح، ص

- [تكليف أحد القادة بالسير حماية مؤخرة الجيش]: اجعل خلف سافتك رجلا من وجوه قوادك، جليدا ماضيا، عفيفا، صارما، شهم الرأي، شديد الحذر، شكيم القوة، غير مدهن في عقوبة، ولا مهين في قوة، في خمسين فارسا يحشر إليك جنلك، ويلحق بك من تخلف عنك بعد الإبلاغ في عقوبتهم والنهك لهم والتنكيل بهم. وليكن بعقوتك⁽¹⁾ في المنزل الذي ترحل عنه، والمنهل الذي تتقوض منه، مفروطا في النفض له، والتتبع لمن تخلف عنك به، مشتدا في أهل المنزل وساكته بالتقدم، موعزا إليهم في إزعاج الجند عن منازلهم، وإخراجهم عن مكائهم، وإيعاد العقوبة الموجهة والتكال المبسل في الأشعار والأبشار، واستصفاء الأموال وهدم العقار لمن آوى منهم أحدا أو ستر موضعه، أو أخفى محله، وحذره عقوبتك إياه في الترخيص لأحد، والمحابة لذي قرابة، والاختصاص بذلك لذي أثره وهوادة، ولتكن فرسانه منتخبين في القوة، معروفين بالنجدة، عليهم سوابغ الدروع دونها شعار الحشو وجب الاستجنان⁽²⁾، متقلدين سيوفهم، سامطين كنائهم، مستعدّين لهيج إن بدهم أو كمين إن يظهر لهم؛ وإياك أن تقبل منهم في دوائهم إلا فرسا قويا أو برذونا وثيجا⁽³⁾: فإن ذلك من أقوى القوة لهم، وأعون الظهري على عدوهم - إن شاء الله -

- [كيفية الرحيل وأنواع الأهبة وكيفية النزول وملاحقة العدو]: ليكن رحيلك إباناً⁽⁴⁾ واحدا، ووقتا معلوما: لتخف المؤونة بذلك على جنلك، ويعلموا أوان رحيلهم، فيقدموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم، وأعلاف دوائهم، وتسكن قلوبهم إلى الوقت الذي وقفوا عليه، ويطمئن ذو والرأي إلى

(1) - العفوة: ما حول الدار والمحلة. الفراهيدي: العين، ج2، ص175، مادة «عفو».

(2) - الجنة: بالضم ما استترت به من سلاح، والجنة السرة والجمع: جئن و استجئن بجنة استتر بستره. الرازي: مختار الصحاح، ص62، مادة «جنة».

(3) - وثيجا: يقال فرس وثيج: أي قوي؛ وقيل: مكتنز. والوثاج: كثرة اللحم. ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص396، مادة «وثج».

(4) - الإبان: إبان كل شيء، بالكسر والتشديد: وقته وحينه الذي يكون فيه. يقال: جئته على إبان ذلك أي على زمنه. ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص4، مادة «أبن».

إبان الرحيل، ومتى يكن رحيلك مختلفا، تعظم المؤونة عليك وعلى جنديك⁽¹⁾ ولا يزال ذوو السّفه والنزق يترحلون بالإرجاف⁽²⁾ وينزلون بالتوهم، حتى لا يبتنع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة.

إيّاك أن تظهر استقلالا، أو تنادي برحيل من منزل تكون فيه، حتى تأمر صاحب تعبنتك بالوقوف بأصحابه على معسكرك، آخذا بجنبتي فوّهته⁽³⁾، بأسلحتهم عدّة لأمر إن حضر، أو مفاجأة من طليعة للعدوّ إن رأت منكم نهرة، أو لحت عندكم غرة، ثم مُر الناس بالرحيل وخيلك واقفة، وأهبتك مُعدّة، وجنتك واقية، حتى إذا استقلتم من معسكركم، وتوجّهتم من منزلكم، سرتم على تعبنتكم بسكون ربح، وهدوّ حملة، وحسن دعة. فإذا انتهيت إلى منهل أردت نزوله أو هممت بالمعسكر به، فإيّاك ونزوله إلا بعد العلم بأهله، والمعرفة بمراقفه؛ ومر صاحب طليعتك أن يعرف لك أحواله، ويستشير لك علم دفينه، ويستبطن علم أموره ثم ينهيها إليك على ما صارت إليه: لتعلم كيف احتماله لعسكرك، وكيف مأوه وأعلافه وموضع معسكرك منه، وهل لك - إن أردت مقاما به، أو مطاولة عدوّك أو مكايده فيه - قوّة تحملك ومدد يأتيه: فإنك إن لم تفعل ذلك، لم تأمن أن تهجم على منزل يعجزك ويزعجك عنه ضيق مكانه، وقلة مياهه، وانقطاع مواده، إن أردت بعدوّك مكيدة، أو احتجت من أمورهم إلى مطاولة، فإن ارتحلت منه كنت غرضا لعدوّك، ولم تجد إلى المحاربة والاختار سبيلا، وإن أقمت به أقمت على مشقة وحصر وفي أزل وضيق، فاعرف ذلك وتقدّم فيه. فإن أردت نزولا أمرت صاحب الخيل التي وكتت بالناس فوقف خيله متنحّية من معسكرك، عدّة لأمر إن غالك، ومفزعا لبديهة إن راعتك، فقد أمنت بحمد الله وقوّته فجأة عدوّك، وعرفت موقعها من حرك⁽⁴⁾، حتى يأخذ الناس منازلهم، وتوضع الأثقال مواضعها، ويأتيك خبر طلائعك، وتخرج دبابتك⁽⁵⁾ من معسكرك دراجة⁽⁶⁾ ودبابا محيطين بمعسكرك، وعدّة إن احتجت إليها.

(1) - زاد ابن طيفور « ويحلّوا بمراكزهم »، نقلا عن مُجد كرد علي: رسائل البلغاء.

(2) - الإرجاف: أرجف القوم: إذا خاضوا في أخبار الفتن، ونحوها من الأخبار السيئة. ابن منظور: لسان العرب، ج 23، ص 325، مادة «رجف».

(3) - الفوّهة: من السّكة والطريق والوادي والنهر: فمّه. الزبيدي: تاج العروس، ج 36، ص 469، مادة «الفوهة».

(4) - الحُرز: الموضع الحصين. الرازي: مختار الصحاح، ص 70، مادة «حرز».

(5) - الدبابة: آلة تتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويُقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وتقبيهم ما يُرمون به من فوقهم. ابن منظور: لسان العرب، ج 1، ص 371، مادة «دأب».

(6) - الدراجة: هي الدبابة وتعمل لحرب الحصار يدخل تحتها الرجال. الزبيدي: تاج العروس، ج 5، ص 559، مادة «درج».

إليها. ولتكن دبابات جندك أهل جلد وقوة، قائدا أو اثنين أو ثلاثة بأصحابهم، في كل ليلة ويوم نوبا بينهم، فإذا غربت الشمس ووجب نورها، أخرج إليهم صاحب تعبتك أبداهم، عسسا بالليل في أقرب من مواضع دبابي النهار، يتعاور ذلك قوادك جميعا بلا محاباة لأحد فيه ولا إدهان.

إياك وأن يكون منزلك إلا في خندق وحصن تأمن به بيات عدوك وتستقيم فيه إلى الحزم من مكيدتك إذا وضعت الأثقال وحطت أبنية أهل العسكر، لم يمدد طنبا⁽¹⁾، ولم يرفع خباء، ولم ينصب بناء حتى تقطع لكل قائد ذرعا معلوما من الأرض بقدر أصحابه، فيحفروه عليهم خندقا يطيفون به بعد ذلك بخنادق الحسك⁽²⁾، طارحين لها دون اشتجار الرماح، ونصب الترس، لها بابان قد وكتت بحفظ كل باب منهما رجلا من قوادك، في مائة رجل من أصحابه، فإذا فرغ من الخندق كان ذاك الرجلان القائدان بمن معهما من أصحابهما أهل ذلك المركز، وموضع تلك الخيل، وكانوا البوابين والأحراس لدينك الموضعين، قد كفوهما وضبطوهما وأعفوا من أعمال العسكر ومكروهه غيرهما.

واعلم أنك إذا كنت في خندق، أمنت بإذن الله وقوته طوارق عدوك وبغنائهم، فإن راموا تلك منك، كنت قد أحكمت ذلك وأخذت بالحزم فيه، وتقدمت في الإعداد له، ورتقت مخوف الفتق منه؛ وإن تكن العافية استحققت حمد الله عليها، وارتبطت شكره بها، ولم يضرك أخذك بالحزم: لأن كل كلفة ونصب ومؤونة إنفاق ومشقة عمل مع السلامة غنم وغير خطر بالعاقبة، إن شاء الله. فإن ابتليت ببيات عدوك أو طرقت رائعا في ليلك، فليلفك حذرا مشمرا عن ساقك، حاسرا عن ذراعك، متشزنا لحربك، قد تقدمت دراجتك إلى مواضعها على ما وصفه لك أمير المؤمنين، ودبابتك في أوقاتها التي قدر لك، وطلائعك حيث أمرك، وجندك على ما عبأ لك قد خطرت عليهم بنفسك، وتقدمت إلى جندك إن طرقتهم طارق، أو فاجأهم عدو، أن لا يتكلم منهم أحد رافعا صوته بالتكبير مغرقا في الإجلاب، معلنا بالإرهاب لأهل الناحية التي يقع بها العدو طارقا، وليشرعوا رماحهم ناشبين بها في وجوههم، ويرشقوهم بالنبل مكتنين بأترستهم، لازمين لمراكزهم، غير مزيلي قدم عن موضعها، ولا متجاوزين إلى غير مركزهم؛ وليكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر

(1) الطنب: حبل الخباء والشراذق ونحوهما. الفراهيدي: العين، ج 7، ص 438، مادة «طنب».

(2) الحسك: من أدوات الحرب ربما يتخذ من حديد فيلقى حول العسكر، وربما اتخذ من خشب فنصب حول

العسكر. الفراهيدي: العين، ج 3، ص 59، مادة «حسك».

الجند هادون، لتعرف موضع عدوك من معسكرك، فتمدّ أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشرطتك ومن انتخبت قبل ذلك عدّة للشدائد بحضرتك وتدسّ إليهم النشاب والرّماح.

وإياك وأن يشهروا سيفاً يتجالدون به. وتقدّم إليهم أن لا يكون قتالهم في تلك المواضع لمن طرفهم إلا بالرّماح مسندين لها إلى صدورهم، والنشاب راشقين به وجوههم، قد ألدوا بالأتربة، واستجنّوا بالبيض، وألقوا عليهم سواغ الدروع وجباب الحشو، فإن صدّ العدو عنهم حاملين على جهة أخرى، كبرّ أهل تلك الناحية التي يقع فيها كفعل الناحية الأولى، وبقيّة العسكر سكوت والناحية التي صدّ عنها العدو لازمة مراكزهم منتطقة الهدوء ساكنة الرّيح، ثم عملت في تقويتهم وإمدادهم بمثل صنيعك بإخوانهم.

وإياك أن تخمد نار رواقك وإذا وقع العدو في معسكرك فأججها ساعرا لها وأوقدها حطبا جزلا يعرف به أهل العسكر مكانك وموضع رواقك فيسكن نافر قلوبهم، ويقوى واهي قوتهم، ويشتدّ منخذل ظهورهم، ولا يرحمون بك الظنون، ويجعلون لك آراء السوء، ويرجفون بك آناء الخوف، وذلك من فعلك رادّ عدوك بغيظه لم يستفعل منك ظفرا، ولم يبلغ من نكايتك سرورا. وإن انصرف عنك عدوك ونكل عن الإصابة من جندك وكانت بخيلك قوّة على طلبه أو كانت لك من فرسانك خيل معدّة وكتيبة منتخبة، وقدرت على أن تركب بهم أكساءهم⁽¹⁾، وتحملهم على سننهم، فأتبعهم جريدة⁽²⁾ خيل عليها الثقات من فرسانك، وأولو النّجدة من حماتك، فإنك ترهق عدوك وقد أمن من بياتك، وشغل بكلاله عن التحرّز منك والأخذ بأبواب معسكره، والضّبط لحارسه عليك، موهنة حماهم لغبة⁽³⁾ أبطاهم: لما ألقوكم عليه من التشمير والجدّ، قد عقر الله فيهم، وأصاب منهم، وجرح من مقاتلتهم، وكسر من أمانيّ ضلّاهم، وردّ من مستعلي جماعهم.

وتقدّم إلى من توجهه في طلبهم، وتبعه أكساءهم، في سكون الرّيح، وقلة الرّفث، وكثرة التسبيح والتهلّيل، واستنصار الله عزّ وجلّ بألسنتهم وقلوبهم سرّا وجهرا، بلا لجب ضجّة، ولا ارتفاع ضوضاء، دون أن يردوا على مطلبهم، وينتهزوا فرصتهم، ثم ليشهروا السّلاح، وينتصوا

(1) - الأكساء: الأدبار. ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص388، مادة «كساء».

(2) - الجريدة: الجماعة من الخيل، ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص118، مادة «جريد».

(3) - لغب: لغب يلغب لغوبا، ولغب، وهو شدّة الإعياء. الفراهيدي: العين، ج4، ص421، مادة «لغب».

السيف، فإن لها هيئة رائعة، وبديهة مخوفة، لا يقوم لها في بهمة الليل وحندسه⁽¹⁾ إلا البطل المحارب، وذو البصيرة الحامي، والمستमित المقاتل، وقليل ما هم عند تلك الحمية وفي ذلك الموضع.

- [أوصاف الفرسان وأنواع أسلحتهم وتكتيبيهم وأهبتهم]: ليكن أول ما تتقدم به في التهيؤ لعدوك، والاستعداد للقائه، انتخباك من فرسان عسكريك وحماة جنديك ذوي البأس والحنكة والجلد والصرامة، ممن قد اعتاد طراد الكمامة⁽²⁾، وكشّر عن ناجذه في الحرب، وقام على ساق في منازلة الأقران، ثقف الفروسية، مجتمع القوة، مستحصد الميرة⁽³⁾، صبورا على هول الليل، عارفا بمناهزة الفرص، لم تمهنه الحنكة ضعفا، ولا بلغت به السنّ كلالا، ولا أسكرته غرة الحدائة جهلا، ولا أبطرتة نجدة الأعمار⁽⁴⁾ صلفا، جريئا على مخاطرة التلف، مقدما على ادراع الموت، مكابرا لمهيب الهول، متفحما مخشي الختوف، خائضا غمرات المهالك، برأي يؤيده الحزم، ونية لا يخالجها الشك، وأهواء مجتمعة، وقلوب مؤتلفة، عارفين بفضل الطاعة وعزها وشرفها، وحيث محل أهلها من التأيد والظفر والتمكين، ثم اعرضهم رأي عين على كراعهم وأسلحتهم، ولتكن دوابهم إناث عتاق الخيل، وأسلحتهم سوابغ الدروع وكمال آلة المحارب، متقلدين سيوفهم، المستخلصة من جيد الجوهر وصافي الحديد، المتخيرة من معادن الأجناس، هندية الحديد أو تبتية⁽⁵⁾ يمانية الطبع، رقاق المضارب، مسمومة الشحد، مشطبة الضريبة، ملبدين بالترسة الفارسية، صينية التعقيب، معلمة المقابض بخلق الحديد، أنحاؤها مربعة، ومخارزها بالتجليد مضاعفة، محلها مستخف، وكنائن التبل وجعاب القسي قد استحقبوها، وقسي الشريان⁽⁶⁾ والتبع أعرابية الصنعة، مختلفة الأجناس، محكمة العمل، مقومة التثيف، ونصول التبل مسمومة، وعملها مصيصي⁽⁷⁾، وتركيبها عراقي، وتريشها بدوي، مختلفة

(1) - الحنْدِسُ: الظلمة. الفراهيدي: العين، ج3، ص332، مادة «حنْدِس».

(2) - الكمامة: الشجعان. الزبيدي: تاج العروس، ج39، ص418، مادة «كمي».

(3) - الميرة: عزة النفس. الزبيدي: تاج العروس، ج14، ص109، مادة «مر».

(4) - الأعمار: جمع غمر، بالضم، وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور. ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص32، مادة «غمر».

(5) - عند ابن طيفور «بدنية» نقلا عن محمد كرد علي: رسائل البلغاء.

(6) - الشريان: وهو شجر صلب تتخذ منه القسي، واحدته شريانة. ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص235، مادة «شرن».

(7) - مصيصي: نسبة إلى المصيصة: وهي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص145.

الصَّوْغِ فِي الطَّبْعِ، شَقَى الْأَعْمَالِ فِي التَّشْطِيبِ وَالتَّجْنِيحِ وَالاستِدَارَةِ، وَلَتَكُنِ الْفَارْسِيَّةُ مَقْلُوبَةً الْمَقَابِضُ مِنْبَسُطَةُ السِّيَةِ⁽¹⁾، سَهْلَةُ الْانْعِطَافِ، مَقْرَبَةُ الْانْحِنَاءِ، مَمَكْنَةُ الْمَرْمَى، وَاسْعَةُ الْأَسْهَمِ، فَرَضُهَا سَهْلَةُ الْوَرُودِ، وَمَعَاطِفُهَا غَيْرُ مَقْتَرِبَةِ الْمَوَاتَاةِ، ثُمَّ وَلَّ عَلَى كُلِّ مَائَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خَاصَتِكَ وَثِقَاتِكَ وَنَصِحَاتِكَ، لَهُ صِيَّتٌ فِي الرِّيَاسَةِ، وَقَدَمٌ فِي السَّابِقَةِ، وَأَوْلِيَّةٌ فِي الْمَشَايِعَةِ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي ضَبْطِهِمْ، وَكَفَّ مَعَرَّتَهُمْ، وَاسْتَنْزَالَ نَصَائِحَهُمْ، وَاسْتَعْدَادَ طَاعَتِهِمْ، وَاسْتِخْلَاصَ ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعَاهَدَ كِرَاعَهُمْ وَأَسْلَحَتَهُمْ: مَعْفِيًا لَهُمْ مِنَ النُّوَابِغِ الَّتِي تَلْزِمُ أَهْلَ عَسْكَرِكَ وَعَامَّةَ جُنْدِكَ، وَاجْعَلْهُمْ عِدَّةً لِأَمْرِ إِنْ حَزِبَكَ أَوْ طَارَقَ إِنْ أَتَاكَ؛ وَمَرَهُمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى أَهْبَةِ مَعْدَةٍ، وَحَذِرْ نَافَ لِسَنَةِ الْغَفْلَةِ عَنْهُمْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ السَّاعَاتِ مِنْ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ تَكُونُ إِلَيْهِمْ حَاجَتَكَ، فَلْيَكُونُوا كَرَجُلٍ وَاحِدٍ فِي التَّشْمِيرِ وَالتَّرَادِفِ وَسُرْعَةِ الْإِجَابَةِ، فَإِنَّكَ عَسَيْتَ أَنْ لَا تَجِدَ عِنْدَ جَمَاعَةِ جُنْدِكَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الرُّوعَةِ وَالْمَبَاطِغَةِ - إِنْ احْتَجَّتْ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ - مَعُونَةً كَافِيَةً، وَلَا أَهْبَةَ مَعْدَةٍ، بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ. فَلْيَكُنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَنْتَخِبُ عِدَّتَكَ وَقَوَّتَكَ بَعُوثًا قَدْ وَظَّفَتْهَا عَلَى الْقَوَادِ الَّذِينَ وَلِيَّتَهُمْ أَمُورَهُمْ، فَسَمِّيَتْ أَوْلَا وَثَانِيَا وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا وَسَادِسًا؛ فَإِنْ اكَتَفَيْتَ فِيمَا يَطْرُقُ وَيَبْدَهُكَ بَيْعُثَ وَاحِدٍ، كَانَ مَعْدًا لَمْ تَحْتَجْ إِلَى انْتِخَابِهِمْ فِي سَاعَتِكَ تِلْكَ فَقَطِّعْ الْبَيْعُثَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَا يَرَهَقُكَ. وَإِنْ احْتَجَّتْ إِلَى اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ وَجَّهَتْ مِنْهُمْ إِرَادَتَكَ أَوْ مَا تَرَى قَوَّتَكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

- [صفات صاحب الخزانة والدواوين]: وَكُلِّ بِخَزَائِنِكَ وَدَوَاوِينِكَ رَجُلًا نَاصِحًا أَمِينًا، ذَا وَرَعٍ حَاجِزٍ، وَدِينٍ فَاضِلٍ، وَطَاعَةِ خَالِصَةٍ، وَأَمَانَةِ صَادِقَةٍ، وَاجْعَلْ مَعَهُ خِيَلًا يَكُونُ مَسِيرُهَا وَمَنْزَلُهَا وَمَرْحَلُهَا مَعَ خَزَائِنِكَ وَحَوْلُهَا، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي حِفْظِهَا، وَالتَّوَقُّيَ عَلَيْهَا، وَاتِّهَامَ كُلِّ مَنْ تَسَنَدَ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى إِضَاعَتِهِ وَالتَّهَاوُنِ بِهِ، وَالشَّدَّةِ عَلَى مَنْ دَنَا مِنْهَا فِي مَسِيرٍ، أَوْ ضَامَّهَا فِي مَنْزِلٍ، أَوْ خَالَطَهَا فِي مَنْهَلٍ. وَلْيَكُنْ عَامَّةُ الْجُنْدِ وَالْجَيْشِ - إِلَّا مَنْ اسْتِخْلَصَتْ لِلْمَسِيرِ مَعَهَا - مَتَنَحِّينَ عَنْهَا، مَجَانِبِينَ لَهَا فِي الْمَسِيرِ وَالْمَنْزِلِ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَانَتْ الْجَوْلَةُ وَحَدَّثَتِ الْفِرْعَةَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْخَزَائِنِ مِمَّنْ يُوَكَّلُ بِهَا أَهْلُ حِفْظِهَا وَذَبَّ عَنْهَا، وَحِيَاظَةُ دُونِهَا، وَقُوَّةٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ انْتِهَابَهَا، أَسْرَعُ الْجُنْدِ إِلَيْهَا وَتَدَاعَوْا نَحْوَهَا حَتَّى يَكَادَ يَتْرَامَى ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى انْتِهَابِ الْعَسْكَرِ، وَاضْطِرَابِ الْفِتْنَةِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْفِتَنِ وَسُوءَ السِّيَرَةِ كَثِيرٌ، وَإِنَّمَا هَمَّتْهُمُ الشَّرُّ، فَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي خَزَائِنِكَ وَدَوَاوِينِكَ وَبُيُوتِ أَمْوَالِكَ مَطْمَعٌ أَوْ يَجِدَ سَبِيلًا إِلَى اغْتِيَابِهَا وَمَرْزَأَتِهَا.

(1) - السِّيَةِ: هِيَ مَا عُطِفَ مِنْ طَرَفِي الْقَوْسِ. أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ: السَّلَاحُ، ص 23.

- [حيل تضعف العدو]: اعلم أن أحسن مكيدتك أثار في العامة، وأبعدها صيتا في حسن القالة، ما نلت الظفر فيه بحزم الروية، وحسن السيرة، ولطف الحيلة، فلتكن رويتك في ذلك وحرصك على إصابته بالحيل، لا بالقتال وأخطار التلف، وادسس إلى عدوك، وكتب رؤساءهم وقادتهم وعدهم المنال، ومنهم الولايات، وسوغهم التراث، وضع عنهم الإحن، واقطع أعناقهم بالمطامع، واستدعهم بالمثاوب، واملأ قلوبهم بالترهيب إن أمكنتك منهم الدوائر، وأصارتهم إليك الرواجع، وادعهم إلى الوثوب بصاحبهم أو اعتزله إن لم يكن لهم بالوثوب عليه طاقة، ولا عليك أن تطرح إلى بعضهم كتبا كأنها جواب كتب لهم إليك، وتكتب على ألسنتهم كتبا إليك تدفعها إليهم، وتحمل بها صاحبهم عليهم وتنزلهم عنده بمنزلة التهمة ومحل الظنة، فعمل مكيدتك في ذلك أن يكون فيها افتراق كلمتهم، وتشيت جماعتهم، وإحن قلوبهم، وسوء الظن من واليهم بهم، فيوحشهم منه خوفهم إياه على أنفسهم إذا أيقنوا باتهامه إياهم، فإن بسط يده فقتلهم، وأولغ سيفه في دمائهم، وأسرع الوثوب بهم، أشعرهم جميعا بالخوف، وشملهم الرعب، ودعاهم إليك الهرب فتهافتوا نحوك بالنصيحة وأموك بالطلب، وإن كان متأبيا محتملا رجوت أن تستميل إليك بعضهم، ويستدعي الطمع ذوي الشره منهم، وتنال بذلك ما تحب من أخبارهم - إن شاء الله -.

- [ما ينبغي أن يكون عليه الجند عند اللقاء]: إذا تدانى الصّفان، وتواقف الجمعان، واحتضرت الحرب، وعبأت أصحابك لقتال عدوّهم، فأكثر من قول: لا حول ولا قوّة إلا بالله، والتوكّل على الله عزّ وجلّ والتفويض إليه، ومسألته توفيقك وإرشادك، وأن يعزم لك على الرّشد المنجي، والعصمة الكائنة، والحياطة الشاملة. ومر جندك بالصّمت وقلة التلقّت عند المصاولة، وكثرة التكبير في أنفسهم، والتسيح بضمائهم، ولا يظهرها تكبيرا إلا في الكرات والحملات، وعند كل زلفة يزدلفونها، فأما وهم وقوف فإنّ ذلك من الفشل والجبن، وليذكروا الله في أنفسهم ويسألوه نصرهم وإعزازهم، وليكثروا من قول: لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغي، واكفنا شوكته المستحدّة وأيدنا بملائكتك الغالبين، واعصمنا بعونك من الفشل والعجز إنك أرحم الراحمين.

وليكن في معسكرك المكبرون في الليل والنهار قبل المواقعة، وقوم موقوفون يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوّهم، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم، ويذكرونهم الجنة ودرجاتها ونعيم أهلها وسكانها، ويقولون: اذكروا الله يذكركم، واستنصروه ينصركم، والتجنّوا إليه يمنعكم، وإن استطعت أن تكون أنت المباشر لتعبئة جندك ووضعهم مواضعهم من رأيك، ومعك رجال من ثقات

فرسانك ذوو سنّ وتجربة ونجدة على التبعثة التي أمير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابك، فافعل
- إن شاء الله تعالى -.

- [الدعاء له بالنصر]: أيّدك الله بالنصر، وغلب لك على القوّة، وأعانك على الرّشد، وعصمك
من الرّيغ، وأوجب لمن استشهد معك ثواب الشهداء ومنازل الأصفياء، والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته، وكتب سنة تسع وعشرين ومائة»⁽¹⁾.

تعتبر هذه الرسالة أطول رسائل العصر الأموي التي وصلت إلينا وهذا أمر ملفت حقا، مرده ربما
إلى تطور فن الترسل في الحضارة العربية الإسلامية، والكلام على هذا الجانب في الرسالة يطول وليس
هذا مقام الخوض فيه، وربما يفضل العودة للكتب التي تناولت تطور الأساليب الأدبية واللغوية للاطلاع
على مواطن التطور فيها والوقوف على قيمتها اللغوية والبلاغية.

غير أن ما يعتبر إشكالا حقيقيا يعترض طريقنا في التعليق على هذه الرسالة هو نسبتها لعبد
الحميد بن يحيى كاتب مروان، والسؤال الذي يطرح في هذا المقام هو: هل هذه الرسالة لعبد الحميد
الكاتب فعلا دونها للخليفة مروان بن مُجّد من عنده وما ورد فيها كله من بنات أفكاره، أم هي لمروان
نفسه أملاها عليه فكتبها؟ وهذا السؤال لم يناقشه الباحثون والمحققون الذين تعاملوا مع هذا النص.

وإن المدقق في شأن هذه الرسالة يتضح له الكثير من الأشياء التي تجعلنا نميل إلى أن هذه الرسالة
لمروان بن مُجّد أملاها على عبد الحميد إملاء، سنحاول عرضها باختصار في النقاط التالية:

أولا: ما جاء في تقديم هذه الرسالة في المصادر التي أوردتها فقد جاء لدى القلقشندي: «كتب
عبد الحميد بن يحيى الكاتب، عن مروان بن مُجّد لبعض من ولاءه»⁽²⁾، وفي هذا إشارة ضمنية عن أن
مروان كان هو المملي، كما أن كتب الأدب نقلت لنا نماذج رسائل أملاها مروان مباشرة على عبد
الحميد فقد ذكر أبو حيان التوحيد أن عبد الحميد الكاتب قال متكلمًا عن مروان: «أمرني أن أكتب
في حاجة إلى أخ له فكتبت على قدر الوسع، فقال لي: اكتب ما أقول لك: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،
أما آن للحرمة أن ترعى، وللدين أن يقضى، وللموافقة أن تتوخى؟»⁽³⁾، وفي هذا دليل يرجح ما
ذهبنا إليه من أن عبد الحميد لم يكن مستقلا في كتابته لرسائل مروان.

(1)- القلقشندي: صبح الأعشى، ج10، ص198-242، ابن طيفور: المنثور والمنظوم، نقلا عن مُجّد كرد علي:

رسائل البلغاء، ص139-164، أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج2، ص406-455، أحمد
مفتاح: مفتاح الأفكار، ص230-264.

(2)- القلقشندي: صبح الأعشى، ج10، ص198.

(3)- البصائر والذخائر، ج7، ص15.

ثانياً: ربما يقول القائل أن الإبداع المتجلي في بلاغتها وأساليبها لا يمكن أن يصدر عن الخليفة الأموي مروان بل إن هذا الأسلوب وهذه البلاغة من شأن الأدباء والكتاب المتمرسين فقط، وقد قيل في عبد الحميد الكاتب أنه يضرب به المثل في البلاغة وعنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا، وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل⁽¹⁾، وهو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل وذلك أنه أول من مهد سبلها، وميز فصولها، وأطالها في بعض الشؤون، وقصرها في بعضها الآخر وأطال التحميدات في صدرها وجعل لها صوراً خاصة ببدئها وختمها على حسب الأغراض التي تكتب فيها⁽²⁾، وكل هذا صحيح ولا يستطيع أن ينكره ناكر، غير أن مروان كان هو الآخر صاحب بلاغة والأكثر من ذلك أن عبد الحميد نفسه تتلمذ على يديه وأخذ عنه فنون البلاغة وهو يقول بعظمة لسانه «تعلمت البلاغة من مروان بن محمد»⁽³⁾، إذن فليس يصعب على مروان أن يأتي بمثل ما جاء في هذه الرسالة، وهو أستاذ عبد الحميد ولا يبعد أن يكون عبد الحميد أخذ عن مروان دروساً في البلاغة من خلال هذه الرسالة بعينها.

ثالثاً: أن ما جاء في الرسالة من وصايا عسكرية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يصدر إلا عن متمرس في الشؤون العسكرية قاد الجيوش بنفسه وخبر أمرها، وهذا ما حذق فيه مروان واشتهر به حتى لقب "بالحمار" و"عير الجزيرة" لصبره على القتال والمناجزة، ولا يمكن أن نستسيغ أن عبد الحميد خبر الشؤون العسكرية باطلاعه على كتب الأولين أو بالاعتماد على ثقافته الواسعة وهذا كله يدعم أن هذه الرسالة صدرت عن مروان نفسه لابنه وولي عهده، وانطلاقاً من هذه النتيجة نعتبر أن هذه الرسالة وما ورد فيها من الوصايا ضمن وصايا الخلفاء الأمويين.

أما الذي كتب إليه بما كتب فلم يرد في النص الذي ذكره القلقشندي في هذه الرسالة التصريح باسم المرسل إليه بل اكتفى بقوله: «كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب، عن مروان بن محمد لبعض من ولّاه» غير أن ابن طيفور صرح باسم المرسل إليه فقد قال: «ومن الرسائل المفردات رسالة عبد الحميد بن يحيى إلى عبد الله بن مروان حين وجه لمحاربة الضحاك الخارجي في تعبئة الحروب فإنه يقال أنها لا مثل لها في معناها»⁽⁴⁾.

(1) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص228.

(2) - أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر الأدب، ج2، ص129.

(3) - أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، ج7، ص15، الآبي: نثر الدر، ج3، ص51.

(4) - المنظوم والمنثور، نقلاً عن: محمد كرد علي: رسائل البلغاء، ج1، ص66.

كما أن المصادر التاريخية تذكر أن مروان أرسل ابنه عبد الله وقد كان استخلفه على الجزيرة لاعتراض سبيل الضحاك، فقد قال ابن خياط في أحداث سنة 128هـ: «فيها سار الضحاك بن قيس حتى أتى الموصل فخرج إليه عاملها فقتله الضحاك واستولى على المدينة فبلغ مروان فكتب إلى ابنه عبد الله بن مروان وهو يومئذ على الجزيرة يأمره أن ينزل بنصيبين»⁽¹⁾.

كما ذكر الطبري في أحداث نفس السنة مايلي: «واستولى الضحاك على الموصل وكورها، وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص، مشغول بقتال أهلها، فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة، يأمره أن يسير فيمن معه من روابطه إلى مدينته نصيبين ليشغل الضحاك عن توسط الجزيرة»⁽²⁾، وقد كان مروان بن محمد من الأولاد أربعة كما أخبر بذلك البلاذري: عبد الله وعبيد الله وعبد الملك وعبد الغفار⁽³⁾.

حمل مروان في هذه الرسالة المطولة عديد الوصايا بما يراه مناسباً لابنه كقائد للجيش ومقبل على معركة وكولي عهد له، وضمنها خبراته وما استخلصه من تجاربه وما تعلمه وقد تناهى إليه من تطور في أساليب الحكم الذي أنتجته وأفرزته دولة بني مروان، فقد شهد له أعدائه بحسن السياسة إذ ذكره المنصور مرةً فقال: «لله دره ما كان أحزمه وأسوسه، وأعفاه عن الفياء»⁽⁴⁾.

ويتضح من خلال هذه الرسالة أن الذي صدرت عنه لا يمكن أن يكون إلا مروان نفسه وأنه لخص فيها تراث من سبقه من الخلفاء الأمويين وخبراتهم، كما أعطت صورة عن التصور الأموي للإدارة، جمعها مروان وعبر عنها بخالص أسلوبه وبلاغته وصقلها عبد الحميد الكاتب سيد الكُتّاب بقلمه.

خاطب مروان ابنه عبد الله في بداية رسالته كولي للعهد، ووجه له بعض الوصايا والإرشادات السياسية قبل أن يخوض في وصاياه العسكرية التي غلبت على معظم ما جاء في الرسالة، والعناوين الفرعية التي وضعتها على محاور الرسالة تدل على ذلك ففي توضيحه للهدف من كتابة رسالته ذكره بأنه هو ولي عهده وذكر المؤهلات التي من خلالها اختاره ولياً لعهد دون غيره من أخوته وهي:

- مكانته من مروان ويبدو أنه مقرباً إليه دون إخوته.
- تميزه عن غيره بالأخلاق التي يراها مروان مناسبة للخلافة ويرغب فيها ويتخلق بها.
- امتلاكه لشيم أبيه مروان المحمودة.

(1) - تاريخ خليفة، ص 378.

(2) - تاريخ الطبري، ج 7، ص 345.

(3) - أنساب، ج 9، ص 218.

(4) - الذهبي: العبر، ج 1، ص 137.

- يشابه أباه في حسن التدبير.

ورأى مروان رغم كل هذه الخصال أنه لا يمنع ذلك من اسدائه النصح والموعظة والتوصية. وحثه على طلب الحكمة وركوب مصاعب سبيلها، وأوصاه بتقوى الله في سيرته وشكره على نعمه وقراءة القرآن وتدبر معانيه.

وأوصاه بمجاهدة النفس والهوى، وأن يحصن أعماله من العجب بالنفس فإنه رأس الهوى، ثم جمع له كريم الخلال التي يجب أن يتخلق بها.

لينتقل به إلى موضوع سياسي آخر هو من الأهمية بمكان ألا وهو البطانة فوضح له ما يجب أن يتوفر في أهل بطانته من صفات:

- أن يكونوا من أهل الفقه والورع.

- أن يكونوا من خاصة أهل بيته، وعامة قواده.

- أن يكونوا كباراً في السن حنكتهم الحياة بتصاريف الأمور.

- أن يكونوا من ذوي الخبرة والتجربة.

- أن يكونوا عارفين بمحاسن الأمور ومواضع الرأي وعين المشورة.

- أن يكونوا مأموني النصيحة مخلصي الطاعة.

ثم أرشده إلى كيفية التعامل معها حتى في أدق التفاصيل، كما أوصاه بتقويم سلوكه في مجلسه وابتعاده عن الفكاهة والضحك والتهيه، وإبراز الحدة والجد والرصانة، كما أوصاه بكيفية التعامل مع السعاعات التي تصله وكيف يتعامل مع السعاة الذين يحاولون التقرب إليه بسعائياتهم بالآخرين.

ولقنه طريقة تلقي حاجات الجند والخاصة والبطانة بأن تعرض على كاتبه الخاص بهذه الأمور أولاً وينظر فيها قبل أن يبددها أصحابها في مجلسه، وكذلك الأمر بالنسبة للرسول والوفود بأن يطلع على أمرهم وما جاءوا به قبل أن يراهم، ثم حذره من العجب والغضب، وأوصاه بالحيولة دون الغيبة والنميمة من البطانة.

وفوق كل هذا لقنه الكثير من آداب المجلس بما انتهى إليه مروان في علمه وواسع تجربته، كما حثه

على فعل الخير واعتناؤه بالعامية وبيّن له عواقب ذلك، وأرشده إلى التقرب إلى العامة بتقريب أهل الفضل في الدين والورع والعقل والرأي.

ثم شرع له في وصايا تتعلق بالشأن العسكري وهي من أهم ما وصل إلينا في هذا الشأن، إلا أنها لا تدخل في دائرة اهتمامنا في هذه الدراسة لنترك أمرها للدارسين والباحثين في شأن الوصايا العسكرية.

أما عن مصير الضحاك بن قيس الشيباني مع عبد الله بن مروان فقد جاء في المصادر التاريخية أن عبد الله قد شخص إلى نصيبين وهو في نحو من 7 آلاف أو 8، وخلف بجزان قائدا في ألف أو نحو ذلك، وسار الضحاك من الموصل إلى عبد الله بنصيبين، فقاتله فلم يكن له قوة لكثرة من مع الضحاك، وأقام الضحاك على نصيبين محاصرا لها، ووجه قائدين من قواده في 4 آلاف أو 5 آلاف حتى وردا الرقة، فقاتلهم من بها من خيل مروان، وهم نحو من 500 فارس، ووجه مروان حين بلغه نزولهم الرقة خيلا، فلما دنوا منها انقشع أصحاب الضحاك منصرفين إليه، فاتبعتهم خيله، فقطعهم مروان حين قدم الرقة، ومضى صامدا إلى الضحاك وجموعه حتى التقيا فقاتله يومه ذلك، فلما كان عند المساء ترجل الضحاك وترجل معه من ذوي الثبات من أصحابه نحو من 6 آلاف وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه، وأحدقت بهم خيول مروان فألحوا عليهم حتى قتلوهم عند العتمة، وقتل الضحاك فيمن قتل، وبعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة، فطيف به فيها⁽¹⁾.

ولم يجد عبد الله بن مروان مجالا لتنفيذ كل الوصايا التي جاءت في رسالة أبيه، فالوقت الذي صدرت فيه هذه الرسالة كان غير مناسب، لأن حبل دولة بني أمية كان قد انفرط وملكهم قد آل إلى الزوال.

(1) - البلاذري: أنساب، ج 9، ص 264 وما بعدها، تاريخ الطبري، ج 7، ص 345-346، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 352-353.

الفصل الثاني

وصايا الخلفاء الأمويين لولايتهم فيما ينبغي

أن تكون عليه سياستهم للرعية، ومعالجة الأحداث السياسية

❖ أولاً: وصايا خلفاء الفرع السفيفاني لولايتهم

- 1- وصية معاوية لعمر بن العاص يبين له عاقبة التآني
 - 2- وصية معاوية لزياد يرشده إلى كيفية سياسته لرعيته
 - 3- وصية معاوية لزياد في كيفية التعامل مع القبائل
 - 4- وصية معاوية لعبيد الله بن زياد فيما ينبغي أن تكون عليه سيرته وسياسته مع الرعية
 - 5- وصية معاوية لعبيد الله بن زياد ينهيه عن قتل يزيد بن مفرع
 - 6- وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة باستباحة المدينة ثلاثاً
- تمهيد: كيفية معالجة يزيد لثورة أهل المدينة وثورة وابن الزبير

❖ ثانياً: وصايا الفرع المرواني لولايتهم

- 1- وصايا عبد الملك للحجاج في كيفية التعامل مع أهل العراق
 - 2- وصية سليمان لمحمد بن يزيد والي إفريقية الجديد
 - 3- وصايا عمر بن عبد العزيز لعماله
- أ- وصية عمر بن عبد العزيز لبعض عماله في تحقيق مزيد من العدل
- ب- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة يحذره من ظلم الرعية
- ج- وصايا عمر بن عبد العزيز لأمرء الأجناد في تحري الحق عند معاقبتهم للناس
- د- وصيته لعماله بالإحسان للرعية والرفق في سياستهم لها
- هـ- وصية عمر بن عبد العزيز للضحاك بن قيس يدعوه لمحاربة داء العصبية القبلية

الفصل الثاني: وصايا الخلفاء الأمويين لولايتهم فيما ينبغي أن تكون عليه سياستهم للرجعية، ومعالجة

الأحداث السياسية

أولاً: وصايا خلفاء الفرع السفلي لولايتهم

كان الخلفاء الأمويون يحرصون أن يكون على رأس الولايات الكبرى رجال إما من البيت الأموي نفسه، أو من أشد المخلصين لدولتهم، المشهورين بالحزم والدهاء والمقدرة السياسية والإدارية⁽¹⁾. اعتمد معاوية بن أبي سفيان الاستعانة بأقاربه في إدارة الدولة، ثم بأقرب الناس إليه المواليين له وممن اشتهر بالكفاءة، من ذلك أنه جعل ولاية الحجاز من نصيب أقاربه، و«كان إذا أراد أن يولي رجلاً من بني حرب ولاءه الطائف، فإن رأى منه خيراً وما يعجبه ولاءه مكة، معها فإن أحسن الولاية وقام بما ولي قياماً حسناً جمع له معها المدينة، فكان إذا ولي الطائف رجلاً قيل هو في أبي جاد، فإذا ولاءه مكة قيل هو في القرآن، فإذا ولاءه المدينة قيل هو قد حذق»⁽²⁾.

وأدار العراق برجال من قبيلة ثقيف منهم المغيرة بن شعبة وزيد بن أبيه الذي استلحقه بنسبه لما عرف عنه من قوة وحنكة سياسية مكنته الاعتماد عليه، لذلك ولاءه البصرة، وجمع له الكوفة، بعد وفاة المغيرة سنة 49هـ⁽³⁾.

وإلى جانب الكفاية والمقدرة الإدارية، كان الأمويون يحرصون على أن يكون ولايتهم من أهل النزاهة والأمانة والاستقامة حسن الخلق، فقد عزل معاوية بن أبي سفيان ابن أخته عبد الرحمن بن عبد الحكم عن ولاية الكوفة لما بلغه أنه أساء السيرة، وعزل عبد الملك بن مروان أحد عماله لما بلغه أنه قبل هدية⁽⁴⁾.

وقد حذا الولاة الأمويين حذو خلفائهم في اختيار من يساعدهم على إدارة الكور والأقاليم الصغيرة التابعة لولايتهم.

يعتبر الولاة والعمال على النواحي أحد أركان الحكم في العهد الأموي، ولذا منحهم الخلفاء صلاحيات واسعة في إدارة مناطقهم في إطار سياسة اللامركزية، الذين يحق لهم تعيين الولاة على المناطق التابعة لهم إلا في حالة خاصة فإن الخليفة هو الذي يقوم بذلك، كما أسندت إليهم مهمة الإشراف على جباية الأموال وإنفاقها فيما يهم مصالح الولاية، فإذا فضل شيء حمل إلى بيت المال في دمشق، ولما

(1) - عبد الشافي: العالم لإسلامي، ص 465.

(2) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 296.

(3) - ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج 2، ص 20.

(4) - ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج 2، ص 390؛ عبد الشافي: العالم لإسلامي، ص 466.

كان أمرهم كذلك فقد دأب الخلفاء الأمويين على تعهدهم بالوصايا التي توفر عليهم المزالق والعثرات والأخطاء، وتوجيههم لما ينبغي أن تكون عليهم سياستهم نحو الرعية بالرفق بهم وتأمين حياتهم، ومرافقهم التي بها قوام حياتهم ورفع الغبن عنهم، والغاية تسكين الجبهة الاجتماعية وكسب ولائها لهم، ودفع نقيمتها وسخطها عليهم.

1- وصية معاوية لعمرو بن العاص يبين له عاقبة التأني

رد معاوية على عمرو بن العاص لما عاتبه على التأني

-رقم: 17-

يبدو أن عمرو بالعاص كان يرى التأني في اتخاذ القرارات في المواقف التي تحتاج إلى حسم الأمور تصرف غير مأمون العواقب، وفي هذا الصدد رد عليه بمعاوية بالوصية التالية:

رواية ابن دريد	رواية ابن عساکر
قال معمر بن راشد: «أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني.	«عن معمر عن ابن بركان يعني جعفرًا إن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني.
فكتب إليه معاوية:	فكتب إليه معاوية:
أما بعد. فإن التفهم في الخير زيادة في الخير زيادة ورشد، ⁽¹⁾ وإن الرشيد من رشد عن العجلة،	أما بعد. فإن التفهم زيادة ورشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة.
وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المثبت مصيب، وإن العجلُ مخطيء.	وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن المثبت مصيب أو كاد يكون مصيبًا وإن العجل يخطيء -أو كاد يكون مخطنًا-
ومن لم ينفعه الرفق ضره الخرق	وإنه من لا ينفعه الرفق يضره الخرق
ومن لم تنفعه التجارب لا يدرك المعالي	ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي
ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله	ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته

(1) في روضة العقلاء، وتاريخ دمشق « وإنه من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي -أو قال المعالي- ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وتصبره شهوته، ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم.»

ولا يدرك ذلك إلا أن يقوده الحلم والعقل يسلم من الزلل بالثبث والأناة وترك العجلة ولا يزال العجلُ يخشى الندامة» ⁽¹⁾ .	ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم» ⁽²⁾ .
--	---

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 17أ-

وبالرغم من نقل ابن عساكر نصه عن ابن دريد فإن بينهما اختلاف ولذا نذكره حتى هذا الخلل. قال العتبي « كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يعاتبه في التأني. فكتب إليه معاوية:

أما بعد فإن التفهم في الخير زيادة ورشد، وإن المتثبت مصيب، وإن العجلُ محطىء، ومن لم ينفعه الرفق يضره الخرق، ومن تعظه التجارب لم يدرك المعالي، ولا يبلغ الرجل أعلى المبالغ حتى يغلب حلمه جهله، والعقل يسلم من الزلل بالثبث وترك العجلة ولا يزال العجلُ يجتني ثمرة الندم»⁽³⁾.

وهذا الرد من معاوية على عمرو له أهميته نبهه فيه إلى مخاطر العجلة خاصة ممن يتولون أمور الناس، خاصة وأنه أحد أعوانه على إقليم مصر الذي له أهميته القصوى من بين سائر أقاليم الدولة، وكأني بما كتب به إليه يوصيه أن يجعله إماما له في موافقه. إذ في التأني السلامة وفي العجلة الندامة.

2- وصية معاوية لزياد يرشده إلى كيفية سياسته لرعيته

رد معاوية على زياد بن أبيه يبين له كيف تكون سياسته مع الرعية

-رقم: 18-

كان معاوية يسعى إلى حل المشاكل التي تواجهه بما ينبغي تارة بالمدارة واللين والحسنى، كما كان يستميل القلوب بالعطاء وبالإقناع أو بالإغضاء أو بالمجادلة والتي هي أحسن، وبلغ من سعة الصدر

(1) - ابن دريد: تعليق من أمالي ابن دريد، ص 116؛ وكتابه المجتني، ص 24؛ بن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،

ص 218؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 59، ص 189 وهي الرواية الثانية له.

(2) - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 59، ص 188-189، وهي الرواية الأولى له، ص 189 وهي الرواية الثانية له

(3) - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 59، ص 190، وهي الرواية الثالثة له؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 2،

ووافر الحلم أن يضرب المثل بحلمه⁽¹⁾، وقد عبر معاوية عن هذه السياسة بقولته المشهورة: «لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبدا. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها»⁽²⁾، مانحا حرية التعبير للمعارضة السلمية التي كان معاوية رضي الله عنه يفرق بينها وبين المعارضة السلمية والمسلحة فهو يطلق حرية الكلام والتعبير عن الرأي ما دام ذلك في حدود التعبير عن الرأي، أما إذا انقلب الأمر إلى حمل السلاح وسلّ السيوف، فإنه لا يجد مفرّاً من مواجهة هذه الثورات كما فعل مع الخوارج، وقد جسد ذلك في قولته الشهيرة: «إني لا أحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا»⁽³⁾، وهي السياسة التي حاول حمل عماله عليها، منهم زياد بن أبيه واليه على البصرة، إذ ذكر الشعبي أن زياد قال: «ما غلبني أمير المؤمنين بشيء من السياسة إلا بباب واحد، استعملت فلانا⁽⁴⁾ [فكسر]⁽⁵⁾ خراجه فخشي أن أعاقبه، ففر إلى أمير المؤمنين فكتب إليه:

إن هذا أدب سوء لمن قبلي.

فكتب إلي:

إنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسوس الناس سياسة واحدة،⁽⁶⁾ أن نلين جميعا فتمرح الناس في المعصية⁽⁷⁾، ولا أن نشد جميعا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون للشدة والفظاظة وأكون للين والرفاة والرحمة»⁽⁸⁾.

(1) - محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ج2، ص147.

(2) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص112.

(3) - تاريخ الطبري، ج5، ص336؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص126.

(4) - ما أثبت من الطبعة الهندية، وأنساب الأشراف، وتاريخ دمشق، وفي طبعة دار الرشد بالرياض «فكثر» وهي دون شك مصحفة والذي يكثر خراجه يمدح ويشكر ولا يعاقب وانظرها في بقية الروايات.

(5) - عند البلاذري: «فكسر الخراج وهرب إلى معاوية»

(6) - عند البلاذري: «فنين»

(7) - عند البلاذري: «تمرح الناس في المعصية وأن لانشئت».

(8) - ابن أبي شيبة: المصنف، ج6، ص187، رقم: 30554، البلاذري: أنساب، ج5، ص84؛ ابن عبد ربه: العقد

الفريد، ج5، ص112؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، وذكر روايتين، ج59، ص187، ص18؛ الذهبي: سير

أعلام النبلاء، ج3، ص154.

رواية أخرى

-رقم: 18أ-

(1) وعن مسلمة بن محارب قال: قال زياد:

« (2) لم يغلبني معاوية بالسياسة إلا في رجل من بني تميم استعملته فكسر الخراج ولحق به فآمنه، فكتبت إليه:

(3) إن في هذا مفسدة للعمال وحملا على سوء الأدب، فابعث به إلي.

فكتب إلي معاوية:

(4) إنه لا يصلح أن أسوس وتسوس الناس سياسة واحدة، (5) إنا إن نشد جميعا نهلك الناس الناس ونخرجهم [إلى أسوأ أخلاقهم، وإن لنا] (6) جميعا نبطرهم (7)، ولكن تلين وأشدت وتشد وألين، وألين، فإذا خاف أحدهم وجد بابا فدخله» (8).

رواية أخرى

-رقم: 18ب-

وذكر عوانة بن الحكم رواية أخرى تكشف عما خفي فيما سبق، قال زياد بن أبيه: «ما غلبني معاوية في شيء من أمر السياسة إلا في شيء واحد، وذلك: أنني استعملت رجلا على دستميسان (9) فكسر الخراج، ولحق بمعاوية، فكتبت إليه أسأله: أن يبعثه إلي فكتب إلي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (10)

(1) - عند ابن دريد وابن عساكر: «عن العتيبي قال: قال زياد» .

(2) - عند ابن دريد « ما غلبني معاوية» .

(3) - عند ابن دريد « إن هذا أدب سوء فابعث» .

(4) - عند ابن دريد وعند ابن عساكر « لا يصلح أن نسوس الناس أنا وانت سياسة [ابن عساكر] بسياسة» .

(5) - عند ابن دريد « فإننا إن نشد نهلك الناس جميعاً، ونخرجهم إلى سوء أخلاقهم» .

(6) - إضافة من عند ابن دريد وابن عساكر، وفي أنساب الأشراف « ونخرجهم، وإن نلن [كذا]» .

(7) - عند ابن دريد وابن عساكر: « أبطروهم ذلك ولكن ألين وتشدت وتلين وأشدت، فإذا خاف خفف وجد بابا يدخله»

(8) - البلاذري: أنساب، ج 5، ص 84؛ ابن دريد: الفوائد والأخبار، ص 32، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 59،

ص 188؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 443. ولم يذكر إلا رد معاوية .

(9) - دَسْتَمِيسَان: كورة جلييلة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب وقيل دستميسان كورة قصبتها الأبله

معجم البلدان - الفكر ج 2، ص 455. مادة: «دستميسان» .

(10) - البسملة ناقصة عند ابن حمدون .

أما بعد، فإنه ليس ينبغي لمثلي ومثلك أن نسوس الناس جميعاً بسياسة واحدة، أن نشتدّ عليهم جميعاً فنخرجهم، أو نلين جميعاً فنمرجهم، ولكن تكون أنت تلي الفظاظة والغلظة، وأكون أنا إلى الرأفة والرحمة، فإذا هرب هارب من باب، وجد باباً يدخل فيه والسلام»⁽¹⁾.
وعلق ابن حمدون على هذه السياسة فقال إثر ما ذكر: «ولقد نظر معاوية لنفسه واختار أخفّ السياستين وأحبهما إلى الناس».

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 18ج-

في حين جاء ما سبق في العقد الفريد أن زيادا قال: «ما غلبني أمير المؤمنين معاوية إلا في واحدة طلبت رجلاً، فلجأ إليه وتحرم به، فكتب إليه:
إن هذا فساد لعملي إذا طلبت أحداً لجأ إليك فتحرم بك
فكتب إلي:

إنه لا ينبغي لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة فيكون مقامنا مقام رجل واحد ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة فيستريح الناس فيما بيننا»⁽²⁾

رواية أخرى

-رقم: 18د-

قال الراغب الأصفهاني: قال زياد:

«ما غلبني معاوية في شيء من السياسات، إلا في واحدة. استعملت رجلاً على قرية فكسر خراجها ولحق بمعاوية. فكتبت إليه أن ابعثه إليّ، فكتب:
«ليس ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة إذا وليت القطاة»⁽³⁾ فحق أن لي الليانة، لكن إذا هرب هارب من باب وجد باباً يدخله والسلام»⁽⁴⁾.

(1) - أسامة بن منقذ: لباب الآداب، ص 52؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 1، ص 413؛ محمد بن علي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص 24؛ محمد بن منصور: الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ص 130-131.

(2) - ابن عبد ربه، ج 5، ص 11.

(3) - القطاة: مفردة قطط، وتطلق على القطع عامة، وهنا تعني الشدة. ابن منظور: لسان العرب، ج 7، ص 380. مادة «قطط».

(4) - الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ص 211.

لم يقتصر الأمر من معاوية على تنبيه زياد إلى ضرورة أن تكون سياستهما للناس متباينة فإذا أغلظ وشدد عليهم، كانت سياسة الخليفة عكس سياسته قائمة على الرأفة والرحمة حتى لا تضيق الحياة عليهم، وتزداد مواقفهم تشنجا وسوءا نحوهما، فقد نبه مرة أخرى في الموقف الذي اتخذ مع ابن سرح أحد شيعة الإمام علي عليه السلام الذي هرب إلى الحسن عليه السلام منه لما طلبه فخاف على نفسه منه، فهدم داره وصادر أمواله، فكتب إليه يطلب منه رده عليه لمعاقبته، فكتب إليه يشفع فيه ويلتمس منه بناء داره ورد أمواله عليه، فرد عليه بكلام ينقصه الأدب في حق الحسن، فكتب الحسن إلى معاوية يخبره بالأمر وبما كتب إليه زياد، فكتب معاوية إليه فكان مما جاء في كتابه إليه:

« وإن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عليك وإن ذلك لم يضعك وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك فإذا قدم عليك كتابي فخل ما في يدك لسعيد بن سرح وابن له داره ولا تعرض له واردد عليه ماله فقد كتبت إلى الحسن أن يخبر صاحبه إن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده ليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان وأما كتابك إلى الحسن باسمه ولا تنسبه إلى أبيه فإن الحسن ويلك من لا يرمى به الرجوان أفإلى أمه وكنته لا أم لك هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك أفخر له إن كنت تعقل»⁽¹⁾.

والحقيقة أن هذه السياسة هي الشعرة التي ضربها مثلا والممدودة بينه وبين رعيته التي غابت عن زياد بن أبيه.

3- وصية معاوية لزياد في كيفية التعامل مع القبائل

جعل الإسلام بمجيئه ولاء الناس للأمة بدل ولائهم لعصبهم وقبائلهم، ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عادت العصبية القبلية من جديد وأدت بالكثير من القبائل العربية إلى قطع كل علاقة لها بدولة الإسلام في المدينة المنورة، ولكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه - تصدى لدعاتها بشدة لا تعرف المهادنة، ونجح في ذلك.

وكذلك كانت سياسة من جاء بعده من الخلفاء الراشدين، من ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - كان له موقف صارم من الدعوات العصبية حيث جاء في إحدى مراسلاته إلى أمراء الأجناد: «...إذا تداعت القبائل فاضربوهم بالسيف حتى يصيروا إلى دعوة الإسلام»⁽²⁾، وبمثل

(1) - المعافي بن زكريا: المجلس السابع، ص 494-496؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 19، ص 198-199.

(2) - علي المتقي: كنز العمال، ج 5، ص 778.

ذلك أمر أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- وحرّم أيضاً رجلاً من عطاءه لمناداته: «يا آل بني تميم!»، ثم أعاده إليه، وعاقب آخر نادى «يا آل ضبة!»⁽¹⁾.

إلا أن العصبية القبلية عادت للظهور من جديد بعد أن صارت الخلافة إلى بني أمية، وتجلت سافرة، تضرس بأنياب وتطأ بمنسم في موقعة مرج راهط سنة 64هـ⁽²⁾، والتي كانت آخر الحلول بين القيسيين واليمنيين للاستحواذ على الخلافة، وامتدت هذه النعرة إلى القبائل العربية في العراق وخراسان والأندلس، دون أن ننسى ما للشعراء من دور فاعل مقيت في تغذيتها، وساهم خلفاء بني أمية في بثها بين القبائل ظناً منهم أن ذلك يعزز من سلطانهم ويرسخه، إلا أنهم كانوا في عاقبة أمرهم أحد ضحاياها. كما كان من عواقبها أيضاً ظهور العصبية الإقليمية، وقلدتهم الشعوب الأخرى في ذلك، خاصة الفرس بالدعوة إلى عصبيتهم التي وظفوا كل الوسائل لإعادة الاعتبار لأجدادهم⁽³⁾.

بذل عدد من الخلفاء وولاة العصر الأموي جهوداً كبيرة في محاربة العصبية القبلية، التي كانوا وراء بعثها لما أصبحت تهدد مستقبل دولتهم، على أن هذه الجهود لم تتعد كونها محاولات فردية محدودة النطاق ولم ترق إلى مشروع أو مخطط تتبناه الدولة، فالدولة لم تضع خطة معينة يتبعها الخلفاء والولاة في سياستهم تجاه القبائل، وفي مناهضتهم للنعرة القبلية بل كان سلوك الحكام إزاء ذلك مستوفى من نزعاتهم الشخصية، وتبعاً لما تقتضيه المصلحة العامة للدولة⁽⁴⁾.

وصية معاوية لزياد في كيفية تعامله مع القبائل

-رقم: 19-

قد كان زياد بن أبيه من أشد ولاة بني أمية مناهضة لداء العصبية الذي ظل مستعصياً وقتاً طويلاً، وبقي خارج نطاق الاحتواء وقد حاول إصلاحه منذ أن تولى إمرة البصرة فنجدته في خطبته التي تعرف البتراء يحذر الناس من العصبية ودعوى الجاهلية ويهدد الداعي بها بقطع لسانه⁽⁵⁾.

(1) - المصدر نفسه، ج 5، ص 778 وما بعدها.

(2) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 485-493؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 211-220.

(3) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 3، ص 297 وما بعدها.

(4) - صالح محمد: زياد بن أبيه، ص 139.

(5) - قال الطبري: «أن معاوية استعمل زيادا على البصرة وخراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان، وقدم البصرة في آخر شهر ربيع الآخر - أو غرة جمادى الأولى - سنة خمس - أي خمس وأربعين - والفسق بالبصرة ظاهر فاش، فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها، وقيل بل حمد الله»، ج 5، ص 217.

وبالرغم من معرفة زياد الواسعة بالقبائل العربية النازلة في العراق وقدرته على ضبطها وتنظيمها، إلا أننا نجد أنه يستشير معاوية في كيفية سياستها، فأشار عليه بأن يتبع مع كل قبيلة أسلوباً خاصاً يوافق أخلاقها وطبائعها⁽¹⁾.

فقد كتب معاوية إلى زياد بن أبيه فيما رواه البلاذري عن المدائني الذي قال: «إن حولك مضر وربيعة واليمن، فأما مضر فوهم الأعمال واحمل بعضهم على رقاب بعض، وأما ربيعة فأكرم أشرفهم فإن أتباعهم منقادون لهم، وأما اليمن فأكرمهم في العلانية وتجاوفاً عنهم في السر»⁽²⁾.

رواية أخرى لما سبق

-19-

وفي رواية أخرى للبلاذري لهذه الوصية جاء فيها من طريق الشعبي، ذكر فيها أن زياد كتب إلى معاوية: «إن رأيت أمير المؤمنين أن يكتب إليّ بسيرة أسيرها في العرب. فكتب إليه معاوية:

يا أبا المغيرة قد كنت لهذا منك منتظراً، انظر أهل اليمن فأكرمهم في العلانية وأهنهم في السر، وانظر هذا الحي من ربيعة فأكرم أشرفهم وأهن سفلتهم، فإن السفلة تبع للأشراف، فأما هذا الحي من مضر فإن فيهم فظاظة وغلظة، فاحمل بعضهم على رقاب بعض، ولا ترض بالظن دون اليقين، وبالقول دون الفعل، واترك الأمور بينك وبين الناس على أشدها، والسلام»⁽³⁾.

من الواضح أن زياد طلب النصيحة من معاوية في مستهل توليه البصرة، إذ لا يعقل أن يطلب زياد النصيحة في التعامل مع شؤون القبائل العربية بعد مضي فترة من الزمن على توليه، وبعد أن يقطع شوطاً كبيراً في الإدارة، ويبدو أن زياداً لم يكن يطلب نصيحة معاوية أو وصيته في تسير شؤون القبائل العربية بقدر ما كان يريد الاطلاع على سياسة معاوية أو الأمويين في التعامل مع القبائل⁽⁴⁾، ليكون

(1) -صالح محمد: زياد بن أبيه، ص 14.

(2) -البلاذري: أنساب، ج 5، ص 15.

(3) -المصدر نفسه، ج 5، ص 215.

(4) - يمكن القول أن وقائع العصبية القبلية في العصر الأموي انحصرت في ثلاث كتل قبلية كبيرة هي: ربيعة ومضر واليمن، ولم تكن ربيعة ومضر تكتونان جبهة واحدة رغم الرابطة العدنانية التي تجمعهما بل كثيراً ما كانتا تتعاديان وتتقاتلان والسبب في ذلك يرجع إلى تضارب مصالحهما واختلاف أهوائهما وحقد ربيعة على مضر لاستئثارها بالنبوة والخلافة. محمد عصب دسوقي: القبائل العربية في بلاد الشام، ص 332.

هناك انسجام وتنسيق وتوافق تام بين القيادة في العاصمة والقيادة في الولاية، والدليل على ذلك أن زياد كان شخص كثير الخبرة واسع الاطلاع تلمس سياسة القبائل والتعامل معها وذلك منذ توليه الإمارة زمن الخليفة عمر بن الخطاب، لكن التسيير زمن الخلفاء الراشدين غيره زمن الأمويين، إذ تغيرت أمور كثيرة خاصة فيما يتعلق بمواقف القبائل من السلطة الأموية مما يتطلب طريقة جديدة للتعامل معها، ويتضح من كلام معاوية أنه كان على دراية عميقة ومعرفة واسعة بخصائص القبائل⁽¹⁾.

4- وصية معاوية لعبيد الله بن زياد فيما ينبغي أن تكون عليه سيرته وسياسته مع الرعية

وصية معاوية لعبيد الله بن زياد كيف تكون سياسته مع الناس

-رقم: 20-

قال مسلمة بن محارب ومُجَّد بن أبان القرشي: أوصى معاوية عبيد الله بن زياد حين ولاه خراسان سنة 54هـ فقال:

«إني قد عهدت إليك مثل عهدي إلى عمالي، ثم أوصيك وصية القرابة لخاصتك عندي: لا تبين كثيرا بقليل، وخذ لنفسك من نفسك، واكتف فيما بينك وبين عدوك بالوفاء تحفًا عليك المؤونة وعلينا منك، وافتح بابك للناس تكن في العلم منهم أنت وهم سواء، وإذا عزمت على أمر فأخرجه إلى الناس، ولا يكن لأحد فيه مطمع، ولا يرجع عليك وأنت تستطيع، وإذا لقيت عدوك فغلبوك على ظهر الأرض فلا يغلبوك على بطنها، وإن احتاج أصحابك إلى أن تؤاسيهم بنفسك فأسيهم»⁽²⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 20أ-

وفي صيغة أخرى «عن ابن إسحاق، قال: استعمل معاوية عبيد الله بن زياد وقال: استمسك الفسفساس⁽³⁾ إن لم يقطع. (4) ثم قال له:

(1) -صالح مُجَّد : زياد بن أبيه، ص 140.

(2) -تاريخ الطبري، ج 5، ص 296، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج 7، ص 319.

(3) -الفسفساس: السيف الكليل غير القاطع. إبراهيم مصطفى وآخرون: العجم الوسيط، ج 2، 688. مادة «فسفس».

والمعنى أن يظهر للناس الشدة والقوة ليخيفهم بها، كالذي يحمل سيفاً وإن كان في حقيقته غير نافع القطع.

(4) - هكذا جاءت هذه الوصية، ويظهر أن ما سبق تابع لما بعدها، فالأولى هي وصية كذا

«اتق الله ولا تؤثرن على تقوى الله شيئا، فإن في تقواه عوضا، وق⁽¹⁾ عرضك من أن تدنسه وإذا أعطيت عهدا فف به، ولا تبين كثيرا بقليل⁽²⁾، ولا تخرجن منك أمرا حتى تبرمه فإذا خرج فلا يردن عليك، وإذا لقيت عدوك فكن أكثر من معك⁽³⁾ وقاسمهم على كتاب الله⁽⁴⁾، ولا تطمعن⁽⁵⁾ أحدا في غير حقه، ولا تؤيسن أحدا من حق له⁽⁶⁾».

سار عبید الله بن زياد مزودا بهذه النصيحة، التي لخص له معاوية تجربته في تعامله مع الناس وتعاطيه مع الرعية، هم في فترة أشد حاجة إلى كسب ودها، حاثا إياه على الاقتصاد فيما يقوم به وما يريد تحقيقه فلا يخسر الكثير للحصول على القليل، أي الحصول على النتائج المرضية بأقل الخسائر، وأن يضرب المثل في القدوة لمن هم تحت إمرته من الناس، منصف من نفسه، والوفاء بما يعد خصوما وغير خصوم، فإن هذا يعلي من مكانته في أعينهم، وأن يسهل وصول الناس إليه إذا احتاجوه بعدم الاحتجاب عنهم فإن هذا يجب عنه معرفة ما يجري بينهم، كما يؤكد عليه ألا يصدر أمرا إلا بعد ترو ونظر، حتى لا يؤدي إلى نتائج عكسية له، ولا يطمع أحد في غير حقه، فإن هذا يجروهم على المطالبة بما ليس لهم حق فيه، وتقديم الحقوق لأصحابها دون تأخير.

5- وصية معاوية لعبيد الله بن زياد ينهاه عن قتل يزيد بن مفرغ

وصية معاوية بن أبي سفيان لعبيد الله بن زياد بعدم قتل يزيد بن مفرغ

-رقم: 21-

يتضح من خلال سياسة زياد تجاه القبائل أنه أخذ بخطة معاوية غير المقننة في جل الأحوال ولكنه تجاوزها أحيانا، فحين أراد القبض على حجر بن عدي-ت51هـ- وأصحابه بالكوفة هدد رئيس

(1) - عند ابن الأثير: «ووفر عرضك».

(2) - زاد الآبي وابن الأزرقي: «وخذ لنفسك من نفسك».

(3) - عند عبد الملك: «فكبر أكبر من معك».

(4) - عند ابن الأثير والآبي وابن الأزرقي: «وإذا لقيت عدوك فغلبوك على ظهر الأرض فلا يغلبوك على بطنها»، وزاد الآبي وابن الأزرقي: «وإن احتاج أصحابك أن تواسيهم بنفسك فواسهم».

(5) - عند ابن الأثير: «تطمعن».

(6) - تاريخ الطبري، ج5، ص296، ابن الأثير: الكامل، ج3، ص93، الآبي: نثر الدر في المحاضرات، ج3، ص10،

ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج1، ص415، تاريخ ابن خلدون، ج3، ص18، عبد الملك: سمط النجوم

العوالي، ج3، ص123.

كندة محمد بن الأشعث - ت 67هـ - وأرغمه على الإتيان بحجر⁽¹⁾ ولم يجد بأساً من إذلاله حتى جعله مثلاً لسائر رؤساء القبائل وأشرف أهل العراق⁽²⁾.

والحقيقة أن سياسة زياد الحازمة إزاء الرؤساء والأشرف الذين وقفوا إلى جانب الإدارة الأموية أدت إلى تضائل نفوذهم القبلي، وفقدانهم الكثير من الامتيازات التي كان يتمتع بها أسلافهم في ما قبل الإسلام حتى أنه لم يجرؤ كثير منهم على إجارة من يحل به سخط الأمير أو السلطان فحين طلب زياد بن أبيه، الفرزدق لم يجد الأخير من يجيره خوفاً من زياد⁽³⁾.

وعندما طلب عبيد الله بن زياد، الشاعر يزيد بن مفرغ - ت 69هـ - لهجائه آل زياد، لجأ ابن مفرغ إلى الأحنف بن قيس ليجيره فامتنع عليه وقال له: «إنا لا نجير على ابن سمية»⁽⁵⁾.

وسبب ذلك أن يزيد بن مفرغ كان مع عباد بن زياد بسجستان، فاشتغل عنه بحرب الترك فاستبطأه، فهجاه بقصائد كثيرة وهرب إلى البصرة، وعبيد الله يومئذ وافد على معاوية، فكتب عباد إلى عبيد الله ببعض ما هجاه به، فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية فأنشده إياه، واستأذنه في قتله فأبى عليه أن يقتله وأمره بتأديبه وأن لا يبلغ بتأديبه القتل.

هذا ما جاء عند البلاذري والطبري وابن الأثير في أحداث سنة 59 هـ⁽⁶⁾، إلا أن الأصفهاني ذكر أن عبيد الله بن زياد كتب إلى معاوية بن أبي سفيان يستأذنه في قتل يزيد بن مفرغ، فكتب إليه معاوية:

«إياك وقتله، ولكن تناوله بما ينكله ويشد سلطانك ولا يبلغ نفسه، فإن له عشيرة هي جندي وبطانتي، ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع إلا بالقيود منك، فاحذر ذلك واعلم أنه الجد منهم ومني وأنك مرتحن بنفسه، ولك في دون تلفها مندوحة⁽¹⁾ تشفي من الغيظ»⁽²⁾.

(1) - انظر عن هذه الحادثة: تاريخ الطبري، ج 5، ص 253؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 69 وما بعدها) حوادث سنة 53 هـ).

(2) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 264؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 113؛

(3) - معمر بن المنثري: شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 3، ص 760.

(4) - انظر عنه البلاذري: أنساب، ج 5، ص 374-376؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 6، ص 349؛ الذهبي:

سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 494؛ الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 183.

(5) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 318.

(6) - أنساب، ج 5، ص 374 وما بعدها؛ تاريخ الطبري: ج 5، ص 317 وما بعدها؛ الكامل، ج 3، ص 114 وما بعدها.

ذكر هذه الرواية كذلك ابن خلكان ولكن نسبها ليزيد بن معاوية، ورجح بأنها له، إذ علق عليها بعد ذكرها فقال: «واختلف الرواة فيمن رده إلى ابن زياد، فقال بعضهم: رده معاوية بن أبي سفيان، وقال بعضهم: بل رده يزيد بن معاوية، والصحيح أنه يزيد لأن عباداً إنما ولي سجستان في أيام يزيد»⁽³⁾.

والحقيقة أن البلاذري قال: «وولى سجستان بعد موت زياد عباد بن زياد من قبل معاوية ثم لما ولي يزيد بن معاوية ولي سلم بن زياد خراسان وسجستان»⁽⁴⁾؛ وذكر ابن عساكر أن معاوية وولاه على سجستان سنة 53هـ ولم يزل عليها نحواً من سبع سنين حتى مات معاوية⁽⁵⁾، وقد ذكر الطبري وابن الأثير في أحداث سنة 61هـ، تولية يزيد بن معاوية لسلم بن زياد خراسان وسجستان مكان عباد بن زياد⁽⁶⁾، والمرجح أن المراسلة كانت لمعاوية لأنه هو الذي وولاه على سجستان، وليس يزيد كما ذكر ابن خلكان، إضافة إلى أن نصها يتوافق مع روح سياسة معاوية.

وقد عمل عبید الله بوصية معاوية فعذب ابن مفرغ ولم يقتله⁽⁷⁾. وفي هذه الرسالة دليل جلي على تقدير معاوية لعواقب الأمور وبعد نظره فعشيرة ابن مفرغ هي حلف لبني أمية وقتله مما لا يرضونه وبالتالي سيطالبون بالقود من ابن زياد وعلاقتهم مع معاوية ستسوء وهم بطانته وجنده لذلك كان من الأفضل إرضاء الجانبين.

6- وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة باستباحة المدينة ثلاثاً

تمهيد: كيفية معالجة يزيد لثورة أهل المدينة وثورة وابن الزبير

اهتم معاوية بالحجاز وأهله ومن يفد عليه منهم وتعاهدهم بالعطايا وخفض الجناح، لأن الحجاز محل أهله وعشيرته من القرشيين وأصله الذي يرتبط به، فضلاً عن أنه من الناحية السياسية كان لوقت

(1) - المندوحة: السعة والغنى. الحميري: شمس العلوم، ج10، ص6539.

(2) - الأغاني، ج18، ص431؛ البغدادي: خزنة الأدب، ج4، ص332.

(3) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص347.

(4) - فتوح البلدان، ص389.

(5) - تاريخ دمشق، ج26، ص234.

(6) - تاريخ الطبري، ج5، ص471؛ الكامل في التاريخ، ج3، ص197 وما بعدها.

(7) - البغدادي: خزنة الأدب، ج4، ص332.

قريب مركز الثقل السياسي للدولة الإسلامية ومقر الخلافة⁽¹⁾، ومن الناحية الدينية لم يزل يحتل مركز الصدارة لاحتضانه جل من بقي من صحابة الرسول ﷺ مما جعله يمثل بمدنيتيه المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة ولكون هاتين المدينتين تحويان على بيت الله الحرام وقبلة المسلمين في مكة ومسجد النبي ﷺ، ولما يتمتع به ساكنهما من الصحابة وأبنائهم ومن جاء من بعدهم من احترام وتقدير، ولما يتمتع به هؤلاء من سعة علم ودراية، وما يحتفظون به من آراء ومواقف وما يؤمنون به من منهج سياسي يختلف بل ويعارض ما يجري في الساحة السياسية الأموية ومدى تأثيرهم على مجريات الأحداث⁽²⁾، وبإمكانه تقويض حكم بني أمية فيما لو اجتمعت كلمته وأتيحت الفرصة له، وهو بعد ذلك لا يزال المكان الحقيقي للبيعة⁽³⁾.

ومن جهة أخرى فإن الحجاز مستقر آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام وقربته، وهم محط اهتمام من طرف كل الخلفاء، ومعاوية يدرك تماما فضلهم وحققهم، وما لهم من طموح، ومن كل هذا نستنتج أن معاوية ﷺ اتبع نفسه هذا النهج قبل أن يوصي به ابنه ولم يأت نصحه له من فراغ فقد قطف معاوية ثمار هذا المسلك قبل أن يلزم به ابنه.

قبل أن نرى كيف تعامل يزيد مع وصية أبيه في أهل الحجاز ونتائج ذلك، حري بنا أن نرى سياسة معاوية في الحجاز، لنقف على مسوغ الوصية ومبررها.

كان معاوية يستقبل الوفود من أهل المدينة ويغدق العطايا على البارزين من رجالها ويعمل على الحفاظ على ودهم وصدقاتهم، وأول ما يمكن أن نستدل به على اهتمام معاوية بالحجاز هو زيارته له ثلاث مرات على الأقل في خلافته مرتين للحج، فقد حج معاوية بالناس سنة 44هـ وحج سنة 51هـ⁽⁴⁾، والثالثة كانت للعمرة سنة 56هـ⁽⁵⁾.

فهذه الزيارات وإن كانت غرضها الرسمي أداء المناسك والشعائر، إلا أنها يسرت لمعاوية اطلاعه الشخصي على أحوال الحجاز، وعمل على تقوية الصلة بأهله بالسماع لشكاياتهم وتعهدهم بالأموال والعطايا⁽⁶⁾، ولا يخفى علينا أيضا أن عددا غير قليل من رجال أهل الحجاز كانوا يفدون على بلاط

(1) - الصلبي: الدولة الأموية، ج 1، ص 438.

(2) - فواز علي: الدور القيادي لمكة، ص 290.

(3) - الصلبي: الدولة الأموية، ج 1، ص 438.

(4) - تاريخ خليفة، ص 213.

(5) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 301.

(6) - صالح العلي: الحجاز في صدر الإسلام، ص 10.

معاوية في دمشق لأغراض مختلفة فيزيدوا من توثيق الصلة بين الحجاز والبلاط، فيذكر ابن عساکر في رواية: «قال عبد الله بن جعفر كنت مع معاوية في خضراء دمشق إذ طلعت رؤوس إبل من نقب المدينة فقال مرحبا وأهلا بفتيان من قريش أنفقوا أموالهم في مروآتهم وأدانوا فيها ثم قالوا نأتي أمير المؤمنين فيخلف لنا أموالنا ويقضي عنا ديوننا، والله لا يخلون عنده حتى يرجعوا بجميع ما سألوا، قال: فدخلوا على معاوية وأنيخت ركابهم، قال: فخرجوا من عنده بجوائجهم حتى عادوا إلى ظهور رواحلهم منصرفين إلى أوطانهم»⁽¹⁾، وقد أمر لعبد الله بن الزبير بمئة ألف درهم⁽²⁾، والأمثلة في هذا المجال كثيرة أشارت إليها المصادر التاريخية.

فمعاوية اتبع بنفسه هذا النهج قبل أن يوصي به ابنه ولم يأت نصحه له من فراغ فقد قطف معاوية ثمار هذا المسلك قبل أن يلزم به ابنه.

— موقعة الحرة سنة 63هـ: لم تقف المصائب التي لحقت بالمسلمين عند قتل الحسين عليه السلام بل حدثت حادثة أخرى لا تقل شناعة عن السابقة، وهي انتهاك حرمة المدينة التي حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽³⁾ كما حرم إبراهيم عليه السلام بيت الله الحرام وما حوله، لكن كيف حصل ذلك؟

من المعلوم كما ذكرنا من قبل أن المدينة كانت قد رفعت لواء المعارضة لتوريث الحكم من قبل معاوية لابنه يزيد حتى رحل إليهم معاوية فأخذ منهم ذلك بالترغيب والترهيب، ونتيجة لذلك فقد كانت سباقا إلى رفض خلافة يزيد وبرز ذلك في معارضة الحسين وابن الزبير، ثم تطورت الأحداث بسرعة خرجت عن نطاق الاحتواء منها حادثة كربلاء سنة 61هـ وحادثة الحرة التي سميت باسم المكان الذي وقعت فيه.

كانت أسباب هذه الموقعة الشنيعة أثر من آثار رد الفعل على استشهاد الحسين عليه السلام حيث أن والي المدينة عثمان بن مخرج الذي تولى بعد الوليد بن عتبة أوفد وفدا من أهلها إلى يزيد يتكون من عبد الله بن حنظلة، وعبد الله بن أبي عمرو المخزومي والمنذر بن الزبير وآخرون غيرهم من أشرف المدينة

(1) — ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 59، ص 198.

(2) — المصدر نفسه، ج 59، ص 194.

(3) — قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم، راجعا وبدا له أحد، قال: «هذا جبل يحبنا ونحبه» ثم أشار بيده إلى المدينة، قال: «اللهم إني أحرم ما بين لابتيها، كتحریم إبراهيم مكة، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا» صحيح البخاري، ج 4، ص 35. رقم: 2889. واللاتين هما الحرتان اللتان إحداهما شرقا والأخرى غربا.

فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم⁽¹⁾، حتى يمكننا أن نقول أنها بلغت حد الإسراف، فلما رجعوا إلى المدينة حدثت حادثة كربلاء الآنفة الذكر، فهاج الناس جميعا خاصة أهل الحجاز، واستغل رجال الوفد ذلك فشهروا بيزيد منهم: عبد الله بن الزبير، وأثار الناس على يزيد بن معاوية، وجاء الرد سريعا من أهل المدينة إذ كانت نزعة الثروة كامنة في النفوس، فأظهر الوفد الذي زاره شتمه، وبالغ في ذلك فقال رجاله: «إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطناير، ويطرب عند القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخراب⁽²⁾ والفتيان وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه»⁽³⁾، وتلاحقت الأحداث بسرعة فبايع أهل المدينة عبد الله بن حنظلة أميرا وعبد الله بن مطيع نائبا له، وأعدوا العدة، وقاموا بحفر خندق حول المدينة، ووفروا السلاح، كما حاصروا بني أمية في دار الإمارة، فكتبوا إلى يزيد يستغيثون به، فلما وصله الكتاب قال:

لقد بدلوا الحكم الذي في سجيتي * فبدلت قومي غلظة بليان⁽⁴⁾**

في هذا الظرف العصب حاولوا استمالة محمد بن علي بن أبي طالب -ابن الحنفية- إلى جانبهم فأخبره ابن مطيع «إن يزيد يشرب الخمر، ويترك الصلاة، ويتعدى حكم الكتاب. فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده، فرأيتة مواضبا على الصلاة، متحريرا للخير، يسأل عن الفقه، ملازما للسنة.

قالوا: إن ذلك كان منه تصنعا لك، فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إلى الخشوع؟! أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا.
قالوا: إنه لعندنا الحق، وإن لم يكن رأينا»⁽⁵⁾.

صعب على أهل المدينة الاعتراف بخطئهم ومن ثم تمادوا في الثورة على حكم يزيد.

(1)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 203؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 609.

(2)- الخراب: يعني أصحاب الفسوق ومرتكبي الفواحش واللصوص. ابن منظر: لسان العرب، ج 1، ص 347-

349. مادة «خرب».

(3)- ابن الأثير، ج 3، ص 203-204.

(4)- المصدر نفسه، ج 3، ص 211؛ محمد الحضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ج 2، ص 131؛ يوسف

العش: الدولة الأموية، ص 175.

(5)- ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 653.

وعرف بعض من كان في الشام من الأنصار والمهاجرين خطورة الأمر، فتوسطوا عند يزيد، منهم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي قال له: «إنما تقتل بهم نفسك، فقال: أجل، أقتل بهم نفسي، وأشفي نفسي، ولك عندي واحدة، أمر مسلم بن عقبة أن يتخذ المدينة طريقا، فإن هم تركوه، ولم يعرضوا له، ولم ينصبوا الحرب، تركهم، ومضى إلى ابن الزبير فقاتله، وإن هم منعوه أن يدخلها، ونصبوا له الحرب، بدأ بهم، فناجزهم القتال، فإن ظفر بهم قتل من أشرف له، وأنها ثلاثا، ثم مضى إلى عبد الله بن الزبير.

ف رأى عبد الله بن جعفر، في هذا فرج كبير، وكتب بذلك إليهم، وأمرهم أن لا يعرضوا لجيشه إذا مر بهم، حتى يمضي عنهم إلى حيث أرادوا»⁽¹⁾.

وفي أخرى أنه قال ليزيد: «أرأيت إن رجعوا إلى طاعتك أتقبل ذلك منهم؟ قال: إن فعلوا فلا سبيل عليهم»⁽²⁾.

وتوسط لدى يزيد النعمان بن بشير⁽³⁾ فقال له: «أنشدك الله يا أمير المؤمنين في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ»⁽⁴⁾.

وحاول يزيد مرة أخرى أن يجد من تفاقم الأمر فبعث إلى النعمان بن بشير فقال له: «إن عدد الناس بالمدينة الأنصار وهم قومك، فأقم فافئهم عما يريدون، فصار النعمان إلى قومه فاستنهم من أنفسهم، وحذرهم بجنود أهل الشام، ورجبهم في بيعة يزيد، فقال له عبد الله بن مطيع العدوي: يا نعمان قد جئتنا بأمر تريد به تفريق جماعتنا وإفساد ما قد أصلح الله من أمرنا،

(1) — ابن سعد: الطبقات، ج2، ص64؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج1، ص304 وما بعدها.

(2) — الذهبي: تاريخ الإسلام، ج2، ص585؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص616.

(3) — النعمان بن بشير: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، أمير وخطيب وشاعر، من أجلاء الصحابة من أهل المدينة، وجّهته نائلة — زوجة عثمان — بقميص عثمان إلى معاوية فنزل الشام وشهد صفين مع معاوية وولي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد سنة 53 هـ، وولي اليمن لمعاوية ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر وعزله وولاه حمص واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير وقرد أهل حمص فخرج هاربا فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة 64 وقيل 65 وقيل 66 هـ. وكيع: أخبار القضاة، ج3، ص201؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج26، ص160-164؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص201.

(4) — ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص616؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج1، ص304 وما بعدها.

فقال النعمان: كأني بك على بغلتك تضرب جنبها ثم تلحق بمكة، وتترك هؤلاء المساكين من الأنصار يقتلون في سلكهم ومساجدهم، فلم يلتفت إلى قوله»⁽¹⁾.

فهذه الروايات تبين أن يزيد سعى جاهدا لتجنب قتال أهل المدينة واستمالتهم، لكن الأحداث في المدينة تتابعت إذ قام أهلها بطرد واليهم عثمان بن محمد، وطرده آل مروان من بني أمية، فجهز يزيد جيشا لقتالهم وأسند قيادته لمسلم بن عقبة المري الذي كان يحمل في صدره قلبا أفسى من قلب أبي جهل. ثم أوصاه:

وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة باستباحة المدينة ثلاثا

-رقم: 22-

لما بلغت أخبار ما حصل في الحجاز يزيد بن معاوية بخلاف ابن الزبير ودعائه لنفسه واعتصامه بالبيت وخلع أهل المدينة وتوليتهم عبد الله بن حنضلة أمرهم، وبعد المحاولات التي قام بها من سبق ذكرهما وغيرهما

رواية البلاذري-22-	رواية الطبري-22أ-
قال أبو مخنف فيما ذكره عنه هشام بن محمد بن السائب الكلبي: «قال يزيد لمسلم بن عقبة المري:	«قال عبد الملك بن نوفل ⁽²⁾ : وفصل ذلك الجيش من عند يزيد وعليهم مسلم بن عقبة، وقال له:
«أنت أمير الجيش، وإن حدث بك حدث فأمر الجيش الحصين بن نمير السكوني ⁽³⁾ .	إن حدث بك حدث فاستخلف على الجيش حصين بن نمير السكوني
فإذا وردت المدينة فادع الناس ثلاثاً، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم	وقال له: ادع القوم ثلاثاً، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم
فإن ظهرت عليهم فأبجها ثلاثاً، فما كان بها من مال، أو رثة ⁽¹⁾ ، أو سلاح، أو طعام، فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس.	فإذا أظهرت عليهم فأبجها ثلاثاً، فما فيها من مال أو رقة ⁽²⁾ أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس

(1)-البلاذري: أنساب، ج5، ص321.

(2)-عبد الملك بن نوفل من الرواة الذين روى عنهم أبو مخنف أحداث الحرة كما جاء عند الطبري.

(3) - الحصين بن نمير: ابن نائل، أبو عبد الرحمن الكندي ثم السكوني، من القادة الأمويين، من أهل حمص، كان أميراً على جند حمص، وكان بالجابية حين عقدت لمروان بن الحكم الخلافة، وكان في آخر أمره على ميمنة عبيد الله بن زياد في حربه مع إبراهيم ابن الأشتر، فقتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل سنة 67 هـ. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج7، 190؛ الزركلي: الأعلام، ج2، ص262.

<p>وأَنْظَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، فَكَفَّفَ عَنْهُ، وَاسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا، وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِمَّا دَخَلَ فِيهِ. وَأَعْلَمَ أَنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ ذَوِي جَهَالَةٍ وَاسْتِطَالَةٍ، قَدْ أَفْسَدَهُمْ حِلْمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ وَظَنُوا أَنَّ الْأَيْدِيَّ لَا تَنَالُهُمْ، فَلَا تَرْدُنْ أَهْلَ الشَّامِ عَمَّا أَرَادُوهُ بِهِمْ»⁽³⁾.</p>	<p>وأَنْظَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، فَكَفَّفَ عَنْهُ، وَاسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا، وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِمَّا دَخَلَ فِيهِ. وَأَعْلَمَ أَنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ ذَوِي جَهَالَةٍ وَاسْتِطَالَةٍ، قَدْ أَفْسَدَهُمْ حِلْمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ وَظَنُوا أَنَّ الْأَيْدِيَّ لَا تَنَالُهُمْ، فَلَا تَرْدُنْ أَهْلَ الشَّامِ عَمَّا أَرَادُوهُ بِهِمْ»⁽³⁾.</p>
---	---

رواية أخرى

-رقم: 22ب-

في حين قال الحزامي فيما رواه بسنده عن يزيد بن جابر قال: «لما اجتمع يزيد بن معاوية على بعثه الجيوش إلى المدينة قال: من رجل له عزم وطاعة فأجمعوا على مسلم بن عقبة المري، فبعث إليه وكان عاملاً له على فلسطين، فبعث بالجيوش إلى المدينة وقال له: إذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك حرباً فالسيف السيف، لا تبق منهم، وأجهز على جريحهم واقتل مدبرهم، وإياك أن تبقي عليهم وأن لم يوسوا لك فامض إلى ابن الزبير امض على بركة الله»⁽⁵⁾.

(1) -الثرثة: الأمتعة الرديئة البالية، وتستعمل غالباً فيما يلبس. ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص151 مادة: «رثث».

(2) - عند ابن الأثير: «أو دابة». وعند ابن الجوزي ناقصة. والرقعة الدراهم المضروبة. ابن منظور: لسان العرب، ج10، ص121. مادة «رقق»، ص374 مادة «ورق».

(3) - تاريخ الطبري، ج5، ص484-485؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص13؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص212؛ نهاية الأرب، ج20، ص307؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص616؛ وجاءت عند أبي حنيفة الدينوري ببعض الاختلاف نصها «يا مسلم! لا تردن أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم، واجعل طريقك إلى المدينة، فان حاربوك فحاربهم، فان ظفرت بهم، فانظروا ثلاثاً أيام». الأخبار الطوال، ص264؛ وأرد الوصية ملخصة ابن الوردي في تاريخه، ج1، ص165، وقارن بما جاء عند الفاكهي الذي جاء عنده الذي أمره يزيد إن انتصر عليهم أن يباعوا على أنهم عبيد له: أخبار مكة، ج2، ص353-354، ويظهر أن هذا الإجراء تصرف شخصي منه، إذ لم تشر روايات الوصية أنه أوصاه بذلك. ولما كان فعله نسبه إلى يزيد.

(4) -البلاذري: أنساب، ج5، ص340-341.

(5) -أبو العرب التميمي: الحن، ص174.

وهذا يؤكد ما علقنا به، على ما جاء في الرواية التي في الملحق التي ذكرت أن معاوية أوصى يزيد إن رابه أمر من أهل المدينة أن يرسل إليهم مسلم هذا. مع ما لنا من تحفظ على ولاية مسلم بن عقبة على فلسطين، إذ لم تذكره المصادر التي رجعت إليها، وإنما واليها زمن معاوية وابنه يزيد حسان بن مالك بن بجدل الكلبي⁽¹⁾.

رواية أخرى

-رقم: 22ج-

في حين جاء ما سبق عند السهمودي ببعض الاختلاف إذ قال: «وتفاهم الأمر فكتب عثمان [أي والي المدينة عند حصارهم له ولبنى أمية] إلى يزيد بذلك وحرصه على أهل المدينة، فقال: والله لأبعثن لهم الجيوش ولأوطئنها الخيل. فبعث مسلم بن عقبة في اثني عشر ألفاً وقال له: أدع القوم ثلاثاً فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأجها ثلاثاً للجدد وأجهز على جريحهم وأقتل مدبرهم وإياك أن تبقى عليهم وإن لم يعرضوا لك فأمض إلى ابن الزبير»⁽²⁾. وهذه رواية يشك في الذي جاء فيها بهذه الصيغة التي جاءت عليها.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 22د -

هناك رواية أخرى ذكرها الذهبي فيها من الزيادة ما يستدعي ذكرها إذ تبين تطرف يزيد وبطشه في استعمال القوة ضد أهل المدينة. قال المدائني:

«يا مسلم إذا دخلت المدينة ولم تصد عنها، وسمعوا وأطاعوا فلا تعرضن لأحد، وامض إلى الملحد ابن الزبير، وإن صدوك عن المدينة فادعهم ثلاثة أيام، فإن لم يجيبوا فاستعن بالله وقاتلهم، فستجدهم أول النهار مرضى، وآخره صبراً، سيوفهم أبطحية، فإذا ظهرت عليهم، فإن كان بنو أمية قد قتل منهم أحد فجرد السيف واقتل المقبل والمدبر، وأجهز على الجريح وانهبها ثلاثاً، واستوص بعلي بن الحسين، وشاور حصين بن نمير، وإن حدث بك حدث، فوله الجيش»⁽³⁾.

هذا الذي جاء في هذه الروايات التي أشارت إلى إباحة مسلم بن عقبة المري المدينة تنفيذاً لوصية يزيد له بإباحة المدينة لجنده أياما بلياليها يعبثون بأهلها، يقتلون الرجال، أو يأخذون المال

(1) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 12، ص 449؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 488

(2) - السهمودي: خلاصة الوفا، ج 1، ص 291-292.

(3) - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 5، ص 25.

والمتاع، وبالغ بعضهم إلى حد القول بأنهم سبوا الذرية، وانتهكوا الأعراض⁽¹⁾.
 فلأمر وقع، ولكن حصلت مبالغات في تصوير ما حصل تشويها لسمعة يزيد بن معاوية، من ذلك أن المصادر لم تشر إلى سبي أهلها لا النساء ولا الأطفال، ومن المعلوم أن ذلك لا يكون إلا مع الكفار، ولكن الاعتداء على الممتلكات والأعراض قد حصل، بما في ذلك السلب والنهب، والحق أن هذا المسرف بن عقبة المري المجرم السفاح قتل الكثير، من الصحابة وأبنائهم، من قريش وأنصار وحلفائهم، وغيرهم، وقد ذكرهم خليفة بن خياط في كتابه تحت عنوان: «تسمية من قتل يوم الحرة»، فلتراجع قائمتهم تحت هذا العنوان⁽²⁾، وذكر البلاذري من قتل من الأشراف بالحرة⁽³⁾.
 ويظهر أن ما حصل تجاه أهلها كان للشائعات دور في اتهام يزيد به وبوصيته لمسلم بذلك، إذ ظهر في يقينهم أن هذا المسرف لم يحصل ما حصل على يده إلا بأمر يزيد له بذلك فلعب الرواة بما جاء في الوصية، فأضافوا إليه ما أضافوا، ذلك أنه هو الذي يتحمل وزر ما حصل.
 ولكن يبقى أمر تحقيق ما جاء في هذه الوصية أمر صعب للغاية لاختلاط الصحيح بالزائف، لأن الأحداث تلاعب بها الرواة ولونوها بمواقفهم واتجاهاتهم المذهبية والسياسية، وحتى من يزعمون أنهم من أهل السنة كانت تبريراتهم مائعة لما حدث، الذين يدافعون ببعض الباطل عن سياسة يزيد التي كانت تسير من فشل إلى فشل، وهذا يؤكد صواب ما اقترحه زياد بن أبيه على معاوية أن يقوم بتأهيله للمهمة، الذي حصل، ولكنه لم يكن كافيا، فألحق بأهل الحجاز ما ألحق.

ومناقشة هذه القضية من جهة واقع ذلك العصر المتقدم في صدر الإسلام تنفي وقوع انتهاك الأعراض، نتيجة لوصية يزيد الذي نرى أنه لم يوصي مسلم بن عقبة بذلك، الذي نرى أن الأمر وقع نتيجة لخروج الأمر عن السيطرة على الجيش الذي انتهك الأعراض، وسلب الأموال والمتاع، إذ لا ينبغي الثقة في كل هذا الجيش الذي كان أغلبه من أوباش الشام الذين لم تتهدب طبائعهم على آداب الحرب مع خصومهم، إضافة إلى أنهم ساروا بسيرة قائدهم الجهول الذي كان يفتخر بأنه أقر عينه بقتل من قتل تقربا ليزيد بذلك⁽⁴⁾. وقد أسرف هذا الشقي في القتل إرضاء ليزيد الذي كان أغلب أوامره تتحكم فيها العاطفة وتوجهها، التي جعلته لا يفكر في العواقب ولا النتائج التي تنتج عن ذلك، ولم يتعظ بما كان منه

(1) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 491؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 218؛ ابن طباطبا: الفخري، ص 118

وما بعدها؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 5، ص 26؛ السمهودي: خلاصة الوفا، ج 1، ص 290.

(2) - ذكرهم في عشر صفحات من: ص 240 - 250،

(3) - أنساب الأشراف، ج 5، ص 350-354.

(4) - ابن سعد: الطبقات، ج 6، ص 486.

عند خروج الحسين بن علي -رضي الله عنهما- إلى العراق وما جر عليه من سوء القالة، الذي كان ينبغي أن يفكر في حل آخر للتعامل مع أهل المدينة، ولو ضرب عليها الحصار لفترة لسقطت بأقل الخسائر لأن أغلب قوتها يأتيها من خارجها، وهو الأمر الذي فعله الخليفة المنصور عندما ثار عليه محمد النفس الزكية سنة 144هـ

وثاني هذه الحوادث:

- ضرب الكعبة بالمنجنيق: بعد أن قضى مسلم بن عقبة على ثورة أهل المدينة اتجه نحو مكة لإخضاع ابن الزبير المعتصم بها تنفيذاً لأمر يزيد وصيته إليه لأنفة الذكر وقال: «اللهم إنه لم يكن قوم أحب إليّ أن أقاتلهم من قوم خلعوا أمير المؤمنين، ونصبوا لنا الحرب، اللهم فكما أقررت عيني من أهل المدينة، فأبقني حتى تفر عيني من ابن الزبير، ومضى، فلما كان بالمشلل، نزل به الموت، فدعا حصين بن نمير، فقال له:

يا برذعة الحمار، لولا عهد أمير المؤمنين إليّ فيك ما عهدت إليك، اسمع عهدي، لا تمكن قريشا من أذنك، ولا تزدهم على ثلاث؛ الوقاف، ثم الثفاف⁽¹⁾، ثم الانصراف، وأعلم الناس أن الحصين واليهيم، ومات مكانه، فدفن على ظهر المشلل، لسبع ليال بقين من المحرم، سنة أربع وستين⁽²⁾. ولما علم أهل المدينة بذلك نبشوا قبره، وأحرقوا جثته.

واصل الحصين بن نمير السكوني تقدمه نحو مكة تهيّب الجيش في بداية الأمر في ضرب ابن الزبير وهو بما بعد أن بايعه أهلها وبعد أن ضرب عليه الحصار بها فحدثت مناوشات بين الطرفين خارجها إلا أن جيش الشام نصب المنجنيق ورماه بالحجارة وهو معتصم داخل الحرم ومن معه فتطايرت شرارة إلى ستائرهما فاحترقت الكعبة، واستمر حصاره له بقية المحرم وصفر إلى ربيع الأول سنة 64هـ.

وفيما هم على هذه الحال إذ أتاهم نبأ وفاة يزيد بن معاوية، ففقت في عضد أهل الشام، والتقى الحصين بن نمير بابن الزبير ودعاه أن يخرج معه إلى الشام ليبايعه بالخلافة فرفض ابن الزبير ذلك، وكانت فرصة أضعافها، ثم ندم بعد ذلك⁽³⁾. ثم انسحب الحصين عائداً إلى الشام، فتجرأ على جنده أهل المدينة فأخذوا منه بثأرهم، فكان لا ينفرد رجل منهم إلا قتلوه، وارتحل معه بعض بني أمية⁽⁴⁾.

(1) - الثفاف: العمل بالسيف. ابن منظور: لسان العرب، ج 9، ص 20، مادة «ثقف».

(2) - ابن سعد: الطبقات، ج 6، ص 486؛ تاريخ خليفة، ص 195؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج 2، ص 354.

(3) - تاريخ الطبري: حوادث سنة 63، 64هـ؛ ابن الأثير: حوادث السنين السابقتين؛ تاريخ يعقوبي، ج 2، ص

253؛ المسعودي: مروج الذهب، ج 4، ص 171-172.

(4) - ابن الأثير، ج 3، ص 316؛ يوسف العشي: الدولة الأموية، ص 177.

وبذلك يكون حكم الفرع السفياي قد تقوض لقتله للحسين بن علي سنة 61هـ وأفسد قلوب الناس عليه، حتى وإن كانت هناك أسباب وراء ذلك في الظاهر للأمر أسبابا أخرى، منها: أنه لم يكن كيسا في التعامل مع الوضع وبدا جليا أنه لم يعرف حق المدينة وحق أهلها وقيمتها عند الناس ولم يستشر في الأمر ولم يدرس عواقبه، بل اتخذ قرارا مباشرا وعقد عزمه عليه وأمر بتنفيذه، ويبدو أن هذا كان ديدن يزيد في كل المواقف العميقة التي تتطلب المشورة وإطالة الفكر وحسن التفكير.

وإذا ما حاولنا تقييم أداء يزيد في الالتزام بوصية أبيه في الاهتمام بالحجاز وأهله، فيبدو واضحا أنه حاول في البداية الالتزام بها لكنه فشل في تحقيق النتائج التي كان يرجوها أباه بسبب ما فعله مع الحسين عليه السلام فهذا والده معاوية كان قادرا أن يؤجل القنتة بل يطفئها في مهدها، وكان في يده نفس النظام الذي في يد يزيد، وكان النظام سائدا في عهد معاوية لا يتلكأ، ولا يصادف من الصعوبات إلا ما كان حله ميسورا، ذلك أن معاوية كان على التقيض من يزيد: كان يشرف على تفاصيل الأمور، ولا يأخذ قضية الدولة إلا بالجد، وكان يضع تفاصيل المخططات في الولايات المختلفة ويتتبع أخبارها، يغمض العين على ما يرى إغماض العين عليه، ويضع يده حيث يجب أن توضع، وأسلم هذا النظام لابنه مع أنه كان ينبغي له رجل مثله، فما نجح فيه معاوية تعثر فيه يزيد وكبا⁽¹⁾.

وفي الأخير يمكن القول أن الحكم على نجاح يزيد أو فشله من الصعوبة بمكان، لأن حياته وعصره قد لفهما السواد الذي تراكم على مر السنين، ولذلك أصبح البحث في سيرته أمرا شائكا وسط هذا الحشد الهائل من الروايات التاريخية المتضاربة.

ولعل شخصية يزيد كانت ستبدو أكثر قبولا لدى الدارسين لولا وقوع بعض الأحداث الدامية في عهده، والتي استخدم القوة لمعالجتها، وبما أن سلاح القوة وحده لا يكفي لمعالجة أية مشكلة ما لم يكن مصحوبا بالحنكة والدراية والكياسة، فإن عواقب استخدام هذه القوة في عهده وعلى فترات مختلفة، قد ساهمت في ازدياد شعور النخبة عليه وزادت في غلو المؤرخين في تسويدهم لصفحاته.

ولا نعدو الحق إذا قلنا أن يزيد لم يكن أفضل أهل زمانه ولا أعلمهم، وأنه لم تتوفر له الظروف المناسبة ليمارس مهام سلطته الرسمية كاملة، وأن أيامه لم تطل لتتيح له الفرصة لإظهار كفاءته وخبرته، ولذلك يبقى الحكم على نجاحه وفشله من الصعوبة بمكان⁽²⁾.

هكذا كانت سياسة يزيد تسير من فشل إلى فشل لاعتمادها على الارتجال في إصدار القرارات التي تحكمت فيها العاطفة دون التعمق في دراسة المشكلات، مع طغيان سلطة الولاة وقادة الجيوش

(1) — يوسف العش: الدولة الأموية، ص 180 وما بعدها.

(2) — عمر سليمان العقيلي: يزيد بن معاوية، ص 87.

على سلطته.

تلك هي هاتين الحادثتين الشنيعتين الأخيرتين بعد الحادثة الشنيعة السابقة عليهما ألا وهي مقتل الحسين بن علي -رضي الله عنهما- التي وقعت في عهد يزيد التي دلت دلالة قاطعة على فشله في سياسته الداخلية في العراق والحجاز لقلّة خبرته وتجاربه إضافة إلى عدم تقريبه للرجال الأكفاء الذي كان ينبغي أن يستشيرهم في الذي ينبغي أن يسير عليه في المسلمين، وفي معالجة المشكلات التي جبهته التي كشفت عن سوء تعامله لها.

ثانياً: وصايا الفرع المرواني لولايتهم

1- وصايا عبد الملك للحجاج في كيفية التعامل مع أهل العراق

كانت ولاية العراق من أهم ولايات الدولة الإسلامية، فمنذ تأسيس معسكري البصرة والكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان كل منهما يؤلف منطقة إدارية مستقلة عن الأخرى كما كان لكل منهما أمير مستقل يُعين من قبل الخليفة، وقد اتبع معاوية أول الأمر النظام الإداري الراشدي، الذي كان معمولاً به في العراق بتعيين أمير على كل مصر وبقي الأمر كذلك إلى أن توفي المغيرة بن شعبه سنة 50هـ حيث جمع معاوية العراق لزيد بن أبيه، فكان أول أمير يجمع له مصري العراق ⁽¹⁾.

والعراق يشكل مركزاً الثقل للإشراف الإداري على المناطق الشرقية والشمالية الخارجة عن حدوده الجغرافية، والتي في الأصل من فتوح البصرة أو الكوفة، فمن فتوح البصرة: فارس كرمان خراسان سجستان أصبهان والأهواز، وكانت فتوح الكوفة تنحصر في المناطق الشمالية كقزوين وزنجان وطبرستان وأذربيجان والري وقور ونهاوند، وكانت هذه المناطق ترتبط بأمير العراق مباشرة، حيث كان المسؤول الأول عن إدارتها، وعن تعيين الولاة والعمال عليها في جل الأحوال، وقد كان لهذا الارتباط أهمية كبرى، إذ أنه يخفف من أعباء إشراف الخليفة على هذه الأقاليم البعيدة عن دمشق ⁽²⁾.

ويكون بهذا التحديد الجغرافي للعراق أهمية كبيرة بالنسبة للأمويين من جهتين:

- الأولى: أن أي اضطراب أو حراك أو فتنة في أرض العراق ستنعكس سلباً بشكل مباشر على مقدرات بيت المال في دمشق، لذا مراعاة الاستقرار في هذا الإقليم تعتبر ضرورة ملحة، ويدخل في هذا الإطار وصية معاوية لابنه، بأنه إذا اضطر إلى عزل كل يوم عامل لإرضاء العراقيين فليفعل حفاظاً على الاستقرار ⁽³⁾.

⁽¹⁾ - تاريخ خليفة، ص 158، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج 1، ص 250.

⁽²⁾ - صالح محمد الرواضية: زيد بن أبيه، ص 104.

⁽³⁾ - أنظر الوصية رقم: 1.

-الثانية: من ناحية الرجال والجند، فتعتبر أرض العراق أرض جاذبة ومستقطبة للسكان منذ فجر التاريخ، بما لها من خصائص طبيعية وأخرى حضارية، وتضاعف عدد سكانها بعد الفتح الإسلامي خاصة بعد تمصير البصرة والكوفة، فقبائل عربية بأكملها استوطنت أرض العراق، وبات لها وزن في صنع القرار السياسي، خاصة بعد أن باتت عاصمة للخليفة علي بن أبي طالب -عليه السلام-، ومراعاتها من هذه الناحية أمر لا بد منه للخليفة في دمشق.

وقد رسم معاوية ليزيد سياسة التعامل مع هذا الإقليم المضطرب غير المستقر، نظرا لوجود القبائل العربية بشكل كبير في هذا الإقليم، وتنامي النزعات القبلية فيما بينها، وعلاوة على ذلك فإن وجود الفكر الخارجي والشيوعي في هذا الإقليم والذين كان لهما من الأتباع والمناصرين والمؤيدين العدد الكبير أثر على زعزعة استقرار العراق.

وهذه العقبات في العراق جعلت معاوية يشير على يزيد بأن يتعامل مع العراق بعامل الحذر ويستجيب لمطالبهم، حتى وإن بلغ الأمر ذروته في تنصيب أمير وعزل أمير كل يوم إقتداء بسياسة عمر بن الخطاب -عليه السلام- (1).

وقد عُرف أهل العراق بكثرة الشكوى من العمال منذ الفتح الإسلامي في زمن عمر بن الخطاب -عليه السلام-، وفي زمن يزيد اشتكى أهل الكوفة من تساهل عاملها النعمان بن بشير الأنصاري -عليه السلام-، مما أدى إلى اضطراب الأمور في الولاية، فعمل يزيد بوصية أبيه، واستجاب لأهل العراق وعزل النعمان بن بشير، وعين عبيد الله بن زياد مكانه، وكان عبيد الله معروفا عند أهل العراق بشدته وحزمه منذ ولايته الأولى عليهم أيام معاوية (2).

ونشير هنا إلى القضية التي أشرنا إليها سابقا وهي أن يزيد لا يحسن اختيار عماله وأنه يفوض إليهم تسيير شؤون الأقاليم تفويضا كاملا وهو ما ناقشناه بشيء من التفصيل في قضية قتل الحسين -عليه السلام-.

الحقيقة أن العراق بقي الإقليم الذي يشكل الخطر المتواصل على حكم خلفاء بني أمية لما يشكلونه من خطر نظرا لتغير مواقفهم وتقلب أحوالهم وتشتت آرائهم وأهوائهم، وقد جابجت الخليفة عبد الملك مخاطر حجة من قبل أهله، فهؤلاء التوابون يثورون سنة 64هـ للثأر من قتلة الحسين، ثم المختار بن أبي عبيد الذي تبنى فكرهم، ثم امتداد نفوذ ابن الزبير إلى العراق الذي حكمه أخاه مصعب، ثم تصدي

(1) - محمد عبد الهادي: مواقف المعارضة، ص 226.

(2) - الدينوري: الأخبار الطوال، ص 225، البلاذري: أنساب، ج 2، ص 77 وما بعدها، ابن الأثير: الكامل في

في النهاية عبد الملك له الذي استرجعه سنة 71هـ، وكان علامة على أن الدور قادم على أخيه عبد الله في الحجاز الذي قضى عليه الحجاج سنة 73هـ، فالت البلاد كلها لعبد الملك، ولكن الحجاز كان مستنكرا وجود الحجاج عليهم كوال، وعرف عبد الملك منهم ذلك، وعرف ما عليه العراق من تفكك، وإن كان مسيطرا عليه، فاقتضى الحال أن يرسل الحجاج إليه واليا سنة 75هـ.

وصية عبد الملك للحجاج بالشدة على أهل العراق

-رقم: 23-

أصبح العراق بعد موت بشر بن مروان، مصدرا لأخطار جسيمة تشكل تهديدا واضحا للسلطة الأموية، فكان على الخليفة أن يختار رجلا كفؤا يستطيع أن يعيد الأمن والنظام إلى العراق خاصة، وأن يثبت الحكم الأموي في كافة أنحاء المشرق بصورة عامة، فقد تفاقم خطر الأزارقة⁽¹⁾ على العراق خاصة بعد أن ترك معظم الجيش العراقي مواقعه في القتال، ورجع الجنود إلى بيوتهم غير آبهين بالخطر المحدق ببلادهم، ومما زاد في قلق الخليفة الأموي وإشفاقه على الوضع، خلو منصب الولاية الذي قد يؤدي إلى وثوب الخوارج على العراق مستغلين الاضطراب، وانعدام النظام، وافتقار البلاد إلى من يدير أمورها، ويسير رجالها، وكان على عبد الملك بن مروان، أن ينظر بعين الاعتبار وهو يفكر في اختيار رجل لولاية العراق، إلى ازدياد الشعور المعادي للأمويين في تلك الولاية، وإلى طبيعة القبائل العربية العاملة على إثارة الاضطراب هناك وعدم الخضوع للدولة، إضافة إلى وجود الخوارج الذين لا يرون شرعية الحكم القائم. اختار عبد الملك، الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أبدى سطوة وحزما وكفاءة في مناصبه السابقة إضافة إلى شدته وطريقته الفعالة في استعادة الأمن والنظام في الحجاز⁽²⁾، ووصل الحجاج إلى العراق في شهر رجب سنة 75هـ، واضعا نصب عينيه تحقيق الأمور التي عين من أجلها، وكان مزودا بنصائح عبد الملك بن مروان في الكيفية التي يجب أن يعامل بها العراقيين فقد كتب إليه بخطه:

(1) - الأزارقة: أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز، فغلبوا عليها وعلى كورها، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحي في زهاء 30 ألف فارس ممن يرى رأيهم، وينخرط في سلكهم، فأنفذ إليهم عبد الله بن الحارث بن نوفل النوفلي عدة قادة فتغلبوا عليهم وخشي أهل البصرة على أنفسهم من الخوارج، فأخرج إليهم المهلب بن أبي صفرة فبقي في حرب الأزارقة 19 سنة إلى أن فرغ من أمرهم في أيام الحجاج، ومات نافع قبل وقائع المهلب مع الأزارقة، وبايعوا بعده قطري بن الفجاءة المازني وسموه أمير المؤمنين. المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص 201-213، الشهرستاني: الملل والنحل، ص 118-120؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 62-66.

(2) - عبد الواحد ذنون طه: العراق في عهد الحجاج، ص 63 وما بعدها.

«أما بعد، يا حجاج فقد وليتك العراقين صدقة، فإذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة، وإياك وهوينا الحجاز، فإن القائل هناك يقول ألقاً ولا يقطع بهن حرفاً، وقد رميت العرض الأقصى، فارمه بنفسك، وأرد ما أردته بك، والسلام»⁽¹⁾.

رواية أخرى لما سبق

-23-

من جهة أخرى فقد نقل لنا صاحب كتاب الإمامة والسياسة نصاً قصيراً كتب به عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف:

« أن سر إلى العراقين، واحتل لقتلهم، فإنه قد بلغني عنهم ما أكرهه»⁽²⁾.

تفرد ابن قتيبة واليعقوبي بروايتيهما لنص هذه الوصية دون سند، ما يجعلنا نتعامل مع نصها بحذر، خاصة إذا علمنا الميولات الشيعية لكليهما.

رسم عبد الملك للحجاج الخطة التي يجب أن يسير عليها، وبين أن السياسة التي سار عليها في الحجاز لا تصلح للعراق وأنه ينبغي له أن يصل إلى الهدف الذي يريده منه وهو إعادة النظام وخلق روح الطاعة في نفوس المحاربين من أهل الكوفة والبصرة الذين انتهزوا فرصة موت بشر بن مروان وعادوا إلى بيوتهم بغير إذن تاركين قائدهم المهلب برامهرمز في ميدان القتال مع الخوارج، وأمره بأن يبدأ بأهل الكوفة حتى تتسامع البصرة بما أصابهم فتدين لطاعته وبالتالي يتم له إخضاع هؤلاء المتمردين على النظام وإرغامهم على الإقلاع عن الفوضى وإرهابهم من البداية⁽³⁾، وبطبيعة الحال فإن الخليفة كان يقصد أن يلفت نظر الحجاج إلى أن العراق بحاجة إلى سياسة حازمة وقوية، تتناسب مع ما فيه من مشاكل وعقبات تواجهها الدولة⁽⁴⁾.

بدأ الحجاج بعد توليته بالكوفة فخطب فيها خطبة انتشرت شهرتها في الآفاق، تناقلتها شتى المصادر التاريخية⁽⁵⁾، مع بعض الاختلافات من زيادة ونقصان، ويحتمل أن بعض ألفاظ هذه الخطبة قد تعرض للتلاعب، ولكنها مع ذلك يمكن أن تلقي ضوءاً على السياسة التي نفذها الحجاج في العراق.

(1) - تاريخ اليعقوبي، ج 2، 192.

(2) - ابن قتيبة: الإمامة و السياسة، ص 43.

(3) - محمود زيادة: الحجاج المفترى عليه، ص 82.

(4) - عبد الواحد: العراق في عهد الحجاج، ص 68.

(5) - الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 2، ص 481، تاريخ الطبري، ج 6، ص 202، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب

الهمم، ج 2، ص 257.

أكد الحجاج في خطبته على المشاكل الآنية التي يجب حلها بسرعة، فهدد بالقتل كل من وجد متخلفاً عن جيش المهلب بن أبي صفرة بعد ثلاثة أيام، كما أنه استعرض فيها سياسته العامة، وكيف أن خليفة قد اختاره لما يتمتع به من صفات القوة والصلابة، كما أوضح بأنه سينفذ كل ما يقوله، وسيتبع سياسة الشدة، ولن يعفو عن المسيء، وحذرهم من التجمع ومن القيل والقال، وطلب إلى كل امرئ منهم أن يهتم بنفسه وأن يستقيموا ويأبوا، كما هددهم بأنه قد استل سيفه ولن يغمد، ثم أخبرهم بأن الخليفة قد أمره بأعطياتهم وتجنيدهم لمحاربة الخوارج مع المهلب وقرأ عليهم كتاب الخليفة في ذلك⁽¹⁾.

وتنفيذاً لما قاله، فقد طلب من رئيس شرطته أن يقتل من وجده عاصياً بعد ثلاثة أيام، وقد أمره أن يحشر الناس إلى المهلب حتى يسترجع كل رجل تفرق عنه سابقاً، وقد كان عمير بن ضابئ البرجمي⁽²⁾ أول من نفذ فيه أمر الحجاج، فقد جاء معتذراً عن الالتحاق بجيش المهلب لكبر سنه، طالباً أن يرسل ابنه بدله، وقد ذكر له أنه كان له دور في قتل الخليفة عثمان بن عفان فأمر بقتله.

ونتيجة لذلك فقد خاف العصاة والتحقوا بجيش المهلب وتزاحموا على عبور الجيش حتى لقد غرق بعضهم، مما جعل الحجاج يأمر بإقامة جيش آخر على الفرات لاستيعاب الفارين الذين رجعوا والتحقوا على وجه السرعة، طالبين إلى أهاليهم أن يزودوهم بمتاعهم وزادهم فيما بعد⁽³⁾، وقد عبر الشاعر عن لسان حال كل واحد منهم بقوله:

تجهز فيما أن تزور ابن ضابئ *** عميراً، وإما أن تزور المهلباً⁽⁴⁾

وكانت مهمة الحجاج في البصرة أسهل منها في الكوفة لأن الأخبار نقلت سياسته وما فعله بعصاة أهل الكوفة.

وصية عبد الملك بن مروان للحجاج في الغرض السابق

-رقم: 24-

جرد الحجاج سلاح الحزم والعزم وواجه المصاعب بجنان ثابت ويد باطشة فكان له في النهاية ما أراد وكان بذلك عند حسن ظن الخليفة عبد الملك كما كان الخليفة عند حسن ظن الحجاج، ذلك أنه

(1) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 202 وما بعدها.

(2) - عمير بن ضابئ بن الحارث البرجمي: كان هو وأبوه ممن سكن الكوفة وهما شاعران، حبس عثمان بن عفان رضي الله عنه ضابئ بن الحارث لهجائه قوماً من الأنصار فمات في الحبس، توفي عمير سنة 75 هـ. المرزباني: معجم الشعراء، ص 244؛ الهجري: قلادة النحر، ج 1، ص 457؛ الزركلي: الأعلام، ج 5، ص 89.

(3) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 207.

(4) - البلاذري: أنساب، ج 7، ص 277.

ما كاد ينتهي من إخماد الفتن حتى وسع الخليفة من دائرة ولايته فأصبحت في سنة 78 هـ تشمل خراسان وسجستان⁽¹⁾.

فعندما انتصر الحجاج على ابن الجارود⁽²⁾ وأخذ ثورته ونكل بأنصاره، كتب إلى عبد الملك: «أما بعد فالحمد لله الذي حفظ أمير المؤمنين، إني لما نزلت منزلي من رستقباد وثب علي أهل العراق فخالقوني وناذوني، ودخل فسطاطي، وانتهبت أموالي، وقالوا اخرج من بلادنا إلى من بعثك إلينا، ففارقني البعيد، وأسلمني القريب، ويئس مني الشفيق، فشددت عليهم بسيفي، ولقيتهم بشيعتي، وقلت الموت قبل البراح، فوالله ما رمت العرصة حتى جعل الله لأmir المؤمنين منهم أنصارا، فضربت بمقبلهم مدبرهم ومطيعهم عاصيهم، فقتل الله عز وجل طاغية القوم عدو الله ابن الجارود، وثمانية عشر من رؤوسهم، وضرب الله عز وجل وجوههم، فأخذوا شرقا وغربا، ثم إني آمنت الناس غائبهم وشاهدتهم، فتراجعوا واجتمعوا وألحقت الناس بأمصارهم، ولله الحمد كثيرا، والسلام»⁽³⁾.

فهم عبد الملك بن مروان جيدا طبيعة الوضع في العراق وحدد إزاءه خطأ لسياسته والتزم به، وألزم واليه على العراق هذا الخط فوصاياه له تعكس بصورة واضحة ذلك، فبعد وصيته الأولى له والتي أوصى فيها الحجاج بالشدة والحزم مع المصرين هاهو مرة أخرى في وصية ثانية يواصل سياسته مع العراقيين متبعا نفس النهج الذي اتخذه معهم منذ البداية، فكتب إليه عبد الملك:

«أما بعد فقد بلغني كتابك، وأنت الناصح النجيب الأمين بالغيب القليل العيب، فإذا رابك من أهل العراق ريب فاقتل أدناهم، يربع منك أقصاهم والسلام»⁽⁴⁾.

تبيّن من هذين الكتابين المتبادلين المتبادلين فطنة الحجاج، وحسن تصويره للأمر بما يعتقد أن فيه إرضاء لعبد الملك وبلاغة في عرض الموقف وما عاناه في سبيل الخلافة، مما جعل الخليفة يقر الحجاج على ما فعل، ويوصيه بالشدة في معاملة أهل العراق بعد أن كبر على الخليفة قيام الثورة ضده أو ضد عامله في قطر من الأقطار، سيما وأن هذه كانت أول ثورة تقوم في عهده في قطر معروف بالثورات والتقلبات.

(1) — تاريخ الطبري: ج 6، ص 319.

(2) — ابن الجارود: عبد الله بن بشر بن عمرو العبدي، سيد بني عبد القيس في عصره، كان شجاعا صاحب رأي وفصاحة، وهو الذي جمع قومه لقتال الحجاج الثقفي في البصرة، وبايع له الناس على إخراج الحجاج من العراق وسؤال عبد الملك بن مروان أن يولي عليهم غيره، فكانت وقائع شديدة انتهت بمقتله. تاريخ الطبري، ج 6،

ص 211؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 429؛ الزركلي: الأعلام، ج 4، ص 74.

(3) — البلاذري: أنساب، ج 7، ص 292.

(4) — المصدر نفسه، ج 7، ص 292.

وصية عبد الملك للحجاج بعد أن أسرف في قتل من خرج

مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

-رقم: 25-

ولئن كانتا وصيتنا عبد الملك السابقتين على هذه تظهران سياسة الشدة والتفويض الذين اتبعهما مع واليه في العراق، فإنه لم يكن يجب الإفراط في الشدة القاهرة من ذلك: أنه لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج سنة 81هـ - 83هـ عائدا من سجستان الذي كان قد وجهه لقتال حاكمها رتبيل سنة 81هـ فدارت بينهما معارك حتى كانت آخرها وقعة دير الجماجم سنة 83هـ المعركة الفاصلة، إذ قضى عليه الحجاج بعد نجدة عبد الملك له بقوات من أهل الشام، فلما انتصر تعقب كل من خرج معه بالقتل حتى بالغ في ذلك⁽¹⁾، فلما بلغته هذه التجاوزات، قال ابن دريد: «كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج في أيام ابن الأشعث:

إنك أعز ما تكون بالله أحوج ما تكون إليه فإذا عززت بالله فاعف له فإنك به تعز وإليه ترجع»⁽²⁾

ونبهه في كتاب آخر لما أسرف في ذلك وهدده وحدد له السياسة التي يرومها في أهل العراق وقد جاء فيه:

« فكتب إليه عبد الملك أما بعد: فقد بلغني سرفك في الدماء، وتبذيرك الأموال وهذا فلا احتمله لأحد من الناس، وقد حكمت عليك في القتل في العمد بالقود⁽³⁾ وفي الخطايا بالدية، وأن ترد الأموال إلى موضعها فإنما المال مال الله عز وجل ونحن خزانه، وسيان منع حق وإعطاء باطل، فلا تُؤمِّنك إلا الطاعة ولا تخيفك إلا المعصية»

فرد عليه الحجاج يبرر له أن ما قام به إنما كان نحو العصاة، وإنفاق الأموال على أهل الطاعة « أما بعد، فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء، وتبذيري في الأموال، والله ما بلغت في عقوبة أهل المعصية، ولا قضيت حقوق أهل الطاعة، فإن يك قتلي العصاة سرفا،

⁽¹⁾ -انظر في شأن تمرد ابن الأشعث: تاريخ الطبري، حوادث السنوات من 81-83هـ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ السنوات نفسها، ابن كثير البداية والنهاية السنوات نفسها؛ المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص 131-

.135

⁽²⁾ -المجتبى، ص44.

⁽³⁾ -القود: القصاص، وقتل النفس بالنفس. ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص372، مادة «قود».

وإعطائي أهل الطاعة تذكيراً، فليمض في ما سلف، وليحدد في أمير المؤمنين حداً فيما يحدث؛ أنتهي إليه ولا أتجاوزهُ»⁽¹⁾.

ولكن لحاجة عبد الملك للحجاج في معالجة مشاكل أهل العراق المختلفي الاتجاهات، لم يحول إجباره على ما أمره به. بل تغاضى عن ذلك، وما يمكن لعبد الملك أن يحدد له حدوداً، فإن ذلك تأباه سياسته مع العراقيين والحاضر يرى ما لا يرى الغائب.

2- وصية سليمان محمد بن يزيد والي إفريقية الجديد

وصية سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد بتحقيق العدل في ولايته

—رقم: 26—

قال الواقدي: أن أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك قال لرجاء بن حيوة: أريد رجلاً له فضل في نفسه أوليه أفريقية.

فقال له: نعم، فمكث أياماً ثم قال: قد وجدت رجلاً له فضل، قال: من هو؟
قال: محمد بن يزيد مولى قريش⁽²⁾.

فقال: أدخله عليّ، فأدخله عليه، فقال سليمان:

«يا محمد بن يزيد اتق الله وحده لا شريك له، وقم فيما وليتك بالحق والعدل وقد وليتك أفريقية والمغرب كله»⁽³⁾.

قال الواقدي: «فودعه وانصرف وهو يقول: ما لي عذر عند الله ما لم أعدل»⁽⁴⁾.

(1) — ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 12، ص 155-156؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج 10، ص 73؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 12، ص 531.

(2) — محمد بن يزيد القرشي بالولاء: أمير إفريقية، أرسله سليمان بن عبد الملك من الشام سنة 97 هـ واليا عليها، عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز وولى مكانه إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر سنة 99 هـ، وبعد استخلاف يزيد ابن عبد الملك سنة 101 هـ ولى عليها يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج، فأراد أن يسير في أهل إفريقية بسيرة الحجاج في العراق فقتلوه وأعادوا محمد بن يزيد وكتبوا إلى الخليفة بما فعلوا وأنهم لم يخلعوا يدا من طاعة، فأقر محمد بن يزيد فترة، ثم استبدله ببشر بن صفوان والي مصر. تاريخ الطبري، ج 6، ص 617؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 8، ص 429، ج 56، ص 279؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 146.

(3) — ابن عذارى: البيان المغرب، ج 1، ص 47.

(4) — نفسه، ج 1، ص 47.

والظاهر أنه أحسن السيرة وحفظ وصية سليمان ووفق ابن حيوة في تركيته، حيث يقول ابن عذارى واصفاً ولايته: «استقر محمد بن يزيد بأفريقية بأحسن سيرة وأعد لها»⁽¹⁾.

ولكن تغيرت سيرته مع آل موسى بن موسى بن نصير، منهم عبد الله ومصادرة وإجبارهم على دفع ثلاثمائة ألف دينار، ثم الذي عذبه وسجنه، ثم قتله بأمر من سليمان. وفي قتله نظر، إنما الذي قتله كما تقول أخرى⁽²⁾.

ويقول محمود شيث خطاب عن مزاعم قتله: «وقتل عبد الله وتعذيبه وسجنه، بأمر سليمان بن عبد الملك، وتنفيذ عامله محمد بن يزيد، أمور يصعب تصديقها، وبخاصة قضية قتل عبد الله، إذ ليس من السهل قتل رجل مسلم في تلك الأيام، بدون اقرار ما يسوغ قتله شرعاً. ومما يزيد في الشك بذلك، أن القتل جرى بأمر سليمان، وهو: -مفتاح الخير، أطلق الأسارى، وخلص أهل السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز- كما وصفه المؤرخون، فمن الصعب أن نصدق أنه يأمر بقتل عبد الله، وهو قادر على حجزه أو ترحيله بسهولة ويسر، كما أن من الصعب تصديق أن محمد بن يزيد ينقذ حكم الإعدام بعبد الله، وهو من المعروفين بحسن السيرة والعدل، ويكفي أن رجاء بن حيوة الإمام المحدث الفقيه التابعي الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم، قد زكى محمد بن يزيد لولاية إفريقية والمغرب، ولو لم يكن عدلاً متميزاً بين العدول لما رشحه رجاء لهذا»⁽³⁾.

3- وصايا عمر بن عبد العزيز لعماله

أ- وصية عمر بن عبد العزيز لبعض عماله في تحقيق مزيد من العدل

وصية عمر بن عبد العزيز لبعض عماله يحثهم على تحقيق أكبر قدر من العدل

-رقم: 27-

استمر عمر بن عبد العزيز يطارد الظلم في أرجاء الإمارة مذ كان والياً على الحجاز، وينصف المظلومين، ويحسن إلى الخزان والمحرومين حتى أصبح الحجاز ملجأ كل مظلوم، وكان يحس بنشوة غامرة للأثر الذي يتركه في نفسه إحقاؤه للحق، وتصديه للظلم والظالمين، فقد كشف ذلك لقاضيه أبي بكر بن حزم، إذ قال له: «إذا وافق الحق الهوى فهو ألدُّ من الشهد»⁽⁴⁾، ومن دون شك، فإن ولايته على

(1) - نفسه، ج 1، ص 47.

(2) - ابن عذارى: البيان المغرب، ج 1، ص 47؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 2، ص 1044

(3) - قادة فتح المغرب العربي، ج 2، ص 78

(4) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 271؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ص 278.

الحجاز كانت تجربة لها أهميتها، إذ زادته تفتحا وبصيرة ومعرفة بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في الدولة عامة، وفي الحجاز خاصة⁽¹⁾.

وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله يحثهم على منافسة الظلمة السابقين، ولكن ليس في ظلمهم وإنما في تحقيق أكبر قدر من العدل والإصلاح، إذ يذكر يعقوب بن عبد الرحمن فيما يرويه عن والده: أن عمر كتب إلى بعض عماله:

⁽²⁾ «إن قدرت أن تكون في العدل، والإحسان، والإصلاح، كقدر من كان قبلك في الجور، والعدوان، والظلم، فافعل، ولا حول ولا قوة إلا بالله»⁽³⁾.

ذلك هو هدف عمر بن عبد العزيز، أن يشحذ هم أعوانه بدفعهم لأن يسابقوا الزمن لإنجاز ما يمكن إنجازه من إصلاحات، وتقديم ما تستطيع طاقتهم تقديمه من إحسان للجماهير التي عانت ما عانت من الظلم والحرمان، ونتيجة لحسن تنظيمه للوقت، والاستفادة منه إلى أقصى مدى فإنه قد حقق في مدة سنتين ونصف، الشيء الكثير الذي لم يحققه من سبقه من خلفاء بني أمية، أو جاءوا بعده في أضعاف مدة حكمه⁽⁴⁾.

ب- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة يحذره من ظلم الرعية

وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة بالابتعاد عن ظلم الرعية

-رقم: 28-

منذ الوهلة الأولى لتولي عمر بن عبد العزيز الخلافة استنفر جميع المخلصين في الأمة الذين هبوا لمساعدته، مسخرا كل الإمكانيات التي أصبحت بين يديه، للإطاحة بالظلم عن عرشه بعزيمة لا تلين، وصبر لا ينفذ، وقد قطع شوطا بعيدا في تحقيق ذلك، ملزما عماله على انتهاج نهجه، وتقليده في فعله،

(1) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 81 وما بعدها.

(2) - عند ابن عبد الحكم والملاء: «إن استطعت أن تكون في العدل والإصلاح والإحسان بمنزلة من كان قبلك في الظلم

والفجور-الملاء: والجور-...» نقلا عن محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 360.

(3) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 299؛ ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 106؛ ابن أبي حاتم: تفسير

ابن أبي حاتم، م 4، ص 1216، رقم: 6871. نقلا عن محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1،

ص 360.

(4) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 361.

مهما كانت العواقب والعراقيل، فقد قال: «من لم يصلحه إلا العشم فلا يصلح، والله، لا أصلح الناس بهلاك ديني!»⁽¹⁾.

قال الزبير بن بكار: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله⁽²⁾:

«أما بعد. فإذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك، وذهب ما تأتي إليهم، واعلم أنك ما تأتي إليهم أمرا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك، وإن الله تعالى يأخذ⁽³⁾ للمظلوم من الظالم، فمهما ظلمت من أحد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك إلا بالله عظيم»⁽⁴⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 28أ-

وقال ابن قتيبة: بلغنا عن ضمرة عن ثور بن يزيد قال⁽⁵⁾: «كتب عمر إلى بعض عماله:

أما بعد. فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم، فاذكر قدرة الله عليك وفناء ما تؤتى إليهم، وبقاء ما يأتون إليك، والسلام»⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ -المرجع نفسه، ج 1، ص 252.

⁽²⁾ - المسعودي: «وكتب في عهد عمر إلى يزيد: «إذا أمكنتك القدرة بالعزة، فاذكر قدرة الله عليك. وقيل إن هذا الكلام كتب به إلى بعض عماله، وفيه زيادة على ما ذكره الزبير بن بكار، وهي «إذا أمكنتك». وما أشار إليه من أن ذلك كتب به إلى يزيد فهو غير صحيح. نقلنا عن: محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 4، ص 155.

⁽³⁾ - ما أثبت من المسعودي، وعند ابن الجوزي: «أخذ».

⁽⁴⁾ - سيرة عمر، ص 123؛ المسعودي: مروج الذهب، ج 3، ص 198.

⁽⁵⁾ - ابن الجوزي، ابن عساكر، المجالسة: «عن ضمرة قال:»، البيهقي: «عبد الله بن الحسين بن إسماعيل القاضي يقول...».

⁽⁶⁾ - عيون الأخبار، ج 1، ص 79، ج 2، ص 115 وهذه الأخيرة دون سند؛ وكتابه: كتاب السياسة، ص 184، رقم:

400؛ وكتابه: السلطان، ص 184، رقم: 400؛ البيهقي: شعب الإيمان، ج 6، ص 40-41، (باب: في

طاعة أولي الأمر. فصل: في نصيحة الولاة)؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ص 121.

- ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 45، ص 202؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 19، ص 116. الملاء:

الكتاب الجامع، ج 1، ص 260، والقسم المخطوط، رقم الورقة: 127ب.

- أحمد بن مروان: المجالسة وجواهر العلم، ص 128. رقم: 589، الزمخشري: ربيع الأبرار، ج 3، ص 310،

رقم: 20، ولا سند لروايته؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 9، ص 151؛

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 28ب-

«وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله:

أما بعد. فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد، فإذا هممت بظلم أحد، فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تأتي الناس شيئاً إلا كان زائلاً عنهم باقياً عليك، والله آخذ للمظلوم من الظالم، والسلام»⁽¹⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 28ج-

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله:

«أما بعد. فإذا مكنتك الله القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تفعل بهم أمراً من الظلم إلا كان زائلاً عنهم - أي بموتهم - باقياً عليك - أي عاره وناره في الآخرة - واعلم أيضاً! أن الله آخذ للمظلوم حقه من الظالم، وإياك إياك أن تظلم من لا ينتصر عليك إلا بالله»⁽²⁾.

رواية أخرى وهي رسالة إلى عدي

-رقم: 28د-

أما ابن عبد ربه فحدد الجهة التي تلقت ذلك، حيث قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة:

- ابن كثير: البداية والنهاية، ج 9، ص 201، وانظر كتابه: عمر بن عبد العزيز، ص 53 ولا سند لروايته.

نقلا عن محمد فرقاني، رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 4، ص 156.

⁽¹⁾ - عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير، ج 5، ص: 469، والرسالة دون سند، وهناك رواية يقارب مضمونها ما ذكره أوصى بها مولاه رهم، قال: «ولاني عمر، ثم قال: يا رهم! إذا دعيتك نفسك إلى ظلم من هو دونك، فاذكر قدرة الله ﷻ عليك، وانتقامه منك، وفناء ما يكون منك إليه عنه، وبقاء ما يكون منك إليه عليك» أبو سعد منصور بن الحسين الآبي: نثر الدر، م، 2 ص 93.

في حين جاء عند ابن عساكر ما يقاربها منسوباً إلى الأحنف قال «إذا دعيتك نفسك إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله على عقوبتك وانتقام الله لهم منك وذهاب ما أتيت لهم عنهم وبقاء ما أتيت لهم عليك» تاريخ دمشق، م 24، ص 345. نقلا عن محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 4، ص 156.

⁽²⁾ - أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي: الزواج عن اقتراف الكبائر، ص 23-24.

« أما بعد. فإن أمكنتك القدرة على المخلوق، فاذكر قدرة الخالق عليك، واعلم مالك عند الله⁽¹⁾ مثل ما للرجية عندك⁽²⁾ ».

رواية أخرى ولكنها مرسلة إلى الجراح، أو غيره

-رقم: 28هـ-

« قال محمد بن مصطفى الحمصي: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح الحكمي أو غيره

من عماله:

أما بعد. فإذا قدرت على عقوبة العباد، فاذكر قدرة الله عليك،⁽³⁾ فاعف له ما لم يكن في العفو مفسدة في الدين، واستخرج من القوم المذنبين، فإنك بالله تعز، وإليه ترجع⁽⁴⁾ ».

هذه الرواية تبقى على ما بها من غموض محل تساؤل بعد الشك الذي صدّر به الراوي المراسلة، فهل يكون هذا الغير هو عدي بن أرطأة؟ ذلك ما لا يمكن الجزم ب⁽⁵⁾.

ج- وصايا عمر بن عبد العزيز لأمرء الأجناد في تحري الحق عند معاقبتهم للناس

وصية عمر بن عبد العزيز لأمرء الأجناد بتحري الحق عند العقوبة ويرشدهم إلى كيفية

سياستهم لبطانتهم ورعيتهم

-رقم: 29-

قال ابن الحكم: كتب عمر بن عبد العزيز:

«من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى أمرء الأجناد، أما بعد. فإنه من ثلي بالسلطان تحضره مكاره كثيرة، وبلايا عظام إن أغبته يوماً فهي حربية أن تحضره في اليوم الآخر، وإنه ليس أحد بأشغل عن نفسه، ولا أكثر تعرضاً لزيغ من ولي السلطان إلا ما عافى الله ورحم.

(1) - في الثانية للعقد: «أكثر مما لك عند الناس»

(2) - العقد الفريد، ج 1، ص 40. والثانية، ج 4، ص 436. وأشار في رواية أخرى أن لعمر بن الخطاب رسالة كتب بها

إلى أبي موسى الأشعري بعض ما جاء في نهايتها يتفق مع ما كتب به حفيده. ج 1، ص 232.

(3) - يتغير الخطاب بعد كلمة «عليك»، وكأن هناك كلام قد سقط أخل بالصيغة فأصبحت غامضة.

(4) - البلاذري: أنساب الأشراف، ج 8، ص 154.

(5) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 4، ص 158.

فاتق الله ما استطعت، واذكر منزلك الذي أنت به والذي حُمِلت، فقاتل هواك كما تقاتل عدوك، واصبر نفسك عندما كرهت ابتغاء ما عند الله من حسن ثوابه الذي وعد المتقون فيما بعد الموت، والذي وعدكم على التقوى والصبر من النجاة في عاجل الأمر وآجله.

فإن حضرك الخصم الجاهل الحرق من قدر الله أن يوليك أمره، وأن تبتلى به فرأيت منه سوء رعة، وسوء سيرة في الحق عليه والحظ له، فسددّه ما استطعت وبصره، وارفق به وعلمه، فإن اهتدى، وأبصر، وعلم، كانت نعمة من الله وفضلا، وإن هو لم يبصر، ولم يعلم كانت حجة اتخذت بما عليه، فإن رأيت أنه أتى ذنبا استحلف فيه عقوبة، فلا تعاقبه بغضب من نفسك عليه، ولكن عاقبه وأنت تتحرى الحق في قدر ذنبه بالغا ما بلغ، وإن لم يبلغ ذلك إلا قدر جلدة واحدة تجلده إياها، وإن كان ذنبه فوق ذلك، ورأيت عليه من العقوبة في ذلك قتلا فما دونه، فأرجعه إلى السجن، ولا يُسرِعَنَّ بك إلى عقوبته حضور من يحضرك، فإنه لعمرى! ربما عاقب الإمام لمحضر جلسائه، ولتأديب أهل بلده، ولتغامزهم به، وما من إمام له جلساء إلا سيكون ذلك فيهم، وما من قوم يسمعون بقضاء إلا سيختلفون فيه على أهوائهم، إلا من رحم الله، فإن من رحم الله لا يختلفون في قضاء، فإنه قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. وإن استجهلت فتثبت، وإذا نظر إليك من حولك ما أنت فاعل بسفيه من رعيتك، إن سفه وأخطأ حظه؛ فاعمد في ذلك للذي ترى أنه أبرُّ وأتقى، وخيرٌ لك غذاً فيما بعد الموت، ولا يطرُبُك نظره إليك، ولا حديثهم عنك، فإنه لا يبقى في أنفسهم حديثٌ أحبوه ولا كرهوه إلا قليلا إلا أبدؤهُ.

فاغتم كل يوم أخرجك الله فيه سالما، وكل ليلة مضت عليك وأنت فيها كذلك، وأكثر دعاء الله بالعافية لنفسك، ولمن ولاك الله أمره، فإن لك في صلاحهم ما ليس لأحدهم، وإن عليك في فساد الرجل الواحد فما فوق ذلك ما ليس على أحد منهم، ولا تبغ منهم جزاء خير أحسنته إليهم، ولا تسديدٍ سددهم، ولا تطلب بعمل صالح عملته فيهم جزاء، ولا ثوابا، ولا مدحة، ولا حظوة، وليكن ذلك لمن يعطي الخير ولا يصرف السوء غيره.

ثم تعاهد صاحب بابك، وصاحب حرسك، وعاملك المقيم عندك والذين تبعث، فلا يعملون في شيء مما تحت يدك بغشم، ولا بظلم، وأكثر المسألة عنهم، فمن كان محسنا نفعه ذلك، ومن كان منهم مسيئا استبدلت به من هو خير منه.

نسأل الله ربنا برحمته وقدرته على خلقه، أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن ييسر لنا أمورنا، وأن يشرح لنا صدورنا بالبر والتقوى، والعمل فيما يحب ويرضى، وأن يعصمنا من المكاره كلها، وأن يجعلنا من

الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، ومن المتقين الذين لهم العاقبة، والسلام عليكم ورحمة الله»⁽¹⁾.

وصية عمر بن عبد العزيز للجراح بن عبد الله ينهاه عن التسرع في العقوبات

-رقم: 30-

عن فرات بن السائب عن ميمون بن مهران قال: كتب عمر إلى الجراح بن عبد الله: «إن ولاية السلطان بعرض⁽²⁾ مكاره وبلاء، إلا من وقى الله وأعان! فاتق الله حق تقاته! واذكر موقفك بين يديه، وإذا حضرك خصم جاهل فرأيت منه رعةً وسيئةً، فارق به وسدده وبصره، وخذ له الحق غير متجانفٍ على خصمه، وإن أتى رجل ذنبا يستحق به العقوبة فلا تعاقبه بغضب تجده في نفسك، ولكن لما أتى وجئى. جعلنا الله وإياك ممن ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾⁽³⁾، أو من المتقين الذين لهم العاقبة، والسلام»⁽⁴⁾.

وصية أخرى منه لأحد عماله في العرض السابق

-رقم: 31-

قال ابن حمدون: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله: «أن لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك، فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه، ولا تجاوز به⁽⁵⁾ خمسة عشر سوطا»⁽⁶⁾.

وصية أخرى منه لأمرء الأجناد في العقوبة وتحسين أحوال السجناء

-رقم: 32-

اتخذ عمر بن عبد العزيز تدابير لصالح السجناء بتحسين أحوالهم، وإصلاح حال السجون، منزها إياها أن تكون مكانا للنقمة، بل جعل منها مكانا لإصلاح حال من لم يحترم حقوق الآخرين، وبالتالي

⁽¹⁾ - سيرة عمر، ص 73 وما بعدها، الملاء: الكتاب الجامع، ج 1، ص 268-270؛ نقلا عن محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 69-71.

⁽²⁾ - كذا جاءت، وتعني العرض الذي يعرض للإنسان من هموم وأشغال وآفات، ابن منظور: لسان العرب، ج 7، ص 169، مادة «عرض».

⁽³⁾ - سورة القصص، الآية: 83.

⁽⁴⁾ - البلاذري: أنساب، ج 8، ص 194.

⁽⁵⁾ - عند الزمخشري: «خمس أسواط».

⁽⁶⁾ - التذكرة الحمدونية، ج 1، ص 329؛ الزمخشري: ربيع الأبرار، ج 2، ص 223 وما بعدها.

حتى لا يصبح السجن مكانا لظهور الأفكار والممارسات الموبوءة⁽¹⁾، فقد كتب إلى أمراء الأجناد فيما جاء عن يحيى بن سعيد:

«وانظروا من في السجن ممن قام عليه الحق فلا تحبسه حتى تقيمه عليه، ومن أشكل أمره، فاكتب إلي فيه، واستوثق من أهل الدعارات، فإن الحبس لهم نكال، ولا تعدى في العقوبة، ويُعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال، وإذا حبست قوما في دَين، فلا تجمع بينهم وبين أهل الدعارات في بيت واحد، ولا حبس واحد، واجعل للنساء حبسا على حدة، وانظر من تجعل على حبسك ممن تتق به، ومن لا يرتشي، فإن من ارتشى صنع ما أمر به»⁽²⁾.

وصية أخرى منه لعدي والي البصرة في نفس الشأن

-رقم: 33-

عن معمر أن عمر بن عبد العزيز كتب⁽³⁾:

«أما بعد. فاستوص بمن في سجونك وأرضك خيرا، حتى لا تصيبهم ضيعة، وأقم لهم ما يصلحهم من الطعام والإدام»⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

تلك هي تعليماته إلى ولاته، فلا يسجن أحد إلا بذنب وبحق، والسجن عنده تأديب لأهل الفسوق والعصيان، وترهيب لغيرهم، بل هو عنده كالمستشفى، فكما لا يمكن وضع أصحاب الأمراض المختلفة في جناح واحد، بل غرفة واحدة، فكذلك المساجين، إذ لكل مخالفة وجريمة جناح خاص، حفاظا منه على كرامة من يسجن في غير جنابة، ولا تهمّة ولا ريبة، نظرا للأثر السلبي الذي يتركه هذا الاختلاط على أخلاق بقية الأفراد من السجناء.

كما تكشف وصاياه حال السجن والسجناء قبل استخلافه الذين كانوا يسجنون دون محاكمة، وتعطيل لحدود الله بسجن من وجبت عليه ذلك، وهذا ظلم، مؤكدا على حسن اختيار القائمين على السجن⁽⁶⁾.

(1) - مُجّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص274.

(2) - ابن سعد: الطبقات، ج5، ص276.

(3) - ذكر البلاذري أنه كتبها لعدي بن أرطاة.

(4) - زاد البلاذري: «من مال الصدقة إن شاء الله».

(5) - ابن سعد: الطبقات، ج5، ص294؛ البلاذري: أنساب، ج8، ص150.

(6) - مُجّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص269 وما بعدها.

إلا أن ما أوصى به سرعان ما امتدت إليه أيدي المعتدين بالنقض والتعطيل، كما امتدت لبقية الإصلاحات التي عادت فائدتها على قطاع عريض من المجتمع⁽¹⁾.

د- وصيته لعماله بالإحسان للرعية والرفق في سياستهم لها

وصية عمر بن عبد العزيز لعماله يوصيهم بالرعية خيرا

-رقم: 34-

قال ابن عبد الحكم: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله:

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العمال، أما بعد. فإن من بُلي من أمر السلطان بشيء، فقد ابتلي في الدنيا بلية عظيمة، مع ما ابتلي به في خاصة نفسه- فنسأل الله عافيته وحسن معونته- وأيُّ بلاء أشد من بلاء يبسط للمرء فيه لسانه وفعله، فإن مال فيه إلى كل هوى، أو سخطة كان فيه وكف⁽²⁾ -إلا أن يعفو الله ويغفر- فإنما وجدت والي السلطان عبداً مملوكاً ولي ضيعة عليه الاجتهاد في إصلاحها، أجره إحسان إن أحسنه، وإحسان عمل به فيهم على ملكه الذي خلقه لما شاء أن يخلقه له فأنزل بتلك المنزلة في أمرك، واصبر على ما كرهت، واصبر على ما أحببت، وقف نفسك في كل سرٍّ وعلانية عند الذي ترجو به النجاة عند ذلك⁽³⁾ حتى تفارق الذي أنت فيه، فإن ذلك لعله أن يكون إلى قريب وأنت محسن ومأجور، وتذكر ما سلف منك من عملك فيما سلف مما لا تحب فأصلحه قبل أن يتولى صلاحه غيرك، ولا يكبر عليك في ذلك قول الناس إذا علم الله أنك تجعل ذلك له، فإنه سيكفيك المؤونة في عاجل الأمر، مع ما يُدخر لك من الخير فيما عنده. وكن لمن ولاك الله أمره ناصحاً فيما بعثك إليه من أمورهم، في دينهم وأعراضهم، واستر كل ما استطعت من عوراتهم إلا شيئاً أبداه الله لا يصلح لك ستره، واملك نفسك عنهم إذا هويت وإذا غضبت، حتى يكون ذلك فيما استطعت مستويًا حسنًا، إذا سبقك أمرٌ، أو سلف منك هوى، أو غضب فراجع أمرك، فقد رأيت حقا أن أكتب إليك بالذي كتبت به مما استطعت،

(1)-مُجَّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص27.

(2)- وَكَفَ: الميل والجور والإثم والفساد. ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص363 وما بعدها، مادة «وكف».

(3)- قال المحقق في الهامش: «كذا في ش، ب، ولعل الصواب: «عند ربك»؛ نقلا عن مُجَّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد

ونستعين بالله ونسأله: أن يصلح لنا عملنا، ويكفيننا مؤونة ما نحن فيه، و مؤونة ما نرجع إليه فيما بعد الموت بأحسن كفاية، والسلام»⁽¹⁾.

وصية أخرى منه لأحد عماله يرشده إلى كيفية معاملة رعيته

-رقم: 35-

عن داود بن عبد الحميد قاضي الرقة، عن أبيه، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض عماله:

«أنزل رعيته بمنزلة ولدك، فوَقِّر كبيرهم، وارحم صغيرهم، ووقِّو ناشئهم»⁽²⁾.

وصية أخرى منه لأمير الجزيرة في الغرض السابق

-رقم: 36-

قال جعفر: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير الجزيرة⁽³⁾، فكان مما كتب إليه:

« وكن لمن ولاك الله أمره ناصحا فيما تعيب عليهم من أمورهم، ساترا لما استطعت من عوراتهم، إلا شيئا أبداه الله لا يصلح ستره، وتمسك نفسك عنهم إذا غضبت وإذا رضيت، حتى يكون ذلك فيما بينك وبينهم مستويا حسنا جميلا، لا تبتغين لحق أدبتهم إليهم، ولا خير سددتهم له منهم حظا ولا مدحة، وليكن ذلك لمن لا يعطي الخير إلا هو، ولا يصرف السوء إلا هو، واغتنم كل يوم ليلة مضت عليك وأنت سالم»⁽⁴⁾.

وصية أخرى منه لعبد الحميد في الغرض السابق

-رقم: 37-

قال البلاذري⁽⁵⁾: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد:

(1) - سيرة عمر، ص 78 وما بعدها؛ الملاء: الكتاب الجامع، ج 1، ص 271-272. نقلا عن مُجَدِّ فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 73.

(2) - البلاذري: أنساب، ج 8، ص 139.

(3) - ذكر خليفة أن عمر بن عبد العزيز ولي عبد العزيز ابن حاتم الجزيرة. تاريخ خليفة، ص 323.

(4) - ابن الجوزي: سيرة عمر، ص 118؛ الملاء: الكتاب الجامع، ج 1، ص 258. نقلا عن مُجَدِّ فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 74 وما بعدها.

(5) - لم يذكر سندها، ولكن جاء قبلها «المدائني عن ابن جعدية قال: كتب عمر إلى أبي بكر بن حزم»، ثم لم يذكر بعده سند آخر، ثم ذكر الرواية المذكورة بعده، ومن ثم قد تكون بالسند ذاته. نقلا عن مُجَدِّ فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 76.

«أما بعد. فإنه من ابتلي بأمر الناس، فقد عظمت بليته - نسأل الله عافيته وحسن معونته - فكن لمن وليت أمره ناصحاً، وعليهم شفيقاً حذباً، وأملك نفسك عند الهوى والغضب، واكفف يدك ولسانك عن الأموال والأعراض والأبشار، واستر ما استطعت من عورات الناس، إلا شيئاً أبداه الله لا يصلح ستره، فإن سبق منك هوى أو غضب، فاستغفر ربك، وراجع أمرك. نسأل الله تعالى أن يصلح لنا أعمالنا، ويكفيننا أمورنا، وما نرجع إليه بعد الموت، والسلام»⁽¹⁾.

وصية أخرى منه لصاحب حرسه في الضعفاء من الرجية

-رقم 38-

عزل عمر بن عبد العزيز خالد بن الريان⁽²⁾ عن رئاسة حرسه الخاص وأسندها إلى عمرو بن مهاجر الأنصاري⁽³⁾، وقال له: «والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام ولكني قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن رأيتك تصلي في موضع تظن أن لا يراك أحد فرأيتك تحسن الصلاة خذ هذا السيف قد وليتك حرسى»⁽⁴⁾، وأوصاه فيما رواه عبد الأعلى بن مسهر عن من حدثه عن عمرو بن مهاجر:

«قد وليتك الحرس، فالله الله في الضعيف!»⁽⁵⁾.

(1) - البلاذري: أنساب، ج 8، ص 193 وما بعدها.

(2) - خالد بن الريان: المخاري مولاهم ولي أبوه الحرس لعبد الملك بن مروان وولي هو الحرس لعبد الملك والوليد وسليمان، ولما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز جاء خالد وقام مقام صاحب الحرس فقال عمر: يا خالد ضع هذا السيف عنك اللهم إني قد وضعت لخالد بن الريان اللهم لا ترفعه أبداً، ثم أعلى السيف عمرو بن مهاجر الأنصاري وولاه الحرس. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 16، ص 28 وما بعدها؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 13، ص 151.

(3) - عمرو بن مهاجر بن دينار الأنصاري: أبو عبيد الدمشقي، صاحب حرس عمر بن عبد العزيز، كان ثقة وله حديث كثير، مات سنة 139 هـ في خلافة أبي جعفر، وهو ابن 94 سنة. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 19، ص 311؛ المزني: تهذيب الكمال، ج 22، ص 252.

(4) - ابن عساکر: تاريخ دمشق؛ ج 16، ص 29.

(5) - المصدر نفسه، ج 46، ص 405؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 8، ص 510 وما بعدها.

تدل هذه الوصايا لعمر بن عبد العزيز أنه قد أولى اهتماماً بالغاً بالرعية، فهو لا يفتأ يوصي بها خيراً جميع فئات طاقمه الإداري الذي هو المسؤول على أعماله وسلوكاته وسياسته مع الرعية قسطاً أو جوراً صلاحاً أو فساداً.

ويبدو أن عماله قد قاربوا في سياستهم مع الرعية ما كان عمر يرومه ويرنوا إليه، ولا أدل على ذلك من حالة السكون التي شهدتها فترة خلافته وما تناقلته كتب التاريخ على اختلاف أنواعها من استحسان ورضى الناس على خلافته حتى عدوه خامس الخلفاء الراشدين، وربما لا يعود فضل ذلك فقط إلى وصاياه وإرشاداته بقدر ما يعود إلى سيرته وإعطاءه المثل والقدوة في كل ما يتعلق به من خلق وتقوى وزهد وعبادة وسياسة وعلم وغيرها بالإضافة إلى طبيعة الأشخاص الذين اختارهم ليشكلوا طاقمه الإداري ونضوج ووضوح الرؤية التي كان بصدد السير عليها في سياسته، ونقلها إلى طاقمه في رسائله ووصاياه ومتابعتها حتى يراها واقعا نافذاً، وقد وصف الإمام الغزالي مقدار المدح والثناء الذي ناله عمر من الناس دون غيره فقال: «فإن شئت أن تعلم أن عدل السلطان وتقوته سبب لجميل ذكره، ونيل فخره، فإنظر في أخبار عمر بن عبد العزيز فإنه لم يكن لأحد من بني أمية وبني مروان مثل مدحه ومجده ولا يدعى إلا له ولا يثنى إلا عليه لأنه كان عادلاً تقياً كريماً حسن السيرة، تقي السريرة»⁽¹⁾.

هـ- وصية عمر بن عبد العزيز للضحاك بن قيس يدعو لمحاربة داء العصبية القبلية

وصية عمر بن عبد العزيز للضحاك بن عبد الرحمن يحثه على محاربة العصبية القبلية

-رقم: 39-

كان حال المجتمع عندما تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز ممزقاً متفرقاً متعادياً، فتصدى لها بحزم لا يعرف المهادنة، وبقوة لا تعرف اللين، عاملاً على جمع الشمل وتوحيد الأمة بالذي توحد به أولها، والذي كان أحد الأسباب التي أدت إلى تفوقهم على غيرهم، وأكد ذلك في التعليم الآتية باعتبارها من المنكر المقيت الممزق لنسيج الأمة الاجتماعي الذي وجب عليه أن يحاربها، حيث قال ابن عبد الحكم: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الضحاك بن عبد الرحمن⁽²⁾:

(1) - التبر المسبوك، ص 56.

(2) - الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب ويقال عزوم: أبو عبد الرحمن الأشعري من أهل الأردن، من ثقات التابعين، استعمله عمر بن عبد العزيز على دمشق، ومات عمر بن عبد العزيز وهو والٍ عليها، وكان من خير الولاة، توفي سنة 105هـ. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 11، ص 128؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 4، ص 446.

«أما بعد، فإن الله جعل الإسلام الذي رضي به لنفسه، ومن كرم عليه من خلقه، لا يقبل الله ديناً غيره، كرمه لما أنزل من كتابه الذي فرق به بين الإسلام وبين ما سواه، فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾⁽²⁾، فبعث الله محمدًا -ﷺ- حين بعثه، وأنزل عليه الكتاب حين أنزله، وأنتم معشر العرب فيما قد علمتم من الضلالة والجهالة والجهل والجهد، وضنك العيش، وتفرق الدار، والفتن بينكم عامة، والناس لكم حاقرون، مستأثرون عليكم بالدين، وليس من ضلالتهم من شيء إلا وأنتم على مثله، من عاش منكم عاش فيما ذكرت من الجهل والضلالة، ومن مات منكم مات إلى النار، حتى أخذ الله بنواصيكم عما كنتم فيه من عبادة الأوثان، والتقاطع، والتدابير، وسوء ذات البين، فأنكر منكركم، وكذب مكذبكم، ونبى الله -ﷺ- يدعو إلى كتاب الله وإلى الإسلام، ثم أسلم معه قليل مستضعفون في الأرض، يخافون أن يتخطفهم الناس فأواهم وأيدهم بنصره، ورزقهم الله من أذن له بالإسلام، والدنيا مقبوضة عنه، والله منجز لرسوله موعوده الذي ليس له خلف، فيراه من يراه بعيداً، إلا قليلاً من المؤمنين فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾⁽³⁾. وقال في بعض ما يعده والمسلمين أن قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾⁽⁴⁾. فأنجز الله نبيه ﷺ وأهل الإسلام موعودهم الذي وعدهم، فلم يعطكم الله يا أهل الإسلام! ما أعطاكم من ذلك إلا بهذا الذي تفلجون⁽⁵⁾ به على خصمكم، وبه تقومون شهداء يوم القيامة، ليس لكم نجاة غيره، ولا حجة، ولا حرز، ولا منعة في الدنيا والآخرة، فإذا أعطاكم الله منه أحسن يوم

(1) - سورة المائدة، الآية: 15-16.

(2) - سورة الإسراء، الآية: 105.

(3) - سورة التوبة، الآية: 33، سورة الصف، الآية: 09.

(4) - سورة النور، الآية: 55.

(5) - ذكر محقق السيرة في الهامش: «في ب: «تفلجون» لعل ما هنا أصوب»، إلا أنه جاء في لسان العرب ما يؤكد

صحة ما ذكر في الرسالة قال: «الفلج»: الظفر والفوز، ج2، ص 347، مادة: «فلج»؛ نقلاً عن محمد فرقاني:

رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص 299.

وعدموه، فأرجوا ثواب الله فيما بعد الموت، فإن الله قال: ﴿تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾.

وإني أحذركم هذا القرآن وتباعته فإن تباعته وشروطه قد أصابكم منها أيتها الأمة وقائع، من هراقة دماء، وخراب ديار، وتفرق جماعات، فانظروا ما زجركم الله عنه في كتابه، فازدجروا عنه، فإن أحق ما خيف وعيد الله، بقول، أو بعمل، أو غير ذلك، فإن كان بقول في أمر الله فَنِعْمًا له، وإن كان بقول في غير ذلك، فإنه يُفضي إلى سبيل هلكة، ثم إن ما هاجني على كتابي هذا أمر ذكّر لي عن رجال من أهل البادية، ورجال أمروا حديثنا، ظاهر جفاؤهم، قليل علمهم بأمر الله اغتروا فيه بالله غرّة عظيمة، ونسوا فيه بلاءه نسيانا عظيما، وغيروا فيه نِعْمَهُ تغييرا لم يكن يصلح لهم أن يبلغوه، وذكّر لي أن رجالا من أولئك يتحاربون إلى مضر وإلى اليمن، يزعمون أنهم ولاية على من سواهم، وسبحان الله وبحمده! ما أبعدهم من شكر نعمة الله، وأقربهم من كل مهلكة، ومذلة، وصغرة! قاتلهم الله! أية منزلة نزلوا؟! ومن أي أمان خرجوا؟! أو بأي أمر لصقوا؟! ولكن قد عرفت أن الشقي بنيته يشقى، وأن النار لم تُخلق باطلا، أو لم تسمعوا إلى قول الله في كتابه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽³⁾، وقد ذكّر لي مع ذلك أن رجالا يتداعون إلى الحلف، وقد نهى رسول الله ﷺ - عن الحلف، وقال: «لا حلف في الإسلام، قال: وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة»⁽⁴⁾، فكان يرجو أحد من الفريقين حفظ حلفه الفاجر الآثم، الذي فيه معصية الله ومعصية رسوله، وقد ترك الإسلام حين إنخلع منه، وأنا أحذر كل من سمع كتابي هذا، ومن بلغه، أن يتخذ غير الإسلام حصنا، أو دون الله، ودون رسوله، ودون المؤمنين وليجة⁽⁵⁾ تحذيرا بعد تحذير، وأذكّركم تذكيرا بعد تذكير، وأشهد عليهم الذي هو آخذ

(1) - سورة القصص، الآية: 83.

(2) - سورة الحجرات، الآية: 10.

(3) - سورة المائدة، الآية: 03.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، ج4، ص1961، رقم 206، والحديث من طريق جبير بن مطعم. أما تعريف الحلف فهو: العهد يكون بين القوم على أن يكون أمرهم واحد في النصرة والحماية. لسان العرب: ج9، ص53، مادة: «حلف».

(5) - وليجة: البطانة والخاصة. لسان العرب، ج2، ص400، مادة: «ولج».

أخذ بناصية كل دابة، والذي هو أقرب إلى كل عبد من حبل الوريد، وإني لم آلكم بالذي كتبت إليكم نصحا، مع أي لو أعلم أن أحدا من الناس يجر شيئا ليؤخذ له به، أو ليدفع عنه، أحرص— والله المستعان على مذلتة— من كان، رجلا، أو عشيرة، أو قبيلة، أو أكثر من ذلك، فادع إلى نصيحتي، وما تقدمت إليكم به، فإنه هو الرشد ليس له خفاء، ثم ليكون أهل البر، وأهل الإيمان عوناً بألسنتهم، وإن كثيرا من الناس لا يعلمون. نسأل الله أن يخلف فيما بيننا بخير خلافة في ديننا، وألفتنا، وذات بيننا، والسلام»⁽¹⁾.

تلك هي سياسته تجاه العصبية التي استشرى داؤها، بتحالف بعضها ضد البعض الآخر، الذي عمل ما استطاع إلى ذلك سبيلا على معالجة هذا الداء بكل الوسائل التي أتاحت له بؤاده تحت الأقدام، وأعلن أن لا حلف له، ولا للجماهير إلا مع الإسلام، «فهو الرشد الذي ليس له خفاء» على حد تعبيره، مذكرا إياهم بما كان عليه حالهم من ترد وتمزق، وكيف بدل الإسلام هذه الحال إلى أحسن حال، فأمنوا من بعد خوف، وشبعوا من بعد جوع، وهذب نفوسهم وطباعهم، وقوم سلوكهم، ووجد شملهم، وحررهم من نزغات أنفسهم، ومن تبعيتهم لغيرهم، وأخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام.

إلا أن من جاء بعده، خاصة يزيد بن عبد الملك، لم يكن في مستواه فهدم ما بناه في أول امتحان تعرض له بخروج يزيد بن المهلب على حكمه، فتعامل معه وكأنه شيخ قبيلة، لا خليفة لكل المسلمين، فرعدت لمقتله أنوف اليمينية باعتباره أحد رموزهم، واستشرت النعرة العصبية في المجتمع من جديد تفعل فعلها بالتمزيق، والتفريق، والتفكيك، لأوصال المجتمع، وكأن وحدة المسلمين ليس فيها أمنهم وقوتهم وعزتهم؟! وعزتهم؟! وعزتهم!؟

إن سنن الله التي جعلها ضابطة للعلاقات الإنسانية في أرضه لا تجامل أحد من عباده إذا خرقها خارق، إذ لما عادوا إلى سيرتهم الأولى عادت تفعل فعلها بهم، فذهبت ريجهم وأصبحوا أكلة لكل آكل ونهبة لكل ناهب⁽²⁾.

(1) - ابن عبد الحكم: سيرة عمر، ص 91-93؛ الملاء: الكتاب الجامع، ج 1، ص 280-283؛ نقلا عن محمد فرقاني:

رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 3، ص 298-301.

(2) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 3، ص 301.

الفصل الثالث

وصايا ولاة بني أمية لأبنائهم وعمالهم في كيفية سياستهم لرعيتهم

- 1- وصية المهلب بن أبي صفرة الأزدي لأبنائه
أ- وصيته لابنه عبد الملك
ب- وصية المهلب بن أبي صفرة الأزدي لأبنائه عند احتضاره
- 2- وصية قرة بن شريك لبسيل نائبه على كوم شقوة
- 3- وصية الحجاج لمطرف بن المغيرة واليه على المدائن
- 4- وصية الحجاج عند وفاته في توزيع السلاح الذي تركه
- 5- وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد
- 6- وصية خالد بن عبد الله القسري لأبان بن الوليد يرشده كيف تكون سياسته مع الرعية

الفصل الثالث: وصايا ولاية بني أمية لأبنائهم وعمالهم في كيفية سياستهم لرعيهم

تعتبر سياسة ولاية بني أمية مظهر آخر من مظاهر سياسة الخلفاء الأمويين بما منحهم من صلاحيات واسعة في نطاق لا مركزية إدارتهم لولاياتهم والتصرف في شؤونها العامة، سواء في حركة الفتح والجهاد أو توفير الأمن والضرب بقوة على يد من يسعى إلى الإخلال به، والسهر على جباية الأموال من وجوهها، وصرفها على التنمية والإعمار، وعطاء الجند ومن له صلة بخدمة الدولة، وفض الخصومات بين الناس بتعيينهم للقضاة، والمطلع على وصايا هؤلاء الولاة يدرك تمام الإدراك أن سياستهم مستلهمة من سياسة خلفائهم بل هي مكملتها لسياستهم، وإن تفاوتوا حسب المناطق والأقاليم في ذلك بحسب مواقف الشعوب منهم، فالعراق كانت سياسة العنف هي التي تحكمت في علاقة الولاة مع مجتمعه، بفعل التيارات السياسية المختلفة التي انتشرت هناك والتركيبية الاجتماعية المتباينة لهذا المجتمع، في حين كانت الولايات الأخرى بعكس ذلك إلى حد كبير، ولما كانت سياسة هؤلاء الولاة كذلك نبهنا عليها في هذه التوطئة القصيرة، فسياسة الشعوب كل متكامل من القمة إلى القاعدة، والخلل في الدول يبدأ عندما لا يكون هناك تكامل وانسجام، ولنشرع في ذكر هذه الوصايا.

1- وصية المهلب بن أبي صفرة لأبنائه**أ- وصيته لابنه عبد الملك:**

وصية المهلب لابنه عبد الملك في عدم التسرع، وموقفه من مطالب الناس

-رقم: 40-

«عن أبي عثمان، أن المهلب بن أبي صفرة أوصى عبد الملك ابنه فقال:

إياك والسرعة عند المسألة بنعم، فإن أولها سهل في مخرجها، وأخرها ثقل في فعلها، واعلم: أن لا وإن قُبِحَتْ فرِما رُوِّحَتْ، وإن سُئِلتَ أمراً فقدرت عليه فأجب، وإن عرفت أن لا سبيل إليه فاعتذر منه، فإنه من لم يغدُ معتذراً فقد ظلم»⁽¹⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 40أ-

وفي رواية المفضل الأصفهاني أنه لم يذكر اسم الموصى إليه قال:

«يا بني إياك والسرعة عند المسألة بنعم فمدخلها سهل ومخرجها وعمر، واعلم:

(1) - تعليق من أمالي ابن دريد، ص 155.

أن لا وإن قبحت فرما أروحت، فإذا سُئلت ما قدرت عليه فاطمع ولا توجب [كذا] وإذا علمت معذرة فاعتذر، فالإتيان بالعدر الجميل خير من المظل الطويل»⁽¹⁾.

ب- وصية المهلب بن أبي صفرة الأزدي لأبنائه عند احتضاره

للمهلب بن أبي صفرة أدوار كبيرة في محاربة الخوارج من أيام مصعب بن الزبير سنة 67هـ الذي ولاه على البصرة، ثم كلفه الحجاج بن يوسف من بعده بقتالهم، وعينه على خراسان سنة 79هـ، وبها توفي سنة 82هـ، وقيل 83هـ، وقد ذكرت المصادر أعماله ومنجزاته خاصة العسكرية منها وأشادت بها، وكان في كل ذلك يستعين بأبنائه خاصة عبد الملك، ومروان، والمغيرة، ويزيد الذي استخلفه على خراسان عند وفاته⁽²⁾، ولما كانوا بهذه المكانة في إعانة والدهم فيما ولي عليه رأيت أن أرد وصيته لهم باعتبارها تجربة حياة متعددة الأوجه حتى يحافظوا على مكانتهم وسمعتهم بخدمة من ولوا عليه ليزدادوا مجدا ورفعة ويلقوا القبول عند خلفاء بني أمية وواليتهم الحجاج بن يوسف الذين أثبتت هذه الأسرة ولاءها لهم.

وصية المهلب لبنيه بضروب من الخير

-رقم: 41-

وقال المبرد: «ولما احتضر المهلب بن أبي صفرة أوصى بنيه فقال:

أوصيكم بتقوى الله وصلته الرحم، فإن تقوى الله تعقب الجنة، وإن صلة الرحم تُنسىء في الأجل، وتثري المال، وتجمع الشمل وتكثر العدد، وتعمر الديار، وتعز الجانب وأنهاكم عن معصية الله، فإنها تعقب النار، وإن قطيعة الرحم تورث القلة والذلة، وتفرق الجمع، وتذر الديار بَلَقَعاً وتذهب المال، وتطمع العدو، وتبدي العورة.

يَا بَنِيَّ، قومكم قومكم⁽³⁾! إنه ليس لكم عليهم فضل بل هم أفضل منكم إذ فضلواكم وسودوكم ووطؤوا أعقابكم، وبلغوا حاجاتكم لما أردتم، وأعانوكم،⁽⁴⁾ فلهم بذلك حق عليكم، وبلاء عندكم لا تؤدون شكره ولا تقومون بحقه. فإن طلبوا فأطلبوهم، وإن سألوا فأعطوهم، وإن لم يسألوا فابتدئوهم، وإن شتموا فاحتملوهم، وإن غشوا أبوابكم فلتفتح لهم ولا تغلق دونهم.

(1)-محاضرات الأدباء، ج1، ص 648.

(2)-ذكر منهم ابن حزم تسعة عشر ابنا. عدا البنات. جمهرة أنساب العرب، ج2، ص367

(3)-في لباب الآداب: «يا بني قومك قومك» وبهذا التغيير كأنه أوصى لأحد أبنائه، وهو مخالف لبقية ما جاء في الروايات، إلا أن يكون استعمل المفرد مكان الجمع.

(4)-في لباب الآداب «وأعانوكم؛ فإن طلبوا فأطلبوهم».

يا بني، اتقوا الجواب وزلة اللسان، فإني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من زلته وينتعث منها، ويزل لسانه فيؤبِقُهُ، وتكون فيه هلكته.

يا بني، إذا غدا عليكم رجل أو راح فكفى بذلك مسألةً وتذكرةً بنفسه.

يا بني، ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم، ودوابكم تحت غيركم أحسن منها تحتكم.

يا بني، أحبوا المعروف، وأكرهوا المنكر واجتنبوه، وآثروا الجود على البخل.

واصطنعوا العرب وأكرمهم، فإن العربي تعدده العدة فيموت دونك ويشكر لك، فكيف

بالصنيعة إذا وصلت إليه، في احتماله لها، وشكره والوفاء لصاحبها؟!!

يا بني، سودوا كباركم، واعرفوا فضل ذوي أسنانكم تعظموا به، وارحموا صغيركم وقربوه

والطفوه، واجبروا يتيمةكم وعودوا عليه بما قدرتم، وخذوا على يدي سفهائكم، وتعاهدوا فقراءكم

وجيرانكم بما قدرتم عليه، واصبروا للحقوق ونواب الدهر [واحدروا عار غدا]⁽¹⁾.

وعليكم في الحرب بالأناة، والتؤدة في اللقاء، وعليكم بالتماس الخديعة في الحرب لعدوكم،

وإياكم والنزق والعجلة، فإن المكيدة والأناة والخديعة في الحرب أنفع من الشجاعة.

واعلموا أن القتال والمكيدة مع الصبر، فإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن ظفر امرؤ وقد

أخذ بالحزم قال القائل: قد أتى الأمر من وجهه، وإن لم يظفر قال: ما ضيع ولا فرط ولكن القضاء

غالب، وألزموا الحزم على أي الحالتين وقع الأمر، وألزموا الطاعة والجماعة، وإياكم والخلاف.

تواصلوا وتآزرروا وتعاطفوا، فإن ذلك يثبت المودة، وخذوا فيما أوصيكم به بالجد والقوة

والقيام به [والتعهد له وترك الغفلة عنه]⁽²⁾ تظفروا بديناكم ما كنتم فيها، وبآخرتكم إذا صرتم إليها

ولا قوة إلا بالله.

وليكن أول ما تبدؤون به [أنفسكم]⁽³⁾ إذا أصبحتم تعليم القرآن والسنن⁽⁴⁾ والفرائض،

وتأدبوا بآداب الصالحين من قبلكم من سلفكم، ولا تقاعدوا أهل الدعارة والريية [ولا تخالطوهم]

⁽⁵⁾، ولا يطمع في ذلك منكم طامع.

(1) - ما زيد من لباب الآداب وعند المبرد ناقصة .

(2) - ما زيد من لباب الآداب وعند المبرد ناقصة.

(3) - ما زيد من لباب الآداب وعند المبرد ناقصة

(4) - في لباب الآداب «وأداء الفرائض»

(5) - ما زيد من لباب الآداب وعند المبرد ناقصة

وإياكم والخفة في مجالسكم وكثرة الكلام، فإنه لا يسلم منه صاحبه، وأدوا حق الله عليكم،
فإني قد أبلغت إليكم في وصيتي، واتخذت لله الحجة عليكم»⁽¹⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 41، أ، ب-

رواية الطبري رقم: 41 - أ -	رواية ابن الأثير. رقم: 41 - ب -
قال علي بن محمد المدائني فيما يرويه عن المفضل الضبي، الذي قال: فذكر مرض المهلب وهو عائد من مدينة كس في طريقه إلى مرو قاعدة خراسان عاصمة ولايته	لما صالح المهلب أهل كش رجع يريد مرو، مرض، فأوصى إلى ابنه حبيب فضلى عليه، وقال لهم:
« فدعا حبيبا ومن حضره من ولده، ودعا بسهام فحزمت، وقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ ⁽²⁾ . قالوا: لا. قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم. قال: فهكذا الجماعة.	«قد استخلف عليكم يزيد فلا تخالفوه، فقال له ابنه المفضل: لو لم تقدمه لقدمناه، وأحضر ولده فوصاهم، وأحضر سهامها فحزمت، فقال: أتكسرونها مجتمعة؟ قالوا: لا. قال: أفتكسرونها متفرقة؟ قالوا: نعم. قال: فهكذا الجماعة. ثم قال:
فأوصيكم بتقوى الله وصلته الرحم، فإن صلة الرحم تنسى في الأجل، وتشري المال ⁽³⁾ ، وتكثر العدد.	أوصيكم بتقوى الله وصلته الرحم؛ فإنها تنسى في الأجل، وتشري المال، وتكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة؛ فإنها تعقب النار والقلة والذلة.
وأنهاكم عن القطيعة، فإن القطيعة تعقب النار، وتورث الذلة والقلة، فتحابوا وتواصلوا، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا، وتباروا تجتمع أموركم، إن بني الأم يختلفون، فكيف ببني العلات! وعليكم بالطاعة والجماعة.	وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكن فعالكم أفضل من مقالكم، واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش منها، ويذل لسانه فيهلك.
وليكن فعالكم أفضل من قولكم، فإني أحب	اعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفى بغدو الرجل

(1)-المبرد: التعازي والمراثي، ص 153-155؛ أسامة بن منقذ: لباب الآداب، ص 29-31

(2)-راجع مثل هذا التمثيل الذي ضربه عبد الملك لأبنائه في وصيته لهم عند وفاته وصية رقم: 12.

(3)-انظر الكلمة في بقية الروايات، واراها مصحفة.

ورواحه إليكم تذكرة له، وآثروا الجود على البخل.	للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه، واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تنزل قدمه فينتعش من زلته، ويذل لسانه فيهلك.
[وأحبوا العرب] ⁽¹⁾ ، واصنعوا المعروف، فإن الرجل من العرب تعده العدة، فيموت دونك، فكيف بالصنيعة عنده!	اعرفوا لمن يغشاكم حقه، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له، وآثروا الجود على البخل.
عليكم في الحرب بالتؤدة والمكيدة، فإنها أنفع من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل: أتى الأمر من وجهه فظفر، فحمد، وإن لم يظفر [بعد الأناة] ⁽²⁾ قيل: ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب.	وأحبوا العرب واصطنعوا العرف، فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك، فكيف الصنيعة عنده!
وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين، وإياكم وكثرة الكلام في مجالسكم. ثم مات - رحمه الله -	عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، ⁽³⁾ فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل: أتى الأمر من وجهه، ثم ظفر فحمد، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل: ما فرط ولا ضيع، ولكن القضاء غالب.
فلما توفي كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته، فأقر يزيد على خراسان ⁽⁵⁾ .	وعليكم بقراءة القرآن، وتعليم السنن، وأدب الصالحين، وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم.

(1) - ما أثبت من النويري الذي يظهر أنه نقل عنه روايته، وعند ابن الأثير "أحبوا العرف"، وعند ابن خلدون "أحبوا العرف" وهذا تصحيف واضح، وانظر بقية الروايات، وما بعده بين ما صححناه.

(2) - ما أضيف من عند النويري وعند ابن الأثير ناقصة عند النويري، ومثل ذلك عند ابن خلدون، وانظر بقية الروايات

(3) - كذا جاءت بصيغة المفرد، وفي بعض هذه الروايات وردت بصيغة المتثنى لأن الأناة والمكيدة مختلفان

(5) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص 498-499؛ النويري: نهاية الأرب، ج21، ص 158؛ تاريخ ابن خلدون، ج3، ص 67.

	<p>وقد استخلفت عليكم يزيد، وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد، فلا تخالفوا يزيد.</p> <p>فقال له المفضل: لو لم تقدمه لقدمناه.</p> <p>ومات المهلب وأوصى إلى حبيب، فصلى عليه حبيب، ثم سار إلى مرو، وكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه إياه، فأقره الحجاج»⁽¹⁾.</p>
--	--

رواية أخرى

-رقم: 41 ج-

أما مسكوية فذكر رواية مختلفة عما سبق بها نقصا وتقديم وتأخير لبعض فقراتها، إضافة إلى ما خالف بعض مفرداتها لما جاء في البقية وهي في النهاية تعين على فهم الوصية وتصحح ما غمض في باقي الروايات قال:

«عليكم بتقوى الله، وصلة الرحم. اجمعوا أمركم ولا تختلفوا. تباروا لتجتمع أموركم. إن بني الأمّ يختلفون وكيف ببني العلات.

وعليكم بالطاعة والجماعة، ولتكن أفعالكم أفضل من أقوالكم، فإني أحب الرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه.

واتقوا الجواب وزلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته، ويزل لسانه فيهلك، وآثروا الجود على البخل.

وأحبوا العرب، واصطنعوا العرف. فإن الرجل تعده العدة فيموت دونك، فكيف الصنيعة عنده! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع من الشجاعة، وإذا كان اللقاء، ونزل القضاء. فإن أخذ رجل بالحزم وظهر على العدو، قيل: أتى الأمر من وجهه ثم ظفر، وإن لم يظفر بعد الأناة، قيل: ما فرط ولا ضييع، ولكن القضاء غالب.

وعليكم بقراءة القرآن وتعلم السنن وآداب الصالحين.

(1) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 354-355.

وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم.
اعرفوا حق من يغشاكم، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له. وقد استخلفت عليكم
يزيد.

فقال المفضل: لو لم تقدم يزيد لقدمناه.
ومات المهلب وصلّى عليه حبيب، ثم سار بالجند إلى مرو، فكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاة أبيه
واستخلافه إياه، فأقره الحجاج. وذلك في سنة اثنتين وثمانين⁽¹⁾.

رواية أخرى

-رقم: 41د-

قال ابن أعثم: «حضرت المهلب بن أبي صفرة في تلك الأيام الوفاة وهو يومئذ بمدينة مرو الروذ، فدعا
بنيه فأجلسهم بين يديه فقال:
يا بني! إني أوصيكم بتقوى الله وصلوة الرحم، فإن تقوى الله يعقب الجنة، وصلوة الرحم تنسئ
في الأجل وتثري المال، وتجمع الشمل، وتكثر العدد، وتعمر الديار وتعز الجانب
وأحكام عن معصية الله وقطيعة الرحم، فإنها تعقب الذلة، وتورث القلة، وتقل العدد، وتفرق
الشمل، وتدع الديار بلاقع، وتذهب بالمال، وتبدي العورة.
وعليكم يا بني بإكرام قومكم، فإنه ليس لكم عليهم فضل، بل الفضل لهم عليكم إذ
سودوكم وفضلوكم على أنفسهم، فانظروا إن سألوكم فأعطوهم، وإن شتموكم فاحتملوهم.
واحذروا الجواب، واتقوا زلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه فيقوم من زلته، ويزل لسانه
فيكون فيه هلكته.

يا بني! اصطنعوا المعروف وحبوه⁽²⁾، وانحوا عن المنكر واجتنبوه، وآثروا الحق على الباطل،
والجود على البخل، والعرب على ما سواهم.
وسودوا كباركم، وعرفوا⁽³⁾ فضل ذوي أنسابكم، يعظم بذلك منازلكم، وارحموا صغيركم،
ووقروا كبيركم، وأجبروا⁽⁴⁾ يتيمكم وعودوا عليه بما قدرتم.

(1) -مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص 352-353.

(2) -كذا جاءت ولعلها: " وأحبوه " كما في بقية الروايات

(3) -كذا جاءت ولعلها " وأعرفوه " كما في بقية الروايات

(4) -كذا جاءت ولعلها " واجبروا " كما في بقية الروايات، وإن كان ما ذكر في المتن معناه صحيح وهو الإجارة

وخذوا على أيدي سفهائكم، وتعاهدوا فقراءكم وجيرانكم، واصبروا للحقوق ونواب الدهر
وعليكم في الحرب بالأناة والتؤدة عند اللقاء، وإياكم والطيش والعجلة! وألزموا الطاعة
والجماعة، وإياكم والخلاف والفرقة!

وعليكم بحفظ القرآن والسنن والفرائض! وتأدبوا بآداب الصالحين من سلفكم ولا تجالسوا
أهل الدعارة والريبة، وإياكم والخفة والخوف في مجالسكم! وإياكم وكثرة الكلام في غير حاجة! فإنه
لا يكاد يسلم صاحبه، وأدوا ما يجب عليكم من حق الله.
واعلموا يا بني أني قد أبلغت إليكم في وصيتي، وجعلت لله الحجة عليكم في تركها، والثواب
من الله على المحافظة عليها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»⁽¹⁾.

هذه الرواية يتقارب كثير ما جاء فيها مع ما جاء في رواية المبرد وإن اختلفت بعض الصيغ عما
عنده، وخاصة آخرها الذي انفرد بذكره عن بقية الروايات.

رواية أخرى

-رقم: 41هـ-

من خلال تتبعي لهذه الوصايا وقراءتي لرواياتها وجدت أن كثيرها يخضع لهوى الراوي، فيروي
بعضها ويترك بعضها، ويزيد فيها مدخلا في النص ما يتفق وذاك، لكن الذي زاد من تشويه هذه
الوصايا وأخل بمضمونها بعدم الحفاظ على صيغتها الكاملة التي تؤدي المعنى كما رواه الراوي، هم
الكتاب الذي اتبعوا منهج إنتقائي في ذكر ما يحلو لهم وما يتوافق مع اتجاههم وأذواقهم، وتخصصهم،
فهذا الجاحظ مثلا يورد ملخصا لهذه الوصية الذي أخل بمضمونها وتكامل معانيها، فأذهب قيمتها، وقد
نقلها عنه من جاء بعده، ولذا أحببت ذكر هذا ليكون القارئ على علم بذلك، ويتحرى فيما يذكره
الكتاب القدماء الذي كانوا أحد الأسباب الرئيسة في اضطراب النصوص بعد الرواة، وإليك رواية
الجاحظ الذي قال: قال المهلب:

«يا بني تباذلوا تحابوا، وإن بني الأم يختلفون فكيف بنو العلات؟»

إن البر ينسأ في الأجل ويزيد في العدد وأن القطيعة تورث القلة وتعقب النار بعد الذل.

واتقوا زلة اللسان فان الرجل تزل رجله فينتعش، ويزل لسانه فيهلك.

وعليكم في الحرب بالمكنة فإنها أبلغ من النجدة فان القتال إذا وقع، وقع القضاء فإن ظفر
فقد سعد وإن ظفر به لم يقولوا فرط⁽¹⁾»⁽²⁾.

⁽¹⁾- ابن أعمش: كتاب الفتوح، ج 7، ص 81.

2- وصية قرّة بن شريك لبسيل نائبه على كوم شقوة

وصية قرّة بن شريك لبسيل صاحب أشقوة بالعدل في استيفاء

ما على أهل الأرض من خراج

-رقم: 42-

تعتبر الوثائق مصدرا من مصادر التاريخ الإسلامي ولكن عادات الزمان وتقلباته ألتفتها فلم يصل منها إلينا إلا القليل، ولما اكتشفت العديد من البرديات في القرن التاسع عشر والعشرين لفتت انتباه المؤرخين لما احتوته على العديد من الأوامر والمراسيم والمراسلات والسجلات والعقود، ولكن ما تعلق منها بالفترة الأموية كان قليلا، بل ما عثر عليه من وثائق خاصة بصفة أساسية بفترة ولاية قرّة بن شريك⁽³⁾ على مصر من سنة 90-96هـ خاصة تلك التي كتب بها إلى عامله الذي يدعى "باسيل" الذي كان يتولى كورة أشقوة⁽⁴⁾.

ومراسلات قرّة لهذا العامل تتضمن العديد من الأوامر والإجراءات بعضها في صيغة وصايا تعكس تصوره وخبرته في المجال الإداري. منها: كتابه لبسيل يوصيه فيه أن يمنع رجاله من ظلم أهل الأرض، لأن الأرض إذا ظلمت بظلم أهلها من قبل المسؤولين يصيبها الخراب وخرابها خراب لأهلها، كما تتحدث عن أمور ضرائبية أخرى نصها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

من قرّة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوة، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد.

(1) - زاد ابن حمدون «واقندوا بقول نبيكم ﷺ: الحرب خدعة، فليكن أول أمركم منها وآخره المكيدة، فإذا اضطررتكم إلى المجادلة فعليكم بالمطالبة فإنها نتيجة الظفر وذريعة المكابد، وهي بعد درية الفارس وتخريج الناشء» وتنتهي. وهذا الذي زاده لم تذكره بقية الروايات المثبتة في المتن.

(2) - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص131؛ الآبي: نثر الدر، ج5، ص43-44؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج18، ص85-86؛ أبو جعفر الأقطبي: المجموع اللفيف، ص393؛ وأوردها النووي بالرغم أنه ذكر وصية المهلب لأبنائه شبه الكاملة، كما سبقت الإشارة إليها: نهاية الإرب، ج7، ص192-193.

(3) - قرّة بن شريك: ابن مرثد العبسي الغطفاي المصري: من أمراء بني أمية وولاه الوليد بن عبد الملك مصر، في أوائل سنة 90 هـ، أمره الوليد ببناء جامع القسطنطين والزيادة فيه وكان جبارا صلبا مخوفا، واستمر في الإمارة بمصر إلى أن مات وهو وال عليها سنة 96 هـ. الكندي: الولاة والقضاة، 49 وما بعدها؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج49، ص305-309؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج2، ص1158.

(4) - أشقوة: لم أجد لها تعريف، فيما اطلعت عليه من مصادر.

فإني كنت قد كتبت إليك في تعجيل حمل طعام الهري⁽¹⁾ وفي كيله بما قد بلغك، وإني لم أرك إلا قد أخذت ذلك، ولا تؤخرن منه إردبا واحدا، فإننا قد أمرنا للجند بأرزاقهم، فليس نحبس أحدا من أهل الأرض قدم، ثم قد بارك الله في غلة أهل الأرض العام، فليس لأحد علة في شي إلا أن يعجز العامل أو يضيع، ولعمري لمن كان عاجزا مضيعا، لقد استهل مني ما يكره، فمر أهل كل قرية من كورتك فليعجلوا حمل الذي عليهم وليختاروا قبالا⁽²⁾ منهم يتمنونه ويرضونه، ثم مر لكل قبيل بخمسة أرداد، في كل مئة إردب، يكون منها أجره وشي إن نقص من الطعام وضمنهم ما يستوفون من أهل الأرض حتى يدفعونه إلى أصحاب الأهراء، وليكتال القباليين من أهل الأرض بالكيل العدل، فإنني قد أمرت أصحاب الأهراء أن يتوفوا من أهل الأرض كيل الرزق، ولا يزيدوا عليه شيئا، وتقدمت إليهم ألا يكتالوا كيل الديموس⁽³⁾، وقطعت ذلك عن أهل الأرض، فمر القباليين، فاليكتالوا بالنقل، ثم اجعل عندك قنقلا عدلا تجرب به ما يستوفي القباليين من أهل القرى وإن وجدت أحدا من القباليين اعتدى على أهل الأرض في الكيل أو ازداد على الذي فرضت له شيئا، فاجلده مئة جلدة واجزر لحيته ورأسه واغرمه ثلاثين دينرا، بعد أن تغرمه ما زاد على الذي أمرتك به، واعلم أي إن أجد أحداً من القباليين اعتدى على أهل الأرض في الكيل أو أخذ منهم فوق الذي أمرت له به، يبلغك مني ما يضيق عليك أرضك.

فاكفني أمر ما قبلك واتفق الله فيما تلي، فإنما هي أمانتك ودينك، ثم احجر عمالك ونفسك عن ظلم أهل الأرض، فإن الأرض لا صبر لها على الظلم ولا بقاء، وإذا أتى أهل الأرض الظلم والإضاعة من قبل من يلي أمرهم، فإن ذلك خرابهم، وتعهد أمر ما قبلك ولا تكن أمانتك وما تلي إلى أحد سوى نفسك، فإن المحسن معان بأرضك في عمله، ثم مر أهل أرضك فلا يحملوا إلى الهري إلا طعاما طيبا، فإنني قد أمرت أصحاب الهري ألا يقبلوا من أهل الأرض إلا ذلك، ثم عجل حمل ما

(1) - طعام الهري: الطعام في برديات قررة هو القمح، أما الهري: جمعها أهراء، بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان (القمح). ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص361، جاسر: برديات قررة، ص127.

(2) - قبالا: القبال هو الكفيل والعريف، وهو العامل الذي يتقبل الكورة والبلدة بشيء معين مضمون في ماله يلزمه نفسه، فإن استوفها من القوم الذين يتقبل عملهم، فله ما زاد وعليه ما نقص. ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج2،

ص122، ابن منظور: لسان العرب، مادة «قبل»، ج11، ص544.

(3) - كيل الديموس: هو المكيال المستعمل عند العامة، وهو ليس مكبلا وافيا عدلا كما ذكر قررة، لأن فيه شيئا من الإخفاء والنقص، ويقابله المكيال العدل الوافي الذي تكال به غلال الدولة في الضريبة. جاسر: برديات قررة،

على أرضك من الطعام، ولا تلجني [كذا] إلى أن أكتب إليك فيه بعد كتابي هذا فإني إذا أكتب إليك بالذي يخزيك، والسلام على من اتبع الهدى.
وكتب الصلت في شوال من سنة 91هـ⁽¹⁾.

3- وصية الحجاج بن يوسف لمطرف بن المغيرة واليه على المدائن

وصية الحجاج لمطرف بن المغيرة لما عينه على المدائن

-رقم: 43-

كان بني المغيرة بن شعبة صلحاء نبلاء، أشرفا بأبدانهم سوى شرف أبيهم ومنزلتهم في قومهم، فلما قدم الحجاج وشافهم علم أنهم رجال قومه وبنو أبيه، فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة، ومطرف بن المغيرة⁽²⁾ على المدائن، وحمزة بن المغيرة على همدان⁽³⁾. في حدود سنة 76هـ وكان مطرف بن المغيرة بن شعبة من أحسن العمال وأخلصهم، وليس أدل على ذلك من النهج الذي رسمه لنفسه عند توليته المدائن، فقد ذكر أبو مخنف قال: فحدثني الحصين بن يزيد، قال: « قدم علينا مطرف بن المغيرة بن شعبة المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الأَمِيرَ الحِجَّاجَ - أَصْلَحَهُ اللهُ - قَدْ وَلايَني عَلَيْكُمْ، وَأَمْرِي بِالْحُكْمِ بِالْحَقِّ، وَالْعَدْلُ فِي السَّيْرَةِ، فَإِنْ عَمِلْتَ بِمَا أَمْرِي بِهِ فَأَنَا أَسْعِدُ النَّاسَ، وَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ فَنَفْسِي أَوْبَقْتُ، وَحِظْ نَفْسِي ضَيْعَتٌ، أَلَا إِنِّي جَالِسٌ لَكُمْ العَصْرِينَ⁽⁴⁾، فَارْفَعُوا إِلَيَّ حَوَائِجَكُمْ، وَأَشِيرُوا عَلَيَّ بِمَا يَصْلِحُكُمْ وَيَصْلِحُ بِلَادَكُمْ، فَإِنِّي لَنْ آلوَكُمْ خَيْرًا مَا اسْتَطَعْتُ ثُمَّ نَزَلْتُ⁽⁵⁾. »

فكان خير عامل قدم عليهم قط، أقمعه لمريب، وأشده إنكارا للظلم.
لكن شبيب الخارجي استماله، فكان معه في قتاله الحجاج حتى قتل سنة 77هـ.

⁽¹⁾ - جاسر: برديات قره ، ص 123-127.

⁽²⁾ - مطرف بن المغيرة بن شعبة، من أتقياء الولاة والأمراء، ولاة الحجاج على المدائن، لنبله وشرف أبيه، وصلحت سيرته، فاستمر إلى أن زحف عليه شبيب بن يزيد الخارجي فمال مطرف إلى رأيه فأرسل الحجاج إليهم من قاتلهم في بعض جهات أصبهان، فتمزقوا وقتل مطرف قبل أن يستفحل شأنه سنة 77 هـ. تاريخ الطبري، ج 6، ص 284-298؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج 6، ص 192؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 465؛ الزركلي: الأعلام، ج 7، ص 251 وما بعدها.

⁽³⁾ - تاريخ الطبري، ج 6، ص 284.

⁽⁴⁾ - العصرين: الظهر والعصر.

⁽⁵⁾ - تاريخ الطبري، ج 6، ص 284-285.

4- وصية الحجاج عند وفاته في توزيع السلاح الذي تركه

وصية الحجاج عند موته فيما يفعل بما ترك من سلاح

-رقم: 44-

قال يزيد بن حوشب: « بعث إلي المنصور أبو جعفر، فقال: حدثني بوصية الحجاج بن يوسف.

فقلت: أعفني يا أمير المؤمنين.

قال: حدثني بها.

قال: فقلت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف.

أوصى به أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك عليها يجي وعليها يموت وعليها يبعث، وأوصى بتسعمائة درع حديد، ستمائة منها لمنافقي أهل العراق يغزون بها، وثلاثمائة للترك»⁽¹⁾.

5- وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد

وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد فيما ينبغي أن تكون عليه

سيرته في نفسه ومع من ولي عليهم

-رقم: 45-

أعاد سليمان بن عبد الملك في أيام خلافته، إمارة خراسان ليزيد بن المهلب⁽²⁾، فأرسل ابنه مخلد بن يزيد نائباً عنه، ثم التحق في أثره⁽¹⁾، وقد سعى يزيد بعد توليه خراسان في تحقيق ما كان يصبوا إليه من أهداف، فبعد أن قبض على زمام الأمور في ولايته، قام بفتح جرجان⁽²⁾ سنة 98هـ⁽³⁾،

(1)- ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج12، ص157؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج5، ص2089-2090؛ ابن كثير:

البداية والنهاية، ج12، ص552.

(2)- يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، من القادة الشجعان الأجواد، ولي خراسان بعد وفاة أبيه سنة 82هـ أو 83هـ، ثم حبسه الحجاج سنة 86هـ في خلافة الوليد بن عبد الملك وعذبه وطالبه بستة آلاف ألف درهم، وتمكن يزيد من الهرب من حبس الحجاج سنة 90هـ، ولحق بسليمان بن عبد الملك فأجاره وأمنه وراسل فيه الوليد فأمنه، وكف عنه الحجاج، فلما استخلف سليمان ولي يزيد حرب العراق وخارجها وصلاتها سنة 96هـ، ثم أضاف إليه

وقد ذكر ابن دريد، عن يونس قال: أوصى يزيد بن المهلب ابنه مخلدا لما بعث به إلى خراسان. فقال له فيما يوصيه:

«إذا كنت مرتاد الرجال لنفعمهم *** فرش واصطنع عند الذين بهم ترمي

ثم قال: إن لأبيك صنائع فلا تفسدها، وحسب المرء لعنة أن يهدم ما بنى أبوه. وإياك والدماء فإنها لا بقية بعدها، واكفف عن أعراض الأحرار، فإن الحر لا يرضيه من عرضه عوض.

واجتنب العقوبة في الأبخار، فإنه وتر مطلوب، وعار باق. ولا يمنحك من ذي فضل تصطنعه أن يكون غيرك قد سبقك إليه، فإنما تصطنع الرجال لنفسك، واستعمل أهل العقل دون أهل الهوى. ولا تعزل عاملا إلا عن فجور أو خيانة. وليكن جلساؤك غير أسنانك، فإن الشباب شعبة من الجنون، واحمل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم. وان نازعتك نفسك إلى أخذ شئ من هذا المال فلا يكن خصمك فيه إلا بيت المال، فإن القول فيه قولك.

خراسان سنة 97هـ، فعاد إليها وافتتح جرجان وطبرستان ثم نقل إلى إمارة البصرة، فأقام فيها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز، فعزله وطلبه فجئ به إلى الشام، فحبسه بحلب، ولما توفي عمر وثب غلمان يزيد فأخرجوه من السجن، وسار إلى البصرة فدخلها وغلب عليها سنة 101 هـ ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراقيين مسلمة بن عبد الملك، انتهت بمقتل يزيد، في مكان يسمى "العقر" بين واسط وبغداد. ابن سعد: الطبقات، ج5، ص295، تاريخ الطبري، ج6، ص426، 523، البلاذري: أنساب، ج8، ص279، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج4، ص503-506.

(1) - ابن فندمة: تاريخ بيهق، ص199.

(2) - جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه، وقيل: فتحها سويد بن مقرن في خلافة عمر بن الخطاب سنة 18هـ، ثم أعاد يزيد بن المهلب فتحها سنة 98هـ بعد أن خالف أهلها العهد ونقضوا، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي.

تاريخ جرجان، ص44، تاريخ الطبري، ج6، ص532، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص119.

(3) - تاريخ الطبري، ج6، ص541.

ولتكن رسلك فيما بيني وبينك مرتفعة عني وعنك، فإذا كتبت كتابا فأكثر النظر فيه، فإن كتاب الرجل من عقله، واستودعك الله»⁽¹⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 45أ-

رواية الجرجاني	رواية ابن أبي الحديد
قال الهيثم بن عدي فيما يرويه عن عمرو بن بشر الأزدي: «لما توجه يزيد إلى طبرستان وقد خرج معه ابنه مخلد يشيعه وذلك بعد فتحه جرجان ودهستان وقتله صول فأمره أن ينصرف وقد استعمله على ما دون النهر واستعمل حاتم بن قبيصة على ما خلف النهر قال لمخلد:	قال ابن أبي الحديد: «وأوصى يزيد بن المهلب ابنه مخلدا حين استخلفه على جرجان
(2) يا بني انظروا هذا الحي من الأزدي فكن بهم كما قال أبو داود:	«يا بُني، إني قد استخلفتك على هذه البلاد، فانظر هذا الحي من اليمن، فكن لهم كما قال الشاعر:
إذا كنت [مرتادا] (3) الرجال لنفعهم *** فرش واصطنع عند الذين بهم ترمي	إذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم *** فرش واصطنع عند الذين بهم ترمي
وانظر هذا الحي من ربيعة فإنهم شيعتك	وانظر هذا الحي من ربيعة؛ فإنهم شيعتك

(1) -تعليق من أمالي ابن دريد، ص 207 وما بعدها.

(2) -جاء عند المبرد: أن يزيد بن المهلب أوصى مخلداً ابنه، لما سار من خراسان إلى جرجان فاستخلفه على خراسان، أن قال له: «يا بني، انظر هذا الحي من اليمن فكن فيهم كما قال أبو دؤاد الإيادي:

إذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم *** فرش واصطنع عند الذين بهم ترمي⁽²⁾

وكن لهذا الحي من بكر بن وائل كما قال امرؤ القيس:

يا راكباً قولاً لإخواننا *** من كان من كندة أو وائل

إنّا وإياكم وما بيننا *** كموضع الزور من الكاهل»⁽²⁾.

وقوله: رش: راش السهم يريشه: ألزق عليه الريش، وراش الصديق: أطعمه وسقاه وكساه وأصلح حاله ونفعه. ابن

منظور: لسان العرب، ج6، ص308، مادة «ريش».

(3) -إضافة من الكامل للمبرد وبقيّة الروايات، وفي الأصل بياض كما لاحظ عليها المحقق.

وأَنْصَارِكُ فَاقْضِ حَقُّوقَهُمْ وَمَذْمَتَهُمْ	وأَنْصَارِكُ، فَاقْضِ حَقُّوقَهُمْ.
فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَبْلُغَ بِرِضَاهُمْ فَأَهْنِ لَهُمْ بَنِي تَمِيمٍ وَلَا تَدْنِهِمْ فَيَطْمَعُوا إِلَيْكَ وَلَا تَقْصِهِمْ يَبْأُوا عَنْكَ وَكَانَ بَيْنَ الْمَدِينِيِّ وَالْقَاضِيِّ وَبَيْنَ السَّامِعِ وَالْمَطْبِيعِ وَإِنْظِرْ رَحْمَتَكَ فِيهِمْ فَصَلِّهِمْ.	وَإِنْظِرْ هَذَا الْحَيَّ مِنْ تَمِيمٍ؛ فَامْطِرْهُمْ، وَلَا تُزْرَهُ لَهُمْ، وَلَا تُدْنِهِمْ فَيَطْمَعُوا، وَلَا تَقْصِهِمْ فَيَقْطَعُوا] ⁽¹⁾ . فَيَنْقَطِعُوا عَنْكَ، وَكَانَ بَيْنَ الْمَطْبِيعِ وَبَيْنَ الْمَدْبُرِ ⁽¹⁾ .
وَإِنْظِرْ هَذَا الْحَيَّ مِنْ قَيْسٍ، فَإِنَّهُمْ أَكْفَاءُ قَوْمِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَاصِفُوهُمْ الْمَنَابِرُ فِي الْإِسْلَامِ، وَرِضَاهُمْ مِنْكَ الْبِشْرُ.	وَإِنْظِرْ هَذَا الْحَيَّ مِنْ قَيْسٍ، فَإِنَّهُمْ أَكْفَاءُ قَوْمِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنَاصِفُوهُمْ الْمَنَابِرُ فِي الْإِسْلَامِ، وَرِضَاهُمْ مِنْكَ الْبِشْرُ.
وَإِيَّاكَ وَالِدُ الْخَوْلِ فِي الدِّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا بَقِيَّةَ بَعْدَهَا	يَا بَنِي: إِنْ لِأَيِّكَ صَنَائِعٌ فَلَا تَفْسُدْهَا، فَإِنَّهُ كَفَى بِالْمَرْءِ نَقْصًا أَنْ يَهْدِمَ مَا بَنَى أَبُوهُ.
وَإِيَّاكَ وَالْعَقُوبَةَ فِي الْأَبْشَارِ فَإِنَّهُ عَارٌ بَاقٌ وَوَتْرٌ مَطْلُوبٌ	وَإِيَّاكَ وَالِدِ الدِّمَاءِ؛ فَإِنَّهَا لَا بَقِيَّةَ مَعَهَا.
وَإِيَّاكَ وَشَتْمَ الْأَعْرَاضِ فَإِنَّ الْحَرَ لَا يُرْضِيهِ عَنْ عَرَضِهِ عَوْضًا	وَإِيَّاكَ وَشَتْمَ الْأَعْرَاضِ، فَإِنَّ الْحَرَ لَا يُرْضِيهِ عَنْ عَرَضِهِ عَوْضًا.
وَاسْتَعْمَلِ أَهْلَ الْفَضْلِ وَالنَّجْدَةَ دُونَ الْهَوَى وَالْحُبَّةَ وَلَا تَعْزَلْ إِلَّا الْخِيَانَةَ [كَذًا] وَالْعَجْزَ، وَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ اصْطِنَاعِ رَجُلٍ أَنْ يَكُونَ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ غَيْرُكَ فَإِنَّمَا تَصْطَنِعُ الرِّجَالَ لِنَفْسِكَ.	وَإِيَّاكَ وَضَرْبَ الْأَبْشَارِ، فَإِنَّهُ عَارٌ بَاقٌ، وَوَتْرٌ مَطْلُوبٌ.
وَلِيكَ رَسُولُكَ إِلَى مَنْ يَفْقَهُ عَنِّي وَعَنْكَ، وَاحْمَلِ النَّاسَ عَلَى حَسَنِ أَدَبِكَ يَكْفُوكَ أَنْفُسَهُمْ.	وَاسْتَعْمَلِ عَلَى النَّجْدَةَ وَالْفَضْلَ دُونَ الْهَوَى، وَلَا تَعْزَلْ إِلَّا عَنِ الْعِزِّ أَوْ خِيَانَةِ، وَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ اصْطِنَاعِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ غَيْرُكَ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا تَصْطَنَعْتَ الرِّجَالَ لِفَضْلِهَا ⁽²⁾ ، وَلِيَكُنْ

(1) - إضافة من الآبي وابن حمدون، وعند ابن أبي الحديد ناقصة

(2) - زاد الآبي وابن حمدون: «لنفسك».

	صنيعك عند من يكافئك عنه ⁽¹⁾ ، احمل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم.
وإذا كتبت كتابا فأكثر النظر فيه فإن كتاب الرجل موضع عقله ورسوله موضع رأيه، وما قل من الكلام وخف من الخطبة أحب إلى أبيك، وأستودعك الله ⁽⁴⁾	وإذا كتبت كتاباً فأكثر النظر فيه، وليكن رسولك فيما بيني وبينك من يفقه عني وعنك، فإن كتاب الرجل موضع عقله، ورسوله موضع سره، وأستودعك الله ⁽²⁾ ، فلا بد للمودع أن يسكت، وللمشيع أن يرجع، وما عفاً من المنطق، وقل من الخطيئة أحب إلى أبيك، وكذلك سلك هذا المسلك الحمود ⁽³⁾ .

يتضح لنا من خلال هذه الروايات أن هناك اختلاف حول مناسبة هذه الوصية؛ فمنهم من يرى أنها للمهلب أوصى بها ابنه يزيد لما بعث به إلى خراسان، وآخرون يرون أنه أوصى بها ابنه لما سار من خراسان إلى جرجان، ومؤرخون آخرون ذكروا أن يزيد بن المهلب أوصى بها ابنه مخلد حين استخلفه على جرجان بعد فتحها، لكننا لم نجد فيما اطلعنا عليه من مصادر من يتحدث عن ولاية مخلد على جرجان، بل استخلفه أبوه يزيد على خراسان عندما أراد الخروج إلى جرجان؛ فقد ذكر الطبري في أحداث سنة 98هـ: «وفي هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان، فذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، أن يزيد بن المهلب لما قدم خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة، ثم أقبل إلى دهستان وجرجان، وبعث ابنه مخلداً على خراسان»⁽⁵⁾، ثم إن يزيد لما تم له الأمر في جرجان ولى عليها جهم بن زحر-ت102هـ-⁽⁶⁾ حين شخص عنها⁽⁷⁾، وقد بقي والياً عليها حتى عُزل يزيد، قال ابن خلدون:

(1)- زاد الآبي وابن حمدون: «عند العشائر».

(2)- نهاية نص الآبي وابن حمدون.

(3)- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج17، ص121؛ الآبي: نثر الدر، ج6، ص257؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج3، ص346؛ التعازي والمرائي، ص156.

(4)- تاريخ جرجان، ص50-51.

(5)- تاريخ جرجان، ج6، ص532؛ وانظر: ابن مسكويه: تجارب الأمم، ص2، ص447.

(6)- انظر عنه تاريخ الطبري، ج6، ص517؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص139؛ عبد الحي: نزهة

الخواطر، ج1، ص42 وما بعدها؛ الزركلي: الأعلام، ج2، ص141.

(7)- البلاذري: فتوح البلدان، ص329؛ تاريخ الطبري، ج6، ص543-558.

«ولما عزل يزيد عن خراسان وكان عامل جرجان جهم بن ذخر الجعفي فأرسل عامل العراق على جرجان عاملا مكانه»⁽¹⁾، كما ذكر البلاذري أن يزيد لما تم له فتح جرجان سار «إلى خراسان فبلغته الهدايا، ثم ولى ابنه مخلدا خراسان وانصرف إلى سليمان فكتب إليه أن معه خمسة وعشرين ألف ألف درهم (25.000.000)⁽²⁾ فوقع الكتاب في يدي عمر بن عبد العزيز فاخذ يزيد به وحبسه»⁽³⁾، ما يثبت أن يزيد لم يول ابنه مخلد على جرجان وإنما استخلفه على خراسان، وقد ذكره خليفة عند حديثه عن ولاية خراسان في عهد سليمان بن عبد الملك فقال: «خراسان: مات الوليد وعليها قتيبة بن مسلم فخلع سليمان فقتل قتيبة وتولى أمر الناس وكيع بن أبي سود الغداني فعزله يزيد بن المهلب وولى ابنه مخلد بن يزيد ثم قدمها يزيد ثم شخص واستخلف ابنه مخلدا حتى مات سليمان»⁽⁴⁾، والدليل على أنه كان واليا عليها قدوم الشاعر حمزة بن بيض ابن نمر عليه فمدحه، ومثل ذلك الكميت الشاعر⁽⁵⁾.

ولهذا نستبعد أن يكون يزيد بن المهلب أوصى ابنه مخلد عندما ولاه على جرجان، ويمكن أن يكون أوصاه لما استخلفه على خراسان. وعلى كل يبقى أمر حسم هذا من الصعوبة بمكان.

(1) - تاريخ ابن خلدون، ج3، ص95.

(2) - ذكر الطبري نص كتاب يزيد لسليمان بن عبد الملك وذكر أن مقدار الخمس من فيء جرجان كان 6 آلاف ألف حيث جاء فيه: «وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفيء والغنيمة ستة آلاف ألف، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله»، ثم أضاف: «وقال: بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف»، تاريخ الطبري، ج6، ص544، كما ذكر سبط ابن الجوزي نصا بمقدار ما طالب به عمر يزيد وأنه 6 آلاف الف حيث قال: «لما دخل يزيد على عمر سلم عليه بالخلافة، فرد عليه وقال: أين الأموال التي كتبت بها إلى سليمان؟ فقال يزيد: ما عندي مال، فقال عمر: فهذا كتابك إلى سليمان بفتح جرجان وطبرستان ودهستان، وأن قبلك ستة آلاف ألف درهم، أو ما هذا كتابك؟ قال: بلى، وما قصدت به إلا السمعة بتعظيم الفتح عند الناس، فقال عمر: قد صار ذلك حقا واجبا للمسلمين، ولا يسعني تركه، فأصر يزيد على الإنكار، فأمر بحبسه». مرآة الزمان، ج10، ص220.

(3) - البلاذري: فتوح البلدان، ص329.

(4) - تاريخ خليفة، ص318.

(5) - ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص170؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج11، ص50؛ الذهبي: تاريخ الإسلام،

6-وصية خالد بن عبد الله القسري لأبان بن الوليد يرشده كيف تكون سياسته مع الرعية

ووصية خالد بن عبد الله القسري لأبان بن الوليد أن يحسن في سياسته للرعية

-رقم:46-

عن محمد بن عمران عن أبيه أن خالد بن عبد الله القسري كتب إلى أبان بن الوليد⁽¹⁾ وكان قد ولاه المبارك⁽²⁾:

«أما بعد فإن الرعية من الحاجة إلى ولائها مثل الذي بالولاية من الحاجة إلى رعيته وإنما هم من الوالي بمنزلة جسده من رأسه وهو منهم بمنزلة رأسه من جسده. فأحسن إلى رعيته بالرفق بهم وإلى نفسك بالإحسان إليها ولا تكوننهم إلى صلاحهم أسرع منك إليه ولا عن فسادهم أذفع منك عنه ولا يحملك فضل القدرة على شدة السطوة بمن قل ذنبه ورجوت مراجعته ولا تطلب منهم إلا مثل الذي تبذل لهم.

واتق الله تعالى في العدل عليهم والإحسان إليهم فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، أصرم⁽³⁾ فيما علمت واكتب إلينا فيما جهلت يأتك أمرنا في ذلك- إن شاء الله - والسلام»⁽⁴⁾.

جاء في المصادر التي ذكرت هذه الوصية، أن خالد بن عبد الله القسري كتب بها إلى أبان بن الوليد عندما ولاه المبارك، ولم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر من يتحدث عن هذه الولاية، إلا أن

(1) - أبان بن الوليد بن مالك الزبيدي: من بني زيد بن الغوث البجلي، كان من أشرف بجيلة في العراق، كان أبان كاتباً لإياس بن معاوية بن قرّة المزني، وكان إياس يلي سوق واسط والحسبة، فلما قدم خالد بن عبد الله القسري ولاه الشرطة بواسط، ثم ولاه فارس، أخذه يوسف بن عمر وعذبه فيمن عذبهم من عمال خالد القسري، وتوفي نحو سنة 125 هـ. البلاذري: أنساب، ج9، ص86-87، ابن ماكولا: الإكمال في رفع الأرتياب، ج4، ص145؛ الزركلي: الأعلام، ج1، ص27.

(2) - المبارك: اسم نهر بالبصرة احتفروه خالد بن عبد الله القسري. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص50؛ صفي الدين: مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، ص1225.

(3) - الصَّرمُ: القَطْعُ البائنُ، والصَّرِيمَةُ: العَزِيمَةُ عَلَى الشَّيْءِ وَقَطْعُ الأَمْرِ. والصَّرِيمَةُ: إِحْكامُك أَمراً وَعَزْمُكَ عَلَيْهِ. ابن منظور: لسان العرب، مادة «صرم»، ج12، ص334-335.

(4) - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج16، ص160؛ كمال الدين: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج7، ص3084؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ص7، ص380؛ المزني: تهذيب الكمال، ج8، ص116؛ النهرواني: الجليس الصالح، ص514.

ابن قتيبة ذكر أنه «لما ولي الحجاج خالدا ولي أبانا ما وراء بابه من حرب السواد وخواجه»⁽¹⁾، في حين ذكر البلاذري أن أبان بن الوليد هو عامل خالد بن عبد الله على فارس⁽²⁾.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) - الشعر والشعراء، ج2، ص729.

(2) - أنساب، ج12، ص93.

الفصل الرابع

وصايا الخلفاء الأمويين

الخاصة بسياستهم نحو آل البيت

❖ أولا: تمهيد: موقف خلفاء بني أمية من آل البيت

❖ ثانيا: وصايا خلفاء الفرع السفيفاني الخاصة بآل البيت والصحابة وغيرهم

1- وصايا معاوية في شأن آل البيت

أ- وصيته للمغيرة بن شعبة بالحط من قدر الإمام عليه السلام

ب- وصيته لابنه يزيد بعبد الله بن جعفر خيرا:

2- وصايا يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد في كيفية معالجة خروج الحسين عليه السلام نحو الكوفة

أ- حادثة كربلاء واستشهاد الحسين عليه السلام في عاشوراء سنة 61هـ

1- تحرك الحسين عليه السلام للالتحاق بالكوفة ونصح الناصحين له ألا يذهب

2- وصية يزيد لعبيد الله بن زياد بعزل النعمان بن بشير عن الكوفة

3- وصية يزيد لعبيد الله بن زياد بالاحتراس من الحسين عليه السلام لما بلغه خروجه نحو العراق، ووأمره له

بقتال من قاتله

❖ ثالثا: وصايا خلفاء الفرع المرواني

1- وصايا عبد الملك بن مروان للحجاج في تجنب إيداء آل البيت

2- وصية عمر بن عبد العزيز لبشر بن حميد لما أمره أرسله إلى أبي بكر بن حزم لوزع ما أرسل إليه

من مال على آل البيت

الفصل الرابع: وصايا الخلفاء الأمويين الخاصة بسياساتهم نحو آل البيت

أولاً: تمهيد: موقف خلفاء بني أمية من آل البيت

اتسمت مواقف بني أمية نحو آل البيت بموقفين رئيسيين:

الموقف الأول: نحو بني هاشم بشكل عام، فقد كان التنافس بين بني هاشم بن عبد مناف بن قصي وبين بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف قديماً يرجع إلى أيام الجاهلية على رئاسة قريش ونيل المنزلة الرفيعة في مكة، وكان مجال التنافس يتعلق بخدمة حجاج الحرم في الموسم، فيذكر المقرئزي أنها «كانت المنافرة بين هاشم... وبين ابن أخيه أمية... وسببها أن هاشمًا كانت إليه الرفادة مع السقاية، وذلك أن أخاه عبد شمس كان يسافر وكان يقيم بمكة وكان رجلاً مقلاً وله ولد كثير، فاصطلحت قريش على أن ولي هاشم السقاية والرفادة وكان هاشم رجلاً موسراً»⁽¹⁾، وكان يهشم الثريد بمكة للحجيج فسمي هاشمًا، فلما أراد أن ينافسه أمية ويفعل فعله عجز وسخر منه الناس، فنافره إلى الكاهن، وجعلا بينهما خمسين ناقة فقال الكاهن سجع فيه: «...لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر...»، فنحر هاشم الإبل وأطعم الطعام، وخرج أمية إلى الشام وبقي هناك عشر سنين، وكان هذا أول عداة بينهما⁽²⁾، ثم استمر التنافس والعداء بين ذريتهما حتى أرسل الله محمد بن عبد الله ﷺ نبياً رسولاً، فناصره بنو أمية العداة في بداية دعوته، ويعود بعض أسباب ذلك إلى هذه الخصومة التاريخية، وبعد أن أسلم بنو أمية مع سائر قريش عام الفتح، استتر الخصام وبقي حياً ولم يمت، ليظهر من جديد في حرب علي بن أبي طالب لمعاوية بن أبي سفيان سنة 35هـ، فآلت الخلافة للأخير وقتل علي وتنازل ابنه الحسن عن الخلافة، ويقول المقرئزي في هذا الشأن: «لما كانت بنو هاشم من بني قريش اختصها الله سبحانه بهذا الأمر أعني الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتاب، فحازت بذلك الشرف الباقي، وكانت أحوال الدنيا من الخلافة والملك ونحوه زائلة، لهذا أزواها الله تعالى عنهم تنبيهاً على شرفهم وعلو مقدارهم»⁽³⁾.

وتعامل الأمويون في دولتهم مع بني هاشم بحذر شديد، فرغم تقريبيهم لبعض رجالهم وتفقدتهم بالأموال تارة وتقريبيهم من مجالسهم تارة أخرى كما كان يفعل معاوية مع عبد الله بن جعفر بن أبي

(1) - المقرئزي: النزاع والتخاصم، ص 18.

(2) - المصدر نفسه، ص 18. وانظر: ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص 99-100.

(3) - المصدر نفسه، ص 57.

طالب، وعبد الله بن عباس⁽¹⁾، غير أن الأمويين في صراعهم مع العلويين ووقوف الهاشميين إلى جانبهم ومؤازرتهم لهم جعلهم ينكرون بهم فسقط من رجالهم الكثير، فقد قتل مسلم بن عقيل سنة 60هـ، وقتلوا يوم الطف مع الحسين أبا بكر بن عبد الله بن جعفر، وقتلوا يوم الحرة الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وأخوه عبد الرحمن وغيرهم⁽²⁾، وضربوا علي بن عبد الله بن عباس بالسياط مرتين على أن تزوج بنت عمه الجعفرية التي كانت عند عبد الملك بن مروان وعلى أن نخلوه قتل سليط، وسموا أبا هاشم بن محمد بن علي، وضرب سليمان بن حبيب بن المهلب أبا جعفر المنصور بالسياط قبل الخلافة، وقتل مروان بن محمد الإمام إبراهيم بن محمد بن علي⁽³⁾، وقال ابن كثير: «لم يزل مروان - بن الحكم - عدواً لبني هاشم حتى مات»⁽⁴⁾.

وقال المقرئ: «ليت إذ ولي بنو أمية الخلافة عدلوا وأنصفوا، بل جاروا في الحكم وعسفوا، واستأثروا بالفيء كله، وحرموه بني هاشم جمعة، وزادوا في العتو والتعدي حتى قالوا: إنما ذو القربى قرابة الخليفة منهم، وحتى قرروا عند أهل الشام أنه لا قرابة لرسول الله ﷺ يرثونه إلا بني أمية، حتى أنه دخل مشيخة من أهل الشام على السفاح قالوا: والله ما علمنا أن لرسول الله ﷺ قرابة يرثونه بني أمية حتى وليتم»⁽⁵⁾.

وهكذا كان ما يلحق الهاشميين عامة من تضيق في العطاء أو تعذيب أو قتل بسبب صلتهم بالعلويين ووقوفهم معهم.

الموقف الثاني: نحو آل علي - ﷺ - ، ففي عهد معاوية ومن بعده عبد الملك أحسنوا إليهم في الظاهر، وتبعوا نشاطهم في الباطن لما يشكلون من تحد لهم في رغبتهم الباطنية في الوصول إلى الحكم، فقد عمل معاوية بعد أن تنازل له الحسن عن الخلافة على استمالة كبراء آل البيت إلى جانبه بالهبات والصلوات، كالحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس، وغيرهم، مع إهماله لأنصارهم، بل حرّمهم⁽⁶⁾

(1) - انظر أخبار عبد الله بن جعفر مع معاوية ومع يزيد في: الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص402، ج8، ص328، ص446، ج12، ص428. وانظر أخبار عبد الله بن عباس مع معاوية في: أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول ص81 وما بعدها.

(2) - وقد ذكر خليفة ابن خياط تسمية من قتل من بني هاشم يوم الحرة، تاريخ خليفة، ص240.

(3) - المقرئ: النزاع والتخاصم، ص15.

(4) - البداية والنهاية، ج11، ص210.

(5) - النزاع والتخاصم، ص58.

(6) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص136-138، 228، 230.

من عطائهم الذي اعتمده وسيلة ضغط لحملهم وغيرهم على الخضوع⁽¹⁾، وكان معاوية يعي حق الحسن والحسين ومكانتهما فقد أوصى ابنه يزيد بالحسين بن علي كما رأينا وقال له: «فإن له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من الرسول ﷺ»⁽²⁾.

إلا أن الخطب تفاقم بعد وفاة معاوية ﷺ واستخلاف ابنه يزيد- 60-64 هـ- الذي لم يحسن معالجة خروج الحسين بن علي -رضي الله عنهما- سنة 61 هـ إلى العراق، واستبداد عبيد الله بن زياد دونه بالنظر في الأمر، ووجود شيعة لآل البيت تدفعه لحرب الأمويين وتؤيده وتحرضه عليهم، ثم تخلوا عنه مغررين به ناكثين لوعدهم له حتى تعدى عبيد الله بن زياد طوره فقتله، فكانت هذه الحادثة العظيمة والفاجرة الأليمة الميلاد الحقيقي للحركة الشيعية، وأخذ يوم مقتله في 10 عاشوراء من المحرم سنة 61 هـ⁽³⁾ بعدا سياسيا، وفكريا، ووجدانيا أكثر مما أخذه يوم مقتل والده في 17 رمضان سنة 40 هـ⁽⁴⁾.

وجاءت بعد ذلك حركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي كرد فعل على الشعور بالذنب على خذلانهم للحسين ﷺ وتخليهم عن نصرته، ورأوا أنه لا يغسل عنهم هذا الإثم إلا بقتل قتلته، أو يموتوا على ما مات عليه، فخرجوا سنة 65 هـ لملاقاة عبيد الله بن زياد الذي كان قادما من الشام إلى العراق، فالتقوا به في عين الوردة في السنة المذكورة فقتل معظمهم، وعاد بعضهم إلى الكوفة وهم أشد حنقا على الأمويين⁽⁵⁾.

إلا أن المختار بن أبي عبيد تبنى من جديد ما تبناه التوابون حتى يحقق طموحه السياسي⁽⁶⁾، فتمكن في النهاية من الثأر للحسين ﷺ بقتله لعبيد الله بن زياد، وتعقب كل من اشترك من قريب أو بعيد في قتله، ولكن مصعب بن الزبير حال دون استكمال هذا الطموح، فقتله سنة 67 هـ.

كان ما حدث لآل البيت العلوي درسا قاسيا عليهم وعلى أنصارهم، استفاد منه بنوعهم منهم من البيت العباسي فدرسوا بعدها حقائق الأمور فرأوا أنه لا يمكن لهم تحقيق غايتهم بالمجاهة العلنية المباشرة،

(1) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص313 ما بعدها.

(2) - انظر الوصية رقم 07.

(3) - ابن الأثير: الكامل، ج3، ص275 وما بعدها. أو حوادث سنتي 61-62 هـ.

- ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص149 وما بعدها.

(4) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص314.

(5) - ابن الأثير: الكامل، ج3، ص340 وما بعدها؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص251 وما بعدها، محمد فرقاني:

رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص315.

(6) - ابن الأثير: الكامل، ج3، ص356 وما بعدها؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص264 وما بعدها؛ تاريخ الطبري،

ج6، ص107.

ما دامت القوة مع خصمهم، عندها تحولوا إلى الكيد السري للقضاء على الحكم الأموي، وكان لهم ذلك⁽¹⁾.

أدرك الخليفة عبد الملك الخطأ القاتل الذي وقع فيه يزيد بن معاوية بقتل الحسين عليه السلام وبآثار ذلك على تحول الحكم من أيدي رجال الفرع السفلياني إلى أيديهم، فلم يشأ أن يكرر الخطأ الذي وقعوا فيه، حتى لا يعطي لأنصارهم مبرراً آخر، وقوة معنوية دافعة يستطيعون حشد الناس بها لتأييدهم في دعوتهم، فقد كتب الحجاج يوماً يشكو إليه نفرًا من بني هاشم، وفهم عبد الملك ما يقصده، فرد عليه بجزءه: «جنبي دماء آل أبي طالب، فإني رأيت الملك استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم»⁽²⁾.

وفي رواية: «...فإني رأيت آل حرب لما قتلوا حسيناً نزع الله منهم الملك»⁽³⁾، فكان الحجاج يتجنبها، فلم تمتد يده إليهم بالسوء، خاصة أيام إمارته على الحجاز-73-75هـ- وتقيده عبد الملك بالذي كتب به طوال فترة خلافته؛ وكذا من جاء بعده من أبنائه، إذ لم يتجرأ أحد منهم على التفكير⁽⁴⁾ التفكير⁽⁴⁾ في سفك دمائهم، حتى كانت أواخر خلافة هشام بن عبد الملك-105-125هـ- الذي خرج في عهده بالكوفة زيد بن علي سنة 121هـ فقتله يوسف بن عمر والي العراق-120-126هـ- ثم تعقب ابنه يحيى بن زيد، فقتل في خراسان سنة 125هـ⁽⁵⁾، فوقع ما حذر منه الخليفة عبد الملك، فكان ذلك من بين الأسباب التي أدت إلى نزع الملك منهم سنة 132هـ على أيدي العباسيين.

إلا أن عبد الملك سلك معهم ما سلكه معاوية، فاستمال إليه كبار رجالات آل البيت، وغمرهم بالأموال والهبات، في حين كان يتتبع نشاطهم في السر، ويضع عليهم العيون، وحرّم أغلبيتهم من

(1) -مُجَّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص315.

(2) -المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص170، وفي رواية العقد باختلاف آخر: «إني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي»؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج2، ص263-265، ج4، ص204؛ الثعالبي: خاص الخاص، ص87، وانظر: ابن أبي الدنيا: كتاب الأشراف، ص201-202، مُجَّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص316.

(3) -التوحيد: البصائر والذخائر، م5، ص214.

(4) - إلا ما جاء في رواية من اتهام سليمان بدس السم لأبي هاشم عبد الله مُجَّد وموته بالحيممة بالشام سنة 97هـ، وفي ذلك شك. انظر: تاريخ يعقوبي، ج2، ص296-298.

(5) - تاريخ الطبري، ج7، ص160 وما بعدها، ص228-230.
- ابن الأثير: الكامل، ج4، ص240-241، 259-260.

حقوقهم التي أعطيت لهم بنص القرآن والسنة، كخمس الخمس، من الفياء، والغنائم، الذي كان عمر بن عبد العزيز قد اقترح على الوليد وسليمان إعادة توزيعه عليهم، فأبيا عليه⁽¹⁾.

ولكن بولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة سنة 87هـ تعاطف معهم فوصل رحمهم، وحذب عليهم سرا من آل بيته، ولكن بمجرد استخلافه أعلن تعاطفه معهم على رؤوس الأشهاد، وأمام أعين الملاء من قومه، فرد إليهم حقوقهم المادية والمعنوية التي حرموها من الكثير منها منذ عهد معاوية كخمس الخمس من الفياء وكل غنيمته، ومن الممتلكات التي آلت إلى رسول الله ﷺ بحكم الفياء، أو الخمس أو خمس الخمس، من أرض الكتيبة من خير وفدك، ومن صدقاته من أرض بني النضير، سائرا فيهم بسيرة الخلفاء الراشدين مع أسلافهم، والحق يقال أن السياسة الحكيمة التي سلكها مع آل البيت حققت نتائج حسنة، وإن كانت إلى حين وفاته، إذ أسكتت كل ناطق من غير بيت النبوة، وأجمت كل منافق، كان يتخذ من تشييعه لآل البيت وسيلة للكيد للإسلام والمسلمين، للوصول إلى تحقيق مطامعه، بعد أن تولت الدولة في شخص أمير المؤمنين أمر إعادة حقوقهم إليهم، فجردهم بذلك من الأسباب التي كانوا يتخذونها وسيلة للتأليب على خلفاء بني أمية⁽²⁾.

ولما بويع هشام بالخلافة اتخذ من مصادرة الأموال سياسة ووسيلة للترهيب والإخضاع خاصة من يتبع العلويين ويؤازرهم ضد الأمويين، فقد كتب كتابا إلى يوسف بن عمر في أمر زيد بن علي يأمره بطرده من الكوفة، وأوضح له السياسة التي يسير بها في رعيته فقال: «أدع إليك أشرف أهل المصر - يعني الكوفة - وأوعدهم العقوبة في الأبخار⁽³⁾، واستصفاء الأموال، فإن من له عقد أو عهد منهم سيُبطى عنه ولا يخف معه إلا الرعاع وأهل السواد ومن تنهضه الحاجة استلذاذا للفتنة»⁽⁴⁾.

ولم يترك أهل الكوفة زيد بن علي بن الحسين حتى أغروه بالخروج وإعلان ثورته ضد الأمويين سنة 121هـ، ثم تركوه يلقي مصيره كجده، وتعقب بني أمية ابنه يحيى حتى قتل سنة 125هـ⁽⁵⁾.

(1) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 3، ص 316.

(2) - المرجع نفسه، ج 3، ص 316 وما بعدها.

(3) - الأبخار: مفردة بشرة، وهي ظاهر الجلد والجمع بشر، وجمع الجمع أبشار. ابن منظور: لسان العرب، ج 4، ص 59. مادة «بشر».

(4) - تاريخ الطبري، ج 7، ص 169-170.

(5) - تاريخ الطبري، ج 7، حوادث سنتي 121، 125هـ؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج 3، ص 128 وما بعدها؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، حوادث سنتي 121، 125هـ.

ويذكر ابن عساكر أن زيد بن علي دخل على هشام ورفع ديناً كثيراً وحوائج، فلم يقض له هشام حاجة، وتجهمه وأسمعه كلاماً شديداً، فخرج وهو يقول: «ما أحب الحياة أحد قط إلا ذل»، ثم مضى فكان وجهه إلى الكوفة فخرج بها، فندم هشام وقال: «ما كان يرضيه إنما كانت خمسمائة ألف، فكان ذلك أهون علينا مما صار إليه»⁽¹⁾.

وقد منع يوسف بن عمر أهل الكوفة أعطياتهم ونفذ فيهم أمر هشام، لتأييدهم لثورة زيد بن علي،⁽²⁾ فلما قتل يوسفُ زيداً بن علي سنة 121هـ أقبل حتى دخل الكوفة، فصعد المنبر فقال: «أبشروا يا أهل الكوفة بالصغار والهوان، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق، ولقد هممت أن أخرب بلادكم وأحرمكم أموالكم»⁽³⁾.

كما حرم هشام أهل مكة والمدينة من أعطياتهم سنة كاملة لنفس السبب⁽⁴⁾، فلما استخلف الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة:

ألا أيها الركب المحبون بلغوا *** سلامي سكان البلاد فأسمعوا
وقولوا أتاكم أشبه الناس سنّة *** بوالده فاستبشروا وتوقعوا
سيوشك إلحاق بكم وزيادة *** وأعطية تأتي تباعا فتشفع
ضمنت لكم إن لم تصابوا بمهجتي *** بأن سماء الضرّ عنكم ستقلع

فقال أحد الشعراء يرد على الوليد لما فعل خلاف ذلك:

وصلت سماء الضر بالضرّ بعدما *** زعمت سماء الضرّ عنا ستقلع
فليت هشاماً كان حياً يسومنا *** وكنا كما كنا نُرجّي ونطمع⁽⁵⁾

أما خالد بن عبد الله القسري فقد كان موقفه من الهاشمين عامة والعلويين خاصة تختلف عن سياسة يوسف بن عمر في العراق فقد جاء عند ابن الأثير: «كان خالد يصل الهاشمين ويبرهم، فأتاه

(1) - تاريخ دمشق، ج 19، ص 470.

(2) - تاريخ الطبري، ج 7، ص 191، الكبيسي: عصر هشام، ص 346-347.

(3) - تاريخ الطبري، ج 7، ص 191.

(4) - المصدر نفسه، ج 7، ص 22.

(5) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 301، أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص 1954،

مُجَّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليستحيمه فلم ير منه ما يجب، فقال: أما الصلة فللهاشميين، وليس لنا منه إلا أنه يلعن عليا، فبلغت خالدا فقال: إن أحب لنا عثمان بشيء. وكان خالد مع هذا يباليغ في سب علي، فقيل: كان يفعل ذلك نفيًا للتهمة، وتقربا إلى القوم»⁽¹⁾

ثانيا: وصايا خلفاء الفرع السفياي الخاصة بآل البيت والصحابة وغيرهم

1-وصايا معاوية في شأن آل البيت

أ- وصيته للمغيرة بن شعبة بالخط من قدر الإمام علي عليه السلام

وصية معاوية بن أبي سفيان للمغيرة بن شعبة بشتم علي بن أبي طالب عليه السلام-

-رقم:47-

رغم مبادرة الحسن الخيرة التي حقن بها دماء المسلمين فإن معاوية، لم يقابل هذا الإحسان من الحسن عليه السلام- نحو الأمة بالكف عن شتم الإمام علي عليه السلام- وإنما أصر على ذلك، ظنا منه أن ذلك يؤدي إلى التفاف الجماهير حوله، ولكنه أخطأ التقدير، وأتت هذه العملية بنتائج عكسية، وازدادت نتيجة لهذه السياسة العداوة في قلوب آل البيت وشيعتهم ضد بني أمية⁽²⁾، رغم عدم رضا البعض من رجالات بني أمية في قرارة أنفسهم عما يتقولونه في حق الإمام عليه السلام- كمروان بن الحكم وسعيد بن العاص عند ولايتهما على المدينة، فكان الأول يذمه في العلن ويحسن إلى آل البيت في السر، وكان الثاني على العكس من ذلك⁽³⁾، ومثل ذلك المغيرة بن شعبة الذي نصح صعصعة بن صوحان⁽⁴⁾ ألا يظهر فضل علي عليه السلام- علانية أمام الناس، ثم قال له: «فأنا أعلم بذلك منك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع شيئا كثيرا مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بُدًا ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تُقِيَّة»⁽⁵⁾. قال البلاذري:

(1)-الكامل في التاريخ، ج4، ص251.

(2)- صحيح مسلم، ج7، ص120. (كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل علي).

- بدران: تهذيب تاريخ دمشق، ج4، ص224؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص233 وما بعدها؛ نقلا عن مُجَّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص314.

(3)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص234؛ مُجَّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص314.

(4)- صعصعة بن صوحان: بن عبد القيس من ربيعة يكنى أبا طلحة، كان مسلما على عهد رسول الله عليه السلام- ولم يره، وصغر عن ذلك، وكان سيدها من سادات قومه عبد القيس، نصيحا خطيبا، لسنا ديننا فاضلا، يعد في أصحاب علي عليه السلام-، وشهد معه حروبه، وهو ممن سيره عثمان إلى الشام، توفي بالكوفة أيام معاوية، وكان ثقة قليل الحديث.

ابن سعد: الطبقات، ج6، ص221؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج3، ص21.

(5)-ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص214؛ المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص26.

«⁽¹⁾ وولي معاوية المغيرة بن شعبة الكوفة، فأقام بها تسع سنين وهو أحسن رجل سيرة وأشده حبا للعافية، غير أنه لا يدع ذم علي والوقعة فيه، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، وكان معاوية حين أراد توليته قال له:
يا مغيرة:

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا *** وما علم الإنسان إلا ليعلما
وقد يجزئ عنك الحلم⁽²⁾ بغير تعليم، وقد أردت أن أوصيك بأشياء كثيرة، فتركت ذلك اعتمادا على بصرك بما يرضيني ويشدد سلطاني⁽³⁾ ويصلح رعيتي، غير أنني لا أدع إيباءك بخصلة: لا تكفكن⁽⁴⁾ عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، والإطراء لشيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم»⁽⁵⁾.
قال الطبري: «فقال المغيرة: قد جربت وجربت، وعملت قبلك لغيرك، فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع، فستبلو فتحمد أو تذم.
قال: بل نحمد- إن شاء الله-»⁽⁶⁾.

واستمر الأمويون في سب الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان هشام بن إسماعيل والي المدينة المنورة-82-87 هـ- يشتم الإمام علي عليه السلام وضيق على من يتواجد من آل البيت بها، وبالأخص علي بن الحسين، والحسن بن الحسن ابني علي عليه السلام فضرب هذا الأخير بالسياط بسبب رفضه شتم آل الزبير، كما بالغ في شتم الإمام علي عليه السلام خذ على ذلك مثلا طلبه من أبي سنان يزيد بن أمية الدؤلي «أن يسب عليا فقال لا أسبه، ولكن إن شئت قمت فذكرت أيامه الصالحة»⁽⁷⁾.

(1) - عند الطبري: وقد جاء عن طريق أبي مخنف وغيره، في إسناد جمعي أن معاوية بن أبي سفيان أوصى المغيرة بن شعبة حين أراد توليته الكوفة سنة 41 هـ: « أن معاوية بن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دعاه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا، وقد قال المتلمس»

(2) - عند الطبري وابن الأثير: «الحكيم بغير التعليم»

(3) - عند الطبري: «ويسعد سلطاني»

(4) - عند الطبري: «لا تتحم»

(5) - البلاذري: أنساب، ج5، ص243؛ تاريخ الطبري، ج5، ص253-254؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص69؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج7، ص223.

(6) - تاريخ الطبري، ج5، ص254؛ ابن الأثير: الكامل، ج3، ص69.

(7) - مصعب الزبيري: نسب قريش، ص47-49؛ ابن سعد: الطبقات، م5، ص162-163؛ تاريخ الطبري، ج6،

ص428؛ ابن حبان: الثقات، ج5، ص537؛ المزي: تهذيب الكمال، ج32، ص87

وهذا الحجاج بن يوسف لا يتوانى في حمل خصومه على شتم الإمام ﷺ قال الأعمش: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد ضربه الحجاج وأوقفه وقال له: «اللعن الكذابين علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد». فورى على غيرهم، وكان إذا سمعهم «يذكرون عليا وما يُحدّثون عنه قال: قد جالسنا عليا وصحبناه فلم نره يقول شيئا مما يقول هؤلاء [أي مما يروج عليه] أولا يكفي عليا أنه ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته وأبو حسن وحسين شهد بدرا والحديبية؟»⁽¹⁾.

وكان عبيد الله بن عتبة بن مسعود من الرجال الذين درس عليهم عمر في المدينة المنورة ممن انتقده عن تقليد المقلدين، فيردد ما يقولون دون تروّ، من ذلك أنه كان متأثرا بالأباطيل التي روجت ضد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ إذ لم يتبين له وجه الرشد من الغي في ذلك الخلاف الذي نشب بينه وبين بني أمية، فكان -رحمه الله - ينتقص من مكانة هذا الإمام الراشد، وتبلغ عنه مقولته هذه شيخه عبيد الله - ت98هـ - فأتاه عمر كعادته ليتلقى عنه العلم، فوجده يصلي، فانتظره حتى فرغ، فلما قضى صلاته، أقبل عليه غاضبا سائلا إياه: «متى علمت أن الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم؟!». «!

فأجابه: «لم أسمع ذلك!». «!

فسأله: «فما الذي بلغني عنك في علي؟!»، فكأنه أوقظ من نومه.

فقال لشيخه: «معذرة إلى الله وإليك، والله لا أعود»⁽²⁾. فما سُمع بعد ذلك يذكر الإمام علي

ﷺ إلا بخير.

ذلك هو توجيه هذا الشيخ لهذا الفتى توجيهها سليما سديدا صحيحا، يكفي الإمام علي ﷺ فضلا ومنقبة أنه من أهل بدر الذين قال رسول الله ﷺ في حقهم: «... لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»⁽³⁾.

(1) - ابن سعد: الطبقات، م6، ص76-77؛ أبو نعيم: حلية الأولياء، ج4، ص351؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج36، ص98. وهذا يلتقي مع ما نبهه إليه شيخه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أيام طلبه للعلم في المدينة كما بيناه في الفصل الأول من الباب الأول.

(2) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص154؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص519.

- خالد بن محمد خالد: عمر بن عبد العزيز، ص32-33.

(3) - صحيح مسلم، ج7، ص168 (كتاب فضائل الصحابة. باب: فضائل أهل بدر).

وأيضاً أنه ممن بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان في عمرة الحديبية سنة ست للهجرة، وقد قال الله ﷻ في حقهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (1).

لقد تحرر فكره ووجدانه من عصبية لقومه على يد هذا الشيخ الفاضل الجليل. كما كان لوالده كذلك دوراً غير مباشر في كفه عما كان يشاع عن الإمام، إلا أن أباه لم يكشف له كل الحقيقة كما كشفها له شيخه، فقد أدرك عمر يوماً بفطنته وإحساسه المرهف وذكائه اللامع عندما كان يستمع لوالده وهو يلقي خطبة الجمعة على المسلمين في زيارته التي كان يزوره فيها بين الحين والآخر، أنه كان يتلثم ويضطرب في خطبته عندما يصل إلى ذكر الإمام علي ﷺ فسأل والده عن هذا الاضطراب، فأجابه: «أو فطنت لذلك؟!». فقال: «نعم».

عندها كشف له جزءاً من الحقيقة: «يا بني! إن الذين من حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم، تفرقوا عنا إلى أولاده» (2).

لهذا كرس بدعة شتمه حتى يتفرق الناس عن أبنائه، وبالتالي حتى لا يكون لهم أنصارا يشدون أزرهم ليكونوا خلفاء على المسلمين.

ومن ذلك الحين أصبح من أشد المدافعين عنه حادبا على أبنائه أيام ولايته على المدينة سرا عن آل بيته، وجاهر بذلك بعد أن تولى الخلافة، والذي سيقطع في تحقيق ذلك شوطاً بعيداً في إعادة الاعتبار لهذا الخليفة البار الراشد، وكذا إعادة الحقوق إلى دويه التي أعطيت لهم بنص الكتاب والسنة (3)، فلما تولى الخلافة خطب على المسلمين في اليوم الموالي فممنع من شتمه، فعن خالد بن يزيد عن جعونة قال: «لم يقم خليفة من بني أمية إلا افتتح كلامه في خطبته بالثناء على الله ﷻ ثم على رسول الله ﷺ ثم على أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ حتى إذا انتهى إلى ذكر علي ﷺ شتمه، ولعنه، ووقع فيه».

قال: فصعد عمر بن العزيز الغد من يوم خلافته، فبدأ بما كانوا يبدؤون به حتى إذا انتهى إلى ما كان يعتمد به بنو أمية من سب علي، قال: إن السلف من قومنا كانوا يسبون أمراً صالحاً إلا رحمة الله عليه وبركاته ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

(1) - سورة الفتح، الآية: 18.

(2) - البلاذري: أنساب، ج8، ص195؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص154.

(3) - انظر محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، الفصل الثاني من الباب التاسع، رسائل رقم: 708 وما بعدها.

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»⁽¹⁾، فغضب عامة بني أمية»⁽²⁾، فلم يأبه لغضبهم، إلا أن هذه البدعة عادت بعد وفاته في مناطق مختلفة على يد الولاة إما تقرباً إلى الخلفاء ليزدادوا حظوة عندهم، وإما بتحريض من أنصار بني أمية لهؤلاء الولاة، وفي أحيان أخرى نكاية فيمن تشيع له، وفي أحيان أخرى كان بمباركة من الخلفاء، فإن لم يكن بشكل علني وصریح، فبإغضاء منهم عما كانوا يفعلونه، تاركين الناس منشغلين بهذه الشتائم التي لانتيجة لها إلا زيادة شحن القلوب بالعداوة والبغضاء نحوهم وممن ناصرهم⁽³⁾.

ب- وصيته لابنه يزيد بعبد الله بن جعفر خيراً

وصية معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بإكرام عبد الله بن جعفر

-رقم: 48-

عمل معاوية بن أبي سفيان على استمالة كبراء آل البيت إلى جانبه بالهبات والصلوات، كالحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن العباس، وغيرهم، فقد كان يهتم بغزو القلوب والإحسان إليها، مع الوعي والحذر الشديدين أن لا تنتفض الأمة عليه، فكان يبذل المال بلا حساب لكبار الشخصيات القيادية في المجتمع ولعل أشرف بني هاشم كانوا في هذا الصدد أكثر قيادات الأمة إغداقاً عليهم بالمال، ولا بدع فهم لا يزالون في عرف الناس القيادات الشعبية التي تمثل جماهير الأمة، وتلجأ الأمة إليهم أكثر مما تلجأ إلى الولاة والأمراء⁽⁴⁾.

كان معاوية بن أبي سفيان يقدر مكانة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويعلم فضله، وكان يكرمه ويصله مدة خلافته، فقد ذكر ابن منظور أنه « كان لعبد الله بن جعفر من معاوية ألف ألف [1.000.000 مليون] في كل عام، ومائة حاجة يختم معاوية على أصل الأديم ثم يقول اكتب يا بن جعفر ما بدا لك فقضى عاماً حوائجه»⁽⁵⁾، كما أوصى ابنه يزيد بإكرامه، فقد ذكر ابن سعد عن يحيى بن سعيد أن معاوية لما حضرته الوفاة قال ليزيد:

(1) - سورة النحل، الآية: 90.

(2) - تاريخ الخلفاء لمجهول، ص 357. وقارن بما جاء في الطبقات، ج 5، ص 307؛ وحلية الأولياء، ج 5، ص 322؛ وتاريخ دمشق لابن عساکر، ج 50، ص 96؛ وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ج 7، ص 227-228؛

(3) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 3، ص 323.

(4) - الصلابي: معاوية بن أبي سفيان، ص 223 وما بعدها.

(5) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 59، ص 195؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 25، ص 65.

«يا بني إن لي خليلاً بالمدينة فاستوص به خيراً⁽¹⁾ وأعرف له مكانه مني - يعني عبد الله بن جعفر-»⁽²⁾.

وقد نفذ يزيد وصية أبيه في عبد الله بن جعفر، فقد ذكر ابن سعد أنه:

«لما مات معاوية رحل عبد الله بن جعفر إلى يزيد فأكرمه وألفه وقال له: يا أبا جعفر كم كان أمير المؤمنين يجيزك به كل سنة؟ قال: كذا وكذا ألف دينار، قال: قد أضعفتها لك، قال: بأبي أنت ما قلتها لأحد قبلك ولا أقولها لأحد بعدك»⁽³⁾.

2- وصايا يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد في كيفية معالجة خروج الحسين عليه السلام نحو الكوفة

امتنح يزيد بن معاوية أثناء حكمه بثلاث حوادث كانت قد كشفت عن سوء تدييره وقصر نظره وتبصره في العواقب كانت كافية لتلويث سمعته التي أنزلت بها إلى الحضيض وأول هذه الحوادث، وأول هذه الحوادث:

أ- حادثة كربلاء واستشهاد الحسين عليه السلام في عاشوراء سنة 61 هـ

عرفنا من قبل أن أهل الحجاز لم يوافقوا على بيعه يزيد ولياً للعهد إلا مكرهين فلما توفي معاوية ظنوا - فيما نعتقد - أنهم قد تحللوا من بيعه يزيد، ولا بيعه لمكره⁽⁴⁾، فلما اعتلى الخلافة استضعفته التيارات آنذاك والنشطة على الساحة كما لم يكن هو الآخر في مستوى المهمة الكبيرة الملقاة على عاتقه.

سمع شيعة آل البيت بامتناع الحسين من بيعه يزيد ولجؤته إلى مكة، فاجتمع ملؤهم في الكوفة في منزل سليمان بن صرد فتدارسوا الأمر فقرروا بعدها عدم الاعتراف بشرعية خلافة يزيد، مستغلين ضعف النعمان بن بشير ومحفته للعافية، فأرسلوا رسالة مع وفد أوفدوه إليه يدعونه إلى الالتحاق بهم معللين ذلك بقولهم «لعل الله أن يجمعنا بك على الحق» وأكثروا بالكتابة إليه⁽⁵⁾، وحتى يتأكد من صدق نواياهم أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل يستطلع الأمر عن كثب ويكتب إليه بحقيقة نواياهم، التحق الرجل بالكوفة وأجرى سلسلة من الاجتماعات مع أنصارهم فبايعه 12 ألف وقيل 18 ألف، فأرسل

(1) - عند ابن منظور وابن كثير: «فأكرمه».

(2) - ابن سعد: الطبقات - متمم الصحابة - الطبقة 5، ج 2، ص 22؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 28، ص 26، ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 645.

(3) - الطبقات - متمم الصحابة - الطبقة 5، ج 2، ص 22.

(4) - عبد الحليم عويس: بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي، ص 23.

(5) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 266-267؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 495-496.

إثرها إلى الحسين بما تم له على يديه ويطلب منه القدوم⁽¹⁾.

أرسل من كان في الكوفة من أنصار الأمويين إلى يزيد بن معاوية يخبرونه بخطورة الأمر وبالذي يجري بها قائلين له: «إن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويا ينفذ أمرك، ويعمل مثل عمالك في عدوك، فإن النعمان رجل ضعيف أو يتضعف»⁽²⁾.

فكان هذا أول اختبار لسياسة يزيد، فعزل النعمان وعين بدله عبید الله بن زياد، واختياره له يعني أن سياسته نحوهم سياسة عنف وشدة لأجل تحقيق الاستقرار، وقمع الخارجين عن طاعته.

1- تحرك الحسين للالتحاق بالكوفة ونصح الناصحين له ألا يذهب

قبل انطلاق الحسين إلى الكوفة نصحه الناصحون من آل بيته وعقلاء مكة ألا يذهب، منهم: أخاه محمد الذي يدعى بابن الحنفية الذي كان على دراية بهؤلاء الشيعة المزعومين الذين يريدون أن يتخذوهم سلماً للوصول إلى تحقيق أطماعهم فقال له ينصحه: «إن القوم يريدون أن يأكلوا بنا ويشيطوا في دماننا»⁽³⁾ ذلك هو هدف هؤلاء الشيعة أن يصلوا إلى تحقيق أهدافهم بأبناء الإمام بسفك دمائهم لنصرة باطلهم.

ونصحه ابن عباس -رضي الله عنهما- فقال له: «...فإني أعيذك بالله من ذلك... فلا آمن من أن يعرفوك وبكذبوك ويستنفروا إليك، فيكونوا أشد الناس عليك»، ولكن الرجل قلق على ابن عمِّ عمِّه فعاد إليه فقال له: «يا ابن عمِّ إني أتصبر فلا أصبر إني أخاف عليك الهلاك إن أهل العراق قوم غدر...»⁽⁴⁾.

ونصحه ابن عمر فقال له: «أطعني وأقم ولا تخرج، فوالله ما زواها الله عنكم إلا وهو يريد بكم خيراً...»⁽⁵⁾.

ونصحه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي قائلًا له: «أنا مشفق عليك من مسيرك... وإنما الناس عبید الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره...»⁽⁶⁾.

(1) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 267؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 479.

(2) - ابن الأثير: الكامل، ج 3، ص 267.

(3) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 14، ص 205.

(4) - البلاذري: أنساب، ج 3، ص 373-374؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 495-496.

(5) - البلاذري: أنساب، ج 3، ص 375؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 503.

(6) - البلاذري: أنساب، ج 3، ص 373؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 503-504.

ونصح عبد الله بن الزبير أيضا فقال له: «أين تذهب؟! إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك»⁽¹⁾.
 وكتب إليه الأحنف بن قيس من العراق لما بلغه أنه يريد الخروج «فاصبر فإن وعد الله حق ولا
 يستخفئك الذين لا يوقنون»⁽²⁾. ونصح آخرون كثيرون، وهذا يدل على القلق الذي كبراء القوم، حتى
 مروان بن الحكم الذي شعر بذلك، فقام بواجب النصيحة، ولكن لعبيد الله بن زياد الذي كتب إليه «أما
 بعد: فإن الحسين بن علي قد توجه إليك، وهو الحسين بن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ،
 وباللهم ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين، فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء، ولا
 تنساه العامة، ولا تدع ذكره، والسلام»

وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص: «أما بعد: فقد توجه إليك الحسين، وفي مثلها تعتق أو
 تكون عبدا تسترق كما تسترق العبيد»⁽³⁾.

قرر الحسين ﷺ الخروج واللحاق بالكوفة، فخرج يوم التروية من شهر ذي الحجة سنة 61هـ
 ومعه أبناءه وإخوانه وأبناء عقيل بلغ عددهم سبعة وثمانين رجلا وامرأة، وفي الطريق وصلته رسالة شفوية
 من مسلم بن عقيل تحمل نعيه يأمره فيها بالعودة، ولكن أبناء مسلم بن عقيل أبوا الرجوع وقرروا المضي
 إلى العراق للأخذ بثأر والدهم، فلم يعد بعدها مجال للرجوع، فتابعوا مسيرهم نحو ما ينتظرهم، وفي
 الطريق التقى بالشاعر الفرزدق، فسأله عن أمر الناس بالكوفة، فأجابه بكلمة جامعة لخص له فيها
 الوضع هناك: «الخبير سألت قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء،
 والله يفعل ما يشاء»⁽⁴⁾.

2- وصية يزيد لعبيد الله بن زياد بعزل النعمان بن بشير عن الكوفة

وصية يزيد لعبيد الله بعزل النعمان بن بشير عن الكوفة

-رقم: 49-

لما كتب أهل الكوفة إلى الحسين ﷺ تدعوه إليها أرسل مسلم بن عقيل ابن عمه ليمهد له الأمر
 ويسبر آراءهم ومواقفهم، فذهب، فعلم بقدمه النعمان بن بشير، وكان رجل يحب العافية، ولا يرغب
 في سفك الدماء، فلما رأى أنصار يزيد منه هذا اتهموه بالضعف، رد عليهم: «أن أكون من
 المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعززين في معصية الله». عندها كتبوا إلى يزيد

(1) -البلاذري: أنساب، ج 3، ص 377؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 8، ص 161

(2) -البلاذري: أنساب، ج 3، ص 377؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 176-177

(3) -ابن سعد: الطبقات، ج 6، ص 429، ط الخانجي؛ البداية والنهاية، ط الفكر، ج 8، ص 165.

(4) -البلاذري: أنساب، ج 3، ص 376-377؛ ابن الأثير: الكامل، ج 3، ص 276

«أما بعد، فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن علي فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويا ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعف».

« قال عوانة: فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان، دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية فقال: ما رأيك؟ فإن حسينا قد توجه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيئ- وأقرأه كتبهم- فما ترى من أستعمل على الكوفة؟ -وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد-

فقال سرجون⁽¹⁾: رأيت معاوية لو نُشر لك، أكنت آخذا برأيه؟

قال: نعم، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة، فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا

الكتاب.

فأخذ برأيه وضم المصريين إلى عبيد الله، وبعث إليه بعهدته على الكوفة

ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي - وكان عنده - فبعثه إلى عبيد الله بعهدته إلى البصرة، وكتب إليه

معه:

أما بعد، فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين، فسر حين قرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الحرزه حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام.

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيد الله بالبصرة، فأمر عبيد الله بالجهاز والتهيؤ

والمسير إلى الكوفة من الغد⁽²⁾.

تسلم ابن زياد إمارة الكوفة، فقام فخطب على أهلها، وهددهم بتعقب المخالفين بسوء العقاب،

ممن يفكر في مناصرة عقيل.

ثم تعقبه حتى ألقى عليه القبض فقتله وأعد العدة لملاقاة الحسين عليه السلام فأمر على الجيش عمر بن

سعد بن أبي وقاص الذي كان في حقيقة الأمر متوجها إلى الديلم -جنوب غرب بحر قزوين- لمقاتلتهم

فلما بلغه مجيء الحسين خيره في الذهاب إليه لمقاتلته أو يعزل فسار لمقاتلة الحسين عليه السلام⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - سرجون بن منصور: كاتب معاوية وابنه يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان على ديوان الخراج والجند حتى عزله

عبد الملك وولى مكانه سليمان بن سعد الذي قام بتعريبه. تاريخ خليفة، ص 228، تاريخ الطبري، ج 6، ص

180؛ الصولي: أدب الكتاب، ص 192، فقال ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 20، ص 161، ج 20، ص 320.

⁽²⁾ - تاريخ الطبري، ج 5، ص 354-356.

هو والله الطمع والحرص على الإمارة ولو بقتل خير الناس، التي رفضها غيره ممن يعرفون أقدارهم وأقدار غيرهم مثل النعمان بن بشير.

3- وصية يزيد لعبيد الله بن زياد بالاحتراس من الحسين عليه السلام لما بلغه خروجه نحو العراق، وأمره له

بقتال من قاتله

رد يزيد على عبيد الله لما أخبره بقتل مسلم، يخبره بخروج الحسين نحوه

ويوصيه بالاحتراس وقتال من قاتله

- رقم: 50-

قال أبو مخنف فيما يرويه عن أبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي: لما قتل عبيد الله بن زياد لما قتل مسلم بن عقيل إلى يزيد يخبره بما كان من قتله وهو معجب بما فعل:

« أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوه أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المرادي، وأني جعلت عليهما العيون، ودسست إليهما الرجال، وكدتهما حتى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هانئ بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأرواح التميمي - وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة - فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر، فإن عندهما علما وصدقا، وفهما وورعا، والسلام» .

« فكتب إليه يزيد:

أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك، ورأيي فيك، وقد دعوت رسولك فسألتهما، وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيرا.

وإنه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمه، غير إلا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله»⁽²⁾.

رواية أخرى لما سبق

(1)-المصدر نفسه، ج5، ص357 .

(2)-تاريخ الطبري، ج5، ص380-381؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج18، ص306-307؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج8، ص375؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج5، ص329؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ص38.

-رقم: 50أ-

كان خروج الحسين عليه السلام من مكة يوم الثلاثاء لثمان ليال من شهر ذي الحجة، وقيل يوم التاسع قاصدا العراق فلما بلغ يزيد خروجه كتب إلى عبيد الله بن زياد كتابا يحثه على التصدي له فيما ذكره البلاذري عن بعض قريش:

«⁽¹⁾ بلغني مسير حسين إلى الكوفة، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبدا كما يُتَعَبَّدُ العبيد»⁽²⁾.

رواية أخرى

-رقم: 50ب-

وفي رواية أخرى حدد له فيها ما ينبغي أن يعمله أمره فيها إليه واضح:

قال الزبير بن بكار: فيما يرويه عن محمد بن الضحاك عن أبيه، قال:

«قد بلغني أن الحسين قد توجه إلى نحو العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس، واحبس على الظنة، وخذ على التهمة غير أن لا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل ما يحدث من خبر والسلام»⁽³⁾.

أما الحسين فسار حتى أشرف على العراق، فالتقى بطليعة من الجيش التي يقودها الحر بن يزيد التميمي، وكانت التعليمات المعطاة له من قبل عبيد الله ألا يفارق الحسين حتى يأتي به، ثم لحق به بقية الجيش بقيادة عمر بن سعد، عندها عرض عليه الحسين ثلاث اقتراحات، هي: «إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت.

وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد. فأذهب إلى يزيد.

⁽¹⁾ -عند الطبراني، وابن عبد ربه، وابن عساکر «إنه قد بلغني أن حسينا قد سار إلى الكوفة». عند الذهبي «إن حسينا صائر إلى الكوفة» وقد جاءت بالسند المذكور في الرواية الموالية، وبذلك كشفوا لنا سندها الذي جاء عند البلاذري مبهما.

⁽²⁾ -البلاذري: أنساب، ج 3، ص 371؛ الطبراني: المعجم الكبير، 3، ص 115. رقم: 2846؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 4، ص 357؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 14، ص 214، ج 65، 395-396؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 2، ص 575؛ ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج 6، ص 2614؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 12، ص 263. ولم نجد في القسم المطبوع من جمهرة نسب قريش وأخبارها، ومن ثم فهي ضائعة مما ضاع منها.

⁽³⁾ -ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 508.

وإما أن تدعوني فأحق بالثغور»⁽¹⁾.

وكاد عبيد الله أن يقبل لولا شمر بن ذي الجوشن الذي خوَّف عبيد الله الوهن والضعف والعجز واقترح عليه أن ينزل على حكمه فرفض الحسين النزول على حكم عبيد الله، فلم تبق إلا المواجهة بين الطرفين غير المتكافئين

قطع خط الرجعة على الحسين وعندها خير من كان معه في الانصراف فأبوا عليه وأقسموا له أنهم ليقاتلن دونه حتى ينتصر أو يموتوا دونه، وفي صباح اليوم العاشر من محرم الحرام سنة 61هـ في أرض كربلاء التقى الطرفان وناشد الحسين القوم من جديد أن يتقوا الله فيه فهو ابن بنت نبيهم وأن يتركوه يرجع إلى مأمنه، فلم تفلح خطبه ومناشدته لهم، وانضم إليه الحر بن يزيد أحد قواد جيش الكوفة وخاطب عمر بن سعد: «ويحكم ألا تقبلون من ابن بنت رسول الله ﷺ ما يعرض عليكم من الخصال الثلاث واحدة منها؟».

فأجابه: «لو كان الأمر لي لأجبت الحسين إلى ما طلب، ولكن أبي علي عبيد الله بن زياد»⁽²⁾. وتكررت المناشدة من أصحاب الحسين ﷺ فخشى عمر بن سعد أن تتفرق وحدة جيشه وينضم بعضه إلى الحسين فأمر ببدء القتال الذي دار بشراسة فقتل ابن الحسين علي الأكبر وأخوه العباس وأقارب له، ثم حملوا على الحسين من كل جانب ونادى شمر بن ذي الجوشن بأصحابه أن يتصدوا له، فقتل بلا رحمة ولا شفقة، وقتل معه إثنان وسبعون رجلاً ممن كان معه وثمانية وثمانون رجلاً من جيش الكوفة، وسيق النساء إلى ابن زياد وأمر عمر بن سعد أن لا يتعرض لهن أحد، ورد عليهن ما كان قد أخذ منهن. وقطعت رأس الحسن الذي أرسل مع النساء إلى يزيد بدمشق ومعهم ابنه علي الأصغر، فأحسن إليهم يزيد، وخفف عنهم ما لحق بهم، وعوضهم ما كان أخذ منهن، ثم أمر بردهن إلى المدينة⁽³⁾.

بهذا الشكل المحزن الأليم انتهت هذه الحادثة التي حدثت نتيجة لانعدام الأناة والتبصر إذ ظن الحسين ﷺ بأهل العراق خيراً، وهم أصحاب والده وأخيه، فقد كان والده خيراً منه وأكثر وجاهة عند الناس، وكانت له بيعة في الأعناق ومع كل ذلك لم ينفعوه حتى تمنى في آخر حياته الخلاص منهم، وأما

⁽¹⁾ -تاريخ الطبري، ج 5، ص 389؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج 5، ص 336 ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص

283-284؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 8، ص 107. ط. دار المعارف

⁽²⁾ -ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 288؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 8، ص 181.

⁽³⁾ -ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 280 وما بعدها؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 8، ص 260 وما بعدها؛

يوسف العشي: الدولة الأموية، 232.

الحسين فلم تكن له بيعة، وكان على العراق عماله بل كان الجيش الذي قاتله أغلبه يتكون من شيعته، والحسين ﷺ طلب أمراً لم يعد له عدته، ولم يتهياً له، وأخطأ خطأ ليس بكثير، ولكن الخطأ الأكبر والوزر الأعظم يتحملة يزيد بن معاوية وواليه السفاح عبيد الله بن زياد، خاصة هذا الأخير الذي لن يأخذ بالذي كتب به إليه في التعليمات التي مر ذكرها، ولم يراجعها في المقترحات التي اقترحها عليه الحسين ﷺ، وقد كان أمره أن يكاتبه بالذي يكون، فتجاوز أمره، وتصرف تصرف الأخرق، وكأني به استضعف يزيد وتجاوز سلطانه، أو لينال حضوة عنده بالذي فعل ولكنه باع آخرته بدنياه غيره فكثرت الساخطون عليه.

وندم يزيد على ما جرى للحسين أشد الندم، ولم ينفعه ذلك إذ كان يقول: «لعن الله ابن مرجانة -عبيد الله- فإنه أخرجته، واضطره، وقد كان سأله أن يخلي سبيله أو يأتيني، أو يكون بثغر من ثغور المسلمين.... بل أبي عليه وقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين وزرع لي في قلوبهم العداوة، فأبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً...»⁽¹⁾.

إلا أن تحسر يزيد على ما حدث له لا يعفيه من المسؤولية المباشرة على ما جرى خاصة وأن مروان بن الحكم، وعمرو بن سعيد بن العاص دون شك قد علم بما كتبنا به إلى زياد يحذرانه من قتله أو يناله سوء على يديه كما سبق ذكره، من حال بينه وبين وصية والده إليه التي لو أخذ بها لما وقعت هذه الحادثة المروعة، وكأني مكر به لتشويه سمعته

وقد علق ابن فضل الله العمري على هذه الحادثة الأليمة فقال: «كان من مصرع الحسين ما صرع الدموع، وصدع الضلوع، وكسر القلوب كسرا لا يجبر، وأمات للإسلام ميتا لا يقبر، فأها لها رزية فتت العضد، وفلت السيف والغمدة، لقد أنضبتنيا لها فجيعة، ويالها من مصيبة وجيعة، لعمر أبيه لقد نبذ غير مليم، ولقد عكفت الطير منه على لحم كريم، وقد تقدم منه طرف في ذكره وهذا الآن موضع شرحه، وسنذكر منه ما يزيد القلب قرحا على قرحه، ويتبعه وما اندمل الأول جرحا على جرحه وصفا الأمر ليزيد، ليت ما صفا، واشتفى ليته لو كان أصبح على شفا، فكم أساء على قصر مدة أيامه مُرَّةً، وأذاب القلوب وأسأل عن المدامع الحرة، فأما كربلاء، فتلك كرب وبلاء، وبالطف ما طف، وكم بوارق بات يوقدها، وبوائق مات وهو يحقدتها، هذا كله من وراء تخلف لا كفاية، وتعسف لا بدراية، كان يلعب بالنرد، وينادم القرد، ويشترى هو الحديث بمال الله لا بماله،

⁽¹⁾ - ابن كثير: البداية والنهاية: ج 8، ص 232؛ الخضرى حسين: محاضرات في الأمم الإسلامية، ج 2، ص 129-

ويسخط الله بعمله هذا وسائر أعماله، ودام على قبيح فعلاته، وفضوح ضلالاته، حتى مات، وليته لا ولد ولا ولا عرف، فلا ذم ولا حمد»⁽¹⁾.

والحق أن سمعته تلطخت وساءت كثيرا إذ حجبت هذه الحادثة الأليمة كل ما كان له من حسنات له. ذلك هو خطؤه الأكبر يصدر الأوامر ولا يضع التفاصيل ولا يتابع ما أمر به حتى ينفذ وفق ما يراه مناسبا في حق الحسين عليه السلام، رغم هذا النجاح الذي حققه عبيد الله لصالح النظام الأموي، فإن سياسة يزيد الداخلية فشلت فشلا ذريعا كانت لها آثارها الوخيمة على مصير حكم الفرع السفياي وانتقاله إلى الفرع المرواني، وقد أدرك عبد الملك آثارها هذه الحادثة، فكان أثناء خلافته يتجنب الاصطدام بآل البيت فقد كتب في هذا الشأن إلى الحجاج يقول له: «جنبني دماء آل أبي طالب فإني رأيت الملك استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم»⁽²⁾.

لقد أدت هذه الحادثة إلى زيادة الفرقة بين المسلمين، واعتبرت الميلاد الحقيقي للحركة الشيعية اتخذتها الطوائف التي قضى الإسلام على نفوذها وسلطانها وسيلة - خاصة المجوس - ذريعة للكيده للإسلام والمسلمين متخذين آل البيت وسيلة لتحقيق أهدافهم. أما الثانية من هذه الحوادث التي لم يحسن يزيد معالجتها حادثة موقعة الحرة بالمدينة سنة 63هـ، وثالثتها قتاله لابن الزبير - رضي الله عنهما - وضرب الكعبة بالمنجنيق اللتان ذكرناهما في الفصل الأول فانظرهما هناك.

ثالثا - وصايا خلفاء الفرع السفياي

1- وصايا عبد الملك بن مروان للحجاج في تجنب إيداء آل البيت

وصية عبد الملك للحجاج بعدم التعرض لمحمد بن الحنفية

(1) - مسالك الأبصار، ج 24، ص 359-360.

(2) - المسعودي: مروج الذهب، ج 3، ص 170.

-رقم: 51-

كان عبد الملك يحسن إلى آل البيت في العلن ويتتبع نشاطهم في السر، فعندما ولى الحجاج بن يوسف الحجاز، خافه محمد بن الحنفية وكتب إلى الخليفة عبد الملك يناشده أن لا يجعل للحجاج عليه سلطانا بيد ولا بلسان، فكتب عبد الملك إلى الحجاج ما ذكره المسعودي عن سهل بن عبيد الخابوري: «إن محمد بن علي كتب إلي يستعفيني منك وقد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطانا بيد ولا بلسان فلا تتعرضن له»⁽¹⁾.

تفرّد المسعودي بذكره لهذه الوصية يضعها موضع شك، نظرا لكون آل البيت عامة ومحمد بن الحنفية خاصة لم يؤيدوا ابن الزبير فيما قام به، ويؤكد هذا ما كتب محمد بن الحنفية ببيعته لما قتل ابن الزبير، وكان في كتابه: «إني اعتزلت الأمة عند اختلافها، فقعدت في البلد الحرام الذي من دخله كان آمنا، لأحرز ديني، وأمنع دمي، وتركت الناس قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا»⁽²⁾، كما لم نجد أن الحجاج آذى رجلا من آل البيت طوال ولايته على الحجاز التي استمرت من 73-75هـ، ومن ثم فما سبب طلب ابن الحنفية من عبد الملك ألا يجعل للحجاج عليه سبيلا وتأمين عبد الملك له وفق ما أورده المسعودي؟

الظاهر أن هذا ملفق عن ابن الحنفية، وحتى قول الحجاج له الذي أورده المسعودي إثر ما سبق عندما لقيه في الطواف وعض على شفتيه وقال: «لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين»⁽³⁾، بعيد عن الصواب، فماذا فعل ابن الحنفية حتى يأذن له عبد الملك؟! إلا أن الرواية الموالية تلقي ضوءا كاشفا على ما جاء عند المسعودي الذي شوه الرواية وأبعدها عن الغرض الذي كتب به الحجاج ورد عبد الملك عليه.

رد عبد الملك على الحجاج يوصيه أن يتجنب سفك دماء آل أبي طالب

-رقم: 52-

قال الواقدي فيما يرويه عن صالح بن كيسان أن عبد الملك كتب إلى الحجاج:

«جنبني دماء آل أبي طالب فإن بني حرب لما قتلوا حسينا نزع الملك منهم»⁽⁴⁾

رواية أخرى لما سبق

(1)-مروج الذهب، ج3، ص116.

(2)-العقد الفريد، ج5، ص149.

(3)-مروج الذهب، ج3، ص116.

(4)- البلاذري: أنساب، ج7، ص233؛ أبو حيان: البصائر والذخائر، ج5، ص214، الآبي: نثر الدر، ج3، ص34.

-رقم: 52أ-

ذكر ابن سعد رواية أخرى جاء فيها: «كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف: أما بعد يا حجاج، فجنّبي دماء بني عبد المطلب، فإنّي رأيت آل حرب لما قتلوهم لم⁽¹⁾ يناظروا»⁽²⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 52ب-

قال ابن عبد ربه: وكتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف: «لا تعرض لمحمد ولا لأحد من أصحابه. وكان في كتابه:

جنّبي دماء بني عبد المطلب؛ فليس فيها شفاء من الحرب؛ وإنّي رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي»⁽³⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 52ج-

ذكر عند ابن عبد ربه في رواية أخرى أن عبد الملك وُقِعَ في كتاب أتاها من الحجاج يشكو إليه نفرًا من بني هاشم ويغريه بهم⁽⁴⁾: «جنّبي دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الطلب»⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

رواية أخرى لما سبق في آل البيت

-رقم: 52د-

(1) - لم يناظروا: أي لم يمهلوا. ابن منظور: لسان العرب، ج 5، ص 216. «مادة نظر».

(2) - الطبقات - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة، ج 1، ص 510.

(3) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 5، ص 149.

(4) - قد يكون هذا - وهو المحتمل - أيام إمارته - 73-75هـ - على الحجاز بعد قتله ابن الزبير سنة 73هـ، وإلا فإن آل البيت لم يستوطنوا العراق ويتخذوه مقرًا لهم.

(5) - عند الثعالبي: «فإن فيها شفاء من الكلب».

(6) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 4، ص 289؛ الثعالبي، خاص الخاص، ص 87.

ذكر ابن عبد ربه عند حديثه عن مقتل الحسين أنه «أسر اثنا عشر غلاما من بني هاشم: فيهم محمد بن الحسين، وعلي بن الحسين وفاطمة بنت الحسين؛ فلم تقم لبني حرب قائمة حتى سلّهم الله ملكهم».

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف:

«جئني دماء أهل هذا البيت، فإني رأيت بني حرب سلّوا ملكهم لما قتلوا الحسين»⁽¹⁾.

يبدو أن بعض آل البيت تناولوا على الحجاج معتزين بنسبهم، فوجد حرجا في ذلك في الطريقة التي يتعامل بها معهم فكتب إليه بما كتب، ويبدو أن ذلك وقع أيام إمارته على الحجاز، وإلا فإن آل البيت لم يتواجدوا في الكوفة خاصة والعراق عامة منذ واقعة كربلاء.

أدرك الخليفة عبد الملك الخطأ القاتل الذي وقع فيه يزيد بن معاوية بقتل الحسين -عليه السلام- وبآثار ذلك على تحول الحكم من أيدي رجال الفرع السفلياني إلى أيديهم، فلم يشأ أن يكرر الخطأ الذي وقعوا فيه، حتى لا يعطي لأنصارهم مبررا آخر، وقوة معنوية دافعة يستطيعون حشد الناس بها لتأييدهم في دعوتهم.

وبالفعل تقيد الحجاج بما كتب به إليه الخليفة عبد الملك فكان يتجنبها، إذ لم تمتد يده إليهم بالسوء، خاصة أيام إمارته على الحجاز، وتقيد عبد الملك بالذي كتب به طوال فترة خلافته؛ وكذا من جاء بعده من أبنائه، إذ لم يتجرأ أحد منهم على التفكير⁽²⁾ في سفك دمائهم، حتى كانت أواخر خلافة هشام بن عبد الملك الذي خرج في عهده بالكوفة زيد بن علي سنة 121 هـ فقتله يوسف بن عمر ثم تعقب ابنه يحيى بن زيد، فقتل في خراسان سنة 125 هـ⁽³⁾، فوقع ما حذر منه الخليفة عبد الملك، فكان ذلك من بين الأسباب التي أدت إلى نزع الملك منهم سنة 132 هـ على أيدي العباسيين⁽⁴⁾.

ومن خلال هذه الوصية يبدو جليا أن عبد الملك بن مروان أدرك حقيقة أن الصراع مع آل البيت يجب أن يوضع في الإطار الذي يضمن الحفاظ على الخلافة في أيديهم.

(1) - العقد الفريد، ج5، ص134.

(2) - إلا ما جاء في رواية من اتهام سليمان بدس السم لأبي هاشم عبد الله محمد وموته بالحمية بالشام سنة 97 هـ، وفي ذلك شك. انظر: تاريخ يعقوبي، ج2، ص296-298. نقلا عن محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص316.

(3) - تاريخ الطبري، ج7، ص160 وما بعدها، ص228-230؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص240 وما بعدها، ص259-260.

(4) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص315 وما بعدها.

2- وصية عمر بن عبد العزيز لبشر بن حميد لما أمره أرسله إلى أبي بكر بن حزم لوزع ما أرسل إليه من مال على آل البيت

وصيته لبشر بن حميد لما أرسله إلى أبي بكر بن حزم يأمره أن يوزع المال الذي أرسله إليه

على آل البيت

-رقم: 53-

بمجرد تسلم الخليفة عمر الحكم رأى من الواجب عليه أن يعيد إلى آل البيت حقوقهم التي أعطيت لهم بنص الكتاب والسنة، بعد تحريره عن حقهم في الكتيبة من خير، وخمس الخمس من الفياء والغنيمة الخاص بذي القربى عليهم، فقد قال بشر بن حميد⁽¹⁾: «دعاني عمر بن عبد العزيز فقال لي: خذ هذا المال الأربعة آلاف دينار، أو خمسة آلاف دينار⁽²⁾ فأقدم بها على أبي بكر بن حزم، فقل له: فليضم إليه خمسة آلاف أو ستة آلاف حتى يكون عشرة آلاف دينار، وأن تأخذ تلك الآلاف من الكتيبة، ثم تقسم ذلك على بني هاشم وتسوي بينهم، الذكر والأنثى، والصغير والكبير سواء»⁽³⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 53أ-

أما صاحب تاريخ الخلفاء فقال: «فدعا عمر بشر بن حميد المزني⁽⁴⁾ فدفع إليه خمسة آلاف دينار وقال:

أحملها إلى ابن حزم وقل له: أضف إليها مثلها من مال الكتيبة، ثم اقسما على بني هاشم، وسوّ بينهم في القسمة»⁽⁵⁾.

(1)-السند: «مُحَمَّد بن بشر بن حميد المزني عن أبيه قال» وهو: بشر بن حميد بن أبي مريم المزني: أخباره قليلة سوى ما ذكر عنه، أنه حدث عن عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج8، ص386؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج10، ص229-230.

(2)-الشك من الراوي لا من الخليفة، وهو ما تؤكد رواية صاحب تاريخ الخلفاء التالية إذ من غير المعقول أن يعطيه عمر مبلغا لا يعرف قيمته.

(3)- ابن سعد: الطبقات، ج5، ص288.

(4)- في المصدر: «المزني» وما أثبت من الرواية المتقدمة، ومصادر ترجمته.

(5)- تاريخ الخلفاء لمجهول، ص360.

قال بشر: « ففعل أبو بكر، فغضب من ذلك زيد بن حسن، فقال لأبي بكر قولاً نال فيه من عمر، وقال فيما قال: يسوي بيني وبين الصبيان. فقال أبو بكر: لا تبلغ هذه المقالة عنك أمير المؤمنين فيغضبه ذلك، وهو حسن الرأي فيكم.

قال زيد: فأسألك بالله! إلا كتبت إليه تخبره بذلك. فكتب أبو بكر إلى عمر يذكر له: أن زيد بن حسن قال مقالة فيها غلظة، وأخبره بالذي قال، وقلت: يا أمير المؤمنين، إن له قرابة ورحماً. فلم يبال [به] ⁽¹⁾عمر، وتركه ⁽²⁾.

عبد القادر للعطوم الإسلامية

(1) - إضافة من تاريخ الخلفاء، وعند ابن سعد ناقصة.

(2) - ابن سعد، الطبقات، ج 5، ص 287-288؛ تاريخ الخلفاء لمجهول، ص 360.

الفصل الخامس

شروط ومواصفات اختيار الخلفاء والولاة

الأمويين لعماهم، مراقبتهم وما استتبع من خلال وصاياهم

❖ أولاً: تمهيد

❖ ثانياً: شروط تعيين الخلفاء الأمويين لعماهم من خلال وصاياهم

- 1- وصية يزيد لسلم بن زياد
- 2- وصايا عمر بن عبد العزيز لولائه
- أ- وصايا عمر بن عبد العزيز في مواصفات من يستعان به على أمور المسلمين
- ب- وصايا عمر بن عبد العزيز في عدم الاستعانة بأهل الذمة في أعمال المسلمين

❖ ثالثاً: وصايا الولاة لعماهم

- 1- تمهيد: شروط ومواصفات اختيار الولاة الأمويين لعماهم، وما ينبغي ان يتصفوا به
- 2- وصايا زياد بن أبيه لعماه
- أ- عهد زياد بن أبيه في وصية له لمن يرد الاستعانة بهم في الأعمال
- ب- وصية زياد لعماه أن يستعينوا على أعمالهم بعمال العذر
- 3- وصايا عمر بن هبيرة لعماه
- 4- وصية قره بن شريك لبسيل نائبه على كورة أشقوة

❖ رابعاً: وصايا الخلفاء والولاة المتعلقة بمراقبة أعوانهم ومحاسبتهم

- 1- وصية عمر بن عبد العزيز لرياح بن عبيدة أن يسأل أهل العراق عن سيرة عمالهم
- 2- وصية عمر بن عبد العزيز لمزاحم بن أبي مزاحم بمراقبته ووعظه إذا أخطأ
- 3- وصية هشام بن عبد الملك ليوסף بن عمر بمحاسبة خالد بن عبد الله القسري وعماله
- 4- وصية قره بن شريك لعامله بسيل بمراقبة عماله وتفقدهم

الفصل الخامس: شروط ومواصفات اختيار الخلفاء والولاة الأمويين لعمالهم، مراقبتهم ومحاسبتهم

من خلال وصاياهم

أولاً: تمهيد

حرص الخلفاء الأمويون وولاةهم على تسيير وتدبير شؤون دولتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وحسب ما توفر لهم من إمكانيات وساعدتهم الظروف، ذلك أن الدولة ما زالت تتوسع بفعل الفتوح، ومن ثم تحتاج إلى تنظيم ما فتح، إدارياً ومالياً وسياسياً متبعين في ذلك أسس وقواعد وآليات تتيح لهم إدارتها بأقل التكاليف والخسائر، فاصلين بين السلطات في الولايات ذات الأهمية الكبرى مثل العراق والشام ومصر وخراسان، خاصة الجهاز المشرف على الجباية والإنفاق الذي عرف القائم عليه بصاحب الخراج أو والي الخراج، واضعين قواعد وشروط لاختيارهم، وإن كان ذلك يختلف من إقليم إلى آخر، ومن فترة لأخرى وفي أحيان أخرى يجمعون السلطتين السياسية والمالية تحت نظر واحد إن كانت الولاية ليست بذات أهمية، متابعين لهم بالرقابة والتوجيه والمحاسبة.

كما حرص الخلفاء أن يكون على رأس الولايات الكبرى رجال إما من البيت الأموي نفسه، كما أول الأمر مع مصر والحجاز، الأولى إلى سنة 90هـ الذي استبدل عبد الله بن عبد الملك بقره بن شريك وهو من بني عبس⁽¹⁾، والثانية إلى سنة 93هـ بعزل عمر بن عبد العزيز عنها، فولي الوليد على المدينة عثمان بن حيان المري، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري وهما من المواليين لبني أمية مع أن الحجاج هو الذي اقترحهما على الوليد، أما العراق فحكمه رجال من ثقيف ابتداءً بولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة 42هـ وزياد بن أبيه سنة 45هـ على البصرة إلا من بعض الفترات في سنوات الاضطراب، التي أعقبت انسحاب عبيد الله بن زياد منه سنة 64هـ إلى سنة 71هـ حتى مجيء الحجاج واليا عليه وعلى سائر بلاد الشرق، ثم تغير الاعتماد قليلاً

وقد سن هذه السياسة معاوية بن أبي سفيان بالاستعانة، من ذلك أنه جعل ولاية الحجاز من نصيب أقاربه، و«كان إذا أراد أن يولي رجلاً من بني حرب ولاة الطائف، فإن رأى منه خيراً وما يعجبه ولاة مكة، معها فإن أحسن الولاية وقام بما ولي قياماً حسناً جمع له معهما المدينة، فكان إذا

(1) -الكندي: الولاة والقضاة، ص 48 وما بعدها؛ تاريخ الطبري، 6، ص 442؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها،

ولى الطائف رجلا قيل هو في أبي جاد، فإذا ولاه مكة قيل هو في القرآن، فإذا ولاه مكة قيل: هو في القرآن، فإذا ولاه المدينة قيل: هو قد حذق»⁽¹⁾.

وقد لعب عنصر الولاء دورا مهما في تعيين بعض الخلفاء لولايتهم، فقد ولى معاوية بن أبي سفيان، عمر بن العاص على مصر مقابل موقفه معه في موقعة صفين، بل أعطاه حرية التصرف بوارداتها المالية دون أي تدخل منه⁽²⁾.

وقد كانت سطوة الحجاج وما أبداه من كفاءة في مناصبه السابقة، إضافة إلى شدته وطريقته الفعالة في استعادة الأمن والنظام في الحجاز، كل ذلك كان كافيا لتعيين عبد الملك له على ولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان، وما كاد ينتهي الحجاج من إخماد الفتنة حتى وسع الخليفة من دائرة ولايته فأصبحت في سنة 78 هـ تشمل خراسان وسجستان⁽³⁾.

وإلى جانب الكفاية والمقدرة الإدارية، كان الأمويون يحرصون على أن يكون ولايتهم من أهل النزاهة والأمانة والاستقامة وحسن الخلق، فقد عزل معاوية بن أبي سفيان ابن أخته عبد الرحمن بن عبد الحكم عن ولاية الكوفة لما بلغه أنه أساء السيرة⁽⁴⁾، وعزل عبد الملك بن مروان أحد عماله لما بلغه أنه قبل هدية⁽⁵⁾.

وقد انفرد عمر بن عبد العزيز من بين خلفاء بني أمية باختيار من له ورع وتقوى وشرف ليتولى له الأعمال، وكان لا يقطع أمرا حتى يشاور أعوانه ومن استخلصهم لنفسه من العلماء⁽⁶⁾، فقد قال حينما أراد تعيين والي على مصر: «دلوني على رجل من أهل مصر له شرف وصلاح أوليه صلاحها»⁽⁷⁾، كما عين عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد (ت120) على الكوفة وكان عالما ثقة في الحديث ومن سادات المدينة⁽⁸⁾، ولئن ولى عبد الملك بن مروان الحجاج العراق لشدته وسطوته، فإن عمر بن عبد

(1) - تاريخ الطبري، ج5، ص 296

(2) - الدينوري: الأخبار الطوال، ص222؛ المبرد: الكامل في التاريخ، ج2، ص707.

(3) - تاريخ الطبري: ج6، ص319.

(4) - البلاذري: أنساب، ج5، ص137..

(5) - المصدر نفسه، ج2، ص390؛ عبد الشافي: العالم لإسلامي، ص466.

(6) - أنظر الوصية رقم:68.

(7) - الكندي: ولاة مصر، ص67.

(8) - ابن سعد: الطبقات، ج5، ص332؛ ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص209؛ الصفدي: الوافي بالوفيات،

ج18، ص42.

العزير ولى عبد الرحمن بن نعيم⁽¹⁾ لأنه «ضعيف لئن يحب العافية، وتأتي له»، وقال عنه «الذي يحب العافية وتأتي له أحب إليّ، فولاه الصلاة والحرب»⁽²⁾.

وقد حذا الولاة الأمويين حذو خلفائهم في اختيار من يساعدهم على إدارة الأقاليم الصغيرة التابعة لولاياتهم.

كان الخلفاء الأمويون قد اتبعوا في إدارة الولايات سياسة اللامركزية، إذ أعطوا لولايتهم حرية واسعة في إدارتها، وذلك بأن يسيّر الوالي ولايته حسب ما يراه مناسباً وما تقتضيه الظروف دون الرجوع في ذلك إلى الخليفة، ومن بين الأعمال التي تتجلى فيها سياسة اللامركزية بشكل واضح في الروايات التاريخية التي وصلتنا، عملية تعيين العمال على الأقاليم التابعة لهم خاصة ولاية الحجاز ومصر والعراق وخراسان وأرمينية، والثغور الجزرية والشامية واليمينية، فقد وصى⁽³⁾ الحجاج المهلب بن أبي صفرة بتعيين من يلي أعمال كرمان⁽⁴⁾، وجاء هذا التفويض كتكريم ومكافأة له على ما أبلاه في حربه للأزارقة، وبعد أن تدعمت ثقة الحجاج في أمانة وإخلاص وكفاءة المهلب، فاستغل المهلب فرصة هذا التعيين فألحق ابنه يزيد بطاقمه الإداري وفسح له المجال ليكون جزءاً من الإدارة الأموية وولاه كرمان⁽⁵⁾.

كذلك استخلف الحجاج حين حضرته الوفاة: «على حرب البلدين-البصرة والكوفة- والصلاة بأهلهم يزيد بن أبي كبشة، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم، فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم، أقرهم بعده على أعمالهم التي كانوا عليها في حياته»⁽⁶⁾، إلا أن هذا التعيين لم يكن في كل الأحوال بعيداً عن نظر

(1) - عبد الرحمن بن نعيم الغامدي: ولاة عمر بن عبد العزيز حرب خراسان وسجستان سنة 100هـ وبقي خليفها حتى مات عمر وأبقاه يزيد بن عبد الملك عليها ثم ما لبث أن عزله سنة 102هـ بعد مقتل يزيد بن المهلب فكانت ولايته على خراسان 16 شهراً. تاريخ الطبري، ج6، ص562.

(2) - تاريخ الطبري، ج6، ص561.

(3) - المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص286 وما بعدها؛ ابن أبي الحديد: شرح نصح البلاغة، ج4، ص220 وما بعدها.

(4) - كرمان: وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. اليعقوبي: البلدان، ص41، ابن الفقيه: البلدان، ص413، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص454.

(5) - المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص287.

(6) - تاريخ الطبري، ج6، ص49.

الخليفة وإشرافه وموافقته، فقد كان يضطر أحيانا إلى عزل قسم كبير من هؤلاء العمال⁽¹⁾ وتعيين آخرين حسب الظروف السياسية التي تتطلبها الوضع في الإقليم⁽²⁾، فقد ذكر ابن خياط أن خالد بن عبد الله ولي أخاه أسد بن عبد الله خراسان، ثم عزله هشام سنة 180 هـ.

كما حرص الولاة على أن يكونوا على ولاء تام، ومؤيدين لسياسة خلفائهم، وأن يكونوا محل ثقة هؤلاء الخلفاء⁽³⁾.

وبالرغم من أن اختيار الولاة الأمويين قد تم على أساس من الثقة والترابط القوي، وبالرغم من أن الخلفاء قد سمحوا للولاة بالاستقلال الإداري في ولاياتهم والأقاليم التابعة لهم، إلا أنهم كانوا يراقبونهم يتابعونهم ويحاسبونهم مقتدين بذلك بالخلفاء الراشدين، فلما تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد أبي بكر اتسعت الدولة الإسلامية، ودخل في الإسلام أفراد وجماعات جديدة، ازدادت موارد الدولة وكثرت نفقاتها مما تطلب رقابة أشد مما سبق، ويمكن اعتبار خلافة عمر من الناحية المالية والرقابة عليها مرحلة مميزة عن سابقتها ولاحتقتها، نظرا لما وضع فيها عمر من أسس وقواعد تكفل أحكام الرقابة على أموال الدولة⁽⁴⁾.

استمرت الرقابة أيام الخلفاء الأمويين، بل تطورت أساليبها وصورها أيضا، واستحدثت الأمويون بعض الأمور في هذا المجال مع مراعاة التغييرات التي اقتضتها الضرورة⁽⁵⁾.

تابع معاوية بن أبي سفيان سياسة من سبقه، وخصوصا عمر بن الخطاب، في الحرص على مراقبة ومحاسبة عماله بدقة، فيطلب إليهم رفع حسابهم إليه، وإذا ما لاحظ مخالفة حاسب عليها، حتى أقرب وأخلص الناس إليه عامله وأخوه زياد بن أبيه، ونشير هنا إلى مناسبة استحداثه ديوان الخاتم الذي كان على خلفية مالية وتدقيق معاوية لحساب زياد، «وذلك عندما أمر معاوية لعمر بن الزبير في معونته وقضاء دينه بمائة ألف درهم، وكتب بذلك إلى زياد بن سمية وهو على العراق، ففرض عمرو الكتاب وصير المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية، فأخذ عمرو بردها وحبسها، فأداها عنه أخوه عبد الله بن الزبير، فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وخزم الكتب، ولم تكن تخزم»⁽⁶⁾.

(1) - تاريخ خليفة، 358.

(2) - أزهار هادي فاضل: سياسة تعيين ولاة العراق، ص 27.

(3) - حسن حسين: الولاة والعمال في الجهاز الإداري في صدر الإسلام، ص 91.

(4) - فالج حسين: محاسبة العمال والموظفين، ص 107.

(5) - المرجع نفسه، ص 119.

(6) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 330.

وفي الحقيقة فإن تأسيس ديوان الخاتم أملتته ظروف اتساع الدولة الإسلامية في عهد معاوية، وحاجة الخليفة إلى نظام اتصال آمن وسري لمتابعة عماله وقواده ورجال دولته⁽¹⁾.

وقد باشر معاوية سلطة الرقابة على أعمال ولايته، وذلك عن طريق إصداره تعليمات ومنشورات يهتدون بها في أعمالهم .

كما باشر هذه الرقابة عندما أنشأ ديوان البريد الذي سرعان ما تطور فأصبح يشمل بجانب إيصال الأخبار، الرقابة على عمال الخليفة وموافاة الخليفة بجميع الشؤون في ولاياتهم من خير أو شر، وكانت هناك رقابة لاحقة من الخليفة على ولايته، تتمثل فيما كلف به هؤلاء الولاة من رفع تقارير عن أعمالهم إلى الخليفة⁽²⁾.

كذلك انتهج الولاة نفس سياسة الخلفاء في مراقبتهم للعمال الذين تم تعيينهم على المقاطعات التابعة لولاياتهم، فقد كان زياد يضع لعماله شروطه ويوضحها في ما يشبه عقد التوظيف للعامل، ومن ثم يكون الجزاء من جنس العمل، الأمين القوي؛ يكافأ ويرفع ذكره بين الناس وعند الخليفة، أما الضعيف الخائن؛ يستبدل، يؤدب ويغرم، ومن هذه الوصية نستطيع أن نتلمس أن زيادا كانت ترد عليه أخبار العمال وينصب عليهم رقابة شديدة، ثم من خلالها يحاسبهم، وبهذا استطاع أن يضبط زيادا أكبر أقاليم الدولة الأموية وأصعبها⁽³⁾.

وكان زياد حازما في الرقابة المالية على ما يدخل ويخرج لخزينة الدولة، فيما يذكر البلاذري: «فكان يجلس في كل يوم جمعة، فيسأل رسل عماله عن بلادهم وينظر فيما قدموا له وفي أمر الأموال والنفقات، ثم يأتيه عماله على دار الرزق والكلاء⁽⁴⁾ والسوق فيسألهم عما ورد دار الرزق، وعن الأسعار والأخبار وما يحتاجون إليه من مصالحهم»⁽⁵⁾. وهذا يؤكد اهتمام زياد البالغ في مراقبة عماله والاطلاع أولا بأول على أعمالهم وتصرفاتهم.

(1) - الصلابي: الدولة الأموية، ص 233.

(2) - مسعود أحمد مصطفى: أقاليم الدولة الإسلامية، ص 165.

(3) - انظر الوصية رقم: 60.

(4) - الكلاء: مكان ترفأ فيه السفن، وهو ساحل كل نهر. ابن منظر: لسان العرب، ج 1، ص 146. «مادة كلاء».

(5) - البلاذري: أنساب، ج 5، ص 214.

ثانياً: شروط تعيين الخلفاء الأمويين لعماهم من خلال وصاياهم

1- وصية يزيد لسلم بن زياد

وصية يزيد بن معاوية لسلم بن زياد لما ولاه على خراسان

-رقم: 54-

اتبع يزيد بن معاوية أسساً في اختيار الولاة تراوحت بين القرابة والكفاءة والشرف الاجتماعي فقد استعمل سلم بن زياد بن أبيه على خراسان فأوصاه:

رواية الجاحظ - رقم: 54-	رواية الحصري - رقم: 54أ-
«قال الهلالي ⁽¹⁾ : لما ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان قال له:	أما الحصري فذكر رواية أخرى قال: «قال يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد :
«إن أباك كفى أخاه عظيماً، وقد استكفيتك صغيراً، فلا تتكلن على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك	إن أباك كفى أخاه عظيماً، وقد استكفيتك صغيراً، فلا تتكلن مني على عُذْر، فقد اتكلت منك على كفاية
وإياك مني قبل أن أقول إياي منك، فإن الظن إذا أخلف مني فيك أخلف منك في ⁽²⁾ ، وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه، وقد أتعبك أبوك، فلا تريحن ⁽³⁾ نفسك،	ولأن أقول لك: إياك، أحب إلي من أن أقول: إياي؛ فإن الظن إذا أخلف فيك أخلف منك، فلا تُرِحْ نفسك وأنت في أدنى حظك، حتى تَبْلُغَ أقصاه
وكن لنفسك تكن لك، واذكر في يومك أحاديث غدك ⁽⁴⁾ تسعد ⁽⁵⁾ - إن شاء الله- ⁽⁶⁾ .	واذكر في يومك أخبار غدك، واسترديني بإحسانك إلى أهل الطاعة، وإساءتك إلى أهل

(1) - الهلالي هذا لم نعرف من هو، ولكن جاء عند ابن عساکر: عن ابن الكلبي.

(2) - عند ابن قتيبة وابن عساکر: «...فإن الظن إذا أخلف فيك أخلف منك...».

(3) - عند ابن عساکر «ترح»؛ ابن منظور: «ترحن»؛ وعند الوطواط: «ترين». وتنتهي عند ابن عبد ربه وسبط بن الجوزي «فلا تريحن نفسك».

(4) - نهاية الرواية عند ابن عساکر، وابن حمدون، ونهج البلاغة

(5) - عند ابن قتيبة: «ترشد».

(6) - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص102؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1، ص189؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد،

الفريد، ج1، ص14؛ الآبي: نثر الدر؛ ج3، ص25؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج22، ص143؛ ابن

منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج10، ص96؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج1، ص429؛ سبط بن

المعصية، أزدك - إن شاء الله تعالى -»⁽¹⁾.

هكذا جاءت هذه الوصية في العديد من المصادر ناسبة إياها ليزيد بن معاوية الذي أوصى بها سلم بن زياد، غير أن الوطواط⁽²⁾ نسبها لمعاوية الذي أوصى بها مسلم بن زياد، أما الأبي⁽³⁾ فنسبها ليزيد بن معاوية أوصى بها مسلم بن زياد، وهذا بعيد عن الحقيقة لأن مسلم بن زياد لم تثبت ولايته على خراسان لا في عهد معاوية ولا في عهد يزيد بن معاوية⁽⁴⁾، ويظهر أنه وقع تصحيف في اسم سلم بن زياد، وسقط اسم يزيد وبقي معاوية.

وإذا ما أردنا تقييم أداء يزيد في هذا التعيين نقول بأن معاوية لما استكفى زيادا العراق كان قد علم يقينا خبرة زياد وسيرته قبل توليته لم تكن خافية عليه، أما يزيد فقد كان يرجوا من سلم أن يكون كوالده، لاحتكاكه واطلاعه على أساليب إدارته، مذكرا إياه بما ينبغي أن تكون عليه إدارته لما ولي عليه، وقد أثبت سلم بن زياد بالفعل كفايته في إدارة خراسان والدليل على ذلك ما تناقلته كتب التاريخ من أخباره، من ذلك ما وصف مسكويه مكانته عند أهل خراسان: «... وكان أهل خراسان أحبوا سلما محبة ما أحبوا واليا قط، وسمى باسمه أيام ولايته، أكثر من عشرين ألف مولود»⁽⁵⁾، كما ذكر الطبري له عدة مغاز قاده على الجبهة الشرقية، وهذا يدل على حسن سيرته وكفايته⁽⁶⁾.

2- وصايا عمر بن عبد العزيز لولائه

تتجلى في فترة حكم عمر بن عبد العزيز إيجابيته وقدرته على حسن اختيار أعوانه، فقد كان يدرك تمام الإدراك، أن نجاحه في الإصلاحات التي ينوي القيام بها على مختلف الأصعدة مرهون بأعوان يبادلونه الاهتمامات والمشاعر نفسها، ويتحملون معه جزءا غير يسير من المسؤولية، ومن ثم سارع إلى تغيير الرجال الذين عملوا لصالح الخلفاء السابقين، واستبدل بهم رجالا آخرين اختارهم بنفسه من

الجوزي: مرآة الزمان ، ج7، ص 311؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج15، ص 96؛ القلعي، علي بن

الحسن: تهذيب الرياسة ، ج1، ص273؛ الوطواط: غرر الخصائص الواضحة، ص132.

(1) - زهر الآداب، ج2، ص367.

(2) - نثر الدر، ج3، ص24.

(3) - غرر الخصائص الواضحة، ص132.

(4) - اليعقوبي: البلدان، ص127-131.

(5) - تجارب الأمم، ج2، ص601.

(6) - تاريخ الطبري، ج5، ص473.

العناصر المشهود لهم بالكفاءة، ومن توسم فيهم الصلاح⁽¹⁾، والتقوى والعل والنزاهة، والإخلاص، اللهم إلا من لم تغير المسؤولية من فضائل أنفسهم فقد أقرهم في مناصبهم، وكان إذا خُذع في شخص، وخاب ظنه فيه، وتبين له بعد ذلك أنه لم يكن في المستوى، سيرة حسنة، وكفاءةً ومقدرةً عاليةً عزله⁽²⁾.

وكان عمر بن عبد العزيز يدرك أن صلاحه واستقامته لا يكفيان لتحقيق الإصلاح الذي باشر خوض غماره، ولذلك راح يكتب الصالحين من العلماء يطلب منهم النصائح والتوجيه لما ينبغي أن تكون عليه سياسته، وتارة أخرى يطلب منهم المعاونة، فإن لم يكن ذلك أرشده إلى من يساعده على ما ولي عليه، إذ روي أنه: «كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري عند ما ولي الخلافة: أشر علي بقوم أستعين بهم على أمر الله فكتب إليه أما أهل الدين فليس يريدونك ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة»⁽³⁾، كما أرشده محمد بن كعب⁽⁴⁾ إلى الأوصاف التي ينبغي أن تكون في أعوانه ومن يريد الاستعانة بهم باعتبارهم مرآة لسيرته وصورة عاكسة لسياسته، قال له: «لا تتخذن وزيراً إلا عالماً، ولا أميناً إلا بالجميل معروفاً، وبالمعروف موصوفاً، فإنهم شركاؤك في أمانتك، وأعوانك على أمورك، فإن صلحوا أصلحوا، وإن فسدوا أفسدوا»⁽⁵⁾.

إضافة إلى اهتمام عمر بن عبد العزيز باختيار مساعديه وولاته، فقد كان يختبرهم قبل توليتهم⁽⁶⁾، كما كان إلى جانب حرصه على حسن اختيار وولاته وعماله، يتتبع أخبارهم ويراقب تصرفاتهم، ويوصيهم بأن يكون عمالهم ومن يريدون الاستعانة بهم كذلك أحسن الرجال سيرة وأحسنهم سريرة، والوصايا الموالية تشهد على ذلك.

(1) - استشار عمر بن عبد العزيز فيمن يوليه مصر قائلاً: «دلوني على رجل من أهل مصر له شرف وصلاح أوليه

صلاًقاً»، الكندي: الولاة والقضاة، ص 51.

(2) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 10.

(3) - عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير، ج 4، ص 110.

(4) - محمد بن كعب: ابن حيان بن سليم، الإمام العلامة الصادق، أبو حمزة وقيل أبو عبد الله القرظي المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة ثم المدينة، وكان من أوعية العلم، توفي سنة 108 هـ.

ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 340، الذهبي: سير أعلام، ج 5، ص 65-66.

(5) - القالي: الأمالي، ج 2، ص 29؛ محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 47.

(6) - انظر الوصية رقم: 60.

أ- وصايا عمر بن عبد العزيز في مواصفات من يستعان به على أمور المسلمين

وصية عمر بن عبد العزيز لعبد الرحمن بن نعيم

يرشده إلى من ينبغي أن يعتمد عليهم في إدارته

-رقم: 55-

سلك عمر بن عبد العزيز مسلكاً آخر في اختياره لأعوانه، مغاير تماماً لما اعتمده الخلفاء الأوائل، فلئن اعتمد معاوية بن أبي سفيان على قوة زياد بن أبيه، لأن عهده كان عهد تأسيس وإثبات وجود، ولئن اعتمد عبد الملك بن مروان على صرامة الحجاج لأن عهده كان عهد اضطرابات وفتن، فإن عمر بن عبد العزيز برفعه راية الإصلاح وإعادة الأمور إلى نصابها كان يفضل اللين والعافية، فقد ذكر الطبري أن عمر بن عبد العزيز لما أراد أن يولي عاملاً على خراسان سأل أبا مجلز لاحق بن حميد⁽¹⁾ عن عبد الرحمن بن نعيم فأجابه بأنه: «ضعيف لئيب يحب العافية، وتأتي له»، فقال عمر بن عبد العزيز: «الذي يحب العافية وتأتي له أحب إليّ، فولاه الصلاة والحرب»⁽²⁾، ولم ينس تزويده بنصحه وإرشاده، فعن إبراهيم الصائغ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:

«أما بعد، فكن عبداً ناصحاً لله في عبادته، ولا يأخذك في الله لومة لائم، فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، فلا تولين شيئاً من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم، والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استرعي، وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق، فإن الله لا تخفى عليه خافية، ولا تذهبن عن الله مذهبا، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه»⁽³⁾.

وصيته إلى عدي بن أرطاة في الغرض السابق

-رقم: 56-

وعن حجاج بن شابور قال: «كتب عدي بن أرطاة»⁽⁴⁾ إلى عمر بن عبد العزيز يسأله أمناً⁽¹⁾.

(1) - أبو مجلز لاحق بن حميد: ابن شيبه بن خالد السدوسي من أهل البصرة كان ينزل خراسان وولي بيت مالها وعلى ضرب السكة دون تحديد لتاريخ التولية، كان ثقة توفي سنة 101هـ، وقيل سنة: 106هـ، أو 109هـ. ابن قتيبة: المعارف، ص 466. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 64، ص 20 وما بعدها.

(2) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 561.

(3) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 561 وما بعدها؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 12، ص 667.

(4) - عدي بن أرطاة: بن جداية بن لوزان الفزاري، ويقال من بني خزامة بن لوزان. من أهل دمشق، كان من العقلاء الشجعان، وولاه عمر ابن عبد العزيز على البصرة سنة 99 هـ. قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط في فتنة

قال فكتب إليه:

لا أنت قارئ مسدد، ولا فاتك مشتهر، وعليك بأوسط الناس، فهو خيار الناس، وهم الذين لا يدعون باطلا، ولا يكتمون حقا»⁽²⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 56أ-

وقال حجاج: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي:

« ليكن أمتاؤك أوساط الناس؛ لا يدعون حقا، ولا يكسبون⁽³⁾ باطلا، لا أنت ولا قارئ مسدد ولا فاسق مبرز»⁽⁴⁾.

وصيته إلى عدي بن أرطاة يأمره أن يختار العرفاء من ذوي الأمانة

-رقم: 57-

كان العرفاء صلة الوصل بين الأمير والرعية، عليهم يعتمد في تثبيت سلطانه في إدارة المصر، وتوزيع العطاء على مستحقيه، وإطلاع الأمير على المستجدات كل في منطقة عرافته، إلا أنه ونظرا لهذا الدور المتعدد الذي يلعبه العريف، قال مسلمة بن محارب: «كتب عمر إلى عدي: إن العرفاء من عشائريهم بمكان، فانظر عرفاء الجند؛ فمن رضيت أمانته لنا ولقومه، فأثبتته، ومن لم ترضه فاستبدل به من هو خير منه، وابلغ في الأمانة والورع»⁽⁵⁾.
الحقيقة أن ما اشترطه الخليفة في العرفاء، لم يقتصر عليهم بل كان شاملا في كل من استعان به في أي عمل من الأعمال.

وصية عمر بن عبد العزيز لعماله بأن يستعينوا بأهل القرآن

أبيه يزيد بالعراق سنة 102هـ. تاريخ خليفة، ص 325؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 40، ص 60-65؛

الزركلي: الأعلام، ج 4، ص 219.

(1) - لعله سأله عن مواصفات من يستعين بهم في أعماله، كما في الرواية الموالية.

(2) - ابن ماكولا: تهذيب مستمر الأوهام، ص 281.

(3) - عند الملاء: « يكتمون».

(4) - ابن عبد الحكم: سيرة عمر، ص 146؛ الملاء: الكتاب الجامع، ج 1، ص 262 وما بعدها، نقلا عن محمد فرقاني:

رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 123.

(5) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 293.

-رقم: 58-

بلغ عبد الوهاب بن الورد أن عمر كتب إليهم⁽¹⁾:

«إياكم أن يبلغني عنكم أنكم استعملتم على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن، فإنه إن لم يكن عند أهل القرآن خير، فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير»⁽²⁾.

وصية عمر بن عبد العزيز لعماله يأمرهم ألا يستعينوا

إلا بأهل الخير في أعمالهم

-رقم: 59-

عن أبي المفضل بن غسان فيما يرويه عن شيخ من أصحابه قال: كتب عمر إلى عماله:

«إياكم أن تستعينوا بأهل الشر، فيظهر أهل الباطل على أهل الحق، واستعينوا بأهل الخير،

يظهر أهل الحق على أهل الباطل»⁽³⁾.

وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة بتجنب استعمال

بلال بن أبي بردة في أعماله

-رقم: 60-

عن يعقوب بن عبد الرحمن القاري، قال: قدم بلال بن أبي بردة على عمر بن عبد العزيز بخاصرة، وأعجب به عمر، وبما رأى من سمته وصلاته، وكان ذا عمامة سوداء يُسدِّها من بين يديه ومن خلفه، فهم عمر أن يستعمله ثم خشى أن يكون باطنه خلاف ظاهره، فدس إليه مزاحما مولاه، وقال له: انظر لي من أمره، واعرف خبره، فأتاه مزاحم، وأنسه، وقال له: مالي عندك إن استعملك أمير المؤمنين من العراق، قال: مائة ألف أعجلها، ومائة ألف درهم تأتيك من العراق. فأتي مزاحم عمر، فأخبرهم فأمر به عمر فنحى به من خنصرة، وقال: لا يبيتن في عسكري، وكتب إلى عدي:

«أحذرك بلالاً⁽¹⁾ بلال الشر، فلا تستعمله، ولا عيينة بن أسماء⁽²⁾، وحوشب بن يزيد⁽³⁾ فإنهم

فإنهم من بقايا الشر»⁽⁴⁾.

(1) - هذا الكتاب حققه وعلق عليه محمد فرقاني، أنظر: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج2، ص125 وما بعدها.

(2) - ابن الجوزي: سيرة عمر، ص120؛ الملاء: الكتاب الجامع، ج1، ص142؛ حمد بن محمد الموصلي: حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، ص168، ولا سند لروايته؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص701. نقلا عن محمد

فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج2، ص125 وما بعدها.

(3) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج45، ص212.

في هذه الوصايا يوضح عمر بن عبد العزيز منهجه لعماله ويحدد شروط اختيارهم لأعوانهم، وأول ما يبدأ به الاستعانة بأهل القرآن، الذين هم العلماء ويرجع ذلك كون عمر نشأ في المدينة وتلقى تعليمه فيها وخالط العلماء والقراء ومن له اتصال دائم بالقرآن، فخير أمرهم واطلع على خصالهم، فأدرك أن سرائرهم طاهرة وصافية، وأعمالهم لا تتخطى أحكام القرآن وقلوبهم متعلقة بالله عز وجل وبالآخرة وهم أنفرت الناس عن الدنيا، فأراد أن يشركهم في إدارة الدولة.

ذلك هو أمل عمر بن عبد العزيز - وقد تحقق - أن يتأسى به أعوانه وينتهجوا نهجه ويتأسى بهم ممن هم تحت إمرتهم، فلا إصلاح دون عناصر صالحة، وقد وصف أيضا ابن كثير قيمة هؤلاء الرجال

(1) - بلال بن أبي بردة: عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري أبو عمرو، ويقال أبو عبد الله، كان راوية فصيحاً أدبياً ذا رأي ودهاء، وكانت ولايته للبصرة من جهة خالد بن عبد الله القسري سنة 109 هـ، تولى بها الشرطة والصلاة والقضاء فبقيت ولايته 10 سنين، فلما ولي العراق يوسف بن عمر الثقفي حبسه، وكان من عادته أن مات في السجن سلمه إلى أهله فأعطى بلال للسجان مائة ألف درهم على أن يعلم يوسف بن عمر أنه مات رجاء أن يسلمه إلى أهله فقال يوسف أرنيه ميتاً فجاء السجان فغمه إلى أن مات وأراه إياه، وكان بلالاً ظلوماً ما يبالي ما صنع في الحكم وغيره، وقيل أن أول من أظهر الجور من القضاة في الحكم بلال بن أبي بردة. المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص40؛ وكيع: أخبار القضاة، ج2، ص36؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج10، ص507-519؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص380.

(2) - عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري: كان ممن شارك في العصية التي قامت بين قيس وتغلب بعد موقعه مرج راهط التي اقتتل فيها الطرفان حتى تدخل الخليفة عبد الملك فأصلح بينهما، وكان إلى جانب عبيد الله بن زياد زوج أخته هند عندما قصد العراق لمقاتلة المختار بن أبي عبيد، ولهذا رفض عمر الاستعانة برجل صيغ يده في دماء المسلمين. تاريخ الطبري، ج6، ص90؛ ابن الأثير: الكامل، ج3، ص381، ج4، ص6، محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج2، ص104 وما بعدها.

(3) - حوشب بن يزيد بن الحارث الشيباني: استعمله الحجاج على شرطته ثم عينه على راذان بنواحي بغداد، ولما عمل للحجاج رفض الخليفة الاستعانة به كذلك، ابن سعد: الطبقات، ج6، ص76، 195، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص12 وما بعدها؛ محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج2، ص104.

(4) - وكيع: أخبار القضاة، ج2، ص27؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ص113؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج10، ص510؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج5، ص271؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج8، ص50؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج1، ص439؛ نقلاً عن محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج2، ص103 وما بعدها.

ومكانتهم بعد دراسة لما قاله في حقهم الأئمة الأعلام، قال: «ولقد صرح كثير من الأئمة، بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة»⁽¹⁾.

وحققت هذه السياسة نتائج مرضية، وحقق ما كان يرجوه، فقد جاء تقييم المسعودي لهذا التغيير دقيقاً وشاملاً، قال: «فصرف عمال من كان قبله من بني أمية واستعمل أصلح من قدر عليه، فسلك عماله طريقته»⁽²⁾.

ومما سبق نرى أن أمير المؤمنين أحاط نفسه وأعوانه برجال مخلصين ينظرون إلى الحقائق بصدق وواقعية، فأصبحت نتيجة لذلك الآراء الصادقة هي الرائجة، ونفقت سوقها، وتوارى أولئك الرجال الذين كانوا يقبلون الحقائق، ويغلفون آراءهم بالباطل والنفاق، وكان من نتيجة ذلك أن امتص كل حركة معارضة كان من الممكن أن يُتخذ ابتعاده وأعوانه عن إقامة شريعة الله في أرضه - لو فعل ذلك - حجة لتشويه سمعته، وحافزاً لاستقطاب كل متذمر وحانق وموتور بدفعه للخروج عليه.

إضافة إلى ذلك، كسبه لثقة الجماهير بتروسيخ وتوسيع ولائها وطاعتها له، وكذا انتشار الأمن والاستقرار والهدوء، ومن ثم أصبحت الحلول التي توضع لمعالجة المشاكل تحقق هدفها، خاصة وأن أمير المؤمنين كان قد اكتسب تجربة في ذلك من أيام إمارته على الحجاز، وحقق نتائج طيبة⁽³⁾.

ب- وصايا عمر بن عبد العزيز في عدم الاستعانة بأهل الذمة في أعمال المسلمين

بالرغم مما قام به الخليفة عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف نائبه على العراق من جهود في تعريب الإدارة المالية، ومن بعدهما عبد الله بن عبد الملك والي مصر (86-90هـ)، وإحلال كُتاب مسلمين مكان الذميين، إلا أن نفوذهم في الإدارة استمر قائماً، نصارى في مصر والشام، ومجوس في الجناح الشرقي على الخصوص، فأدى هذا إلى الفتور في تفعيل المراسيم والأوامر الموجهة للقائمين على هذه المؤسسات، خصوصاً بعد انحراف خلفاء بني أمية وأعوانهم عن الأصول الإسلامية العامة للموارد المالية التي تحددت بالكتاب والسنة، مستغلين حاجة الدولة إلى المال والأنصار حتى تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز الذي خطا خطوة أكثر إيجابية في تحرير الإدارة من هذه السيطرة باستبدالهم بعناصر مسلمة كُفؤة⁽⁴⁾.

وصية عمر لعدي ألا يستعين في عمله بكاتبه النصراني

(1) - البداية والنهاية، ج12، ص710.

(2) - مروج الذهب، ج3، ص183.

(3) - مُجَدِّ فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج1، ص252 وما بعدها.

(4) - نقلاً عن مُجَدِّ فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج2، ص111.

-رقم: 61-

قال المدائني: أن عمر كتب إلى عدي:

«إن الله جعل لأهل الخير أعوانا عليه، ولأهل الشر أصحابا مُزَيَّينَ له، وقد نهيته عن كاتبك فلم أرك متحاشيا لذلك، ولا زاجرا له عن ظلم الرعية، وانتقاص حقوقهم، وإنك حين تفعل ذلك يا عدي لمُعْتَرِّبِي، تارك حظك من الله! فاطرُدْ عنك هذا الشائن، ولا تشركه في أمانتك وأخرجه من المصر، فإنني لو أشركت أحداً من حزب الشيطان في أمانتي لاستعنت بابن أبي مسلم⁽¹⁾، فاكفيني نفسك يا عدي! ولا تحملني على مكروهك- إن شاء الله- والسلام»⁽²⁾.

كتاب عمر إلى عدي ألا يستعمل في عمله أهل الذمة

-رقم: 62-

وقال ابن الجوزي أن عمر كتب إلى عدي بن أرطاة

:«أما بعد. فإن المشركين نجس حين جعلهم الله جند الشيطان، وجعلهم ﴿الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾⁽³⁾ فأولئك لعمرى! ممن تجب عليهم باجتهادهم لعنة الله ولعنة اللاعنين.

إن المسلمين كانوا فيما مضى إذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية، والكتابة، والتدبير، فكانت لهم في ذلك مدة، فقد قضاه الله بأمر المؤمنين، فلا أعلم كاتباً، ولا عاملاً في شيء من عملك على غير دين الإسلام إلا عزلته، واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً، فإن

(1) - يقصد به يزيد بن أبي مسلم: يزيد بن دينار مولى ثقيف، وجعله الحجاج كاتباً له، فظهرت مزايها، فلما احتضر الحجاج استخلفه على الخراج بالعراق، وأقره الوليد بن عبد الملك بعد موت الحجاج سنة 95 هـ ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان سنة 96 هـ عزله، وطلبه، فجاءه إلى الشام، فحادثه سليمان، فأعجبه عقله ومنطقه، لكن عمر نخاه عن الاستعانة به لأنه من مدرسة الحجاج التي اتخذت العنف وسيلة لإخضاع الناس، فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولاه إمارة إفريقية سنة 101 هـ فانتقل إليها، فقتله حراسة سنة 102، لأنه أراد أن يعاملهم معاملة العلوج وهم مسلمون. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص309؛ تاريخ الطبري، ج6، ص617؛ الزركلي:

الأعلام، ج8، ص182.

(2) - البلاذري: أنساب، ج8، ص193.

(3) - سورة الكهف، الآية: 103، وبدايتها ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ﴾.

مَحَقَّ أَعْمَالَهُمْ مَحَقَّ أَدْيَانَهُمْ، فَإِنْ أَوْلَى بِهِمْ إِنْزَالُهُمْ مِنْزَلَتَهُمُ الَّتِي أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ بِهَا مِنَ الذَّلِّ وَالصَّغَارِ، فَافْعَلْ ذَلِكَ، وَأَكْتُبْ إِلَيَّ كَيْفَ فَعَلْتَ⁽¹⁾.

وانظر فلا يركب نصراني على سرج، وليركبوا على الأكف⁽²⁾، ولا تركب امرأة من نسائهم راحلة، وليكن مركبها على إكاف، ولا يَفْحَجُوا على الدواب، وليدخلوا أرجلهم من جانب واحد، وتقدم

في ذلك إلى عمالك حيث كانوا، واكتب إليهم كتابا في ذلك بالتشديد، واكفينه، ولا قوة إلا بالله!⁽³⁾

وصية عمر بن عبد العزيز لعامل له بأن لا يولي أمور المسلمين أحدا من الذميين

-رقم: 63-

كما روى المدائني عن مسلمة بن محارب وغيره قالوا:

« كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له:

أما بعد. فإن الله [عز وجل]⁽⁴⁾ أكرم بالإسلام أهله وشرفهم وأعزهم، وضرب الذلة والصغار على من خالفهم، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فلا تولين أمور واحد من المسلمين⁽⁵⁾ أحدا من أهل ذمتهم وخراجهم، فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم، فتذلم بعد أن أعزهم الله، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى، وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم، مع ما لا يؤمن من غشهم إياهم، فإنه **كَلِّكْ** يقول: **«لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ»**⁽⁶⁾، و**«لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ»**⁽⁷⁾، والسلام⁽¹⁾.

(1) - نهاية رواية الملاء.

(2) - الأُكْفُ: مفردا وكف، والوكاف والإكاف، ما يوضع على ظهر الحمار والبغل والبعر، وهي ما يعرف بالبردعة. ابن منظور: لسان العرب، ج 9، ص 364، مادة «وكف».

(3) - سيرة عمر، 140؛ الملاء: الكتاب الجامع، ج 1، ص 246-247، نقلا عن محمد فرقاني: رسائل عمر، ج 2، ص 111 وما بعدها.

(4) - ما أثبت من ابن الأثير وفي المصدر ناقصة، ومثل ذلك يقال عن بقية الشاء.

(5) - عند ابن الأثير: «أمور المسلمين أحدا».

(6) - سورة آل عمران، الآية: 118، وبدايتها: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا...».

(7) - سورة المائدة، الآية: 57، وبدايتها كبدية الآية السابقة؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 120.

ولم يذكر لمن كتب بهذا.

وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في الغرض السابق

-رقم: 64-

وقال شعيب بن صفوان: كتب عمر بن عبد العزيز⁽²⁾:

«أما بعد. فإنه يجب على المسلمين أن يضعوا من أهل الشرك والكفر ما وضع الله منهم، وأن ينزلوهم بمنزلتهم التي أنزلهم الله بها من الذل والصغار، ولا يشركوهم في أمانتهم ولا يسلطوهم على أهل الإسلام فتجري عليهم أحكامهم، ويستخدموهم بالطمع فيما عندهم، وينزلوا بهم حاجتهم فيغشونهم ويحرمونهم، فلا يبقى أحد من قبلك على غير الإسلام على شيء إلا عزلته واستبدلت به رجلا من المسلمين، ترضى دينه، وأمانته، وعفافه، وخذهم بشد المناطق، وركوب الأكف، وخلق أوساط رؤوسهم، وأطع الله واتفقه، فإنه لا حِرْزَ لك، ولا منعة إن عصيته، والسلام»⁽³⁾.

عكست هذه الرسائل الثلاث التي تتضمن وصايا عمر بن عبد العزيز لولاته على مختلف الأقاليم تصوره حول خطة الإصلاح في المجال الإداري والجهاز التنفيذي للدولة، فقد سعى إلى أن لا يستخدم في إدارته ذمي مهما كانت خبرته أو كفاءته وأن لا يضع أمور المسلمين بأيدي من يخالفهم في دينهم، ولئن كان في هذه الخطة يتبع ما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي -ﷺ-، فإنه قد وجد أن جده عمر بن الخطاب -ﷺ- قد سبقه في ذلك⁽⁴⁾، فلم يدخر جهده في تنفيذ ذلك، خاصة وأنه كان كثير التأسي بعمر بن الخطاب في كثير من الأمور خاصة المتعلقة بالجانب المالي منها، وقد كتب إليه سالم بن عبد الله⁽⁵⁾ بسيرة الفاروق في أهل القبلة وأهل العهد⁽¹⁾.

(1) - البلاذري: أنساب، ج 8، ص 164؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 120، النويري: نهاية الأرب،

ج 21، ص 369؛ نقلا عن محمد فرقاني: رسائل عمر، ج 2، ص 114 وما بعدها.

(2) - لم يذكر لمن كتب بذلك مع الإشارة إلى أن صفوان كوفي. محمد فرقاني: رسائل عمر، ج 2، ص 114.

(3) - البلاذري: أنساب، ج 8، ص 196.

(4) - كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد ينهاتهم عن الاستعانة بهم في أعمال المسلمين منهم: أبو موسى الأشعري

ومعاوية بن أبي سفيان. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 1، ص 43؛ الخلال: أحكام أهل الملل، ص 117، ابن

رشد: البيان والتحصيل، ج 17، ص 614 وما بعدها؛ محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2،

ص 118.

(5) - سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي، أحد فقهاء المدينة السبعة من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم،

قال عنه مالك: «ولم يكن أحد في زمان سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش

ويبدو أن هذه الوصايا التي كتب بها عمر إلى ولاته قد نفذوا ما جاء فيها، في مصر والشام والعراق، إلا أن الأمر في خراسان بقي على حاله بالخصوص ديوان خراجها الذي بقي دون تعريب، وأكثر كتابه كانوا من المجوس حتى سنة 124 هـ حتى عرب في عهد الوالي نصر بن سيار⁽²⁾، مما يعني أن أوامره السابقة لم تبلغ ولاية هذا الإقليم، أو بلغتهم ولكنهم لم يعملوا على تطبيقها. ولا شك فإن ما اتخذ أمير المؤمنين يعد خطوة جريئة كانت لها نتائج مثمرة، إذ حصل نتيجة لذلك توافق عقائدي وانسجام فكري ونفسي بين الأمر والمأمور، ذلك أن الدولة أصبحت دولة هداية ودعوة لا دولة جباية، ومن ثم اقتضى الحال أن يتبوأ هذا الجهاز التنفيذي الحساس عناصر مسلمة تشاركه في رؤيته التي كان يراها، وبالفعل يسرت عليه هذه العملية النجاح في الإصلاحات التي قام بها على شتى الجبهات⁽³⁾.

وقد كان لهذا الإجراء الإداري الهام نتائج حسنة مكنت للإسلام في المناطق المفتوحة حديثاً، ولكن للأسف! من جاء بعده لم يراع هذا الإجراء، إذ لم يعمل على تعميقه، وتوسيع العمل بموجبه، فعاد أهل الذمة إلى هذه المناصب الحساسة يتحكمون فيها وبها في رقاب المسلمين من جديد، مستغلين الانحراف الذي سار فيه الخلفاء وأعوانهم من جديد، فأصبحوا يعرقلون عملية انتشار الإسلام والدعوة إليه مفضلين مصالحهم الخاصة على مصلحة الدولة، بالخصوص في الجناح الشرقي للدولة، مستغلين مناصبهم لابتزاز أموال الناس دون وجه حق، بالخصوص المسلمين الذين دخلوا في الإسلام حديثاً، فلما حاول نصر بن سيار إصلاح الحال مهتدياً في ذلك بما فعله عمر بن عبد العزيز انقلب عليه وعلى

منه»، توفي سنة 106 هـ وقيل 107 هـ. ابن سعد: الطبقات، ج5، ص154؛ تاريخ خليفة، ص427؛

الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص49؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص71.

⁽¹⁾ - ذكر ابن الجوزي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: «... فإذا أتاك كتابي فكتب إلي بسيرة عمر بن الخطاب في أهل القبلة وأهل العهد فإني سائر بسيرته إن الله أعانني على ذلك والسلام»، فكتب إليه سالم «... أما بعد فإنك كتبت إلي... تسألني أن أكتب لك بسيرة عمر وقضائه في أهل القبلة وأهل العهود وتزعم أنك سائر بسيرته إن الله أعانك على ذلك وإنك لست في زماني عمر ولا في مثل رجال عمر فأما أهل العراق فليكونوا منك بمكان من لا غنى بك عنهم ولا مفقرة إليهم ولا يمنعك من نزع عامل أن تنزعه أن تقول لا أجد من يكفيني مثل عمله فإنك إذا كنت تنزع لله وتستعمل لله أتاح الله لك أعواناً وأتاك بهم فإنما قدر عون الله للعباد على قدر النيات فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت نيته قصر عون الله له والله المستعان والسلام». سيرة عمر بن عبد العزيز، ص107.

⁽²⁾ - الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص43.

⁽³⁾ - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج2، ص119.

الدولة رؤساء الأعاجم الذين ضربت مصالحهم في الصميم، منضوين تحت لواء الدعوة العباسية مؤيدين لدعاتها⁽¹⁾.

ثالثاً: وصايا الولاة لعمالهم

1- تمهيد: شروط ومواصفات اختيار الولاة الأمويين لعمالهم وما ينبغي أن يتصفوا به

في إطار تطور الإدارة المحلية في العصر الراشدي تم الاعتماد على العناصر المحلية وإشراكها في تسيير شؤونها المالية، فبعد أن كان عامل الخراج في بادئ الأمر يعين من قبل خليفة إلا أنه وبعد أن أثرت مسألة جباة الضرائب في الكوفة والبصرة والشام طلب الخليفة عمر بن الخطاب من سكان تلك الأقاليم أن يختاروا من بينهم الأشخاص الذين يريدونهم أهلاً لهذه الثقة⁽²⁾.

ورغم كل الجهود التي بذلها الأمويون في التنظير لمواصفات العمال في شتى وظائف الجهاز الإداري والتنفيذي للدولة، ورغم كل المسارات التي اتبعوها في ذلك فإنهم راموا فوق كل ذلك أن يلتمسوا العذر فيمن وظفوه، ثم إن النظام الإداري في العصر الأموي قد أُلّف فكرة الانتخاب في اختيار من يتولى إدارة الشؤون والمصالح المحلية؛ إذ شهد العراق في ظل العصر الأموي إتباع هذه الطريقة حيث قام زياد بن أبيه بترك أمر اختيار هؤلاء العمال إلى أهالي هذه المدن وأطلق عليهم تسمية عمال العذر أو المعذرة، وتابع الولاة استعمال هذا الأسلوب⁽³⁾، فمن العمال الذين وصلتنا وصاياهم في هذا الشأن:

كان زياد بن أبيه والياً كفوفاً قديراً، واعياً لكل جوانب مسؤوليته بكل دقائقها، وقد جعل نفسه مسؤولاً عن كافة الأمور العظمى والصغرى في ولايته، وحتى يحقق هدفه زاول حقه في تعيين وعزل عماله وكبار موظفيه، كما كان موفقاً في اختياره لأصلح العمال والموظفين، فقد بعث زياد إلى رجال من بني تميم ورجال من بني بكر، وقال: «دُلّوني على صلحاء كل ناحية ومن يطاع فيها، فدلوه، فضمنهم الطريق وحدّ لكل رجل منهم حدّاً؛ فكان يقول: لو ضاع حبل بيني وبين خراسان عرفت من آخذ به»⁽⁴⁾.

(1) - المرجع نفسه، ص 413 وما بعدها.

(2) - الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 126.

(3) - سامي حسن: الإدارة المحلية وتطبيقها، ص 25 وما بعدها.

(4) ابن عبد ربه: العقد الفريد، 5 ج، ص 270.

كما كان موفقا في اختياره لعماله من أصحاب الشرف من ذلك الحكم بن عمرو الغفاري الذي قال عنه لما أدخله عليه حاجبه: «رجل له شرف وله صحبة من رسول الله -ﷺ-، فقد له على خراسان»⁽¹⁾.

كما راعى زياد توفر صفة الكفاءة والجرأة والأمانة دون الهوى والمحابة⁽²⁾، فقد لاحظ معاوية أن جل عمال زياد من بني الحارث بن كعب⁽³⁾، ويبدو أنه شك أن يكون ذلك ميلا من زياد لهؤلاء القوم دون غيرهم بسبب غير مشروع، فكتب يسأل عن معنى ذلك، فأجابه زياد معبرا عن عمق إيمانه الموضوعي في قياس مقدرات الناس، ومحاولة وضعهم في مواضعهم الصحيحة من غير ميل أو محابة، فكتب إليه زياد: «وجدت فيهم خلتين لو كانتا في الزنج لوليتهم معهما: الأمانة والكفاية»⁽⁴⁾.

هذه الإجابة الشافية المقنعة جعلت ثقة معاوية بواليه تتضاعف وتزيد، حتى أن أحدهم جاء إلى معاوية يسأل أن يوليه بعض ما كان بيد زياد فقال له: «زياد أعلم بثغوره، قال: فاستعملني على شرطة البصرة، قال: زياد أعلم بشرطته»⁽⁵⁾.

كما قرّب زياد أولاد أخيه أبي بكرة، وشرفهم وأقطعهم وولاهم الولايات والأعمال الجليلة، «فقال نافع⁽⁶⁾ لزياد: استعملت أولاد أبي بكرة وتركت أولادي؟ قال: إني رأيت أولادك كزما⁽⁷⁾ قصارا، ورأيت أولاد أبي بكرة نجباء طوالا»⁽⁸⁾.

وكان زياد يدرك في قرارة نفسه مدى المسؤوليات التي يحملها هؤلاء العمال، فيوازن بينها وبين قدراتهم فكان يعين الواحد منهم لمدة سنة ولا يجدد تعيينه إلا إذا أثبت جدارته وإخلاصه⁽¹⁾.

(1) -تاريخ الطبري، ج5، ص225.

(2) - صالح محمد: زياد بن أبيه، ص146.

(3) -الحارث بن كعب: بن عمرو بن غلة، من مذحج، صحب النبي ﷺ وقتل يوم البمامة شهيدا. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص416؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج1، ص632؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص686؛ الزركلي: الأعلام، ج2، ص157.

(4) - البلاذري: أنساب، ج5، ص160.

(5) - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص178.

(6) - نافع: هو الأخ الأول لزياد ويأتي بعده أبو بكرة وهما أخويه لأمه سمية. البلاذري: أنساب، ج1، ص489.

(7) - كزما: كرم الرجل كزما، فهو كرم: هاب التقدّم على الشيء ما كان. ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص517، مادة «كزم».

(8) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص271.

وليس هناك ما يدل خلاصة الشروط والصفات والواجبات والحقوق التي ينبغي أن تتوفر فيمن يوليه ويستعين به في أعماله من الوصية الموالية

2-وصايا زياد بن أبيه لعماله

أ-عهد زياد بن أبيه في وصية له لمن يرد الاستعانة بهم في الأعمال

شروط زياد بن أبيه على من يريد الاستعانة به

-رقم:65-

فمن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: «كان زياد إذا ولي رجلا قال له:

خذ عهدك وسر إلى عملك، واعلم أنك مصروف رأس سنتك وأنتك تصير إلى أربع خلال

فاختر لنفسك:

إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلّمناك من معرفتنا أمانتك.

وإن وجدناك خائنا قويا استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأثقلنا

غرمك، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين.

وإن وجدناك أمينا قويا زدناك في عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك»⁽²⁾.

بهذا الحزم يحدد زياد مواصفات للعامل الذي يرتضيه لعمله ويركز في هذه الوصية على صفتين

اثنتين وهما: القوة والأمانة، فهاتان الصفتان ضروريتان فعلا لتولي أمور الناس وشؤون الدولة وفرض

النظام، وهما صفتان لو توفرتا في كل راع مسئول سواء كان خليفة، أو عامل لانعكست نتائجهما على

الدولة والرعية، ولكانت نتائجهما جد مرضية، كيف لا وقد ذكرنا في القرآن الكريم على لسان ابنة صهر

موسى-عليه السلام- في وصفه لأبيها ليقوم باستئجاره، في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ

اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾⁽³⁾.

(1) - صالح محمد: زياد بن أبيه، ص146.

(2) - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1، ص118؛ تعليق من أمالي دريد، ج1، ص254؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1،

ص11، ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج19، ص187؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق؛ ج9، ص82؛

القالبي: الأمالي، ج2، ص80؛ النهرواني: المجلس الصالح الكافي، ص254؛ الأفتسي: المجموع اللفي، ج1،

ص19؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج1، ص309؛ الوطواط: غرر الخصائص الواضحة، ج1،

ص132؛ ابن الأزرق: بدائع السلك، ج1، ص339.

(3) - سورة القصص: الآية، 26.

كما يحدد قاعدة الرقابة والمتابعة لأعمال عماله فالإحسان للمحسن والعقاب للمسيء أي أنه كان يصارح الولاة الذين يعينهم منذ البداية بما لهم وبما عليهم حتى لا يتكلم لهم أي عذر لمن تبدر منه أي تجاوزات، وليرغب المجد النزيه في العمل.

ب- وصية زياد لعماله أن يستعينوا على أعمالهم بعمال العذر

وصية زياد لعماله في الاستعانة بعمال العذر

-رقم: 66-

يظهر أن من كان يستعملهم وجدوا صعوبة في إيجاد رجال يستعينون بهم في الولايات التابعة لهم، فعرضوا عليه الأمر فنصحهم كما قال عنه البلاذري:

«استعملوا عمال المعذرة ومن يزن بصلاح، وإياكم ومن يُحترس منه»⁽¹⁾.

وعمال العذر هم الذين أشار إليهم عمر بن هبيرة كما في الرواية الموالية أما من يحترس منه فيقال ذلك للرجل الذي يؤتمن على حفظ شيء لا يؤمن أن يخون فيه⁽²⁾. وقد قال الشاعر في هذا المعنى (المتقارب):

وإني اتخذت لها حارساً *** ومن مثل حارسها تحرس⁽³⁾.

3- وصايا عمر بن هبيرة لعماله

وصية عمر بن هبيرة لمسلم بن سعيد في الغرض في الاستعانة بعمال العذر

-رقم: 67-

قال ابن عبد ربه: لما وجّه عمر بن هبيرة⁽⁴⁾ -مسلم بن سعيد إلى خراسان قال له:

(1) - البلاذري: أنساب، 5 ج. ص 201 .

(2) - أبو طاهر السلفي: معجم السفر، 167. ولم أعثر على قائله

(3) - ابن منظور: لسان العرب، ج 6، ص 48. مادة «حرس».

(4) - عمر بن هبيرة: أمير من الرجال الشجعان، كان مقرباً إلى الحجاج، ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز وولاه الجزيرة. فاستمر عليها، إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك، فولاه إمارة العراق وخراسان وجمعت له العراق سنة 103 هـ، فكانت إقامته في الكوفة، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة 105 هـ وولي خالد بن عبد الله القسري، فأخذه خالد وسجنه مدة ثم هرب من السجن ولحق بهشام بدمشق واستجار بمسلمة بن عبد الملك فأجاره وأمنه هشام، توفي سنة 110 هـ. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 45، ص 373-382؛ ابن الأثير:

«أوصيك بثلاثة:

حاجبك، فإنه وجهك الذي به تلقى الناس: إن أحسن فأنت المحسن، وإن أساء فأنت المسيء.

وصاحب شرطتك، فإنه سوطك وسيفك: حيث وضعتهما فأنت وضعتهما.
وعمال القدر⁽¹⁾.

قال: وما عمال القدر؟

قال: أن تختار من كل كورة رجلا لعملك، فإن أصابوا فهو الذي أردت، وإن أخطوا فهم المخطئون وأنت المصيب⁽²⁾.

رواية أخرى لما سبق

—رقم: 67أ—

قال الأصمعي حدثني أبي قال:

«لما ولي ابن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي خراسان قال له:

يا سعيد اجعل حاجبك عاقلا فإنه وجهك ولسانك والمخبر عنك والمؤدي إليك وعليك
بعمال العذر.

قال وما عمال العذر؟⁽³⁾

قال من شاورت فيه العامة فأشاروا عليك به فإنهم إن أحسنوا كان حسنهم لك وإن أساءوا
اتسع العذر بينك وبينهم وبين الناس⁽⁴⁾.

رواية أخرى لما سبق

الكامل في التاريخ، ج4، ص109، 144، 145 وما بعدها؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص131 هـ؛
الزركلي: الأعلام، ج5، ص68.

— أما مسلم بن سعيد: بن مسلم بن زرعة، ولاء ابن هبيرة أصبهان ثم ولاء خراسان وغزا فرغانة سنة 106 هـ.
البلاذري: أنساب، ج8، ص272، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص10.

(1) — كذا جاءت، وعند ابن عاصم الغرناطي: «الفرد» ولعلها مصحفة باعتبار أن الناصح والمنصوح ذاتهما.

(2) — العقد الفريد، ج1، ص19.

(3) — عند ابن منظور: «...وعليك بعمال العذر. قال: وما عمال العذر؟...»، والظاهر أنه وقع تصحيف لمصطلح
العذر.

(4) — ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج21، ص246؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج9، ص341.

-67ب-

قال الخزرج التغلبي:

«لما ولى ابن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي خراسان قال له:
ليكن حاجبك من صالح مواليك، فإنه لسانك والمعبر عنك.
وحتّ صاحب شرطتك على الأمانة.
وعليك بعمال العذر.

قال: وما عمال العذر؟

قال: مُر أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم فإذا اختاروا رجلا فوله، فإن كان خيرا كان لك،
وإن كان شرا كان لهم دونك وكنت معذورا»⁽¹⁾.

ذكر ابن عساكر وابن منظور الذي نقل عنه، هذه الوصية ناسبين إياها لسعيد بن عمر الحرشي،
دون مسلم بن سعيد، ويبدو أنه وقع خلط بين الواليين خاصة وأن ولايتيهما على خراسان كانت
متعاقبة؛ إذ ولى عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد مباشرة بعد عزل سعيد بن عمر الحرشي⁽²⁾.

ولم تختلف رواية ابن عساكر عن رواية الطبري والذين جاؤوا بعده؛ إذ يتمحور مبدأ ابن
هبيرة في شأن أهل العذر حول ترك الاختيار للأهالي سواء وقع اختيارهم على أحد من أهل الشرف
والنسب أم غيرهم المهم أن ينال رضا واطمئنان العامة، لينتقل اللوم في حالة التقصير أو الظلم والفسل
إلى طرف الأهالي بدل أن تتحملة الإدارة الأموية، والمتمثلة في الوالي بل وتعذر الإدارة فيهم.

لكن ابن عبد ربه ذهب إلى غير ذلك؛ إذ يكون الوالي هو المسئول عن اختيار رجال عمله شرط
أن يكونوا من أهل الشرف والحسب، وهذا لا يرفع العذر عن الوالي، إن أخطئوا أو أساءوا، خاصة وأنه
المسئول عن هذا الاختيار.

4-وصية قرة بن شريك لبسيل نائبه على كورة أشقوة

وصية قرة بن شريك لبسيل يوصيه بأن يكون أمينا في عمله

-رقم: 68-

⁽¹⁾ - تاريخ الطبري، ج7، ص34؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج3، ص25؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4،

ص172.

⁽²⁾ - تاريخ خليفة، ص333.

تبين من خلال برديات قرّة بن شريك حرصه على تحليّ عماله بالأمانة والكفاية في العمل، فقل أن تخلوا بردية من ذلك، وقد تضمنت هذه الرسالة -ضاع أولها بسبب التلف في ورق البردي- العديد من الأوامر بعضها في صيغة وصايا تعكس تصوره وخبرته في المجال الإداري، جاء فيها:

«... ما تجمع من هذه الأبواب، فإني إن أجد عندك الذي أريد من الإجزاء [كذا] وحسن الحلب، أحسن إليك وأصيبك بمعروف، وأشدد لك أمرك وعملك، وأنا أرجو إن شاء الله، أن تكون كذلك وإن أجد عملك على غير ذلك فإنما يجزى المر [كذا] بعمله ثم لا تلم إلا نفسك، ولا تتخرن [كذا] بعد الذي سميت لك من الأجل، ولا أعرفن ما عجزت ولا قصرت، ولا قدمت إلي وخلفك من المال شاي؛ فإنه والله لا يفعل ذلك أحد إلا عرف حين يقدم، على أنه بئس ما صنع، و بئس عمل. و إني لا أحب أن يرى أحد في عمك شاي [كذا] يكرهه من عجز ولا تأخير ولا أبطل [كذا]، فإني قد بعثتك حين بعثتك على عمك وأنا أرجو أن تكون عندك أمانة وإجزاء وتنفيذ للعمل. فكن عند أحسن ظني بك؛ فإني والله لأن تكون محسنا مجملا أمينا موقرا أحب إلي وأعجب عندي من أن تكون على غير ذلك، لا تبيعن نفسك، ولا تسيين [كذا] عمك واستعن بالله؛ فإنه من يقصد الإصلاح ويرى الأمانة يعنه الله، ويصلح له عمله ثم أقدم علي لكل كتاب ترى أي سائل عنه من عمل أرضك وكتابها.

والسلم [كذا] على من اتبع الهدى.

وكتب عمر في شوال من سنة إحدى و تسعين»⁽¹⁾.

ويتجلى حرص الأمويين على حسن اختيار عمالهم أكثر فأكثر من خلال مراحل البحث اللاحقة؛ إذ نجد أن معاوية كان يشترط في قضاة الأمانة، بينما هشام بن عبد الملك يشترط العفة والورع والتقى والسلامة من العيوب، أما آخر الخلفاء مروان بن محمد فقد كان يشترط النزاهة والفهم والوقار والعصمة والورع والبصر بوجوه القضايا ومواقعها.

كذا اشترط في صاحب الشرطة أن يكون مجرباً، ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة، له نباهة في الذكر، وصيت في الولاية، معروف البيت، مشهور الحسب⁽²⁾.

(1) - جاسر أبو صافية: برديات قرّة، ص 136 وما بعدها.

(2) - أنظر الوصية رقم 16.

أما عن الحاجب فقد كان عبد الملك بن مروان يشترط فيه أن يكون عاقلاً صادقاً لا يورد الكذب، كما اشترط عقبة بن الحجاج السلوي أن يكون حجاباً وأعوانه، من أهل الطهارة والعفاف⁽¹⁾.
والحق أنه لولا دقة معظم الخلفاء الأمويين في اختيار ولائهم وقادتهم وعمالهم، ولولا كفاءة هؤلاء الولاة والقادة والعمال الإدارية والسياسية والعسكرية ومقدرتهم الفائقة، لما أمكنهم حكم وإدارة هذه البلاد الواسعة، وبسط الأمن والنظام فيها، فالرقعة التي كان يحكمها الأمويون في دمشق يقوم عليها الآن أكثر من ثلاثين دولة وكانت تظم أمماً وشعوباً عديدة مختلفة الأجناس واللغات والمشارب والاتجاهات والعادات، والذين يتحدثون عن أخطاء الأمويين وولايتهم ينسون هذه الحقيقة، فمن ذا الذي يستطيع أن يحكم هذه الدولة الواسعة في مثل هذه الظروف التي حكم فيها الأمويون دون أن تكون له أخطاء⁽²⁾.

رابعاً: وصايا الخلفاء والولاة المتعلقة بمراقبة أعوانهم ومحاسبتهم

1- وصية عمر بن عبد العزيز لرياح بن عبيدة أن يسأل أهل العراق عن سيرة عمالهم

وصية الخليفة عمر لرياح بن عبيدة أن يسأل الناس في العراق

عن سيرة ولائهم فيهم

-رقم: 69-

قام عمر بن عبد العزيز بإصلاحات عدة مست مختلف الجوانب، وفي هذا الإطار شدد الرقابة على أعمال عماله، كما تشدد في محاسبتهم عليها، فقد كان دائم الرقابة والتوجيه لهم والمتابعة لأعمالهم، سواء لأعوانه الذين يتواجدون معه، أو الأبعدين عنه بالطرق الإدارية المألوفة، من ذلك محاسبته لكتابه ومراقبته لدفاترهم، إذ تقول أم الخيار زوجة رياح بن عبيدة أحد الرجال المقربين إليه، أن أمير المؤمنين دخل منزله بعد صلاة العشاء «وأدخل معه كتاب العامة. قالت: ودعا بالشمع فلم يزل في كتابه وحسابه حتى ذهب نحو من ثلث الليل قالت: ثم أمر بالكتاب فأقيموا ورفع الشمع، ثم دعا بكتابه كتاب الخاصة، ودعا بسراج فجعل يحاسبهم حتى مضى ثلث الليل الأوسط ثم قام إلى مصلاه فصلى حتى أصبح»⁽³⁾.

(1) - أنظر الفصل السابع.

(2) - عبد الشافي: العالم الإسلامي، ص 467.

(3) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 70، ص 233، محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2: ص 17.

كما كان عمر بن عبد العزيز يستغل عودة بعض الرجال المقربين إليه إلى بلدانهم، فيكلفهم بجمع المعلومات عن حال الوالي والإقليم، ومن ذلك ما ذكره أبو يوسف عن رباح بن عبيدة قال:

«كنت مع عمر بن عبد العزيز؛ فقلت له: إن لي بالعراق ضيعة وولدا فأذن لي يا أمير المؤمنين أتعاهدهم.

قال: ليس على ولدك بأس ولا على ضيعتك ضيعة.

فلم أزل به حتى أذن لي؛ فلما كان يوم ودعته قلت: يا أمير المؤمنين حاجتك أوصني بها.

قال: حاجتي أن تسأل عن أهل العراق وكيف سيرة الولاة فيهم، ورضاهم عنهم»⁽¹⁾.

قدم رباح العراق فسأل الناس عنهم فأخبروه، فلما عاد أخبره بسيرتهم المرضية في أهل

إمارتهم وبشائهم عليهم، فأثلج هذا التقييم صدره، فقال: «الحمد لله على ذلك! لو أخبرني عنهم بغير هذا عزلتهم، ولم أستعن بهم بعدها أبدا».

ثم قال معقبا على ذلك مبينا أن ما قام به يعد من مهامه الرئيسة ذلك: «أن الراعي مسئول عن رعيته، فلا بد له أن يتعهد رعيته بكل ما ينفعهم الله به، ويقربه إليه، فمن ابتلى بالرعية فقد ابتلى بأمر عظيم»⁽²⁾.

ومن خلال هذه الوصية يتضح جليا الفرق بين زياد بن أبيه وعمر بن عبد العزيز في المبدأ الذي يحاسب على أساسه العمال، فالأول مبدأه المال وهو محور اهتمامه في عقده مع العامل، أما الثاني فمحور اهتمامه سيرة العامل في الرعية، فإن رضت الرعية على العامل فذلك مؤشر على الصلاح أو عدمه، وشتانا بين الأمرين، ويبدو أن كلا السياستين آتت أكلها.

لم يكتف عمر بن عبد العزيز وأعوانه في العاصمة وبقيّة الولايات بذلك، بل جعل من الرعية ظهيرا له في ذلك، إذ أسند إليها أمر مراقبة تصرفات عماله، بل عمالها، والتدخل لتقويم اعوجاجهم إن جاروا في حكمهم، أو القدوم عليه في التظلم منهم إن أبوا، واعدًا إياهم بتقديم جوائز سيّية لمن يقوم بذلك⁽³⁾.

لقد آتت السياسة التي سلكها عمر في المسلمين أكلها في مختلف الميادين، وفي مختلف المناطق. خذ مثلا على ذلك ما أجابه به رجل قدم من المدينة كان عمر قد استخبره عن أحوالها، قال: «إني

(1) - أبو يوسف: الخراج، ص 132.

(2) - المصدر نفسه، ص 132، مُجَّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 20 وما بعدها.

(3) - أبو نعيم: حلية الأولياء، ج 5، ص 292؛ مُجَّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 255.

تركت المدينة والظالم بها مقهور، والمظلوم بها منصور، والغني موفور، والعائل مجبور» فسر بذلك عمر وقال: «والله لأن تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»⁽¹⁾.

و الحقيقة أن عمر بن عبد العزيز استعمل كل الوسائل المتاحة لممارسة الرقابة على ولاته والويل للوالي إن تعدى أو ظلم، بالخصوص إن تمادى ولم يتدارك أمره، فإن له عند أمير المؤمنين حساباً عسيراً، مهما علت منزلته، وكانت كفاءته، فهو في هذه الحالة كجده عمر بن الخطاب رضي الله عنه علمه بمن بعد عنه كمن هو قريب منه⁽²⁾.

2- وصية عمر بن عبد العزيز لمزاحم بن أبي مزاحم بمراقبته ووعظه إذا أخطأ

وصية عمر بن عبد العزيز لمزاحم بمراقبته ووعظه إذا رأى منه خطأ

-رقم: 70-

لم يكتف عمر بن عبد العزيز باختيار من له ورع وتقوى ليتولى له الأعمال، بل تابعهم بالإرشادات والنصائح والتوجيهات والوصايا لينمي فيهم الوازع الديني ويربطهم بالآخرة وفوق كل هذا فعمل الرقابة والمحاسبة والمتابعة، بل لم يكتفي بكل هذا حتى نصب على نفسه الرقباء الذين يستعين بهم على نفسه في تقويم سيرته وأعماله.

ومن أبرز الرجال الذين استخلصهم لنفسه أيضاً، وجعلهم من خاصته ويستشيرهم فيما يشكل عليه من أمور، ويصدر عن رأيهم إذا أشاروا عليه: مزاحم بن أبي مزاحم مولاه⁽³⁾، الذي رافقه عبر رحلة حياته منذ أن كان أميراً على الحجاز، وبعد عزله، وبعد استخلافه، كان عوناً له على الحق، وقوة على ما هو فيه، ونعم الوزير كان له على أمر الآخرة، كما ذكر عنه ذلك، يُذكره إذا غفل، ويأخذ بيده إذا عثر⁽⁴⁾، فقال له يوصيه:

«إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي، فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها، أو فعلاً لا تحبه فعظني عنده، وانهي عنه»⁽⁵⁾.

(1) - ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 116.

(2) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 22.

(3) - مزاحم بن أبي مزاحم: مولى عمر بن عبد العزيز أصله من سبي البربر وسكن مكة. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 57، ص 374.

(4) - ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 105، محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 249.

(5) - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 2، ص 23.

استمر مزاحم مخلصاً له في مودته ومعونته حتى توفاه الله، وأثر رحيله على أمير المؤمنين، حيث بقي يذكره بعد ذلك، ويشيد بخصاله، ويكثر من الثناء عليه⁽¹⁾.

وما فعله عمر مع نفسه في تكليف الرقباء على ما يقوم به، يندرج تحت إطار تنصيب المذكورين وليس لهم سلطة المحاسبة عليه، وهو زيادة في مراقبة النفس وتقويم أعمالها والنزوع بها إلى طريق الرشاد قدر الإمكان، وهذا ما تفرد به عمر بن عبد العزيز عن باقي الخلفاء الأمويين رغم أن هذا الأمر كان شائعاً في زمن الخلفاء الراشدين ولم يكن الخليفة في زمنهم مضطراً لتكليف الرقباء بل كانت الرعية والمحيطون به كلهم يمارسون عليه الرقابة.

3- وصية هشام بن عبد الملك ليوسف بن عمر بمحاسبة خالد القسري

وصية هشام بن عبد الملك ليوسف بن عمر بمحاسبة خالد بن عبد الله القسري وعماله

-رقم: 71-

اجتمعت على خالد تهم عديدة، فتطلب من هشام عزله وكتب إلى يوسف بن عمر سنة 120 هـ⁽²⁾ وهو باليمن يأمره:

«أن سر إلى العراق فقد وليتك إياه، وإياك أن يعلم بذاك أحد، وخذ ابن النصرانية وعماله فاشفني منهم»⁽³⁾.

أوصى هشاماً يوسف بن عمر أن يبقي الأمر سرا كي لا يبلغ أمر توليته إلى سمع خالد وعماله فيكون لديهم الوقت لإنقاذ ثرواتهم ويفوته الشيء الكثير في عملية المصادرة.

ولما وصل يوسف بن عمر إلى الكوفة بعث إلى خالد فحبسه وأخذ منه أموالاً كثيرة⁽¹⁾.

(1) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 149 وما بعدها.

(2) - يوسف بن عمر الثقفي: من أشهر الولاة في العهد الأموي، ولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة 106 هـ ثم نقله

هشام إلى ولاية العراق سنة 120، وأضاف إليه إمرة خراسان، وقتل سلفه في الإمارة خالد بن عبد الله القسري

تحت العذاب سنة 126 هـ واستمر إلى أيام يزيد بن الوليد، فعزله يزيد في أواخر 126 وقبض عليه وحبسه في

دمشق، إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسري من قتله في السجن بئراً أبيه سنة 127 هـ. ابن خلكان: وفيات

الأعيان، ج 7، ص 107، الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 243

(3) - الجهشيارى: الوزراء والكتاب، 63 وما بعدها، تاريخ الطبري، ج 7، ص 149، مسكويه: تجارب الأمم، ج 3،

ص 123، ابن الجوزي: المنتظم، ج 7، ص 201، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 6، ص 149، ابن حمدون:

التذكرة الحمدونية، ج 8، ص 255، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 7، ص 102؛ الياضي: مرآة الجنان، ج 1،

ص 210.

أما سبب عزل هشام لخالد ونقمته عليه بل وحتى سبب عقابه من خلال الكتاب الذي كتبه له هشام سنة 119هـ، قبل أن يعزله، يذكر فيه كل ما لم يرض عنه في سياسته المالية، يقول له فيه: «استعانتك باليهود والنصارى والمجوس توليهم أمور المسلمين وخراجهم، وتسلبهم عليهم، نزع بك إلى ذلك عرق سوء من التي قامت عنك... مع ما أتلفت من مال الله بالمبارك، اثني عشر ألف ألف درهم، (12.000.000 مليون درهم) والله أن لو كنت من ولد عبد الملك لما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من أموال الله وضيعت من أمور المسلمين، وسلطت من ولاية السوء على جميع كور الإسلام، تحمل إليك هدايا النيروز والمهرجان، خالسا لأكثرها رافعا لأقلها مع كثرة مساويك المتزوك تقرير بها... وحملك الأموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة، وترك رفع محاسبتك سنة كذا وكذا لما وليت من خراج العراق»⁽²⁾.

كما ذكر البلاذري سبب العزل فقال عن ابن عياش: «أجمع هشام على عزل خالد لأنه اتخذ بالعراق أموالا، وحفر أنهارا حتى بلغت غلته عشرين ألف ألف درهم،... وأمواله بالبصرة والبحرين، وكان يقول كثيرا: ابني هذا مظلوم، ما تحت قدمي من شيء إلا وهو له»⁽³⁾. إضافة إلى أسباب أخرى ذكرها ابن كثير⁽⁴⁾.

ومن جهة أخرى فقد تكلم المؤرخون كثيرا عن ثروة خالد بن عبد الله القسري، وكانت محط أنظار الكثير، بما فيهم هشام نفسه، وأصبحت باعث حسد له كانت السبب في هلاكه. وبامتلاك خالد كل هذه الأملاك والثروات، إلى جانب ممتلكات الخليفة هناك، فإنهما أصبحا يؤثران في الحياة الاقتصادية بالمنطقة بمزاحمتها لعمل الرعية السائد الذي تكسب به معاشها والمتمثل في الزراعة.

وإذا كان هذا يفسر تعذيب خالد فإن ما يفسر توصية يوسف بن عمر بتعذيب عماله هو أنه في ولاية خالد القسري قد زاد دور الدهاقين وأهل الذمة في الجباية، حتى قال المدائني: «كان عامة عمال خالد الدهاقين»، ولم يكن خالد مستعدا لسماع أية شكوى عليهم⁽⁵⁾، قال الطبري عنه أنه «لم يؤلّ

(1) - تاريخ الطبري، ج 7، ص 151؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13، ص 95.

(2) - الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص 289-294.

(3) - البلاذري: أنساب، ج 9، ص 98.

(4) - البداية والنهاية، ج 13، ص 94..

(5) - البلاذري: أنساب، ج 9، ص 89، الدوري: أوراق في التاريخ والحضارة، ج 2، ص 222، الكبيسي: عصر هشام،

على الخراج عربياً قط»⁽¹⁾، ويبدو أن هذه العلاقة كانت مدعاة للطعن في خالد ومبعثا لذكر روايات متعددة عن كفر خالد، وعدم التزامه بحدود الشرع في تعامله مع أهل الذمة، فاعتقد الناس بحق أو بغير حق أن خالدا قد سلط الذميين عليهم⁽²⁾، فيذكر البلاذري، وابن الأثير أنه لما «ولي يوسف العراق كان الإسلام ذليلاً والحكم فيه إلى أهل الذمة»⁽³⁾.

وهذه من التحامل عليه، وما الازدهار الذي حدث في العراق بفعل الاستقرار والأمن الذي انتشر دليل على براعته في إدارته وتنميته، لكنه منافسته لهشام في كسب الأموال بالاستثمارات التي قام بها لصالحه أهلكته.

4- وصية قرّة بن شريك لبسيل صاحب أشقوة بمراقبة عماله وتفقدهم

وصية قرّة بن لعامله بمراقبة عماله وتفقدهم

-رقم: 72-

كما أن هناك برديات أخرى تلقي ضوءاً كاشفاً على مراقبة العمال في أقاليم مصر ليس فيما يتعلق بالحفاظ على المال فحسب، بل وفي منع تعدي العمال والموظفين على الفلاحين المكلفين بدفع الخراج⁽⁴⁾.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

من قرّة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوة أما بعد،
فأنت تعلم أننا بحاجة دائمة إلى نجارين ومجلفطين⁽⁵⁾ للعمل في السفن والقوادس⁽⁶⁾، وفي بعض بعض أعمال الإدارة وما تحتاجه من متاع؛ إذ لا مجال لإنجاز العمل دون هذا المتاع، وهي ذات نفع أيضاً لأهل القرى، فإذا جاءك كتابي هذا، فاعمل على اختيار الفتيان الذين عملوا في كورتك

(1) -تاريخ الطبري، ج 7، ص 28.

(2) -الكبيسي: عصر هشام، ص 115.

(3) - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 251.

(4) - فالح حسين: مراقبة العمال والموظفين، ص 131.

(5) - المجلفط و الجلفاط: الذي يسد دروز السفينة الجديدة بالخياط والحرق. يقال: جلفطه الجلفاط إذا سواه وقيره.

قال ابن دريد: هو الذي يجلفط السفن فيدخل بين مسامير الألواح وخروزها مشاقة الكتان ويمسحه بالزفت والقار، وفعله الجلفطة. ابن منظور: لسان العرب، ج 7، ص 2969، مادة «جلفط».

(6) - القوادس: جمع قادوس وهي السفينة الكبيرة وقيل القادس: السفينة، وقيل لوح من ألواحها. ابن منظور: لسان

العرب، ج 8، ص 342، مادة «قدس».

وقراها، ومن رجالك المتميزين، لإعدادهم لأعمال مختلفة، واعهد بالفتيان إلى صناع متضلعين في فن صناعتهم من ذوي الخبرة والأمانة، وانظر في عملهم واجرمهم كل شهر، وتعهد أمر عملهم لثلاثين يوماً بهم الأمر إلى الإهمال والتقصير، واكتب إلي كتاباً بأسمائهم وأسماء آبائهم، كل حسب قريته وصنعتهم، وأمر أن يكون نصفهم لصناعة السفن وجلفطتها، واكتب إلي كتاباً بأسماء الفتيان الذين عملوا في كورتك عام الأول، ثم أمر أهل أرضك بزراعة أشجار كثيرة، ولا سيما كروم العنب وشجر الطلح⁽¹⁾ وغيرها من الأشجار، ولا أعرفن أنك قصرت في إنفاذ ما أمرتك به في كتابي هذا، وتفقد عمالك، ولا تكن ذلك إلى أحد سوى نفسك، واكتب إلي كيف فعلت في ذلك، واعلم أننا سنرسل، بإنشاء الله، رجلاً ليراقب الأمور ويخبرنا بما فعلت، وهل نفذت أمرنا أم كان لك تصرف آخر.

كتب في 28 طوية، 7 أندكشن (91هـ).⁽²⁾

تبين هذه الوصية المرسله من قره بن شريك إلى عامله على أشقوة في سنة 91 هـ، بكل وضوح آلية الرقابة والمحاسبة التي يعتمد عليها مع عماله:

- فيأمر عامله بتفقد عماله بنفسه، وأن لا يكل ذلك لأحد سواه.
- بأن يرفع تقريراً مفصلاً بعملية التفقد والمراقبة وبالآلية التي تمت بها.
- يرسل قره رجلاً ليراقب أمور الكورة ويرفع إليه أخبارها، ويتابع فيها أوامره أنفذت أم لا.

يؤكد قره على مبدأ المراقبة في رسالة أخرى منه إلى أحد عماله⁽³⁾ ضاع أولها بسبب التلف في ورق البردي؛ إذ تكمن أهمية نص الوثيقة مع ما تحمله من ترغيب وترهيب وحض على حسن الأداء في العمل لله في طلب قره من المرسل إليه، وهو صاحب الكورة، بسرعة الحضور للمحاسبة وتقديم تقرير واف عن كمل عمله مدعم بالوثائق التي قد يسأله عنها، إذ عليه إحضار كل ما يرى أنه سيسأل عنه فيما يخص عمله وعمل كتابه أيضاً، فهو مكلف بتقديم تقرير موثق إضافة إلى التحقيق الذي سيخضع له حول عمله⁽⁴⁾.

(1) - جاسر: برديات قره، ص 265 وما بعدها.

(2) - جاسر: برديات قره، ص 265 وما بعدها.

(3) - انظر الوصية رقم: 68.

(4) - فالح حسين: محاسبة العمال و الموظفين، ص 143.

كما تتجلى بوضوح اهتمامات قرة بالجانب المالي، بل جعله في سياساته في مراقبة ومحاسبة العمال محور اهتمامه؛ فالإكرام والرضا لا يناله العامل إلا إذا أحسن الحلب أي الإيراد، العقوبة والسخط منه ينزلان بالعامل المضيع غير الأمين المفرط الذي لا يؤدي عمله كما ينبغي، وهو بهذا غير بعيد على سياسة زياد بن أبيه، وبهذا كشفت لنا هذه البرديات لماذا يعتبر قرة بن شريك على رأس أشد وأحزم ولاة بني أمية.

الفصل السادس

وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم الخاصة بالقضاء

والمظالم والشرطة

❖ أولا: تمهيد: القضاء في العهد الأموي وما يشترط فيمن يولى عليه

❖ ثانيا: وصايا الخلفاء الأمويين الخاصة بالقضاء ومواصفات من يولى عليه ومصادر

الأحكام

- 1- وصية معاوية لمسلمة بن مخلد أن يولي على القضاء الأزديين أو اليمنيين
- 2- وصية عبد الملك للحجاج ينبهه إلى من يبعد عن تولي القضاء
- 3- وصية هشام للوليد بن رفاعة يحدد له صفات من يوليه على القضاء
- 4- وصية مروان بن محمد إلى أهل مصر يوصيهم بالبحث عن يعاون حوثرة في القضاء
- 5- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في تحديد أصول الأفضية والأحكام

❖ ثالثا: وصايا الولاة للقضاة

- 1- وصية عقبة بن الحجاج السلوي لمهدي بن مسلم عند توليته القضاء
- 2- وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلي فيما ينبغي مراعاته عند الجلوس للقضاء
- 3- وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلي يحدد له أوقات الجلوس للقضاء

❖ رابعا: وصايا الخلفاء والولاة الأمويين الخاصة بالنظر في المظالم

1- تمهيد: ولاية المظالم في العهد الأموي الوظائف والمهام

2- وصية عمر لعدي بن أرطاة برد المظالم على أهلها

❖ خامسا: وصايا الخلفاء والولاة الأمويين المتعلقة بالشرطة

1- تمهيد: الشرطة المهام والأدوار وصفات من يولى عليها

الفصل السادس: وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم الخاصة بالقضاء والمظالم والشرطة

أولاً: تمهيد: القضاء في العهد الأموي وما يشترط فيمن يولى عليه

تحددت أصول الأفضية والأحكام بالكتاب والسنة القولية والعملية والتقريبية، وأثريت بالعمل والاجتهاد خاصة زمن الخلفاء الراشدين، بالخصوص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي أعطاه دفعة قوية توجيهها وإرشاداً منه لقضاة الأمصار خاصة بتلك الرسالة التي كتب بها إلى أبي موسى في القضاء والي أصبحت مرجعاً للقضاة⁽¹⁾، واستمر خلفاء بني أمية متبعين هذا النهج، لكنهم زادوا من ضبطه فتشككت إدارته بمرور الزمن واتضحت، كما منحوا حرية واسعة للقضاة واستقلالية تامة لهم ولم يتدخلوا في شؤونهم القضائية⁽²⁾، مع بقاء الخلفاء الأمويين ملتزمين بأهداب الدين، والتقييد بالأحكام الشرعية، إلا ما تعلق ببعض التجاوزات المتعلقة بالأمور السياسية، فإنهم كانوا يفضلون مصلحة دولتهم على ذلك. كما أن طول المدة في العهد الأموي، واتساع رقعة الخلافة الإسلامية، فتح المجال لتوسع القضاء، وكثرة عدد القضاة، وكثرة الأفضية الاجتهادية التي اعتمد عليها المجتهدون وأئمة المذاهب الفقهية فيما بعد⁽³⁾، وتتلخص معالم القضاء في هذا العصر في الآتي:

- 1- أن القضاء لم يكن متأثراً بالسياسة.
- 2- كان القاضي يحكم بما يؤديه إليه اجتهاده، فكان يستنبط الحكم بنفسه من الكتاب والسنة أو الإجماع، أو يجتهد في الحكم اجتهاداً حسب قواعد الشريعة وأصولها.
- 3- كانت السلطة القضائية في يد الخليفة الحاكم العام مع استقلال القضاة، فقد ثبت تاريخياً أن الخليفة كان يراقب أحكام القضاة ويعزل من شذ منهم عن الطريق السوي⁽⁴⁾.
- 4- تدوين الأحكام القضائية⁽⁵⁾ لكثرة المشاكل والمنازعات المختلفة⁽⁶⁾.

(1) - مثل رسالته إلى أبي موسى الأشعري، وهي أهم رسائله القضائية التي تمثل دستور القضاء، انظر: وكيع: أخبار

القضاة، ج 1، ص 70-71.

(2) - الزحيلي: تاريخ القضاء في الإسلام، ص 160.

(3) - المرجع نفسه، ص 164 وما بعدها.

(4) - انظر الوصية رقم: 75.

(5) - الكندي: الولاة والقضاة، ص 224.

(6) - نصر فريد: السلطة القضائية، ص 66.

لم يختلف القضاء في العصر الأموي كثيرا عما كان عليه في العهد الراشدي من ناحية اختيار أفضل العناصر لتولي هذا المنصب من العلماء والفقهاء والشرفاء وخيرة القوم، الذين تتوافر فيهم صفات القاضي الشرعية، ويخشون الله ويلتزمون بالحق والشرع، ويحرصون على الحكم بين الناس بالعدل⁽¹⁾.

كان الخلفاء الأمويون يقومون باختيار القضاة وتعيينهم في حاضرة الخلافة بدمشق، وكان القاضي بدمشق يعرف باسم قاضي الخليفة، وعرف منهم عدد كبير بالفقه والعلم والتقوى والورع والعدل⁽²⁾.

وترك الخلفاء في دمشق للولاة في الأمصار الحق والحرية في اختيار القضاة⁽³⁾، مع الإشراف على أعمال القضاة وأحكامهم، ومتابعة شؤونهم الخاصة في التعيين والعزل والرزق وحسن السيرة، ومراقبة الأحكام القضائية التي تصدر عنهم، للتأكد من مطابقتها للحق والعدل والشرع والدين. والالتزام بالسلوك القضائي القويم.

وكان الخلفاء والولاة يبذلون عناية خاصة، واهتماما كبيرا ويحتاطون في اختيار القضاة وتعيينهم، فقد كان زياد بن أبيه يشترط أن يكون مسنا حازما، وذلك مدعاة لأن يكون خاض تجارب الحياة وخبرها إذ قال: «أربعة أعمال لا يليها إلا المسن الذي قد عض على ناجذة: الثغر، والصائفة، والشرط، والقضاء»⁽⁴⁾، وقال عمر بن عبد العزيز محذرا صفات القاضي: «ينبغي للقاضي أن تجتمع فيه سبع خلال، إن فاتته واحدة كانت فيه وصمة:

- العقل، والفقه، والورع، والنزاهة، والصرامة، والعلم بالسنن، والحكم.
- يكون فهما، حليما، عفيفا، صلبا، سألًا عما لا يعلم.
- محتملا للأئمة؛ ولا يكون ضعيفا، مهينا، لأن ذلك يبسط المتخاصمين إلى التهاثر والتشائم بين يديه»⁽⁵⁾.

وفي رواية: «لا يصلح للقضاء إلا القوي على أمر الناس، المستخف بسخطهم وملامتهم في حق الله، العالم بأنه، مهما اقترب من سخط الناس وملامتهم في الحق والعدل والقصد، استفاد بذلك ثمنا ريحا من رضوان الله»⁽⁶⁾.

(1) - الصلابي: معاوية بن أبي سفيان، ص 305.

(2) - الزحيلي: تاريخ القضاء في الإسلام، ص 167.

(3) - النفري: النوادر والزيادات، ج 8، ص 10.

(4) - الكندي: الولاة والقضاة، ص 67.

(5) - ابن قدامة: المغني، ج 10، ص 40.

(6) - وكيع: أخبار القضاة، ج 1، ص 40.

وعلى الرغم من أن القضاة الذين عملوا لصالح الخلفاء والولاة الأمويين، كانوا يتصفون بالنزاهة والتقوى والعلم، غير أن عمر بن عبد العزيز لما ولي سارع إلى استبدال بعضهم، مستعملاً أصلح من قدر عليه، وفق شروط على ضوئها يتم اختيار القاضي⁽¹⁾، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بدمشق:

«أما بعد: فإني نظرت فلم أجد يصلح في الحكم إلا الرجل الجامع للفهم، العالم بأمر الله، القوي على أمر الناس، المستخف بسخطهم وملامتهم، ومن راقب الله، وكانت عقوبة الله أخوف في نفسه من أمر الناس، وهبه الله السلامة، فإن أهل الحق والبصيرة فيه، الملامة عنهم بطيئة»⁽²⁾.

ولما عين إسماعيل بن عبيد الله المخزومي والياً على إفريقية، دفع إليه كتاباً بولاية عبد الله بن المغيرة⁽³⁾ على قضاء إفريقية، ودفع معه كتاب يقول فيه:

«قلدت القضاء فيكم عبد الله بن المغيرة، لما صح عندنا من دينه وزهده ونفاذه في عمله وثقته في نفسه، وشدة ورعه»⁽⁴⁾.

كان الخلفاء والولاة يتحققون من أهلية القضاة وكفاءتهم، ويتشاورون بشأنهم قبل إسناد القضاء إليهم⁽⁵⁾، حريصين على توفر صفات معينة في قضاتهم من ذلك ما ذكره وكيع عن ابن شبرمة؛ قال:

«لا يصلح لهذا الأمر إلا الفقيه العالم، الورع الصارم»⁽⁶⁾، واشترط عمر بن هبيرة أن يكون القاضي قارئاً للقرآن عالماً بالفرائض وأيام العرب والعجم⁽⁷⁾.

كما كان الخلفاء والولاة يستعينون بغيرهم في تعيين القضاة ممن تتوفر فيهم صفات معينة، فقد ذكر وكيع في كتابه أن يوسف بن عمر قال لمقرن: «اطلب لي رجلاً يصلح للقضاء وليكن عاقلاً صليماً»⁽⁸⁾.

(1) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص9.

(2) - ابن أبي زيد: النوادر والزيادات، ج8، ص10.

(3) - عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة القرشي: يعد من فضلاء التابعين، طال مدة ولايته حتى سنة 123 هـ فاستعفى منه فأعفي. المالكي: رياض النفوس، ج1، ص126 وما بعدها.

(4) - المالكي: رياض النفوس، ج1، ص126 وما بعدها.

(5) - أخبار القضاة، ج3، ص199.

(6) - وكيع: أخبار القضاة، ج1، ص79.

(7) - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1، ص72.

(8) - أخبار القضاة، ج3، ص130.

ثانياً: وصايا الخلفاء الأمويين الخاصة بالقضاء ومواصفات من يولي عليه ومصادر الأحكام

1- وصية معاوية لمسلمة بن مخلد أن يولي على القضاء الأزديين أو اليمينيين

وصية معاوية بن أبي سفيان لمسلمة بن مخلد يحدد له

من يجب عليه توليته على القضاء

-رقم: 73-

عن الحارث بن يزيد أنّ معاوية بن أبي سفيان كتب إلى مسلمة بن مخلد⁽¹⁾ وهو على مصر:

« لا تولي عمالك إلا أزدي أو حضرمي فإنهم أهل الأمانة »⁽²⁾.

لذا كان ابن لهيعة⁽³⁾ يقول: « أنا تاسع تسعة وألوا القضاء بمصر من حضرموت، وهم: يونس

بن عطية، وأوس، ويحيى، وتوبة، وخير، وغوث، ويزيد، وعبد الله، ولهيعة بن عيسى، وفي ذلك يقول الشاعر:

(1) - مسلمة بن مخلد ابن صامت الأنصاري الخزرجي: من كبار الأمراء في صدر الإسلام، وفد على معاوية قبل أن يستتب له الأمر وشهد معه معارك صفين، ولاة إمارة مصر سنة 47 هـ ثم ضم إليه المغرب، وهو أول من جمع ذلك له وسير الغزاة إلى المغرب عقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار، ولما توفي معاوية أقره يزيد فاستمر في الإمارة إلى أن توفي بالإسكندرية، وقيل بالمدينة سنة 62 هـ. الكندي: الولاة والقضاة، ص 32؛ وكيع: أخبار القضاة، ج 3، ص 223؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج 3، ص 1397، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 58، ص 58. الزركلي: الأعلام، ج 7، ص 224.

(2) - ابن الحكم: فتوح مصر، ص 141؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص 305. وجاءت في رفع الإصر عن قضاة مصر بصيغة الغائب نصها « ألا يولي عليها إلا أزدياً أو حضرمياً ، فإنهما أهل الأمانة»، ص 188.

(3) - لهيعة بن عيسى الحضرمي: قاض، من الحضارمة الذين استقروا بمصر، ولي قضاءها سنة 196 هـ أيام خلع الأمين العباسي والفتنة مشتعلة وعطاء أهل الديوان معطل، فجمع لهيعة أموال الأقباس-الأوقاف- وفرض فيها فروضاً، وأجرى العطاء فحمد له ذلك وصار سنة بعده وسميت طريقته فروض لهيعة إلى أن سماها ابن أبي الليث فروض القاضي وعزل سنة 198 وأعيد في مبتدأ 199 فاستمر إلى أن مات سنة 204 هـ، وهو على القضاء.

الكندي: الولاة والفضاة، ص 299، الزركلي: الأعلام، ج 5، ص 245

- يونس بن عطية: الحضرمي أبو كثير، قاضي من كبار الفقهاء، من سادات حضرموت بمصر، ولاة عبد العزيز قضاء مصر عوضاً عن مالك بن شراحيل وذلك في جمادى الأولى سنة 84 هـ، وصرفه في مستهل سنة 86 هـ وكان اشتد به الضعف حتى ثقل فيه، فكانت مدة ولايته سنة ونصفاً وشهراً، ومات بعد قليل في ربيع الأول منها وقيل عاش إلى سنة 87 وولي بعده ابن أخيه أوس ابن عبد الله بن عطية. الكندي: الولاة والقضاة، ص 233، ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص 478؛ الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 262.

يا حَضْرَموت هنيئاً ما خصصت به *** من الحكومة بين العُجْم والعَرَب
في الجاهلية والإسلام يعرفه *** أهل الروية والتفتيش والطلب⁽¹⁾

- أوس بن عبد الله: ابن عطية بن أوس بن أخي يونس بن عطية، قال الكندي: «مرض يونس بن عطية، فصرفه عبد العزيز بن مروان عن القضاء والشرط، وجعل أوس بن عبد الله بن أخية على القضاء... ثم مات يونس بن عطية... فصرف أوس عن القضاء، فوليها أوس شهرين ونصفاً، ثم صرف في ربيع الأول سنة ست وثمانين». الكندي: الولاة والقضاة، ص 234.

- يحيى بن ميمون: ابن ربيعة الحضرمي، وولاه هشام بن عبد الملك قضاءها سنة 105 هـ وعزله سنة 114 قبيلاً وفاته، وكان يقول فيه المفضل بن فضالة: «بئس القاضي» وقال عنه: «كان كتاب يحيى بن ميمون لا يكتبون قضية إلا برشوة فكلم يحيى في ذلك فلم ينكره، ثم كلم مرة بعد مرة فلم يعزل منهم أحداً عن كتابه» وكتب هشام إلى الوليد بن رفاعه يأمره بعزله كما سيأتي ذكره لاحقاً فعزله، توفي سنة 114 هـ. الكندي: الولاة والقضاة، ص 246 وما بعدها، الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 174.

- توبة بن نمر: الحضرمي، وولاه الوليد بن رفاعه قضاء مصر سنة 115 هـ، وكان فاضلاً كثرت أخباره، وقال الكندي: توفي توبة بن نمر سنة عشرين ومائة، فكانت ولايته على قضائها أربع سنين. الولاة والقضاة، ص 248-251.

- خير بن نعيم: ابن مرة بن كريب الحضرمي، ولي القضاء بركة ومصر، وكانت ولايته بمصر سنة 120 هـ وصرف سنة 127 فجعل كاتباً على الرسائل وأعيد إلى القضاء سنة 133 وكان يحسن اللغة القبطية، ويقضي بين المسلمين في المسجد، ويجلس على الباب بعد العصر، للقضاء بين النصارى، واعتزل سنة 135 هـ طلب للقضاء مرة ثانية فرفض الولاية. الكندي: الولاة والقضاة، ص 252-257، الزركلي: الأعلام، ج 2، ص 326.

- غوث بن سليمان: الحضرمي، كان أعلم الناس بمعاني القضاء وسياسته، ولم يكن بالفقيه العالم، ولي القضاء بمصر سنة 135 - 140 هـ وخرج إلى الصائفة بفلسطين، وعاد في سنته إلى القضاء بمصر، فأقام إلى سنة 144 هـ واتهم بمكاتبة الإباضية في المغرب، فعزل وحبس، وحمل إلى بغداد، فأعتذر للخليفة أبي جعفر المنصور، فعذره وردّه إلى مصر فأقام بها وأعيد إلى القضاء سنة 167 هـ في أيام المهدي، فاستمر إلى أن توفي سنة 168 هـ. الكندي: الولاة والقضاة، ص 258 وما بعدها، الزركلي: الأعلام، ج 5، ص 122 وما بعدها.

- يزيد بن عبد الله: بن عبد الرحمن بن بلال كان والياً على إخميم، فأرسل إليه فاستقضى على مصر، استخلفه غوث لما خرج إلى الصائفة ثم قدم بعد ثلاثة أشهر، وبقي ابن بلال أربعة أشهر على القضاء ثم مات فجأة سنة 140 هـ. الكندي: الولاة والقضاة، ص 260.

- عبد الله بن لبيبة: ابن فرعان الحضرمي، قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها في عصره، ولي قضاء مصر للمنصور العباسي سنة 154 هـ فأجرى عليه 30 ديناراً كل شهر، فأقام عشر سنين وصرف سنة 164 هـ، توفي سنة 174 هـ. الكندي: الولاة والقضاة، ص 266، الزركلي: الأعلام، ج 4، ص 115.

(1) - المصدر نفسه، ص 188.

لم يحدث مسلم بن مخلد أي تغيير على ولاية القضاء في مصر إذ وليها سليم بن عتر⁽¹⁾ من سنة 40هـ إلى موت معاوية بن أبي سفيان لسنة 60هـ⁽²⁾، ثم عزله مسلمة وولى عابس بن سعيد المرادي⁽³⁾، وتوفي مسلمة بن مخلد وهو وال عليها سنة 62هـ، واستخلف عابس بن سعيد عليها⁽⁴⁾.
أي أنه لم يولي عليها لا أزديا ولا حضرميا مما أوصاه به معاوية، أما عن القضاة الذين ذكرهم ابن لهيعة فكثيرهم كانوا أيام حكم خلفاء بني مروان.

2- وصية عبد الملك للحجاج ينبهه إلى من يبعد عن تولي القضاء

وصية عبد الملك للحجاج يبين له صفات من لا يُؤلى على القضاء

-رقم: 74-

سبق وأن ذكرت الشروط التي إذا توفرت في القاضي حق أن يستعان به في القضاء بين الناس، ولكن الخليفة عبد الملك بن مروان في وصيته للحجاج وصف له صفات من لا يستعان به في خطة القضاء بشيء من الدقة والوضوح، قال الأبي كتب عبد الملك إلى الحجاج:
«ولا⁽⁵⁾ تولين الأحكام بين الناس جاهلا بالأحكام،⁽⁶⁾ ولا حديدا طائشا عند الخصام، ولا طمعا هلعا يقرب أهل الغنى⁽¹⁾ ويبش بأهل السعة، فيكسر بذلك أفئدة ذوي الحاجة، ويقطع ألسنتهم عن الإدلاء بالحجة⁽²⁾، والإبلاغ في الصفة.

(1) - سليم ابن عتر التجيبي: كان يدعى سليماً الناسك، لشدة عبادته، أول من قص بمصر سنة 39 هـ، ثم لما كان عام الجماعة سنة 40 هـ ولاه معاوية القضاء فوليها سليم بن عتر إلى أن عزل عنها في سنة 60 هـ، فكانت ولايته عليها 20 سنة، وكان سليم أول قاض نظر في الجراح وحكم فيها. الكندي: الولاة والقضاة، ص 219، 225؛ رفع الإصر، ص 165-167.

(2) - الكندي: الولاة والقضاة، ص 224.

(3) - المصدر نفسه، ص 225.

(4) - نفسه، ص 33.

(5) - في التذكرة الحمدونية «لاتولين».

(6) - حديدا طائشا: يقال للرجل الذي فيه حدة التي تعتري الإنسان من النزق والغضب والطيش. ابن منظور: لسان

العرب، ج 3، ص 143، مادة «حدد»، وفسرها ما بعدها

واعلم أن الجاهل لا يعلم، والحديد لا يفهم، والطائش القلق لا يعقل، والطمعُ الشره لا ينفع عند الحاجة، ولا تغني قبله البينة⁽³⁾. والسلام»⁽⁴⁾.

ركز عبد الملك بن مروان في هذه الوصية التي وجهها للحجاج على صفات خلقية يجب أن لا يتصف بها من يجلس للقضاء:

أولاً: الجهل بالأحكام فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتولى القضاء بين الناس من لا يعلم الأحكام ولا يدري مصادرها ولا أحكامه، وهي الوظيفة الوحيدة في الجهاز الإداري التي يشترط فيها قدراً كبيراً من العلم.

ثانياً: الحدة في الخلق، وهذه أيضاً من أهم الصفات التي يجب أن لا تتوفر فيمن يتولى القضاء لأنه يتعامل مع الناس من متخاصمين وشهود وغيرهم، فلا يليق به أن يكون حاد الطبع سيء الخلق مع المتخاصمين فيخشونه، فيتردد الناس في بسط حجتهم أو شهادتهم أمامه ومن ثم لا يصدر حكمه عن بيعة، ولا روية .

ثالثاً: الطيش عند الخصام، كذلك الطيش ينتفي مع العقل ومن لا يستطيع أن يتحكم بنفسه ولا يكون له عند سورة الغضب، عقل يكبح جماحه فلا يجب أن يتولى القضاء الذي قد يكثر فيه الأخذ والعطاء في القضايا.

رابعاً: الطمع، يجب أن يكون القاضي أبعد الناس عن الطمع، فيكون عزيز النفس قنوعاً بما قدر له من رزق لا يرمي بنظره إلى ما عند الناس فيميل في حكمه مع ميل نفسه، فيكون بذلك أظلم للناس. وفي هذه الصفات التي حددها عبد الملك دليل واضح على أنها صادرة عن علم واطلاع، فهو أحد العلماء في زمانه⁽¹⁾، وقد عبر عنها في هذه الوصية بأبلغ صورة.

⁽¹⁾ - ييش بأهل السعة: جمعه: بشش، والبش اللطف في المسألة والإقبال على الرجل ويضحك له ويلقاه لقاء جميلاً، والبشاشة طلاقة الوجه، والمعنى: يضحك ويلطف أهل الغنى، ويعبس في وجه الضعفاء والفقراء. ابن منظور: لسان العرب، ج 6، ص 266، مادة «بشش».

⁽²⁾ - عند أبي حيان: «الإفلاج بالحجة». والإفلاج جمع فليج وهو الظفر والفوز على الخصم الرجل. ابن منظور: لسان العرب، ج 2، ص 346، مادة «فليج».

⁽³⁾ - عند أبي حيان « فيه البيعة»؛ وعند ابن حمدون «قبله البيعة».

⁽⁴⁾ - أبو حيان: البصائر والذخائر، ج 6، ص 219؛ الآبي: نثر الدر، ج 3، ص 34 وما بعدها؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 1، ص 310.

ويبدو أن الأمويين قد التزموا في تعيين قضاتهم ما جاء في الصورة النظرية التي تحملها نصوصهم ووصاياهم فكان قضاتهم من ذوي العلم والفضل ولم يصلنا غير ذلك.

3- وصية هشام للوليد بن رفاعة يحدد له صفات من يوليه على القضاء

وصية هشام بن عبد الملك للوليد بن رفاعة بأن يتخير للقضاء على جنده

-رقم: 75-

إن تخلي الخلفاء والولاة عن ممارسة القضاء والاقتصاص على التعيين والعزل والقيام بقضاء المظالم، لم يمنع الخلفاء من مراقبة أعمال القضاة ومراجعة أحكامهم ومتابعة الدعاوى والأفضية التي تصدر عنهم وإذا ثبت لديهم انحراف أي قاض من قضاة دولتهم لم يتوانوا في عزله⁽²⁾، ويستعيضونه بأفضل منه، فقد روى الكندي عند حديثه عن يحيى بن ميمون قاضي مصر، أن هشام بن عبد الملك كتب إلى الوليد بن رفاعة⁽³⁾ بعزل القاضي، وكان سبب العزل أن يتيما تظلم بعد بلوغه من وليه للقاضي يحيى وأتاه بالبينة فلم ينصفه فكتب إليه بالأبيات التالية:

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا حَسَّانَ عَنِّي *** بِأَنَّ الْحُكْمَ لَيْسَ عَلَى هَوَاكَ
حَكَمْتَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَأْتِ حَقًّا *** وَلَمْ يُسْمَعْ بِحُكْمٍ مِثْلِ ذَاكَ⁽⁴⁾

فبلغ يحيى بن ميمون ذلك، فسجن اليتيم، ورفع أمره إلى هشام، فعظم ذلك عليه وكتب إلى الوليد عن ابن قديد:

«اصرف يحيى عما يتولاه من القضاء مذموما مدحورا، وتخير لقضاء جندك رجلا عفيفا ورعا تقيا سليما من العيوب لا تأخذه في الله لومة لائم»⁽¹⁾.

(1) - عن وكيع قال: «حدثنا الأعمش عن ذكوان قال: كان فقهاء المدينة يعدون أربعة، منهم عبد الملك بن مروان».

البلاذري: أنساب، ج 7، ص 202.

(2) - سلامة مَجْد: تاريخ القضاء، ص 185 وما بعدها.

(3) - الوليد بن رفاعة: ابن خالد الفهمي، أمير كان يلي الشرطة بمصر، ونحي عنها سنة 97 هـ ثم قلده هشام بن عبد

الملك الإمارة سنة 109، واستمر واليا إلى أن توفي سنة 117 هـ، وحمدت سيرته. الكندي: الولاة والقضاة،

ص 58، الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 120.

(4) - وهذه الأبيات من شعر أبي شمر وتتمتها:

وَتَزَعُمُ أَنَّهَا حَقٌّ وَعَدْلٌ *** وَأَزَعُمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَذَاكَ
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ *** وَأَنَّكَ حِينَ تَحْكُمُ قَدْ يَرَاكَ

الكندي: الولاة والقضاة، ص 247.

بالفعل نفذ الوليد الوصية فعزل يحيى وعين بدلا عنه توبة بن نمر، وكان ذلك سنة 114هـ⁽²⁾.
 في هذه الوصية حدد هشام بن عبد الملك صفات وشروط يجب أن تتوفر في القاضي حسب
 تصوره وقد حصرها في العفة والورع والتقوى، وفوق كل ذلك أن يكون سليما من كل عيب، والظاهر أن
 هشاما يقصد بذلك السلامة من كل العيوب الخلقية والخلقية التي يمكن أن تبعث الناس على الانتقاص
 منه أو أن لا ينظرون إليه نظرة إكبار أو إجلال فهيبة القاضي تؤدي دورا بالغ الأهمية في تقبل
 المتخاصمين الأحكام كما تؤدي دورا في سيطرة القاضي على الجلسة والتحكم فيها مهما علا شأن
 الخصوم وإن كانوا أمراء أو قادة أو أشرفا من علية القوم بل حتى لو كان الخليفة نفسه.

4- وصية مروان بن محمد إلى أهل مصر يوصيهم بالبحث عن يعاون حوثة في القضاء

كتاب مروان بن محمد لأهل مصر يحثهم على البحث

عن يسدد القاضي حوثة بن سهل

-رقم: 76-

عن يحيى بن عثمان بن صالح عن أبيه قال: «قدم علينا كتاب أمير المؤمنين مروان في
 حوثة بن سهيل⁽³⁾»:

أن قد بعثت إليكم رجلاً أعرابياً بدوياً فصيح اللسان من حاله ومن حاله كذا، فأجمعوا له
 رجلا فيه مثل فضالة يسدده في القضاء، وبصوبه في النظر، ويسدّد في كذا وكذا⁽⁴⁾.
 قال بكر بن منصور: «فأجمع الناس كلهم يومئذ على الليث بن سعد»⁽⁵⁾.

(1) - الولاة والقضاة، ص 247؛ ابن حجر: رفع الإصر، ص 466.

(2) - الكندي: الولاة والقضاة، ص 247. ابن حجر: رفع الإصر، ص 466.

(3) - حوثة بن سهيل: بن العجلان بن سهيل بن كعب بن عامر الباهلي، من أهل قنسرين وولاه مروان بن محمد على مصر
 سنة 128هـ، وصف بأنه: فيه جفوة الأعراب سفك دماء كثير من الزعماء والرؤساء بتهمة الاشتراك في الفتنة التي
 دعي فيها إلى خلع مروان ففضى عليهم، ثم صرفه مروان سنة 131 هـ مددا ليزيد بن عمر بن هبيرة، بالعراق
 فقاتل معه أشباع العباسيين إلى أن استسلم ابن هبيرة بعد مقتل مروان، فاستسلم حوثة معه، فقتلها السفاح
 العباسي سنة 132 هـ. الكندي: الولاة والقضاة، ص 67، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 15، ص 336؛
 الزركلي: الأعلام، ج 2، ص 288.

(4) - الكندي: الولاة والقضاة، ص 67-68؛ المقرئ: المقفي الكبير، ج 3، ص 397-398.

(5) - الليث بن سعد: كان محدثا فقيها عد إمام أهل مصر في عصره، أصله من خراسان، وكان من الكرماء الأجواد،

في هذه الوصية اشترط مروان بن مُجَّد فيمن يتولى القضاء فصاحة اللسان لأن القاضي ينطق بالأحكام ومطالب عند ذاك بصياغة الحجج والإبانة عنها ليقنع الخصوم والناس بأحكامه، هذا بالإضافة إلى ما يتولاه من مهام أخرى كالصلاة والخطابة وغيرها، كما أشار إلى شروط أخرى لم يفصح عنها في الوصية.

وقد فصل مروان بن مُجَّد في الشروط والمواصفات الواجب توافرها في القضاة، وذلك في رسالته المطولة التي كتبها لولي عهده⁽¹⁾.

وتدل هذه الرسالة الجامعة على أن القضاء في الدولة الأموية ظل محتفظاً بمكانته حتى نهاية حكم بني أمية، على الرغم من كثرة القلاقل والثورات التي شغلت الفترة الأموية، لأنهم كانوا يدركون أن حدوث أي خلل فيه سيؤدي لا محالة إلى اضطراب في الأمن وزعزعة النظام كله⁽²⁾.

5- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في تحديد أصول الأفضية والأحكام

رد عمر على عدي بن أرطاة يبين فيه مصادر الأحكام الشرعية ويوصيه بأن يحكم بالعدل

-رقم: 77-

لم يتغير القضاء في العصر الأموي عما كان عليه قبلهم خاصة من ناحية مصادره، وهي: الكتاب والسنة والإجماع والسوابق القضائية للخلفاء الراشدين والاجتهاد مع الاستشارة، وهذه الأصول هي التي أشار إليها الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي اكتسب القضاء في عهده مكانة خاصة إذ كان يعتبره من أركان السلطان الذي لا يثبت إلا به، فقد كتب إلى عامله على خراج خراسان عقبة بن زرعة: «إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها، فالوالي ركن، والقاضي ركن، وصاحب بيت المال ركن، والركن الرابع أنا»⁽³⁾.

كما كان من أكثر خلفاء بني أمية عناية بتزويد قضاته بالتوجيهات والإرشادات التي تساعدهم على أداء مهامهم على أكمل وجه، كما كان القضاة أحياناً يكتبون للخلفاء يستفتونهم ويسألونهم عما

قال الشافعي: الليث بن سعد أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به توفي سنة 175 هـ. الكندي: الولاة والقضاة،

ص 103؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 2، ص 82؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 50، ص 341-

379؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 4، ص 429-427؛ الزركلي: الأعلام، ج 5، ص 248.

(1) - انظر الوصية رقم: 16.

(2) - سلامة مُجَّد: تاريخ القضاء، 400.

(3) - تاريخ الطبري، ج 1، ص 203.

أشكل عليهم، مثلما فعل عدي بن أرطاة مع عمر بن عبد العزيز. قال البلاذري: كتب عمر إلى عدي بن أرطاة⁽¹⁾:

«أما بعد. فقد أتاني كتابك تسأل عن القضاء بين الناس، والقضاء بين الناس: يتباع ما في كتاب الله، ثم ما جاء عن رسول الله ﷺ ثم ما حكم به أئمة الهدى، ثم استشارة ذوي الرأي والعلم، فما أتاك من الحكم فلم تجده في الكتاب نصاً، ولا في السنة رواية، ولا أخبرك به مخبر عن الأئمة الأبرار، فسل عنه أهل العفة والمعرفة، ثم احكم بالعدل، ولا تؤثر أحداً على أحد - إن شاء الله - وسألت عن ميراث من وهب ولاءه أو باعه، غير مستكره، فإن الولاء لمن أعتق لا يباع ولا يوهب، وقد أوصى رسول الله - ﷺ - « أن الولاء لمن أعتق »⁽²⁾.

وسألت عن الكافر يعتقه المسلم، فهو مولى للمسلم، وميراثه راجع إلى بيت المال لأنه لا يتوارث أهل ملتين، ويُعقل عنه إذا جنى من مال الله.

وسألت عن المرأة ترمي الرجل بنفسها، أو يوجد معها، وليس معهما أحد سواهما، والرجل جاحدٌ، وقد أُنِّم وأُظِن⁽³⁾، وإن الحدود لا تقام إلا بالبينات، أو الاعتراف⁽⁴⁾، فاجلد من أخذته على ذلك جلد النكاح على غير حدٍّ، ولا تقم الحدود بالتهم، فإنها تدرأ بالشبهات، وما ستر الله عباده فاسترهم به، واعلم أنك متمسك بالعدل ما أزلت الشك بالبينة والشهود والعدول⁽⁵⁾، والسلام»⁽⁶⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 77أ-

وقال عمر بن قيس: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة:

«أما بعد. فإن رأس القضاء: إتباع ما في كتاب الله، ثم القضاء بسنة رسول الله، ثم حكم الأئمة الهداة، ثم استشارة ذوي الرأي والعلم، وألا تؤثر أحداً على أحد، وأن تحكم بين الناس وأنت

(1) - هذا الكتاب بتحقيقه أخذناه نقلاً عن الدكتور محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 3، ص 13-15.

(2) - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة، ج 7، ص 47، رقم 5279.

(3) - أظن: المتهم والمشكوك فيه على غير يقين، ابن منظور: لسان العرب، ج 13، ص 272 وما بعدها، مادة «ظنن».

(4) - ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج 1، ص 225 وما بعدها؛ ابن أبي الدم: آداب القضاء، ص 184 وما بعدها.

(5) - «والعدول» كذا جاءت ولعلها « والشهود العدول ».

(6) - البلاذري: أنساب، ج 8، ص 155 وما بعدها، محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 3، ص 13 وما بعدها.

تعلم ما تحكم به، ولا تقس، فإن القاييس في الحكم بغير العلم، كالأعمى الذي يعيش⁽¹⁾ في الطريق ولا يبصر، فإن أصاب الطريق أصاب بغير علم، وإن أخطأه فقد نزل بمنزلة ذلك، حين أتى بما لا علم له فهلك، وأهلك من معه، فما أتاك من أمر تحكم فيه بين الناس لا علم لك به، فسل عنه من يعلم، فإن السائل عما لا يعلم من يعلم، أحد العالمين⁽²⁾.

رواية أخرى

رقم: -77ب-

كما جاء أول الرواية السابقة في رده على عروة بن محمد السعدي⁽³⁾ واليه على اليمن الذي يظهر أنه هو الآخر كتب إليه يسأل عن ذلك. قال ابن عبد البر:

«وإن رأس القضاء: إتباع ما في كتاب الله، ثم القضاء بسنة رسول الله، ثم بحكم أئمة الهدى، ثم استشارة ذوي الرأي والعلم»⁽⁴⁾.

وهذا الذي كتب به أكده في قول له، وزاد عليه قال: «لا ينبغي للقاضي أن يكون قاضيا حتى يكون فيه خمس خصال أيتها أخطأته كان فيه خلا حتى يكون عالما قبل أن يستعمل مستشيرا لأهل العلم، ملقيا للرتع⁽⁵⁾، منصفا للخصم، محتملا للأئمة»⁽⁶⁾.

(1) - يعيش: مفردا عشا، وهو الذي لا يبصر بالليل، ويقصد به أيضا ذهاب البصر. ابن منظور: لسان العرب: م15، ص 56، مادة «عشا».

(2) - وكيع: أخبار القضاة، ج1، ص77؛ محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج3، ص15.

(3) - عروة بن محمد بن عطية بن عروة السعدي، استعمله سليمان بن عبد الملك وأقره عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك الذي عزله سنة 103هـ، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج40، ص291. المهزي: تهذيب الكمال، ج20، ص34.

(4) - ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج2، ص24.

(5) - رتع الرتع: نحو من الجشع وهو أسوأ الحرص إلا أن فيه دناءة وإسفافا لمداق المطامع والرضا بالطفيف من العطية. الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، ج2، ص38.

(6) - ابن أبي الدنيا: الإشراف في منازل الأشراف، ص146؛ وكيع: أخبار القضاة، ج1، ص78؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج45، ص201. الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، ج2، ص38. وقوله: «محتملا للأئمة» يظهر أنه أتمها تعني في نظري «محتملا للأئمة» أي المعاتبة وهي أن يتحمل عتاب الناس، ونقدم له وإشاعة ما يشيعونه عنه.

أما نهي عمر بن عبد العزيز عن اللجوء إلى القياس، إذ لم تتوفر أدواته وهو العلم، بما سبق ذكره في الرسالة الذي هو شرط صحة القياس، فهو في هذا يتفق ما جاء عن جده عمر بن الخطاب في تلك الرسالة التي كتب بها إلى أبي موسى في القضاء الذي جاء فيها: «... واعرّف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور بعد ذلك...»⁽¹⁾، وهو الأمر الذي جاء عنه في أحد رسائله: «أنه لا رأي لأحد في كتاب، وإنما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب...»⁽²⁾.

وواضح جدا أن عمر بن عبد العزيز إنما يحدد لقضائه مصادر التشريع الأربعة التي يستمدون منها أحكامهم، وهو أمر لا نجد أحدا من الخلفاء الأمويين يخوض فيه على الأقل فيما وصلنا من إرثهم وأخبارهم، وهذا إنما مرده إلى كون عمر عالما بأمور الشرع والدين، فهو هنا يمارس سلطة تشريعية محضة، ويتبع في ذلك سيرة الخلفاء الراشدين وخاصة منهم عمر بن الخطاب الذي تصدى مثلما ذكرنا لهذه المسألة في أشهر رسائله في القضاء، والذين كانوا هم أنفسهم مصدرا للتشريع، ويبدو أن هذا الجانب الديني والشرعي الهام في رسائل وأخبار عمر بن عبد العزيز هو الذي كان سببا في حفظها من الضياع والنسيان إذ تبادرها العلماء من محدثين ومؤرخين وغيرهم يتناقلونها ويدونونها وأهملوا أخبار غيره من الخلفاء الأمويين إلا النزر اليسر من بعض مآثرهم ومثالبهم.

ثالثا: وصايا الولاة للقضاة

1- وصية عقبة بن الحجاج السلولي لمهدي بن مسلم عند توليته القضاء

وصية عقبة بن الحجاج السلولي لمهدي بن مسلم عند توليته القضاء

-رقم: 78-

تعرف الفترة الأولى للحكم الإسلامي الأندلس بعصر الولاة (92-138هـ)، وهي فترة مضطربة اشتهرت بالغزوات الخارجية التي شنها ولاة الأندلس على جنوب فرنسا، كما اشتهرت أيضا بالفتن الداخلية التي قامت بين العرب والبربر تارة، وبين العرب القيسيين واليمنيين تارة أخرى⁽³⁾. وكانت صفة الجندي غالبية على أهلها؛ لأن الوافدين على الأندلس في تلك الفترة هم جند الخلافة الإسلامية لاستكمال حركة الجهاد، فالناس فيها جميعا من الجند والقضاة بينهم قضاة جند، ولهذا

(1) - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 1، ص 133. وكيع: أخبار القضاة، ج 1، ص 70 وما بعدها.

(2) - سنن الدارمي، ج 1، ص 401، محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 3، ص 16.

(3) - العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 291.

سمي القاضي في هذه الفترة بقاضي الجند وهذا تقليد قضائي موجود في بلاد المغرب خلال هذه الفترة⁽¹⁾.

كان الولاة الأوائل في الأندلس هم القضاة، ولم يتم الفصل بين مناصبي الولاية والقضاء إلا في سنة 116هـ، أي في عهد الوالي عقبة بن الحجاج السلوي حيث تم تعيين مهدي بن مسلم قاضياً في قرطبة⁽²⁾، وأصبحت بذلك ولاية القضاء خطة منفصلة عن سلطة الولاة أي السلطة التنفيذية وهي الحكومة في الأندلس⁽³⁾، ويعتبر هذا القاضي أول من تولى هذه الخطة منفردة، أي لم يكن من أصحاب الخطط الإدارية الأخرى، وقد قدم لنا في هذه الفترة أطول كتاب بتولية قاض في التاريخ الأموي على الإطلاق⁽⁴⁾، تفرد بذكره الحشني فقال:

«حدثني أحمد بن فرج قال: حدثني أبو العباس أحمد بن عيسى بن محمد المقرئ بمدينة

تنيس، قال: ولي الأندلس عقبة بن الحجاج السلوي⁽⁵⁾ وكان هذا الوالي المجاهد قد عرف مهدي بن مسلم⁽⁶⁾ بالعلم والدين والورع، والبلاغة والبيان، فلما أراد توليته قضاء قرطبة قال له اكتب عهدك عني لنفسك فكتب مهدي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

(1) - خليل ابراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 438.

(2) - الحشني: قضاة قرطبة، ص 21.

(3) - سالم بن عبد الله: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج 2، ص 621.

(4) - سلامة محمد: تاريخ القضاء، ص 47.

(5) - عقبة بن الحجاج السلوي: أمير، كان من أشرف بني سلول، دخل الأندلس سنة 116 أو 117 هـ واليا عليها من قبل عبيد الله بن الحبحاب أمير مصر وإفريقيا، فأقام بها سنين محمود السيرة، منابراً على الجهاد، مفتتحاً البلاد حتى بلغ المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر رودنة، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام ويبين له عيوب دينه، واختلف المؤرخون في نهاية عهده، فقيل: استشهد ببلاط الشهداء، وقيل: ثار به أهل الأندلس بتحريض عبد الملك بن قطن، فخلعوه سنة 123 هـ وتوفي بعد قليل بقرطبة. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 224؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 29؛ المقرئ: نفع الطيب، ج 3، ص 19؛ الزركلي: الأعلام، ج 4، ص 240.

(6) - مهدي بن مسلم: استقضاه على قرطبة عقبة بن الحجاج، واستخلفه عليها، وأمره بالقضاء بين أهلها وكان من أهل العلم والورع والدين المتين. وقبره عند المصريين. ولما أراد عقبة توليته، قال له: «اكتب عهدك لنفسك» فكتبه بخط يده. قال ابن الحارث: «وإنه اليوم لأصل من الأصول للعهد في القضاء». النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص 42، ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج 2، ص 203.

هذا ما عهد به عقبة بن الحجاج إلى مهدي بن مسلم حين ولاه القضاء، عهد إليه بتقوى الله وإيثار طاعته وإتباع مرضاته في سر أمره وعلايته مراقبا له مستشعرا لحشية الله، معتصما بحبله المتين، وعروته الوثقى، موفيا بعهده، متوكلا عليه واثقا به، متقيا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾⁽¹⁾

- وأمره أن يتخذ كتاب الله وسنة نبيه محمد - ﷺ - إماما يهتدي بنورهما، وعلما يعيشو إليهما، وسراجا يستضيء بهما فإن فيها هدى من كل ضلالة، وكشفا لكل جهالة، وتفصيلا لكل مشكلة، وإبانة لكل شبهة، وبرهانا ساطعا، ودليلا شافيا، ومنارا عاليا، وشفاء لما في القلوب وهدى ورحمة للمؤمنين.

- وأمره أن يعلم أنه لم يختره لمصالح العباد والبلاد وتوليه القضاء الذي رفع الله قدره وأعلى ذكره وشرف أمره، إلا لفضل القضاء عند الله - ﷻ -، لما فيه من حياة الدين، وإقامة حقوق المسلمين، وإجراء الحدود مجاريها على من وجبت عليه، وإعطاء الحقوق من وجبت عليه، ولما رجا عنده فيما يمضيه ويتقدم فيه، ويحكم به من إيثار حق الله - ﷻ - وطلب الزلفى لديه والقربى إليه، وأن يجاسب نفسه في يومه وغده فيما يتقلد من الأمانة الثقيل حملها الباهظ عبؤها، فإنه محاسب وموعد موعد.

- وأمره أن يواسي بين الخصوم بنظره واستفهامه، ولطفه ولحظه واستماعه، وأن يفهم من كل أحد حجته وما يدلي به، ويستأني بكل عبي اللسان ناقص البيان، فإن استقصاء الحجة ما يكون به الحق لله تعالى عليه قاضيا، وللواجب فيه راغبا، فقد يكون بعض الخصوم ألحن بحجته وأبلغ في منطقته وأسرع في بلوغ المطلب، وألطف حيلة في المذهب، وأذكى وأحضر جوابا من بعض، وإن كان غير الصواب مرماه، وخلاف الحق منهاه، فإن لم يتعاهد القاضي مثل هذا ويجعله من القربات إلى الله - ﷻ - بالتحفظ والتيقظ، والاستراية والاحتراس من أهل الخب واللدود⁽²⁾ والعناد والتلبس بشهادات الزور وتحيف الحقوق، أهلك القوي الضعيف واقتطع حقه، وغلب عليه، وفي تقدم

(1) - سورة النحل، الآية: 128 .

(2) - الخب: الحدأع. ابن منظور: لسان العرب، ج 1، ص 342، مادة «خب».

- اللدود: من التلدد: وهو التلفت يمينا وشمالا تحيرا. ولكن في النص تعني الألد: الذي هو الشديد الخصومة ابن منظور:

لسان العرب، ج 3، ص 390، مادة «لد».

القاضي في النظر في ذلك والمراعاة له واحتساب ثواب الله فيه إثبات الحق وإزهاق الباطل ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾⁽¹⁾.

— وأمره أن يكون وزراءه وأهل مشورته والمعينون له على أمر دنياه وآخرته أهل العلم والفقه والدين والأمانة ممن قبله، وأن يكاتب من كان في مثل هذه الحال المرضية ممن في غير ناحيته، ويقابل آراء بعضهم ببعض، ويجهد نفسه في إحيائه الحق.

فإن الله جل ثنائه يقول في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق محمد ﷺ ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾⁽²⁾.

وأن يكون حجابهم وأعوانهم، ومن يظهر به على ما هو بسبيله أهل الطهارة والعفاف، والطلب لأنفسهم والبعد من الدنس فإن أفعاله منسوبة إليه، ومنوطة لديه، فإذا أصلح ذلك لم يلحقه عيب ولم يعلق به ريب إن شاء الله.

— وأمره أن يديم الجلوس والقعود لمن استرعاه الله أمره، وقلده شأنه، وأسند الحكم له وعليه، ويقل السامة منهم والتبرم بهم، ويصرف إليهم قلبه وذهنه وشغله وفكره وفهمه ولسانه بما يوسعهم به عدلاً وإنصافاً واستصلاحاً، فإن في ذلك قوة لمنتهم وإحياء لتأميلهم، وتحقيقاً لجميل ظنونهم وثقة منهم بورعه ونزاهته وطيب طعمته، فإن منهم الضعيف عن التودد، والزمن الثقيل، وعليه في كل وقت التعهد ووهنا لأهل التلدد والفجور والتفحم في ملتبسات الأمور، وأن يكون قعوده لهم وتصرفه في النظر بينهم بنشاط وقلة فتور، ليكون ذلك أقوى له وأتقن لما يحكمه ويبرمه من سياستهم وتديبرهم إن شاء الله.

— وأمره أن يسمع من الشهود شهادتهم على حقها وصدقها ويستعصمها حتى لا يبقى عليه شيء منها ومن المزكين تزكيتهم، ويكثر البحث والفحص عن أمورهم أجمعين، ويسأل عنهم أهل الصلاح والأمانة والثقة والدعة ممن يعرفهم، ويبطن أحوالهم، ولا يعجل بامضاء حكم حتى يستقصي حجج الخصوم وبياناتهم ومزكيهم، ويضرب لهم الآجال، ويوسع فيها عليهم، حتى تنجلي عليهم حقائق أمورهم وتنكشف له أغطيتها، فإذا أتى عليها علماً وأيقنها إيقاناً لم يؤخر الحكم بعد اتضاحه وظهوره وثبوته عنده وعند من يشاوره من فقهاءه.

(1) — سورة الإسراء، الآية: 81.

(2) — سورة آل عمران، الآية: 159.

-وأمره أن يطالع بكتبه في الحوادث التي يحتاج فيها إلى المشاورة فيما أشكل عليه واستغلق له واحتاج إليه في النوازل: إبراهيم بن حرب ليرد عليه منه ما يعمل به ويمثله ويقتصر عليه ويصير إليه لتكون موارد أموره ومصادرها ومبتدأ فواتحها بالتسديد مقرونة خواتمها بالتأييد إن شاء الله.

-هذا عهدي إليك وأمري إياك وإسنادي إليك ما أسنده، وتفويضي إليك ما فوضت، فإن تعمل به يكن حجة عليك وإذن، أسأل الله أن يعينك ويقويك ويرشدك ويوفقك ويسدّدك إنه خير موفق ومعين، وصلى الله على محمد⁽¹⁾.

فعهد التولية هذا إذن يعود للقاضي مهدي بن مسلم كتبه لنفسه نيابة عن عقبة بن الحجاج، وقد عقب عليه ابن الأبار بقوله: «فإنه اليوم لأصل من أصول العهود في القضاء»⁽²⁾، وهو أطول النصوص في هذا اللون من العهود التي وصلتنا من الأندلس، غير أننا نسجل بعض الملاحظات حول هذا النص وراويه:

روى هذا النص أبو العباس أحمد بن عيسى بن محمد المقرئ المتوفى سنة 338هـ: وهو حسب تعريف ابن حجر له: «أحمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن عثامة بن فرج أبو العباس الكندي الليثي الصوفي المقرئ المعروف ب"ابن الوشاء التنيسي"، قال مسلمة في "الصلة": انفرد بأحاديث أنكرت عليه لم يأت بها غيره شاذة كتبت عنه حديثا كثيرا وكان جامعا للعلم وكان أصحاب الحديث يختلفون فيه فبعضهم يوثقه وبعضهم يضعفه وخرج من البصرة إلى الأندلس يعني في حدود الأربعين وثلاث مائة وقد نيف على المائة»⁽³⁾، وذكر الحشني أسفل عهد القضاء هذا نصا عن ابن الوشاء الذي روى العهد يقول فيه: «قال أحمد بن فرج فقلت لأحمد بن عيسى (ابن الوشاء): لقد عظمت همتك إذ حفظت مثل هذا وشبهه من الأخبار القديمة، فقال: حفظت هذا زمن الصبا عن جدّ لي، عمّر نحو عمري، وكان من أحفظ الناس لأخبار المغرب وافتتاحه، وأخبار بني أمية عنكم ولقد كان عندي من كتبه أخبار حسان غريبة فذهبت بحريق كان في منزلي، ولقد بلغني: أن بعض من عندهم، من بني الأغلب أو غيرهم من الشيعة ادعى هذا العهد وكتب به نصا إلى بعض من ولاة القضاء، وما هو إلا لمهدي بن مسلم هذا، عندي قديما أحفظه زمن الصبا عن جدي، فهل عندهم له ذكر؟ فقلت له: ما سمعت به عندنا ولا باسم مهدي هذا، فقال لي قد سألت غيرك من أهل بلدك فلم

(1) - الحشني: قضاة قرطبة، ص 22-25.

(2) - ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج 2، ص 203.

(3) - لسان الميزان، ج 1، ص 242.

يكن يعرفه، فيا عجبى كيف درس خبره عندكم؟ لكنى أظنه لم يعقب، فاضمحل خبره بالفتن التي دارت في بلدكم»⁽¹⁾.

ومنه نستنتج أن ابن الوشاء حفظ نص العهد في صباه غيبا عن جده الذي قد جاوز عمره المائة ولما رواه في مدينة تنيس بمصر كان عمره هو الآخر قد جاوز المئة، حسب نص ابن حجر إذ لم يغادر البصرة إلى الأندلس إلا بعد تجاوزه المئة، ولم يسمع أهل الأندلس قبله له ذكرا حسب أحمد بن فرج، ولم يروه عنه غير الحشني، وهو بكل هذا الطول، مما يجعلنا نشك في أصل هذا العهد وفي ضبط نصه، خاصة وأن علماء الحديث مثلما رأينا في ترجمة ابن حجر له ذكروا أنه يروي الغرائب والمناكير.

كما أن النص الثاني يذكر فيه ابن الوشاء أن هذا العهد ادعاه بعض بني الأغلب أي الأغالبة أو بعض الشيعة أي العبيديين، مما يدل أن النص فيه احتمال أن يكون لغير مهدي بن مسلم إلا أنه في الأخير ينفي ذلك ويؤكد أنه لمهدي بن مسلم قاضي الأمويين بالأندلس.

وكان القاضي مهدي بن مسلم من أشهر قضاة الجند المسلمين في الأندلس خلال عصر الولاة إضافة إلى القاضي عنتر بن فلاح⁽²⁾ والقاضي يحيى بن زيد التجيبي⁽³⁾، وقد حدث جدل كبير حول الكشف عن حقيقة هؤلاء القضاة الثلاثة الرواد لدى المستشرقين⁽⁴⁾، ثم تبعمهم بعض المصريين كالدكتور حسين مؤنس⁽⁵⁾ والدكتور محمود علي مكي⁽⁶⁾ وأخيرا الدكتور مصطفى الشكعة⁽⁷⁾.

(1) - الحشني: قضاة قرطبة، ص 25.

(2) - عنتر بن فلاح: أحد قضاة قرطبة القدماء وفُضلائهم، حدث عنه الشاميون، ووصفوا فضله وكان تقيا، ورعا. ابن عبد الملك الأنصاري: الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، ج 3، ص 402؛ النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص 42.

(3) - يحيى بن زيد التجيبي: ولاه القضاء بالأندلس عمر بن عبد العزيز، وكان رجلا صالحا، ورعا منقضا. النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص 43.

(4) - أمثال دوزي وآسين بلاثوس، وخوليان ربيرا وليفي بروفنسال.

- أنظر مثلا:

R.Dozy: Recherches sur L'histoire et la Literature de L'Espagne, p34.

(5) - فجر الأندلس، ص 496-499.

(6) - رواد الثقافة الدينية الأولى في الأندلس، ص 67-70.

(7) - المغرب والأندلس، ص 67-75.

وأصل المشكلة حسب رأي الدكتور حسين مؤنس، أن القضاة الثلاثة لم يرد ذكرهم إلا عند الخشني⁽¹⁾ والنباهي⁽²⁾، وفيما عدا ذلك لم يرد لهؤلاء الثلاثة ذكر في حوليات الأندلس، ولم يشر إليهم أحد من أصحاب كتب التراجم، حتى عند ابن الفرضي وكانت عنايته بشؤون القضاة عظيمة، ومعظم أخبارهم عند الخشني منسوبة إلى أحمد بن فرج بن منتيل، وهو شخصية قلقة من شخصيات التاريخ الأندلسي، فقد ذكر ابن الفرضي انه كان ينسب إلى اعتقاد مذهب ابن مسرة، وكان المسريون يعتبرون في عداد الزنادقة عند فقهاء الأندلس، وأخبار ابن منتيل بهذا مشكوك فيها لا يوثق في صحتها⁽³⁾.

وقد علق الدكتور محمد عبد الوهاب على ذلك قائلاً: «ولقد تأثر الدكتور مؤنس والدكتور محمود مكي ببعض آراء المستشرقين التي طرحوها حول الشك في رواية الخشني عن حقيقة هؤلاء القضاة، أما الدكتور الشكعة فقد نفى الجدل، وأكد حقيقة وجود هؤلاء القضاة وصحة رواية الخشني، ونحن نميل إلى هذا الرأي الأخير، إذ لا يوجد دليل مقنع لإنكار هذه الرواية ونسج الأقاويل والأوهام والتصورات حولها، على الرغم من عدم وجود تراجم لهؤلاء القضاة إلا عند الخشني، هذا بالإضافة إلى أن هناك بعض القضاة في فترة الإمارة الأندلسية لم تر تراجم لهم إلا لدى الخشني، ولا نستطيع إهمالهم أو إغفالهم، فلماذا نشكك في الأولى ونؤيد الثانية»⁽⁴⁾.

وقد ذكر الدكتور حسين مؤنس آراء هؤلاء المستشرقين حول هذا النص وعلق عليها بقوله: «ومن الطريف أن كل ناشر يود أن يؤكد أصالة النص الذي ينشره، فربيرا يتهم أحمد بن فرج ابن منتيل بالكذب، ولكنه يؤكد دقة الخشني وأصالة كلامه، وبروفنسال يتبنى كتاب النباهي ويدحض رأي دوزي ومن تابعه، وهذه علة لم يسلم منها إلا القليلون من الناشرين»⁽⁵⁾.

والمأمل لهذا العهد يخلص إلى النقاط التالية:

اشتمل هذا العهد عدة توجيهات، أهمها أنه حدد المصادر التي يجب أن يعتمد عليها القاضي في أحكامه وهي الكتاب والسنة، وأن يكون أهل مشورته من أهل العلم والفقہ والدين، وأن يكاتب من يأنس به المعرفة بالقضايا المشكلة التي تعرض له.

(1) - قضاة قرطبة، ص 21-29.

(2) - قضاة الأندلس، ص 42 وما بعدها.

(3) - فجر الأندلس، ص 497.

(4) - تاريخ القضاء في الأندلس، ص 26.

(5) - فجر الأندلس، ص 499.

ونص هذا العهد أيضا على المساواة بين الخصوم في كل شيء، وأن يفهم من كل واحد حجته وما يدلي به، كما يبين هذا العهد أنه من واجب القاضي مداومة الجلوس للعامّة للنظر في قضاياهم، وأن على القاضي التأني والتروي وعدم التبرم والتضجر من الخصوم وأوضح كذلك أن تحقيق العدالة يتطلب التحري في القضايا والبحث والتنقيب في وجوهها.

والتحري في أمر الشهود، وأن القاضي يجب أن يكتفي بتزكية المزكين بل يبحث عنهم في السر، وعليه أن يضرب الآجال في القضايا المشكّلة حتى تتاح له فرصة أطول في بحث هذه القضايا، ثم بين هذا العهد ضرورة سرعة البت في القضايا إذا تبين له وجهها⁽¹⁾.

هذه أهم النقاط التي حواها هذا العهد والتي لا تختلف في جوهرها عما أوضحه عمر بن الخطاب في كتابه المشهور إلى أبي موسى الأشعري، كذلك لا يختلف من حيث الجوهر أيضا عن كتاب علي إلى الأشتر النخعي-ت38هـ- إذ أن هناك أموراً مشتركة بين العهود الثلاثة خصوصا فيما يتعلق بالنص على الاعتماد على الكتاب والسنة، ومشاورة أهل العلم، وعدم التأذي بالخصوم، والمساواة بينهم، إلا أن هذا العهد يتميز عن سابقه بأنه ركز على أمر الشهود وطريقة التحري عنهم، كما أنه حضّ القضاة على مراسلة الفقهاء المشهورين في أمصارهم فيما يتعلق في القضايا المستعصية، وأخيرا يمثل هذا العهد تصورات قاض من قضاة العهد الأموي، -لأن الذي كتب هذا العهد القاضي نفسه على لسان الأمير- حول ما يجب أن يسير عليه القاضي في قضائه لتحقيق العدل بين الناس⁽²⁾.

ولا نزاع في أن مهدي بن مسلم سار على القواعد التي قررها هو بنفسه في كتاب عهده، أي أن نظام القضاء قد تقرر على أصول منظمة من أول الأمر، ولم تدخل فيه بعد ذلك إلا تعديلات طفيفة، وهذه الحقيقة تقرر لنا ناحية إيجابية جديرة بالإعجاب لعهد الولاية في الأندلس⁽³⁾.

2- وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلى فيما ينبغي مراعاته عند الجلوس للقضاء

وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلى بما يجب أن تكون عليه حاله عند القضاء

-رقم: 79-

كان يوسف بن عمر ولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة 106هـ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة 120هـ وأضاف إليه إمرة خراسان، بعد أن استخلف ابنه الصلت على اليمن⁽¹⁾، فعزل

(1) - سلامة مُجَد: تاريخ القضاء، ص51.

(2) - سلامة مُجَد: القضاء، ص52.

(3) - مُجَد عبد الوهاب: تاريخ القضاء في الأندلس، ص503.

القاضي عيسى بن المسيب - توفي في عهد الخليفة المنور - وولى عبد الله بن شبرمة الضبي - ت 144هـ - ثم عزله وولاه بيت المال وولى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى⁽²⁾ سنة 122هـ⁽³⁾ - ت 148هـ - وكان يوسف بن عمر جبارا عنيدا، مهيبا⁽⁴⁾، وكانت به حدة فقال لابن أبي ليلى عندما استقضاه:

«إنما أنت أجير قوم فوفهم عملك إذا وفوك أجرك، وإذا أردت الخروج فكل لا أشبع الله بطنك، وانكح لا أعفك الله، وإذا غضبت فقم»⁽⁵⁾.

لم يسلم من حدة يوسف بن عمر أحد من عماله⁽⁶⁾، وهذا قاضيه ابن أبي ليلى على ما له من علم وفضل يخاطبه بهذه الحدة وهذه الغلظة، غير أن ما أوصاه به، إنما هي أمور يجب على القاضي أن يراعيها ليتحرر من نزوات النفس وشهواتها ولا ينبع حكمه إلا عن صفاء عقل، وهو أمر شدد عليه المنظرون كثيرا فيما بعد في كتب الأحكام السلطانية، فعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان»⁽⁷⁾، فهذا الحديث الشريف يبين أصلا هاما في أصول القضاء الإسلامي، وسبب هذا النهي أن الحكم حالة الغضب قد يتجاوز بالحاكم إلى غير الحق فمنع وبذلك قال فقهاء الأمصار لما يحصل بسببه من التغيير الذي يختل به النظر فلا يحصل استيفاء الحكم على الوجه وعداه الفقهاء بهذا المعنى إلى كل ما يحصل به تغيير الفكر كالجوع والعطش المفرطين وغلبة النعاس وسائر ما يتعلق به القلب تعلقا يشغله عن استيفاء النظر⁽⁸⁾.

(1) - تاريخ الطبري، ج 7، ص 159؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 5، ص 443؛ الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 243.

(2) - تاريخ خليفة، ص 361. قال وكيع: أن أول من استقضى يوسف بن عمر محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى. يعني ذلك أن أول قاض ولاة يوسف بن عمر بعد توليه على العراق بدليل قول الطبري: أن يوسف بن عمر استقضاه

بعد عزل ابن شبرمة سنة 122هـ. تاريخ الطبري، ج 7، ص 191. وأنظر: أخبار القضاة، ج 3، ص 129.

(3) - تاريخ الطبري، ج 7، ص 191.

(4) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 556.

(5) - البلاذري: أنساب، ج 9، ص 116.

(6) - أنظر أخباره عند البلاذري: أنساب، ج 9، ص 110-125.

(7) - رواه البخاري في صحيحه عن عبد الملك بن عمير، ج 9، ص 65، رقم 7158.

(8) - ابن حجر: فتح الباري، ج 13، ص 137.

3- وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلى يحدد له أوقات الجلوس للقضاء

وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلى

-رقم: 80-

في حين حدد يوسف بن عمر أوقات جلوس قاضيه ابن أبي ليلى في وصية له فقد ذكر أبو بكر بن عياش قال: بعث يوسف بن عمر إلى ابن أبي ليلى يستقضيه على الكوفة، وأوصاه: «فقد وليتك القضاء بين أهل الكوفة وأجريت عليك مائة درهم في الشهر، فاجلس لهم بالغداة والعشي، فإنما أنت⁽¹⁾ أجير للمسلمين»⁽²⁾.

رواية أخرى

-رقم: 80أ-

في حين جاء في رواية أخرى عن عبد الله بن الأجلح باختلاف قليل، فقد قال يوسف بن عمر لأحد أعوانه يدعى مقرن، فوقع رأيه على ابن أبي ليلى، فأخذه إلى يوسف بن عمر، فلما أدخل عليه قال له يوسف: «ممن الرجل؟»
قال: من اليمن.
قال: من أي بطن؟
قال: من الأنصار.
قال: فأنت موضع لحاجتنا، ما رأيك في القضاء؟
فقلت: أعمل بما رأيت.
قال:

وقد وليتك قضاء الكوفة وأجريت عليك مائتي درهم، واقعد للناس بالغداة والعشي، إلا أن يستغنوا»⁽³⁾.

(1) - عند ابن عساکر « أمين»، وهنا تنتهي الرواية.

(2) - وكيع: أخبار القضاة، ج3، ص129، 130 وما بعدها؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج74، ص249؛ ابن

منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج28، ص87

(3) - وكيع: أخبار القضاة، ج3، ص130.

1 مما يلاحظ أنه لم يحدد له المكان الذي يقضي به، وإن كان قد اشتهر أن القضاة كانوا يجلسون في المساجد في الأعم الأغلب، كما يكشف ما كان خصصه يوسف بن عمر للقضاة سواء كانت مائة درهم كما في الرواية السابقة، أو مائتين كما في هذه الرواية، وهو مبلغ مجز.

رابعاً: وصايا الخلفاء والولاة الأمويين الخاصة بالنظر في المظالم

1- تمهيد: ولاية المظالم في العهد الأموي الوظائف والمهام

تعتبر ولاية المظالم من أهم الولايات القضائية التي تمثل سيادة الحق والعدل التي يباشر صاحبها محاكمة أصحاب النفوذ والجاه وذوي السلطان ممن لا يستطيع القضاء النظر في تجاوزاتهم نحو غيرهم⁽¹⁾، وقد اقتضت الضرورة إنشاء ديوان المظالم عندما اتسع نطاق الفتح الإسلامي وازدهرت الإمبراطورية العربية الإسلامية ودانت لها الدول والممالك ودخل تحت حكمها كثير من العناصر المختلفة المشارب والمذاهب المتنوعة العادات والأعراف، فكثرت المشاكل وقامت الخصومات وتعددت الدعاوي.

أما في الصدر الأول للإسلام فلم تدع الحاجة على وجود مثل هذا الديوان لأن الإيمان كان قويا والوازع الديني كان مسيطرا على الناس، فكانت المنازعات لا تجري بين الناس إلا في أمور مشتبه فيها يوضحها حكم القضاء وينفذها الأفراد طواعية واختياراً، لذلك اقتصر الأمر في عهد الخلفاء الراشدين على فصل التشاجر بين الناس بالحكم والقضاء تعييناً للحق في جهته فينقاد الخصمان طواعية إلى التزامه، فقد جاء في الطبقات لابن سعد ذكر لما حدث يوم قدم أبو بكر إلى مكة عقب مبايعته فقال:

«... فلما كان الظهر خرج فطاف أيضا بالبيت. ثم جلس قريبا من دار الندوة فقال: هل من أحد يتشكى من ظلامه أو يطلب حقا؟ فما أتاه أحد وأثنى الناس على واليهم خيرا. ثم صلى العصر وجلس فودعه الناس»⁽²⁾.

ولما غلب الطابع الدنيوي على الدولة منذ عهد بني أمية، تجاهر الناس بالظلم والتغالب ولم تعد تكفهم زواجر العظة عن التمتع والتجاذب، فاحتاجوا في ردع المتغلبين وإنصاف المغلوبين إلى نظر المظالم الذي تمتزج فيه قوة السلطة بنصفه القضاء، فنشأت ولاية المظالم واستقلت بذاتيتها عن القضاء⁽³⁾.

(1) - الزحيلي: تاريخ القضاء، ص 182.

(2) - ج 3، ص 139.

(3) - حمدي عبد المنعم: ديوان المظالم، ص 25-26.

ولقد اهتم الأمويين كثيراً بديوان المظالم، نتيجة لكثرة المظالم التي ظهرت من الولاة والأمراء والحكام عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وابتعد العمال عن رقابة قاعدة الخلافة، وكثرت الأرزاق والأموال بين الناس وضعف الوازع الديني قليلاً عما كان عليه في العهد الراشدي، وظهر أصحاب النفوذ سواء كانوا من أقرباء الخليفة أو المقربين إليه، أو من عمال الدولة وذويهم المقربين لهم، مما دفعهم إلى ظلم الرعية أحياناً وسلب حقوق الناس ومنعهم من ممارستها، مما استدعى لوضع حد لهذه المخالفات والتجاوزات من طرف الخلفاء أنفسهم خاصة الخليفة عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز⁽¹⁾.

كانت عناية الأمويين بالمظالم منذ فترة مبكرة من حكمهم، فيؤثر عن معاوية كرهه للظلم إذ كان يقول: «إني لأستحي أن أظلم من لا يجد عليّ ناصرًا إلا الله»⁽²⁾، ويذكر المسعودي أنه كان لمعاوية مجلسان للمظالم مجلس للخاصة وآخر للعامة، فقد كان يجلس في مجلس على كرسي ويسند ظهره إلى المقصورة «ويقوم الأحرار فيتقدم إليه الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له، فيقول: ظلمت، فيقول: أعزوه، ويقول: عُدي علي، فيقول: أبعثوا معه، ويقول: صُنع بي، فيقول: انظروا في أمره، حتى إذا لم يبقى أحد دخل فجلس على السرير، ثم يقول: ائذنوا للناس على قدر منازلهم، ولا يشغلني أحد عن رد السلام، فيقال: كيف أصبح أمير المؤمنين أطل الله بقاءه؟ فيقول: بنعمة من الله، فإذا استوتوا جلوساً قال: يا هؤلاء، إنما سميت أشرافاً لأنكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس، ارفعوا إلينا حوائج من لا يصل إلينا، فيقوم الرجل فيقول: استشهد فلان، فيقول: افرضوا لولده، ويقول آخر: غاب فلان عن أهله، فيقول: تعاهدوهم، أعطوهم، اقبضوا حوائجهم، اخدموهم»⁽³⁾.

إلا أن قضاء المظالم تطور في عهد عبد الملك بن مروان إذ خصص يوم محدد للنظر في المظالم «فكان أول من أفرد للظلمات يوماً يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر عبد الملك بن مروان، فكان إذا وقف منها على مشكل، أو احتاج فيها إلى حكم منفذ رده إلى قاضيه أبي إدريس الأودي، فنفذ فيه أحكامه لرهبة التجارب من عبد الملك بن مروان في علمه بالحال، ووقوفه على السبب، فكان أبو إدريس هو المباشر وعبد الملك هو الأمر»⁽⁴⁾.

(1) - الزحيلي: تاريخ القضاء، ص 182.

(2) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 1، ص 30.

(3) - المسعودي: مروج الذهب، ج 3، ص 30.

(4) - الماوردي: الأحكام السلطانية، ج 1، ص 131.

وكان عمر بن عبد العزيز من أشهر وأكثر خلفاء بني أمية ردا للمظالم حتى لقب بحق الخليفة الراشدي الخامس، كما كان أول من ندب نفسه من الخلفاء الأمويين لرد المظالم في كل وقت، ولم تمض فترة قصيرة على استخلافه حتى بدأت أوامره تتوالى على ولايته وأعوانه في مختلف المناطق، ومواقع مسؤولياتهم تأمرهم برد المظالم على من ظلموا، أمرا إياهم بإعادة الحقوق إلى أصحابها صيانة منه لدينهم ، وعونا منه لهم على استقامة سلوكهم، والارتقاء بأخلاقهم⁽¹⁾، يقول عنه عمر بن ذر⁽²⁾: «لم تكن همة عمر بن عبد العزيز، إلا رد المظالم، والقَسْمُ في الناس»⁽³⁾، ويقول أبو الزناد أحد أعوان عبد الحميد على بيت مال الكوفة:

«كتب إلينا عمر بن عبد العزيز بالعراق في رد المظالم إلى أهلها، فرددناها حتى أنفذنا ما في بيت مال العراق، وحتى حمل إلينا عمر المال من الشام»⁽⁴⁾.

كما كتب إلى أبو بكر بن محمد بن عمرو واليه على المدينة:

«أن استبرئ الدواوين، فانظر إلى كل جور جاره من قبلي، من حق مسلم، أو معاهد فرده عليه، فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم»⁽⁵⁾.

واستمرت أوامره إليه في هذا الشأن، فقد قال: إبراهيم بن جعفر: «ما كان يقدم على أبي بكر بن محمد كتاب من عمر إلا فيه رد مظلمة أو إحياء سنة، أو إطفاء بدعة، أو قسم، أو تقدير عطاء، أو خير حتى خرج من الدنيا»⁽⁶⁾.

وأولاه من جاء بعده من الخلفاء اهتمامهم الخاص، ولكن دون ما كان في عهده.

(1) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج1، ص355.

(2) - عمر بن ذر: ابن عبد الله بن زرارمة الهمداني المرهبي: من رجال الحديث، من أهل الكوفة، كان رأسا في الإرجاء فاختلّفوا في صحة حديثه، توفي سنة 153 هـ. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج3، ص218، الزركلي: الأعلام، ج5، ص46.

(3) - أبو يوسف: كتاب الخراج، ص16.

(4) - ابن سعد: الطبقات، ج5، ص252.

(5) - ابن سعد: الطبقات، ج5، ص252؛ النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج2، ص20؛ محمد فرقاني: رسائل عمر بن

عبد العزيز، ج1، ص355.

(6) - ابن سعد: الطبقات، ج5، ص252، ابن الجوزي: سيرة عمر، ص100.

2- وصية عمر لعدي بن أرطاة برد المظالم على أهلها

وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في رد المظالم

-رقم: 81-

كان عمر بن عبد العزيز على دراية تامة بتجاوزات الخلفاء والولاة نحو الرعية، حتى دفعوها إلى التودد إليهم ومصانعتهم لتجنب نفسها المتاعب، فقد خطب يوماً، فكان مما قال: «أيها الناس، إنه قد كان قبلي ولاة تجترون مودتكم، بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم»⁽¹⁾.

كما قال عنهم يشخص أساليبهم نحو الناس «إنما هلك من كان قبلنا بحبسهم الحق حتى يُشترى منهم، وبسطهم الظلم حتى يُفتدى منهم»⁽²⁾.

ولكن عمل ما وسعه جهده على الانفتاح على الناس بعد استخلافه، متخلياً عن الحواجز والعراقيل التي وضعها من سبقه لتحول دون الاتصال المباشر به، فقد أباح للمظلومين الدخول عليه بغير إذن⁽³⁾، فقد خطب على الناس الذين قدموا عليه لما سمعوا باستخلافه، فكان مما قال «يا أيها الناس الحقوا ببلادكم فإني أنساكم عندي وأذكركم ببلادكم ألا وإني قد استعملت عليكم رجالاتي لا أقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هو شر منهم ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له علي ومن لا فلا أربنه ألا وإني منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال فإن ضننت به عنكم إني إذن لضنين»⁽⁴⁾.

كما أصدر في هذا الغرض منشوراً، واعدًا من قدم عليه، ليدله على خير فيفشييه أو على شر فينهيه عنه، بأنه سيتم تعويض تكاليف مشقة سفرهم، وبالفعل بدأ الناس يتوافدون عليه، فمنهم من قدم عليه منبها إياه إلى مواطن الخلل والتقصير، بالخصوص ما تعلق بولاته، أما من عجز عن ذلك فقد كاتبه بالذي يراه نافعا لهم ولعامة المسلمين، وبالفعل لم يخيب أملهم فكان عند وعده⁽⁵⁾.

(1) - ابن عبد الحكم: سيرة عمر، 41؛ الملاء: الكتاب الجامع، ج 2، ص 450 وما بعدها. نقلاً عن مُجَدِّ فرقاني:

رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 358.

(2) - أبو نعيم: الحلية، ج 5، ص 311، مُجَدِّ فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 358 وما بعدها.

(3) - ابن عبد الحكم: سيرة عمر، ص 39.

(4) - المصدر نفسه، ص 41-42.

(5) - نفسه، ص 121 وما بعدها؛ مُجَدِّ فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 347.

وفي هذا الشأن قال المدائني: كتب عمر إلى عدي بن أرطاة واليه على البصرة يحثه على رد المظالم على أصحابها: (1)

« أما بعد. فما بقاء الدين مع وسوسة الشيطان، وجفوة السلطان، فأعط كل ذي حق حقه، والسلام» (2)

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 81أ-

أما عبد الله بن موسى فقال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي: « ما طاقة المسلم بجور السلطان، مع نزغ الشيطان، إن من عون المسلم على دينه أن يتقى بحقه» (3).

عمّم عمر بن عبد العزيز أوامره بإعطاء الناس حقوقهم على جميع ولاية العراق، بعد أن قطع شوطاً في رد المظالم على أهلها مما تركه من سبقه من الأمويين، وعلى رأس من وصلته هذه الأوامر عدي بن أرطاة باعتبار العراق الإقليم الأكثر تضرراً من سياسة مصادرة حقوق الناس.

فعمّر بن عبد العزيز في هذه الأوامر التي تحمل في طياتها وصاياها إلى ولايته يدور محور اهتمامه على الرعاية، في اهتمام واضح بدينها وبآخرتها وبإعانتها على عدوها الأبدي الشيطان بإعطائها حقوقها وسد المدخل على الشيطان في مطالبة الناس بحقوقهم ممن احتجبها عنهم فغاية عمر الآخرة ونتائج ما يوصي به دنيوية، وهذا هو الفرق بينه وبين جده مروان في وصاياها بل وكل من سبقه من الأمويين.

خامساً: وصايا الخلفاء والولاة الأمويين المتعلقة بالشرطة

1- تمهيد: الشرطة المهام والأدوار وصفات من يولى عليها

يعتبر جهاز الشرطة من أقدم الأجهزة في الدولة الإسلامية، لأنه ضروري لاستتباب الأمن وحفظ النظام، وتعقب الجناة والمفسدين والقبض عليهم، كما كان رجال الشرطة يقومون بتنفيذ الأحكام والعقوبات والحدود التي يحكم بها القضاة، والمعاونة في كشف الجرائم ولذلك يعتبر جهاز الشرطة من أكرم

(1) - ذكر الدكتور محمد فرقاني روايات هذا الكتاب، للإطلاع عليها، أنظر: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 356.

(2) - البلاذري: أنساب، ج 8، ص 146.

(3) - أبو نعيم: الحلية، ج 5، ص 306. وأورد اليعقوبي هذه الرسالة فقال: « وكان يقول: ما بقي المسلم على جفوة السلطان، ونزعة الشيطان، لم أر شيئاً أعون له على دينه من إعطائه حقه». تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 306. وأشار البخاري إلى هذه المراسلة فقال: « روى ضمرة عن حفص بن عمر السكوني: كتب عمر بن عبد العزيز في جور السلطان» البخاري: التاريخ الكبير، ج 2، ص 366، رقم: 2783. نقلاً عن محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 356.

الأجهزة للدولة بصفة عامة وللقضاة بصفة خاصة⁽¹⁾، وقد عرف هذا النظام منذ عهد النبي -ﷺ- فقد روى البخاري عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنه قال: «كان قيس بن سعد⁽²⁾ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير»⁽³⁾، ويعتبر استخدام الحراسات والعسس الليلي الذي ظهر في عصر النبوة بعد الهجرة، النواة الأولى لنشأة النظام الأمني الذي اتسع تدريجياً ليشمل إقامة الحدود حين كان بعض الصحابة ينفذون تعليمات النبي -ﷺ- بشأن إنفاذ العقوبات واستيفاء الحدود الشرعية وغيرها، وإلى جانب مباشرة حراسة المدينة، والحراسة الشخصية للنبي -ﷺ- هناك جملة أعمال أخرى كلف بها عدد من الصحابة في مناسبات شتى تدخل في إطار الأعمال الأمنية التي اتخذت في عصره -ﷺ- والتي أصبحت جزءاً من اختصاصات الشرطة فيما بعد، منها الإجراءات الاحترازية التي اتخذت في مجال الحيطة والحذر⁽⁴⁾.

تطور جهاز الشرطة بعد ذلك تدريجياً في العهد الراشدي وكان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أول من اتخذ صاحب شرط وكان على شرطه عبد الله بن قنفذ من بني تيم قريش⁽⁵⁾، كما كوّن الخليفة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- شرطة الخميس للذود عنه وكانوا أربعون ألفاً يبايعونه على الموت⁽⁶⁾.

تطور نظام الشرطة في عصر الأمويين تطوراً مهدت له الظروف السياسية والاجتماعية الجديدة التي ظهرت بتولي معاوية بن أبي سفيان حكم الدولة الإسلامية عقب الفتنة، وبتطور نظام الحكم من الخلافة إلى الملك، وما تبعها من حروب داخلية، حيناً مع الخوارج والشيعية وحيناً آخر مع الطامعين بالخلافة،

(1) - عبد الشافي: العام الإسلامي، ص 492.

(2) - قيس بن سعد: ابن عبادة بن دليم الأنصاري الحزرجي المدني، كان ضخماً جسيماً طويلاً جداً، سيداً مطاعاً كثير المال جواداً كريماً يعد من دهاة العرب ذوي الرأي والمكيدة في الحرب والنجدة، شريف قومه غير مدافع ومن بيت سيادتهم. وكان يحمل راية الأنصار مع النبي -ﷺ- ويولي أموره، صحب علياً في خلافته فاستعمله على مصر سنة 36 - 37هـ، وعزل بمحمد بن أبي بكر وعاد إلى علي، فكان على مقدمته يوم صفين. ثم كان مع الحسن بن علي حتى صالح معاوية فرجع إلى المدينة وتوفي بها في آخر خلافة معاوية سنة 60 هـ. الذهبي: تاريخ الإسلام،

ج 4، ص 289؛ ابن حجر: الإصابة، ج 5، ص 359؛ الزركلي: الأعلام، ج 5، ص 206.

(3) - الطبراني: المعجم الكبير، ج 18، ص 346؛ ابن حجر: الإصابة، ج 5، ص 360.

(4) - سهيل أحمد: تطور الشرطة، ص 1.

(5) - تاريخ خليفة، ص 179.

(6) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 158.

وفي خضم هذه الأوضاع الأمنية غير المستقرة تطور جهاز الشرطة وبرزت أهميته وأصبحت الحاجة إليه أكثر لقمع الثورات والفتن والاضطرابات التي نشبت في كافة أرجاء الدولة الإسلامية⁽¹⁾.

اتخذت الخلافة الأموية من الشرطة درعا واقيا للوقوف في وجه الفرق الخارجة على الخلافة، واستعمل معاوية الشرطة كحرس خاص لحمايته شخصيا، وكانت المحاولة الفاشلة التي قام بها الخوارج لاغتياله سبب اعتماده على الشرطة كحرس خاص لضمان سلامته⁽²⁾، وسار خلفاء بني أمية على درب معاوية في بناء المقصورات والاستعانة بالحرس وجلب الشرطة على رأس الأمير إذا سجد اقتداء بما فعله، كما شهد عهده تطورا كبيرا في نظام الشرطة من جهة النمو والإعداد والتدريب وترسيخها كمؤسسة رسمية على مستوى الدولة وبصورة لم تعرف من قبل، وأصبح لجهاز الشرطة المسؤولية الكاملة والمباشرة لتوفير الأمن وإقرار النظام في جميع الأمصار الإسلامية، وأهم قوة أمن يعتمد عليها الخلفاء وولايتهم لتحقيق الأمن الشخصي من جهة وحفظ الأمن والنظام في الداخل من جهة أخرى⁽³⁾، ولهذا فقد كانت خطورة هذا المنصب وأهميته تفرض على صاحب الشرطة أن يحمل العديد من الموصفات التي تؤهله حتى يشغل هذا المنصب، منها ما ذكره زياد بن أبيه الذي كان يرى أن عمل الشرطة لا يمكن القيام به إلا لمن كان له باع طويل في تجارب الحياة وأن يكون: «شديد الصولة، قليل الغفلة»⁽⁴⁾.

وقد كانت الشرطة أيامه منظمة تنظيما جيدا، وذلك بفضل إدارته وتوجيهاته، وقد أشار البلاذري عن حالة الأمن والاستقرار وإلى مدى استتباب الأمن خلال ولاية زياد على العراق بدليل أنه طلب من الرعية عدم إغلاق أبواب دورهم ضامنا لهم ألا يسرق من أموالهم شيء، فأمن الناس واطمأنوا وأصبحوا ينامون وأبواب منازلهم مفتوحة⁽⁵⁾.

ولما تدعمت الإدارة الأموية وقطعت شوطا كبيرا في جميع المجالات على عهد عبد الملك نجد الحجاج يبدي تصوره لموصفات صاحب الشرطة فقد روى ابن قتيبة عن الشعبي أن الحجاج قال: «دلوني على رجل للشرط فليل: أي الرجال تريد؟ فقال: أريده دائم العبوس، طويل الجلوس، سمين

(1) - محمد ابراهيم: الشرطة في النظم الإسلامية، ص 67.

(2) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 149.

(3) - محمد ابراهيم: الشرطة في النظم الإسلامية، ص 66.

(4) - تاريخ يعقوبي، ج 2، ص 146.

(5) - أنساب، ج 5، ص 196.

الأمانة أعجف الخيانة، لا يحق في الحق على جرّة، يهون عليه سبال⁽¹⁾ الأشراف في الشفاعة [شديداً على أهل الريب والدعارة]⁽²⁾، ف قيل له: عليك بعد الرحمن بن عبيد التميمي⁽³⁾، فأرسل إليه يستعمله، فقال له: لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالك، وولدك وحاشيتك.

قال: يا غلام، ناد في الناس: من طلب إليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمّة⁽⁴⁾.

يبدو أن الحجاج كان مصيباً في تصوره وقد جاءت نتائج تلك التصورات سريعاً فقد قال الشعبي وكان معاصراً: «والله ما رأيت صاحب شرطة قطّ مثله، كان لا يجس إلا في دين، وكان إذا أتى برجل قد نقب على قوم وضع منقبته، في بطنه حتى تخرج من ظهره، وإذا أتى بنباش حفر له قبراً فدفنه فيه، وإذا أتى برجل قاتل بجديدة أو شهر سلاحاً قطع يده، وإذا أتى برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه، وإذا أتى برجل يشكّ فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء ضربه ثلاثمائة سوط، قال: فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فضم إليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة⁽⁵⁾».

وكتب هشام بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله القسري: «إنك وليت شرطتك رجلاً حدثاً فلو وليتها ذا حنكة⁽⁶⁾».

فيقدم هشام في تصوره الخبرة والحنكة والسن على غيرها من الصفات.

ويفصح عمر بن هبيرة عن رأيه في خطورة منصب صاحب الشرطة في وصيته لمسلم بن سعيد حين ولاه خراسان لأنه سوطه وسيفه⁽⁷⁾، كما يوصيه بأن يبحث صاحب شرطته على الأمانة⁽⁸⁾؛

(1) - سبال: يقال أسبل الإزار: أرخاه، ومنه الحديث: نهي عن إسبال الإزار، وقال: إن الله لا ينظر إلى مسبل إزاره، وقيل أيضاً: المسبل: الذي يطول ثوبه ويرسله إلى الأرض إذا مشى، وإنما يفعل ذلك كبرا واختيالاً. الزبيدي: تاج العروس، ج 29، ص 162. مادة: «سبل».

(2) - هذه الإضافة عند البلاذري: أنساب، ج 13، ص 412.

(3) - عبد الرحمن بن عبيد التميمي: لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من كتب التراجم.

(4) - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 1، ص 70.

(5) - المصدر نفسه، ج 1، ص 70.

(6) - البلاذري: أنساب، ج 3، ص 176.

(7) - أنظر الوصية رقم: 67.

(8) - أنظر الوصية رقم: 67 ب.

إذ تتطلب وظيفة صاحب الشرطة، بما تقتضيه من ملازمة الخليفة أو الوالي أو العامل، وتنفيذ أوامره والقيام على الجهاز الأمني الخاص به وبسائر المدينة، الأمانة والانضباط، وبما لصاحب الشرطة من صلاحيات التأديب والضرب والسجن وتنفيذ الحدود، فإن الأمانة في أداء هذه المهام أمر لا بد منه، بل إن التعدي فيها من شأنه أن يؤدي إلى الظلم وتحريك الجبهة الاجتماعية، ويبدو أن هذا ما يرمي إليه ابن هبيرة في وصيته هذه.

وهذه الصفات أو الشروط المناطة بصاحب الشرطة لها ما يبررها خاصة إذا علمنا أن اختصاصاته ازدادت مع مرور الوقت وتعاضمت صلاحياته بما تقتضيه متطلبات كل مرحلة، فقد كان صاحب الشرطة الرجل الثاني بعد الخليفة، فهو يؤم الناس في الصلاة إذا مرض الخليفة⁽¹⁾، وينوب عن الوالي في حكم البلاد عند خروجه إلى الخليفة، كما كان يرافق الخليفة دائما في حله وترحاله في حالة السلم والحرب⁽²⁾، وبما أن صاحب الشرطة كان مرافقا للخليفة دائما، فإنه كان يوكل إليه أمر تنفيذ العقوبات التي يفرضها الخليفة⁽³⁾، كما كان يمسك بزمام الأمور في حالة وفاة الخليفة، فعندما حضر الموت معاوية، وكان يزيد غائبا، دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري وكان صاحب شرطته ومسلمة بن عقبة المري فأوصى إليهما أن يبلغا يزيد وصيته، التي مضت الإشارة إليها.

وكان كعب بن حامد⁽⁴⁾ على شرط سليمان مرافقا له في دابق، فلما ثقل سليمان كتب كتابا وختمه ولم يدر أحد ما كتب فيه وطلب من كعب أن يجمع إليه إخوته وعمومته وجميع أهل بيته وعظماء أجناد الشام وأن يحملهم على البيعة لمن سمى في ذلك الكتاب وأن يضرب عنق من يأبى منهم أن يبايع،

(1) - كان الضحاك بن قيس يصلي بالناس عندما كان يزيد بن معاوية مريضا، ولما ثقل عليه أوصى بإمامته للناس حتى يختاروا من يرصونه، ابن سعد: الطبقات، ج5، ص29، البلاذري، أنساب، ج5، ص356.

(2) - فقد رافق الحجاج الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان على شرطه آنذاك إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص31؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج11، ص239.

(3) - أمر عمر بن عبد العزيز صاحب الشرطة أن يطبق العقوبة على كهول من قنسرين شهدوا زورا على الفرات بن مسلم صاحب خراج قنسرين، ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، ج1، ص134.

(4) - كعب بن حامد: ويقال حامز بالزاي، بن سلمة ابن جابر بن شراحيل بن ربيعة ذي الأربعة العنسي الداراني، كان على شرطة عبد الملك بن مروان وقيل على شرطة الوليد وسليمان ابني عبد الملك، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزله، فلما ملي يزيد بن عبد الملك أعاده وأقره هشام ثلاث عشرة سنة، ثم بعثه إلى أرمينية أميراً بعد قتل الجراح بن عبد الله الحكمي، وقيل أنه كان على شرطة عمر بن عبد العزيز. محمد بن حبيب: الخبر، ص373؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج21، ص172؛ الزركلي: الأعلام، ج5، ص226.

وقد أدى كعب واجبه على أكمل وجه واستطاع أن يمنع حدوث أي فتنة أو اضطراب⁽¹⁾، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أهمية صاحب الشرطة وعلو مكانته.

كما كان يوكل إلى صاحب الشرطة مهام أخرى، كأمر الخاتم والخزائن وبيوت الأموال⁽²⁾، كما يذكر ابن عساکر أن خالد بن اللجلاج⁽³⁾ ولي الشرطة بدمشق وكان على بناء مسجد دمشق⁽⁴⁾، أي ربما كان مراقبا لحسن سير بناء المسجد نظرا للعديد من الفعلة الذين ساهموا في بنائه.

ومن مظاهر أهمية وعظمة مركز صاحب الشرطة أنه كان يتم اختيارهم من بين الولاة، فقد كان الضحاك بن قيس واليا على الكوفة⁽⁵⁾، وامتاز بصفات منها قوة الشكيمة وتعذيب المعارضين، وصاحب شرطة الخليفة مروان بن الحكم كان عمرو بن سعيد بن العاص الذي كان واليا على مكة⁽⁶⁾ وكان له باع باع طويل في القضاء على الفتن، ومنهم من كان يجمع بين وظيفتي الشرطة والقضاء مثلما حدث مع والي المدينة مصعب بن عبد الرحمن بن عوف⁽⁷⁾ فقد عينه مروان بن الحكم في مناصبي صاحب الشرطة والقضاء في آن واحد⁽⁸⁾.

(1) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 551.

(2) - كان الخاتم والخزائن وبيوت المال للخليفة الوليد بن يزيد، عبد الرحمن بن حنبل الكلبي مع الشرط. تاريخ خليفة، ص 367.

(3) - خالد بن اللجلاج: أبو إبراهيم العامري ويقال مولى بني زهرة، من أهل دمشق ولأبيه اللجلاج صحبة، كان يلي الشرط بدمشق وكان على بناء مسجد دمشق، قال عنه مكحول: كان خالد ذا سن وصلاح جرى اللسان على الملوك والغلظة عليهم. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 16، ص 181-185؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 7، ص 354.

(4) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 16، ص 183.

(5) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 300.

(6) - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 467.

(7) - مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري: أحد الكبار الذين كانوا مع ابن الزبير، وكان قد ولي قضاء المدينة وشرطتها في إمرة مروان عليها زمن معاوية، وكان أهلها في فتنة. يقتل بعضهم بعضا، فاشتد عليهم وهدم بعض دورهم، فسكنوا، ولما مات معاوية قدم إلى المدينة عمرو بن سعيد واليا عليها ليزيد بن معاوية فلحق مصعب بعبد الله بن الزبير قبيل حصاره بمكة فأصابه سهم فقتله سنة 64 هـ، وكان بطلا شجاعا، له مواقف مشهورة، قتل عدة من الشاميين. ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 120؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 5، ص 249؛ الزركلي: الأعلام، ج 7، ص 248.

(8) - وكيع: أخبار القضاة، ج 1، ص 118.

هذه الروايات المتفرقة تعطينا فكرة عن الدور الذي لعبه أصحاب الشرطة في الأزمات بالإضافة إلى دورهم في توطيد الأمن والنظام وتنفيذ العقوبات واشتراكهم في الحروب إلى جانب الخلفاء، وإنا لنستغرب قلة الوصايا الأموية التي وصلتنا عن الشرطة إذا ما قارناها بالدور الفعال الذي لعبته.

وقد ورد في الرسالة المطولة التي كتبها مروان بن محمد لابنه عبد الله بشأن الشرطة عديد الوصايا بما يراه مناسباً لابنه كقائد للجيش ومقبل على معركة وكولي عهد له، وضمنها خبراته وما استخلصه من تجاربه وما تعلمه وقد تنهى إليه من تطور في أساليب الحكم الذي أنتجته وأفرزته دولة بني مروان، فقد شهد له أعدائه بحسن السياسة إذ ذكره المنصور مرةً فقال: «لله درّه ما كان أحزمه وأسوسه، وأعفّه عن الفي»⁽¹⁾.

وفي هذه الوصية حكمة بالغة أسداها مروان لابنه وهي أن يراعي سمعته بين الناس بأن لا يباشر إجراءات العقوبة التي تنتهي إليه عن طريق السعاية والوشاية بل يجعل بينه وبين ذلك صاحب شرطته فهو الذي يتولى ذلك عنه فيتولى التحقيق في الأمور ثم يرفع إليه التقارير فيأمره بما يراه مناسباً دون أن يعلم العامة بذلك، فإن كان خيراً ناله هو وإن كان شراً ألصق بغيره، فهو هنا يحدد للشرطة دور الوساطة في تولى التحقيقات وتنفيذ العقوبات وتؤدي هنا دور المرآة التي تعكس الصورة الحسنة للحاكم أو القائد وتغطي عن أخطائه وزلاته .

وفي موضع آخر من هذه الرسالة يحدد مروان لابنه الصفات التي يجب أن يراعيها في الشخص الذي يوليه شرطته فيركز على خمسة أمور في ذلك :

أولاً: صفات تتعلق بحسن علاقته بالحاكم نفسه.

ثانياً: صفات تتعلق بحسن أخلاقه مع الرعية.

ثالثاً: صفات تتعلق بحسن علاقته بالله وسلامه دينه.

رابعاً: صفات تتعلق بالكفاءة والدراية والخبرة والحزم.

خامساً: صفات تتعلق بالحسب والنسب.

ويبدو أن مروان لم يغفل شيئاً من الصفات الحسنة التي لا يمكن لتتائجها إلا أن تكون طيبة. فيحدد مروان دوراً آخر لصاحب الشرطة وهو لا يمكن أن يكون إلا للخليفة نفسه أو لصاحب شرطته دون غيرها وهو العقوبة المميّنة وإقامة الحدود في بتر الأطراف أو الضرب الشديد المفرط أو مصادرة المال، فهذه العقوبات الخطيرة يمكن أن تكون لها نتائج عميقة وخطيرة على الجبهة الاجتماعية

(1) - الذهبي: العبر، ج 1، ص 137.

ولا يمكن أن يقدر خطرهما إلا الحاكم أو صاحب شرطته باطلاعه على جميع التقارير والأخبار وإحاطته بجميع العواقب، وهنا يضع مروان صاحب الشرطة موضعاً بالغ الأهمية في إدارة ابنه⁽¹⁾.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) - أنظر الوصية رقم: 16.

الفصل السابع

وصايا الخلفاء الأمويين وولادتهم

الخاصة بالحجبة والبريد

❖ أولاً: تمهيد: الحجبة والحجاب في العهد الأموي مهامهم وصفات من يولى

❖ ثانياً: وصايا الخلفاء الخاصة بالحجبة والحجاب

1- وصية معاوية بن أبي سفيان لحاجبه سعد

2- وصية مروان بن الحكم لابنه عبد الملك في كيفية التعامل مع حاجبه

3- وصايا عبد الملك لحاجبه

أ- وصية عبد الملك لحاجبه في الذي يعجل بإخباره به

ب- وصية عبد الملك لحاجبه ألا يحجب عنه قبيصة بن ذؤيب

ج- وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز فيما ينبغي أن يتصف به حاجبه

د- وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز أن يحسن اختيار حاجبه

❖ ثالثاً: وصايا الولاة الخاصة بالحجبة والحجاب

1- وصية زياد لابنه أن يتخذ حاجباً

2- وصية زياد بن أبيه لحاجبه عجلان في الذي يسمح له بالدخول عليه

3- وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد أن يحسن اختيار حاجبه

4- وصية عمر بن هبيرة لبعض عماله أن يحسن اختيار حاجبه

❖ رابعاً: وصايا الخلفاء المتعلقة بالبريد

1- تمهيد نشأة البريد وتطوره عند الأمويين

2- وصية عمر بن عبد العزيز الخاصة بالاهتمام بالبريد وصفة من يبرد إليه

الفصل السابع: وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم في الحجابه والبريد

أولاً: تمهيد: الحجابه والحجاب في العهد الأموي مهامهم وصفات من يولى

يعد نظام الحجابه والحجاب في الدول من الرسوم التي اعتمدها الملوك قبل الإسلام حتى لا يدخل عليهم إلا من أحبوا، وزيادة في المهابة وحفظاً لأمنهم، الذين كانوا يختارون للقيام بهذه الوظيفة الرجال الأمناء على الأسرار، الذين لهم باع طويل وتجربة واسعة في معرفة طبائع الناس، وطبقاتهم ومن يُنزلون المنازل التي تليق بهم حسب مراتبهم، ومن يقدم في الدخول على الملوك أو ممن يؤخر، ومنازل من يكون قريباً من الملك ومن يكون بعيداً عنه في الجلوس، وهو في بعد وظيفته نظام أمني يمنع القائم عليه من الدخول على الملك كل ما يهدد سلامته.

وجاء الإسلام فاتخذ رسول الله ﷺ حجاباً له يستأذنون به في دخول من يريد مقابلته، والروايات في هذا كثيرة منها أنه قد صح عن النبي -ﷺ- أنه اتخذ الحجاب، فقد جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله، قال: «دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله -ﷺ-، فوجد الناس جلوساً ببابه، لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر، فدخل، ثم أقبل عمر، فاستأذن فأذن له»⁽¹⁾.

وإن لم تذكر هذه الرواية من استأذن له، فإنه ﷺ كان يحجبه أنس بن مالك، وهو خادمه في الوقت ذاته، ورياح مولاة، وأنسة مولاة كذلك ويكنى أبا مسروح⁽²⁾.

واتخذ الخلفاء الراشدين حجاب لهم كذلك، فاتخذ أبو بكر ﷺ مولاة شديداً مولاة حاجباً له. وكان يرفأ حاجباً لعمر ﷺ وكان يدعو صهيياً وبلالاً وخباباً وعمّاراً وسلماناً قبل الناس، ثم يدخل الناس بعدهم على مراتبهم.

وكان عمر بن الخطاب إذا استعمل عاملاً شرط عليه أربعاً: لا يركب برذونا، ولا يتخذ حاجباً، ولا يلبس كتّاناً، ولا يأكل درمكاً، ويوصي عمّاله فيقول: «إياكم والحجاب، وأظهروا أمركم بالبراز، وخذوا الذي لكم وأعطوا الذي عليكم، فإنّ امرأ ظلم حقه مضطّرّ حتى يغدو به مع الغادين»⁽³⁾.

وكتب أمير المؤمنين عمر إلى معاوية-رضي الله عنهما- وهو عامله على الشام ينهيه إلى ضرورة تيسير سبل الاتصال به على من يريد لقاءه: «أما بعد فإني لم آلك في كتابي إليك ونفسي خيراً، إياك والاحتجاب دون الناس، وأذن للضعيف وأذنه حتى ينبسط لسانه، ويجترىء قلبه»⁽¹⁾.

(1)-صحيح مسلم، ج2، ص1104، رقم: 1478.

(2)-تاريخ خليفة، ص99. الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، ص63-65.

(3)-رسائل الجاحظ، ص566.

أما عثمان رضي الله عنه فقد كان حاجبه حمران ونائل وهما من مواليه.

أما الإمام علي رضي الله عنه فقد كان حاجبه بشر وقنبر وهما من مواليه⁽²⁾.

واشترط في الحاكم أن يكون فيه «ثلاثة من كن فيه من الأئمة صلح أن يكون إماما اضطلع بأمانته: إذا عدل في حكمه، ولم يحتجب دون رعيته، وأقام كتاب الله في القريب والبعيد»⁽³⁾.

وما جاء عن أمير المؤمنين والإمام علي في النهي عن استعمال الحجاب، إنما القصد في بعد الهي تيسير وصول الناس إلى الوالي، وعدم التشدد في ذلك ولا يتشبهوا بالملوك الظلمة الذين كانوا لا يرغبون ممن كان إلا من أحبوا، وإلا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ حجابا له وحراسا يحرسونه وهو المقتدى به، والخلفاء الراشدون هم الآخرون اتخذوا حجابا. ولكن حجابهم لم يكونوا يمنعون أحدا من ذوي الحاجات يقصد أبواهم، من مقابلتهم، لما كانوا يعلمون لما ينشأ عن ذلك من نتائج سيئة بحجب الحقائق ومعرفة ما عليه حال الناس، لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما ستره لاحقا لما التقى أبو مریم بمعاوية، فذكره بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر.

ومما لا شك فيه أن الحجابة وإن كانت وظيفة صاحبها الإذن لمن يريد مقابلة الخليفة أو الوالي فإن في الوقت ذاته طريقة من طرق حراسة الخلفاء والولاة شخصت في هيئة تنظيمية تشرف عليها للمصلحة الخاصة الأمنية التي اقتضت ذلك، وهي من الدواعي التي أدت بمعاوية إلى التشدد في الحجابة خاصة فكانت بعد أن كثر أعداؤه بفعل الفتنة التي حدثت بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه التي أصبحت حياته غير آمنة، بعد تعرضه وعمرو بن العاص والإمام علي للقتل فقتل هذا الأخير، وفشل قاتلاهما فاتخذ المقصورة للصلاة منفردا عن المصلين، واتخذ الحجاب⁽⁴⁾، واتخذ بابا للخاصة وبابا للعامة للدخول عليه، نجد ذلك في قول معاوية لابنه: «أي بني! إني إنما جعلت بيني وبينك باباً، كما بيني وبين العامة. فهل ترى أحداً يدخل من الباب إلا بإذن؟ قال: لا قال: فكذلك فليكن بابك! فإذا قرع عليك فهو إذنك»⁽⁵⁾.

فأصبحت الحجابة بذلك بعد ذلك من قواعد نظم الحكم من الخليفة إلى الولاة والقضاة والقادة

(1) -رسائل الجاحظ، ص 566، الآبي: نثر الدر، ج 2، ص 18؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج 12، ص 7.

(2) -تاريخ خليفة، ص 156، 123، 179، 201؛ الخزاعي: تحريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول

الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، ص 66-67.

(3) -أبو بكر: المجالسة وجواهر العلم، ج 5، ص 398.

(4) -تاريخ الطبري، ج 4، ص 143 وما بعدها؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 732 وما بعدها.

(5) -الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص 126.

العسكريين وغيرهم، فهذا سعيد بن المسيّب يقول عن والي مصر عبد العزيز بن مروان: «نعم الرجل عبد العزيز لولا حجابيه!»⁽¹⁾.

وهذا ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول: «قال لي عبيد الله بن أبي المخارق القيني: استعملني الحجاج على الفلوجة»⁽²⁾ العليا، فقلت: أما هاهنا دهقان يُعاش بعقله ورأيه؟ فقبل لي: بلى، هاهنا جميل بن بصهري، فقلت: عليّ به، فأتاني فقلت: إن الحجاج استعملني على غير قرابة ولا دالة ولا وسيلة، فأشّر عليّ، قال:

لا يكون لك بواب حتى إذا تذكّر الرجل من أهل عملك بابك لم يخفّ حجابك، وإذا حضرك شريف لم يتأخّر عن لقائك ولم يحكم على شرفك حاجبك»⁽³⁾.

وذكر ميمون بن مهران أنه كان عند عمر بن عبد العزيز، فقال لابنه: «من الباب؟ فقال: رجل أناخ الآن يزعم أنه ابن بلال مؤدّن رسول الله ﷺ يقول: من ولي شيئاً من أمور المسلمين ثم حجب عنه حجه الله يوم القيامة؛ فقال لحاجبه: إلزم بيتك. فما رأيي على بابه بعده حاجب»⁽⁴⁾.

نظراً لأهمية منصب الحاجب وخطورة موقعه من الخليفة أو الوالي، كان لابد لمن يتولى منصب الحجابة أن تتوفر فيه بعض الصفات التي يجب أن تؤهله لهذه الوظيفة، وقد حرص الخلفاء والولاة على شخصية الحاجب، فكانوا يضعون شروط ومواصفات لا بد أن تتوفر فيمن يرشح لهذه الوظيفة، قال زياد بن أبيه: «وينبغي للحاجب أن يكون عاقلاً، فطنا، قد خدم الملوك قبل أن يتولى حجابتهم»⁽⁵⁾، كما كما كانوا يحرصون على أن يكون حاجبهم إما من أهل بيتهم أو أقرب الناس إليهم، أو من أهل الشرف والحسب والنسب، ومن يتصلون بالفقه والثقافة العالية، لأنهم كانوا يعتبرون الحاجب وجههم الذي يطالعون به الناس، ولسانهم الذي يتحدثون به إليهم⁽⁶⁾، قال الحجاج: «حاجب الرجل وجهه وكتابه

(1) - النويري: نهاية الإرب، ج 6، ص 90.

(2) - الفلوجة: فالليج السواد قراها، وإحداها الفلوجة، والفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى: قرينتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص 275.

(3) - رسائل الجاحظ، ص 567.

(4) - المصدر نفسه، ج 6، ص 90.

(5) - البلاذري: أنساب، ج 7، ص 210 وما بعدها؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 529؛ ابن طباطبا:

الفخري، ص 126؛ تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 7؛ أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 198.

(6) - عبد الشافي: العالم الاسلامي، ص 493.

كله»⁽¹⁾، ولأهمية المنصب كان الأمويون لا يعهدون إلا لخاصتهم ومحل ثقتهم، حريصين على أن يكون حجاب الولاة في الولايات على نفس المستوى.

وقد كان للموالي في العصر الأموي دور مهم في الحجامة، فبإسلامهم تعلموا العربية وشاركوا العرب في ثقافتهم، ورأوا في دخولهم للإسلام انتماءً للعرب بل عدواً العربية مرادفةً للإسلام⁽²⁾، وكان بنو أمية كثيراً ما يعتمدون على الموالى فلم تمنعهم أصولهم من تولي مناصب عليا في الدولة الأموية، فمنهم من وصل إلى منصب الولاية مثل موسى بن نصير الذي عينه الخليفة عبد العزيز على ولاية إفريقية⁽³⁾، ومن بين أهم المناصب التي تقلدها الموالى الحجامة، فقد ذكر ابن خياط أسماء الذين قاموا على هذه الوظيفة، وتبين أن كل حجاب الخلفاء الأمويين من الموالى، وقد نوه الوالى زياد بن أبيه إلى أهمية الموالى، يتضح ذلك من خلال النصيحة التي قدمها للخليفة معاوية بن أبي سفيان عندما كتب إليه يشكوا قرابته، فقال له: « عليك بالموالى فإنهم أنصر وأغفر وأشكر»⁽⁴⁾.

وقد رأينا سابقاً أن عمر بن هبيرة أوصى عامله مسلم بن سعيد حين ولاه خراسان بأن يجعل حاجبه من الموالى⁽⁵⁾، وقد عمل مسلم بن سعيد بوصية عمر بن هبيرة؛ إذ عين حاجبا اسمه توبة بن أبي أسد⁽⁶⁾ وكان نفسه مولى لبني العنبر، وكان بالعراق فبعث مسلم بن سعيد إلى ابن هبيرة في طلبه فعندما رآه استحسنت اختياره وكان شخصا معروفا بالاستقامة والنزاهة والكفاءة، فبعثه فأعطى الخاتم وجعل له مسلم

(1) - رسائل الجاحظ ، ص 572.

(2) - عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، ص 145 وما بعدها.

(3) - تاريخ خليفة، ص 298.

(4) - البلاذري: أنساب، ص 5، ص 36.

(5) - أنظر الوصية رقم: 68 ب.

(6) - توبة العنبري: هو توبة بن كيسان ابن أبي الأسد، ويكنى أبا المورع ، أصله من أهل سجستان مولده باليمامة ومنشأه بها ثم تحول إلى البصرة، وهو مولى أيوب بن أزهر العدوي من بني عدي وكان توبة قد وفد إلى سليمان بن عبد الملك ، ثم إلى عمر بن عبد العزيز وهو خليفة، كما وفد إلى هشام بن عبد الملك فوجهه إلى خراسان ضاعطا على أسد بن عبد الله ثم صرفه إلى العراق فولاه يوسف بن عمر سابور ثم ولاه الأهواز فعزل يوسف وهو واليه على الأهواز، مات توبة العنبري في الطاعون سنة 31 هـ . ابن سعد: الطبقات، ج 7، ص 178 وما بعدها؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق،

ج 11، ص 98، 101.

أن يعمل برأيه فألان جانبه، وأحسن إلى الجند وأعطاهم أرزاقهم، فظل على هذه الوظيفة فترة مسلم بن سعيد ثم أقره عليها أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان بعد مسلم⁽¹⁾.

وقد وقفت على حجاب خلفاء بني أمية وتبعتهم في مختلف المصادر التي أرخت للإدارة وجمعتهم في الجدول التالي⁽²⁾:

اسم الخليفة	اسم الحاجب
معاوية بن أبي سفيان	أبو أيوب مولاة
يزيد بن معاوية	خالد مولاة وقيل صفوان
مروان بن الحكم	أبو المنهال الأسود مولاة
عبد الملك بن مروان	أبو يوسف مولاة
الوليد بن عبد الملك	سعيد مولاة وقيل خالد مولاة
سليمان بن عبد الملك	أبو عبيدة مولاة
عمر بن عبد العزيز	حبيش مولاة
يزيد بن عبد الملك	خالد مولاة وقيل سعيد مولاة
هشام بن عبد الملك	الأبرش الكلبي وغالب بن مسعود مولاة
الوليد بن يزيد	عيسى بن مسقم مولاة وقيل قطري مولاة
يزيد بن الوليد	قطن
ابراهيم بن الوليد	قطن
مروان بن مُجَدِّ	سقلاب ويقال مقلاص مولاة

لقد أدى الحجاب أدوارا هامة في تاريخ الحكم الأموي، لكن أساء بعضهم في أداء مهامهم دون شك فلم يعرفوا أقدار الناس ومنازلهم، وكان بعض الصحابة عرضة لذلك، بل وأحيانا احتجب الخلفاء أو الولاة أنفسهم عن لا يليق الاحتجاب عنهم فهذا معاوية بن أبي سفيان يحجب أبا الدرداء رضي الله عنه

(1) - تاريخ الطبري، ج 7، ص 35.

(2) - تاريخ خليفة، ص 228، 229، 312، 319، 325، 335، 362، 368، 408؛ ابن حبيب: المحبر،

ص 259؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص 265؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 7، ص 306.

فيقول: «من يَغشَّ أبواب الملوك يقيم ويقعد، ومن يجد باباً مغلقاً يجد إلى جانبه باباً مفتوحاً إن دعا أجياب وإن سأل أعطى»⁽¹⁾.

ومن الشطط في آداء مهامهم ما فعله الأبرش الكلبي -ت127هـ- حاجب هشام بن عبد الملك بوفد المغاربة بقيادة ميسرة المدغري أو المطغري في قول آخر لعرض مظلمتهم على هشام بن عبد الملك فيما يقوم به نحوهم نائب عبد الله بن الحبحاب على طنجة عمر بن عبد الله المرادي، إذ منعهم من الدخول على الخليفة ليسمعوه شكواهم وما يفعل بهم والي طنجة مما أدى إلى مفسدة عظيمة فكان مما ذكره الطبري: «فخرج ميسرة في بضعة عشر إنساناً حتى يقدّم على هشام، فطلبوا الإذن، فصعب عليهم، فأتوا الأبرش، فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أنّ أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا أصاب نقلهم دوننا... ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة، ونحن مسلمون؛ فأحببنا أن نعلم: أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟ قال: نفعل، فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم، كتبوا أسماءهم في رقاع، ورفعوها إلى الوزراء، وقالوا: هذه أسماءنا وأنسابنا، فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه، ثم كان وجههم إلى إفريقية، فخرجوا على عامل هشام فقتلوه، واستولوا على إفريقية»⁽²⁾.

فعادوا إلى بلادهم خائبين فتاروا على والي طنجة فقتلوه سنة 122هـ، فقامت الحرب على قدم وساق، فعصفت بالأمن الذي كان قائماً، ولم يتمكن الأمويون من القضاء عليها إلا في مطلع سنة 125هـ، حيث وصلت هشام أخبار النصر في معركتنا القرن والأصنام، وهو على فراش الموت⁽³⁾. وكان هذا من آثار رعونة الأبرش الذي يظهر أنه كان قد أبلغ من قبل والي المغرب بأمرهم ويمنع وصولهم إلى هشام حتى لا يطلع على تجاوزات الواليتين، إذ ما كان يفعل والي طنجة عمر بن عبد الله المرادي إلا بأمر من عبد الله بن الحبحاب، ولعل الأبرش لم يفعل ذلك دون مقابل منهما، فكانت العاقبة ما كانت.

وقال ابن خلدون يبين آثار الاحتجاب عن الرعية من الخليفة أو السلطان، أو ملك: «إذا كانت الدولة في أول أمرها بدويّة كان صاحبها على حال الغضاضة والبدواة والقرب من الناس، وسهولة

(1) - المصدر نفسه، ج6، ص88.

(2) - تاريخ خليفة، ص278؛ تاريخ الطبري، ج4، ص254 وما بعدها؛ أخبار مجموعة مجهول، ص29؛ ابن عذاري:

البيان المغرب، ج1، ص52.

(3) - أخبار مجموعة مجهول، ص37؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص59.

الإذن فإذا رسخ عزّه وصار إلى الانفراد بنفسه عن الناس، للحديث مع أوليائه في خواصّ شئونه لما يكثر حينئذ بحاشيته، فيطلب الانفراد من العامّة ما استطاع ويتخذ الإذن ببابه على من لا يأمنه من أوليائه وأهل دولته، ويتخذ حاجبا له عن الناس يقيمه ببابه لهذه الوظيفة ثمّ إذا استفحل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت أخلاق صاحب الدولة إلى أخلاق الملك، وهي أخلاق غريبة مخصوصة يحتاج مباشرها إلى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها وربما جهل تلك الأخلاق منهم بعض من يباشرهم فوق فيما لا يرضيهم، فسخطوا وصاروا إلى حالة الانتقام منه فانفرد بمعرفة هذه الآداب الخواصّ من أوليائهم وحجبا غير أولئك الخاصّة عن لقائهم في كلّ وقت حفظا على أنفسهم من معاينة ما يسخطهم على الناس من التّعريض لعقابهم فصار حجاب آخر أخصّ من الحجاب الأوّل يفضي إليهم منه خواصّهم من الأولياء ويحجب دونه من سواهم من العامّة، والحجاب الثاني يفضي إلى مجالس الأولياء ويحجب دونه من سواهم من العامّة، والحجاب الأوّل يكون في أوّل الدولة كما ذكرنا ، كما حدث لأيام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية»⁽¹⁾.

ومن بالغ في الاحتجاب، كان ذلك منه علامة على أن الثقة بينه وبين رعيته، قد وصلت إلى مرحلة يصعب علاجها، وأن نذر الظلم من أعوانه للرعية تزداد اتساعا، بعد أن علموا أنه لا يصل إليه من الأخبار والمشتكين إلا من رضوا به أن يصل إليه، وهذا هو الذي ينهى عنه.

ثانيا: وصايا الخلفاء الخاصة بالحجابه والحجاب

1- وصية معاوية بن أبي سفيان لحاجبه سعد

وصية معاوية لحاجبه سعد أبو ذرة بتسهيل الإذن بالدخول

-رقم: 82-

لما تشدد معاوية رضي الله عنه في احتجابه عن الناس للدواعي الأمنية، وكف الناس عن التجرئ عليه بالدخول عليه دون إذن ودون سبب وجيه يقتضي لقاءه مخالفا بذلك ما كان عليه الأمر في العهد الراشدي، وإن كان الموقف العام من هذا الإجراء الجديد عدم رضاهم عنه⁽²⁾، وهذا ما أدى بأبي مريم الأزدي⁽³⁾ عند مروره بدمشق أن يقوم بواجب النصح له في الذي رآه ببابه بما جاء عن رسول - صلى الله عليه وسلم -،

(1) - مقدمة ابن خلدون، ج 1، ص 359.

(2) - ادريس سليمان: نظام الحجابة ، ص 24.

(3) - أبو مريم الأزدي، هو عمرو بن مرة بن عيسى بن مالك الجهني، أسلم قديما وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه أكثر المشاهد، كما كان قوالا بالحق، سكن مصر وقدم دمشق على معاوية، قال ابن عبد البر توفي في خلافة معاوية، وقال

في النهي عن ذلك. فعن أبي المعطل مولى بني كلاب قال: «أقبل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له أبو مريم غازيا حتى بلغ الحفير⁽¹⁾، قال: ولا أعلم ما قال لنا أبو المعطل، وقد استأذن أبو مريم علي معاوية بدمشق حين مر بها فلم يجد أحدا يأذن له فلما بلغ الحفير ذكر حديثا سمعه من رسول الله ﷺ -، رجع حتى أتى باب معاوية فقال لبعض من عليه: أما منكم أحد رشيد يقول لأمر المؤمنين ها هنا أخوك أبو مريم؟

فلما سمعوا كلامه ذهب بعضهم إلى معاوية فقال: ها هنا رجل يقول قولوا لأمر المؤمنين ها هنا أخوك أبو مريم.

فقال معاوية: ويحكم أحبستموه فأذنوا له، فلما دخل عليه قال مرحبا ها هنا ها هنا يا أبا مريم، فقال أبو مريم: إني لم أجئك طالب حاجة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ - يقول: «من أغلق بابه دون ذوي الفقر والحاجة أغلق الله عن فقره وحاجته باب السماء»⁽²⁾.

قال فأكب معاوية يبكي ثم قال: رد حديثك يا أبا مريم، فرده؟

ثم قال معاوية: ادعوا لي سعدا⁽³⁾ - وكان حاجبه - فدُعي فقال: يا أبا مريم حدثه أنت كما سمعت⁽⁴⁾، فحدثه أبو مريم فقال معاوية لسعد:

غيره: توفي بالشام في خلافة عبد الملك. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 46، ص 337، 340 وما بعدها؛ ابن عبد

البر: الاستيعاب، ج 3، ص 1200؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 12، ص 23

⁽¹⁾ - الحفير: نهر بالأردن بالشام من منازل بني القين ابن جسر، نزل عنده النعمان بن بشير. ياقوت: معجم البلدان، ج 2، ص 277.

⁽²⁾ - أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء، ج 1، ص 159، رقم: 315. وبما يقاربه الطبراني في مسند الشاميين للطبراني، ج 3، ص 406. رقم: 2559؛ وأخرجه غير واحد ببعض الاختلاف، فقد جاء عن أبي داود بسنده إلى أبي مريم، قال: «دخلت علي معاوية فقال: ما أنعمنا بك أبا فلان - وهي كلمة تقولها العرب - [للترحيب بالقادم] فقلت: حديثا سمعته أخبرك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولاه الله عز وجل شيئا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم، وختلهم وفقرهم، احتجب الله عنه دون حاجته وختلته، وفقره» قال: فجعل رجلا علي حوائج الناس» سنن أبي داود، ج 3، ص 135. رقم: 2948.

⁽³⁾ - سعد أبو درة: تولى حجابة معاوية وحجامة عبد الملك بن مروان. الدارقطني: المؤلف والمختلف، ج 2، ص 977؛

ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 20، ص 406.

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه، ج 20، ص 406 وما بعدها.

«اللهم إني أخلع هذا من عنقي وأجعله في عنقك من جاء يستأذن علي فأذن له يقضي الله علي لساني ما قضى»⁽¹⁾.

وفي هذا النص يوضح معاوية لحاجبه خطر المسؤولية الملقاة على عاتقه، فقد أسمع حديث النبي -ﷺ- مباشرة من فم الصحابي الذي نقله عنه، ورفع عن عاتقه مسؤولية الظلم أو الاحتجاب عن ذوي الحقوق والحاجات، كما أوصاه بشكل مباشر بأن يأذن لكل من يستأذن بالدخول عليه.

ويجوز لنا هنا أن نتساءل عما يبرر سلوك معاوية هذا، فهل كان ذلك فعلاً قناعة بما ورد في نص حديث الرسول ﷺ تعديل في منهج خاطئ كان يعمل به في خطة الحجامة؟ أم أن ذلك كان تظاهراً وإرضاء للصحابي وتحسيناً للصورة في أعين الناس؟

إن ما وجدناه من نصوص في المصادر التاريخية يثبت عكس ذلك تماماً، بل يثبت أن هناك تشدداً في الحجاب وحجبهم حتى لبعض الشخصيات الهامة كالصحابة.

فقد «حجب معاوية أبا الدرداء يوماً وحبسه عند بابه، فقيل له: يا أبا الدرداء! ويفعل هذا بك وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟»

فقال: من يأت أبواب السلطان يقيم ويقعد»⁽²⁾.

كما نقل لنا الجاحظ رواية جاء فيها ما يلي: «استأذن نافع بن جبير بن مطعم -ت99هـ على معاوية، فمنعه الحاجب فدق أنفه، فغضب معاوية وكان جبير عنده، فقال معاوية: يا نافع، أتفعل هذا بجاجي؟»

قال: وما يمني منه وقد أساء أدبه وأسأت اختياره؟! ثم أنا بالمكان الذي أنا به منك»⁽³⁾.

وهذا عبد العزيز بن زُرارة الكلابي، وقف بباب معاوية حيناً لا يُؤذن له، ثم دخل فقال:

دخلت على معاوية بن حرب *** وكنت وقد بيست من الدخول

رأيت الحظَّ يستر عيب قومٍ *** وهيهات الحظوظ من العقول»⁽⁴⁾.

وقيل: لما دخل عبد العزيز بن زُرارة على معاوية قال له:

(1) -أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء، ج1، ص159-160، رقم: 315؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج20،

ص406، ونقله عن الدولابي وكرره في ج67، ص209-210؛ وأخرج أخرى مختصرة، ج67، ص247؛ ابن

منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج9، ص280.

(2) -ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج1، ص270.

(3) -رسائل الجاحظ: ج2، ص49.

(4) -المصدر نفسه، ج2، ص71 وما بعدها؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج36، ص236-237.

«إني رحلت إليك بالأمل واحتملت جفوتك بالصبر، ورأيت ببابك أقواما قدمهم الخطأ، وآخرين باعدهم الحرمان. وليس ينبغي للمتقدم أن يأمن ولا للمتأخر أن ييأس». وفي حجب معاوية له يقول شاعر:

من يأذن اليوم لعبد العزيز *** يأذن له عبد عزيز غدا⁽¹⁾.

2- وصية مروان بن الحكم لابنه عبد الملك في كيفية التعامل مع حاجبه

وصية مروان لابنه عبد الملك

-رقم: 83-

من واجبات الحاجب الامتثال لأوامر محجوبه وأن يتلقى تعليماته منه ولا يخالفها، وأن يخبر الخليفة بكل صغيرة وكبيرة ترد إليه قبل أن يصل إليه أحد، وبذلك يكون الخليفة قد استخلص رأيا في ذلك وأصدر أمرا بما بعد بلورته ودراسته، فإذا ما قابل الخليفة صاحب الحاجة بعد ذلك يكون جوابه له عن بعد نظر ودراية بعيدا عن التسرع والحرج⁽²⁾، فقد ذكر البلاذري أن مروان بن الحكم أوصى ابنه عبد الملك حين ولاه فلسطين بتقوى الله، وقال له:

«⁽³⁾مُر حاجبك أن يخبرك بمن يحضر بابك في كل يوم فتأذن أو تحجب، وآنس من يدخل عليك بالحديث يبسطوا إليك، ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك أمر فإنك على العقوبة إذا أردتها أقدر منك على ارتجاعها إذا أمضيتها»⁽⁴⁾.

ذكر ابن عبد ربه وتابعه ابن الأزرقي⁽⁵⁾، أن مروان أوصى بهذه الوصية ابنه عبد العزيز وليس عبد الملك، مخالفين بذلك البلاذري، وقد نبه البلاذري إلى هذا الاختلاف فقال: «ويقال إنه أوصى بهذه الوصية عبد العزيز حين ولاه مصر، والأول أثبت»⁽⁶⁾.

وهذا الترجيح من البلاذري لما ذكر من أوهامه التي وقع فيها إذ لم أعثر فيما رجعت إليه من

(1) - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 1، ص 154؛ النويري: نهاية الإرب، ج 6، ص 88.

(2) - ادريس سليمان: نظام الحجامة، ص 39.

(3) - عند ابن الأزرقي: «قول مروان لابنه عبد العزيز حين ولاه مصر يا بني مر حاجبك يخبرك من قصد بابك كل يوم فتكون أنت تأذن وتحجب» وتنتهي.

(4) - البلاذري: أنساب، ج 6، ص 258، ابن الأزرقي: بدائع السلك، ج 1، ص 273، ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج 1، ص 267.

(5) - ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج 1، ص 267؛ ابن الأزرقي: بدائع السلك، ج 1، ص 273.

(6) - البلاذري: أنساب، ج 6، ص 258، وانظر ج 7، ص 204.

مصادر أن مروان ولى ابنه عبد الملك ولاية من الولايات فما بالك بفلسطين أثناء خلافته، ومن الغريب أن تسكت مصادر التاريخ عن ذكر هذه الولاية لشخصية بارزة مثل عبد الملك بن مروان.

3-وصايا عبد الملك لحاجبه

أ-وصية عبد الملك لحاجبه في الذي يعجل بإخباره به:

وصية عبد الملك بن مروان لحاجبه في نفس الغرض

-رقم:84-

قال أبو هلال العسكري: قال عبد الملك لابي الزعيزعة⁽¹⁾:

«وليتك ما خلف باي إلا أربعة:

المؤذن فإنه داع إلى الله فلا حجاب عليه.

وطارق الليل، فإنه لو وجد خيراً لنام.

والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب، وربما أفسد علي القوم تدبير سنتهم حبسهم

البريد ساعة.

والطعام إذا أدرك فافتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول»⁽²⁾.

رواية أخرى لما سبق

- رقم:84أ-

في حين جاء ما سبق عند ابن خلدون ببعض الاختلاف قال: «حُكي عن عبد الملك أنه قال

لحاجبه:

قد جعلت حجامة باي بيدك إلا عن ثلاثة:

صاحب الطعام فإنه يفسد بالتأخير.

والإذن للصلاة فإنه داع إلى الله.

والبريد فإن في تأخيره فساد القاصية»⁽³⁾.

(1)-أبو الزعيزعة: هو سالم أبو الزعيزعة مولى مروان بن الحكم وكاتبه وكاتب ابنه عبد الملك بن مروان وكان علي

الرسائل لعبد الملك وولاه الحرس ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج20، ص 88-90.

(2)-الأوائل، ص237، القلقشندي: صبح الأعشى، ج14، ص413.

(3)-المقدمة، ج1، ص274، ابن الأزرقي: بدائع السلك، ص237.

وبهذا تكون قد تطابقت تقريبا رؤية عبد الملك مع رؤية زياد كما في الآتي في توجيه الحاجب فيما يتعلق بمن يستوجب التعجيل في إدخاله، نظرا لأهمية هذه الوظيفة وما يقع على متوليها من مسؤوليات حساسة، فإنه لا غرابة أن يوصي الخليفة عبد الملك بن مروان حاجبه بما ذكر أولهم المؤذن لأنه يعلم بوقت دخول الصلاة، داع إلى الله تعالى، وفي هذا دليل واضح على مدى اهتمام الخليفة بالمحافظة على وقتها.

كما أن القادم ليلا قد يحمل خبرا خطيرا مضطرا لإيصاله إلى الخليفة ليرى رأيه فيه دون تأخير، وصاحب البريد لتسرع إليه أخبار بلاده من جميع أطرافها ليل نهار، فهذا يحتاج إلى المعالجة والرد السريع إن كان يحتاج إلى الرد، فإن تأخير ذلك يزيد الأمر سوءا.

وتناول الطعام في إبانه عند نضجه أفضل وأفيد من إعادة تسخينه⁽¹⁾.

ب- وصية عبد الملك لحاجبه ألا يحجب عنه قبيصة بن ذؤيب

وصية عبد الملك لحاجبه بعدم حجب قبيصة بن ذؤيب

-رقم: 85-

كان قبيصة بن ذؤيب⁽²⁾ آثر الناس عند عبد الملك بن مروان، وبلغ من لطافة محله منه أنه كان يقرأ الكتب الواردة إلى عبد الملك قبله، ثم يدخل بها إليه مفضوضة الختم، فيقرأها عليه ويخبره بما فيها وكان صاحب سره⁽³⁾، كما كان كالحاجب عنده، ونظرا لأهميته ما يتولاه قبيصة قال عبد الملك لحاجبه: « لا يحجب عني قبيصة أي ساعة جاء من ليل أو نهار، إذا كنت خاليا أو كان عندي رجل واحد، وإن كنت عند النساء أدخل المجلس وأعلمت بمكانه⁽⁴⁾ ».

(1) - محمد جاسم: الوصايا السياسية، ص 64.

(2) - قبيصة بن ذؤيب: الخزاعي المدني الفقيه، من بني قشير، يقال إنه ولد عام الفتح، وقيل عام الهجرة، والمشهور عام الفتح، وأتى به النبي ﷺ بعد موت أبيه ليدعو له، تحول إلى الشام فكان آثر الناس عند عبد الملك بن مروان وأصبحت عينه يوم الحرة، توفي سنة 86 أو 87 وقيل سنة 88 هـ. ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 134، ح 7، ص 311؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 49، ص 252؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج 4، ص 363؛ النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 56؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 2، ص 988.

(3) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 49، ص 253.

(4) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 181، تاريخ الطبري، ج 6، ص 412، ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 36، ص 352، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 528، ابن الجوزي: المنتظم، ج 6، ص 261.

لأن قبضة كان إليه الخاتم والسكة⁽¹⁾، وكان بمثابة وزيراً لعبد الملك ومستشاراً له، وساعده الأيمن في إدارة الدولة وتصريف شؤونها، كما كان ملازماً له في سفره وإقامته، ومن خلال هذه المكانة الكبيرة والمنزلة الرفيعة لقبضة عند عبد الملك، تمكّن من المشاركة في إدارة شؤون الدولة مشاركة فعّالة، والإسهام بأرائه السديدة في عدد من القضايا السياسية، ولا شك أنّ ما همّ به عبد الملك من محاولة خلع أخيه إجراءً سياسياً خطيراً، يمكن أن يؤدي بالدولة إلى الانقسام، ولكن هذا لم يحصل بسبب نهي قبضة لعبد الملك⁽²⁾، فقد ذكر ابن سعد أن: «وكان عبد الملك بن مروان قد هم أن يخلع أخاه عبد العزيز بن مروان، ويعقد لابنيه الوليد وسليمان بعده بالخلافة، فنهاه عن ذلك قبضة بن ذؤيب، وقال له: لا تفعل هذا فإنك تبعث به عليك صوتاً نعاراً ولعل الموت يأتيه فتستريح منه فكف عبد الملك عن ذلك»⁽³⁾.

ج- وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز فيما ينبغي أن يتصرف به حاجبه

وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز في ما يجب أن يتصرف به حاجبه وما ينبغي القيام به

-رقم: 86-

لما ملك مروان الشام وغلب عليها سار إلى مصر فاستولى عليها، واستخلف عليها عبد العزيز ولده سنة 65 هـ، فبقي عليها إلى أن توفي سنة 85 هـ، وكان مروان بن الحكم قد عقد بولاية العهد لعبد الملك بن مروان وبعده عبد العزيز بن مروان الذي ولي على مصر فلما استقر عبد الملك بن مروان في الخلافة أقر عبد العزيز على عمل مصر⁽⁴⁾.

ف« عن الوليد عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز قال: قدم عبد العزيز بن مروان علي أخيه عبد الملك من مصر في بعض الأمور، فلما أراد الشخصوص إليها قال له:

«انظر ما أوصيك به فاجعله لك إماماً: ابسط بشرك، وألن كنفك، وآثر الرفق في الأمور فهو أبلغ بك، وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده، وإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جلساءك

(1) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 181.

(2) - مراد لكحل: كتاب الخلفاء الأمويين، ص 169.

(3) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 233.

(4) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 183؛ تاريخ خليفة، ص 279؛ الصولي: أدب الكتاب، ص 217؛ الذهبي: تاريخ

الإسلام، ج 2، ص 968؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 1، ص 172.

بالكلام⁽¹⁾ يأنسوا بك، وتثبت في قلوبهم محبتك، وإذا انتهى إليك أمر مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فإنها تفتح مغاليق الأمور المبهمة، واعلم أن لك نصف الرأي، ولأخيك نصفه، ولن يهلك امرؤ عن مشورة، وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فإنك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد إمضائها⁽²⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 86أ-

أما الجاحظ فذكر ما سبق ببعض الاختلاف. قال الشعبي: «أن عبد الملك بن مروان قال لأخيه عبد العزيز بن مروان حين ولّاه مصر: إن الناس قد أكثروا عليك، ولعلك لا تحفظ، فاحفظ عني ثلاثاً. قال: قل يا أمير المؤمنين.

قال: انظر من تجعل حاجبك، ولا تجعله إلا عاقلاً فهما مُفهِمًا، صدوقاً لا يورد عليك كذبا، يُحسن الأداء إليك والأداء عنك، ومُؤرّه ألا يقف ببابك أحدٌ من الأحرار إلا أخبرك، حتى تكون أنت الآذن له أو المانع؛ فإنه إن لم يفعل كان هو الأمير وأنت الحاجب، وإذا خرجت إلى أصحابك فسلم عليهم يأنسوا بك، وإذا هممت بعقوبة فتأنّ فيها؛ فإنك على استدراكها قبل فوتها أقدر منك على انتزاعها بعد فوتها⁽³⁾.

ما يلاحظ على ما جاء في تصدير الرواية «قال لأخيه عبد العزيز بن مروان حين ولّاه مصر:» أن هذا غير صحيح، فالثابت أن الذي ولّاه هو والده مروان، وما نسب إلى عبد الملك وهم قد يكون من الشعبي وقد يكون من الجاحظ، والصحيح ما جاء في رواية البلاذري.

ويتبين لنا من خلال هذه الوصايا، بعض المهام المناطة للحجاب، كما تعكس تصور الأمويين لأحد أهم الأجهزة الإدارية، وتبين تطور الحجامة في هذه الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامي وكيف انتقل الحاجب في مهامه من الجانب الأمني إلى الجانب الإداري حيث بات يشرف على الوافدين على الخليفة، ينظم أمرهم ويقضي حوائجهم ويرتب أدوارهم، وقد فصل الأمويون في تفاصيل دقيقة تتعلق

(1) - عند ابن طباطبا: «بالسلام».

(2) - البلاذري: أنساب، ج 7، ص 210؛ ابن طباطبا: الفخري، ج 1، ص 127؛ أحمد زكي صفوت: جمهرت خطب

العرب، ج 2، ص 198، ونقلها من الفخري.

(3) - رسائل الجاحظ، ج 2، ص 38، ج 1، ص 571.

بمهام الحاجب حتى أنهم تطرقوا للحالة التي يجب أن يكون عليها عند الاستقبال بأن يكون «جدلاً مسروراً».

د- وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز أن يحسن اختيار حاجبه

وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز بحسن اختيار حاجبه

-رقم: 87-

عن العتبي، عن أبيه: قال عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر: «أعرف⁽¹⁾ حاجبك وكاتبك وجليسك، فإن الغائب يخبره عنك كاتبك، والمتوسم يعرفك بحاجبك، والخارج من عندك يعرفك بجليسك»⁽²⁾.

كلامنا على ما جاء في هذه الرواية كالذي ذكرناه عن سابقتها، حتى وإن قال: «حين وجهه إلى مصر» فهو تعبير غير دقيق، فهو قد كان عليها من قبل هذا.

ثانياً: وصايا الولاة الخاصة بالحجابه والحجاب

1-وصية زياد لابنه أن يتخذ حاجباً

وصية زياد بن أبيه لابنه بضرورة اتخاذه للحاجب

-رقم: 88-

كان التشدد في الاحتجاب عن الرعية وعدم السماح لهم بمقابلة الوالي لعرض حاجاتهم عليه نقيصة، وأمر غير مقبول ويتدمر منه الشاكون، فهذا زياد بن أبيه يذكر في خطبته المعروفة بالبتراء حين دخل البصرة سنة 45هـ أول التحاقه بولايته عليها والتي هي بمثابة عقدا اجتماعيا بينه وبين الرعية: «واعلموا أي مهما قصرت عنه فإني لا أقصر عن ثلاث:

لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابسا رزقا ولا عطاء عن إبانته، ولا مجمرا لكم بعثاً»⁽³⁾

(1) - عند الآبي: «تفقد».

(2) -رسائل الجاحظ، ج2، ص40؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج36، ص354؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج15، ص155، الدينوري المالكي: المجالسة وجواهر العلم، ص387 القلعي: تهذيب الرياسة، ص250، المزني: تهذيب الكمال، ج18، ص198.

(3) - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص244؛ تاريخ الطبري، ج5، ص220؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج2، ص17؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص43.

هي القواعد التي بينها لهم وألزم نفسه به أمامهم لما لها من أهمية قصوى في استقرار النفوس وكسب طاعتهم، أنه لا يؤخر لهم عطاء ولا رزق وألا يغلق بابه في وجه قاصده، وإن جاءه ليلاً، ولا حابس لهم جيشاً في الثغور بعيداً عن الأهل⁽¹⁾.

وهذا الذي شرطه على نفسه لا يخالف ما أوصى به ابنه الذي لم تحدد المصادر اسمه إذ قال أبو حيان: قال زياد لابنه:

«عليك بالحجاب، فإتّما تجرأت الرّعاة على السّباع بكثرة نظرها إليها»⁽²⁾.

ولا يتناقض ما جاء في وصية زياد لابنه مع ما ذكر سابقاً، فاتخاذ حاجب لا يعني بالضرورة عدم الإذن للناس بالدخول عليه، بل على العكس من ذلك، وجعل الحجاب إنما لحفظ هيبة الوالي حتى لا يتجرأ عليه من لا يعرف مكانتهم. إضافة إلى الغاية الأمنية بحمايتهم من الاغتيالات. وكل ما يهدد حياتهم.

2- وصية زياد بن أبيه لحاجبه عجلان في الذي يسمح له بالدخول عليه:

وصية زياد بن أبيه لحاجبه عجلان فيمن يأذن لهم في مقابلته

-رقم: 89-

قال المدائني: قال زياد لعجلان حاجبه: «كيف تأذن للناس؟

قال: أبدأ بأهل السابقة والقدم، ثم أدعو أهل الشرف، ثم ذوي الأسنان»

قال: فقد وليتك حجابتي وعزلتك عن أربعة:

المنادي بالصلاة.

وطارق الليل فأمر جاء به⁽³⁾.

ورسول صاحب الثغر فإن أبطأ ساعة فسد بإبطائه عمل سنة.

وصاحب الطعام إذا أدرك طعامه فإنه إذا أعيد إسخان الطعام فسد»⁽⁴⁾.

(1) - محمد صالح: زياد بن أبيه، ص 117.

(2) - البصائر والذخائر، ج 7، ص 131، الزمخشري: ربيع الأبرار، ج 5، ص 195، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 8، ص 198، النويري: نهاية الأرب، ج 6، ص 90.

(3) - عند الجاحظ: «فشر ما جاء به أو خير»؛ وعند الزبير بن بكار والعسكري عن المدائني عن مسلمة بن محارب: « فشر ما جاء به، لو كان خيراً ما كنت من شأنه»؛ وعند الآبي: « ولو جاء بخير ما كنت من حاجبه».

وهذه تقارب ما أوصى به عبد الملك حاجبه أبو الزعيزعة، إن لم يكن أعادها عليه مع بعض التحوير.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 89أ-

قال المبرد: وحدثني مسعود في إسنادٍ ذكره قال: قال زياد لحاجبه:

«يا عجلان، إني وليتك هذا الباب، وعزلتك عن أربعة:

عزلتك عن هذا المنادي إذا دعا للصلاة فلا سبيل لك عليه⁽²⁾.

وعن طارق الليل فشرُّ ما جاء به، ولو جاء بخير ما كنت من حاجته.

وعن رسول صاحب الثغر فإن إبطاء ساعةٍ يفسد تدبير سنة⁽³⁾.

وعن هذا الطباخ إذا فرغ من طعامه⁽⁴⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 89ب-

قال الطرطوشي: وقال زياد لحاجبه: «وليتك حجابتي وعزلتك عن أربع:

المؤذن للصلاة.

وصاحب الطعام فإن الطعام إذا أعيد سخنه فسد.

وصارخ الليل لشر دهاه.

وصاحب البريد، فإن التهاون بالبريد ساعةٍ يخرب عمل سنة⁽¹⁾.

(1) -رسائل الجاحظ، ج2، ص35؛ البلاذري: أنساب، ج5، ص203؛ أبو هلال العسكري: الأوائل، 301؛ ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج1، ص266؛ مُجَدُّ بن مُجَدُّ: المجموع اللفيف، ج1، ص73؛ ابن الأزرقي: بدائع السلك، ص273.

(2) -عند الزبير بن بكار: « كتابا فإنها كانت موقوتا»، ابن عبد ربه والقلقشندي: «المنادي إلى الله في الصلاة والفلاح فلا تعوجه عني».

(3) -زاد ابن عبد ربه، الآبي، والقلقشندي: « فأدخله عليّ وإن كنت في لحافي».

(4) -المبرد: الكامل في اللغة، ج1، ص239؛ الزبير بن بكار: الأخبار الموقفيات، 260؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص67؛ الآبي: نثر الدر، ج5، ص10؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج16، ص199-200؛ الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج1، ص257؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج1، ص349؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص148 وما بعدها.

3-وصية يزيد بن المهلب لابنه محمد أن يحسن اختيار حاجبه**وصية يزيد بن المهلب لابنه محمد باستعقال حاجبه****-رقم:90-**

كانت ولاية خراسان هي الجائزة التي حصل عليها المهلب بن أبي صفرة تقديرا لجهوده وبلائه في القضاء على الأزارقة، إذ عينه الحجاج واليا عليها سنة 78هـ⁽²⁾، ولم يزل المهلب واليا بخراسان حتى أدركته الوفاة هناك سنة 83هـ⁽³⁾، ولما حضره أجله استخلف ابنه يزيد بن المهلب⁽⁴⁾، وأوصاه بقضايا وأسباب، ومن جملة ما قال له:

«يا بني استعقل الحاجب، واستظرف الكاتب⁽⁵⁾، فإن حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه»⁽⁶⁾.

رواية أخرى لما سبق**-رقم:90أ-**

أعاد سليمان بن عبد الملك في أيام خلافته، إمارة خراسان ليزيد بن المهلب، فأرسل ابنه محمد بن يزيد نائبا عنه، ثم التحق في أثره⁽⁷⁾ فقام بفتح جرجان سنة 98هـ⁽⁸⁾، وقد ذكر ابن عساکر عن الزياتي قال: قال يزيد بن المهلب لابنه محمد حين ولاه جرجان:

«[استظرف]⁽⁹⁾ كاتبك واستعطر حاجبك⁽¹⁰⁾»⁽¹¹⁾.

(1) - سراج الملوك، ص 62.

(2) - تاريخ خليفة، ص 277.

(3) - المصدر نفسه، ص 288؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5، ص 353.

(4) - ابن قتيبة: المعارف، ص 400؛ .

(5) - هنا تنتهي رواية الجاحظ الآبي.

(6) - ابن فندمة: تاريخ بيهق، ص 197؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5، ص 353؛ الصفدي: الشعور بالعمور، ص 224.

(7) - ابن فندمة: تاريخ بيهق، ص 199.

(8) - تاريخ الطبري، ج 6، ص 541.

(9) - ما أثبت من ابن منظور وهي القربة إلى الصواب، وعند الجاحظ «استطرق».

(10) - عند الجاحظ والآبي: «استظرف كاتبك واستعقل حاجبك».

(11) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 57، ص 166؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 24، ص 146..

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 90ب-

عن روح بن قبيصة المهلبي، عن أبيه، قال: قال يزيد بن المهلب لابنه مخلدا:
«يا بني، استفره⁽¹⁾ الكاتب واستحد الحاجب، فإن كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه»⁽²⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 90ج-

قال يزيد لابنه مخلد حين ولّاه جرجان:

«استطرف كاتبك، واستعقل حاجبك»⁽³⁾.

نقول تعليقا عما أوصى به المهلب - وإن نسب بعضهم ذلك لابنه يزيد - الذي حنكته التجارب وضرسته الأحداث، أن ينقل لابنه ما علمته إياه محمدا له أحد الصفات الواجب توفرها في من يولى على حاجبته، وحتى كاتبه، وهو أن يكون الأول منهما عاقلا فهذا يغنيه عن تكرار التوجيهات له، فعقله كفيلا بأن يؤدي به إلى حسن التصرف مع من يرغب في لقاء الأمير.
أما الكاتب فاشتراط في اختياره أن يكون ظريفا محببا لمن يعمل معهم، فالحاجب وجهه الذي به يحكم الناس على سيرة الأمير، والثاني لسانه المعبر عن أفكاره وسيرته، وفي ذلك يقول الشاعر مُجَّد بن يزيد البشري:

كن على منهج معرفة *** إن وجه المرء حاجبه

فيه تبدو محاسنه *** وبه تبدو معايبه⁽⁴⁾

والخلاصة أن الوصية اقتصر على ما ذكر وإلا فإن هناك شروطا أخرى فاكتفى بهما عن ذكر البقية، فاللبيب تكفيه إشارة واحدة.

(1) - عند ابن عساکر: «استفر...».

(2) - تاريخ دمشق، ج 57، ص 166؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج 24، ص 146.

(3) - رسائل الجاحظ، ج 2، ص 40، ورسائله السياسية، ص 572، أبو حيان: البصائر والذخائر، ج 1، ص 153؛

الآبي: نثر الدر، ج 5، ص 45؛ الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج 1، ص 257؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ج 5،

ص 196.

(4) - الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج 1، ص 258.

4- وصية عمر بن هبيرة لبعض عماله أن يحسن اختيار حاجبه

وصية عمر بن هبيرة لبعض عماله بان يحسن اختيار حاجبه وسائر عماله

-رقم: 91-

قال ابن الدجاجي: قال عمر بن هبيرة لبعض عماله:

«اتخذ كاتباً، ولا تكون نارين فتحرقا، ولا مائين فتغرقا، ولا تنفتحا، وكن ناراً وليكن ماء، وول عملك أهل البيوتات فإن عدلوا، فذاك الظن بهم، وإن لم يفعلوا كان لك عذر في توليتهم، يكن حاجبك طلق الوجه، ينزل الناس منازلهم، فإن حاجب الرجل وجهه قبل أن يرى، فليكن وجهك حسناً، ومره أن يتلقى بالبشر، ومره أن يستقبل مصافيك ومخالصيك جذلاً مسروراً، وأن يقضي حوائجهم، ويقرب مجالسهم، بل يوجه من يكون ذلك طبعاً فيه، ولا يكون عليه مؤونة له من نفسه»⁽¹⁾.

ينبه عمر بن هبيرة كاتبه، وأن تكون علاقتهما وسطا المعبر عنها لا نارا تحرق، ولا ماء يغرق أي الابتعاد عن الشطط والشدّة، فإن كان أحدهما نارا أي عنيفا شديدا، فليكن الآخر ماء أي رقيقا. كما نبهه إلى ضرورة حسن اختيار عامله من أهل الشرف والفضل والأحساب، ممن لهم قبول لدى الناس، فإن أحسنوا العمل كان الشكر والثناء له ولك، وإن أساءوا كان الذم لهم دونك، وهذا ما يعبر عنهم في هذا العهد بعمال العذر أو المعذرة، وهو أن يعمد الوالي إلى أعيان البلد فيطلب منهم أن يختاروا لأنفسهم من يرونه صالحا ليتولى أمورهم، فيوليه، فإذا أحسن كان كما ذكرت من قبل أما الحاجب فاشتراط في اختياره ما ذكر من الأوصاف المحببة إلى الناس، خادما لهم غير عبوس ولا مكفهر الوجه، خاصة المقربين للوالي وممن اصطفاهم لنفسه.

ولم يكن اتخاذ الحاجب في العصر الأموي مقتصر على الخلفاء والولاة فقط، بل كان للعمال وصاحب الشرطة والقضاة وغيرهم، حجاب لهم أيضا، فقد أوصى عقبه بن الحجاج، مهدي بن مسلم حين ولاه القضاء بأن توفر شروط عدة كأن يكون من أهل الطهارة والعفاف والبعد من الدنس⁽²⁾.

(1) - سفت الملح، ص 55.

(2) - أنظر الوصية رقم: 78.

رابعاً: وصايا الخلفاء المتعلقة بالبريد

1- تمهيد نشأة البريد وتطوره عند الأمويين

لديوان البريد أهمية كبرى عند الخلفاء، لما يلعبه من دور حاسم في الاستقرار السياسي باعتباره الجهاز الأمني السري للدولة، إذ كان أصحاب البريد رقباء ومفتشين يرفعون التقارير عن أحوال الجند في مختلف حالات القتال، وفي كل الظروف والأوقات، ويخبرون الخليفة أو الوالي بحال جباية الأموال وتوزيع العطاء، وحال معيشة الناس، ومختلف الأسعار، كما كان عين الخليفة التي تبصر وأذنه التي تسمع ينقل إليه أخبار عماله وقادته وسائر رجال دولته، فكان له عيون يوافونه بكل جديد عنهم، كما كان واسطة بين الولاة والخلفاء والقادة لنقل الأوامر والتعليمات والجند إلى جبهات القتال، والتموين والإمداد وحفظ الطرق على سالكيها، وصيانتها من الأعداء، والتصدي للجواسيس في البر والبحر، وإليه كانت ترد كتب أصحاب الثغور وولاة الأطراف فيقوم بتوصيلها بوجه السرعة من اختصار للطرق لمعرفة بمسالكها إلى جميع النواحي، وكان الخليفة يجد عنده ما يحتاج إليه من المعرفة عند إنفاذ جيش وغيره وقت الحاجة إلى ما هنالك من مهام⁽¹⁾.

وفي الحقيقة أصل هذا الديوان وجوهر عمله كان موجوداً منذ عهد الرسول -ﷺ- فقد كان يرسل رسلاً ومبعوثين يحملون منه رسائل إلى الملوك والأمراء المعاصرين له، كما حدث بعد صلح الحديبية، حين أرسل إلى كسرى وهرقل والنجاشي والمقوقص وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام⁽²⁾.

اهتم الخلفاء الراشدون بعد الرسول -ﷺ- بالبريد اهتماماً كبيراً وذلك عن طريق تنظيم المراسلات بينهم وبين الجيوش التي أرسلوها للقتال، ويذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب يستعمل البريد لينقل أخبار المجاهدين إلى أهلهم فكان صاحب البريد عند وصوله إلى المدينة ينقل هذه الرسائل يطوف معه الخليفة على دور المجاهدين ليسلمهم السائل ويطلب منهم تجهيز رسائلهم ليحملها صاحب البريد معه، وكان صاحب البريد عندما يريد الخروج بالبريد ينادي منادي: «ألا إن بريد المسلمين يريد أن يخرج فمن كانت له حاجة فليكتب»⁽³⁾.

ورث الخليفة معاوية بن أبي سفيان هذا النظام ووضع قواعده وأسسها وكان له الفضل في إعادة ترتيبه وتنظيمه على صورة أوسع نطاقاً وأكثر وضوحاً، فهو أول من أنشأ ديواناً للبريد لكونه أول خليفة

(1) - محمد فرقاني: رسائل عبد عمر بن العزيز، ج2، ص138.

(2) - عبد الشافي: العالم الإسلامي، ص480.

(3) - جمال الدين: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ج1، ص394.

أقام الخيول على الطرق لنقل البريد، وأول من رتب له الميل والمحطات مستعينا في ذلك بما اقتبسه من قوانين الفرس والرومان معا⁽¹⁾.

وكان للرقابة الإدارية عن طريق البريد دورا كبيرا ومهما في نجاح معاوية كشخصية إدارية، ونستطيع أن نستشف ذلك من قول ينسب إلى زياد بن أبيه⁽²⁾ حين قال: «أحبّ الولاية لثلاث، وأكرهها لثلاث: أحبّها لنفع الأولياء، وضرّ الأعداء، واسترخاض الأشياء، وأكرهها لروعة البريد، وخوف العزل، وشماتة العدو»⁽³⁾، وكان زياد يدرك خطورة الدور الذي يقوم به صاحب البريد، لذلك أوصى حاجبه بأن لا يجيب عنه صاحب البريد لأن التهاون بالبريد ساعة يخرب عمل سنة⁽⁴⁾.

وكان عبد الملك إذا أراد أن يولي رجلا عمل البريد سأل عن صدقه ونزاهته وأناته، ويقول: «كذبه يشكك في صدقه، وشرهه يدعوه في الحقّ إلى كتمانته، وعجلته تهجم بمن فوقه على ما يؤثّمه ويندّمه»⁽⁵⁾.

تقدم نظام البريد في عهد عبد الملك بن مروان، فلم يعد نظاما يعتمد على طريقة تبادل الخيل في المحطات البريدية فقط ولنقل الرسائل، بل أصبح نظاما يستفاد منه في الحالات الحربية والعسكرية وحالات الطوارئ، فقد كان البريد يستخدم في نقل القوات العسكرية وعلى وجه السرعة، ففي ثورة ابن الأشعث جهز عبد الملك الجند على البريد، «وكانت أخبار ابن الأشعث تأتيه بنزوله مكانا مكانا»⁽⁶⁾، يقول الدكتور نظير حسان: «تولى عبد الملك بن مروان الخلافة في وقت كانت جرثومة الأحزاب السياسية في الدولة الإسلامية قد أفرخت في شرايين العرب والأعاجم على حد سواء... لكن عبد الملك تمكن بحزمه وبقظته من تصيد أعدائه الثلاثة كل على انفراد، وتفرغ لإصلاحاته الداخلية، وخص البريد منها قسطا كبيرا كي يضمن له سلامة الأمن والإدارة في الداخل ويوقفه على حركات العدو في الخارج، فأدخل على نظامه عدة تحسينات حتى أصبح أداة هامة في إدارة شؤون الدولة»⁽⁷⁾.

(1) - نظير حسان: نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص 53.

(2) - وقيل للمغيرة بن شعبة، أنظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 1، ص 75.

(3) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 2، ص 207.

(4) - أنظر الوصية رقم: 89 ب.

(5) - ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 1، ص 309.

(6) - البلاذري: أنساب، ج 7، ص 322، زريف مرزوق: نشأة الدواوين، ص 181.

(7) - نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص 53 وما بعدها.

ولأهمية هذا الدور الذي كان يؤديه رجال البريد كان عبد الملك بن مروان يوصي حاجبه بألا يجرب عنه رجل البريد في أي ساعة جاء لأن فإن في تأخيره فساد القاصية⁽¹⁾، فقد كان موظفو هذا الديوان بمثابة عيون الخليفة، يراقبون له الولاة و العمال وأعمالهم ومسلكهم، ويرفعون إليه تقارير بكل ما يصل إلى علمهم من ذلك، حتى يكون الخلفاء على علم بأحوال الولايات وبكل ما يدور فيها⁽²⁾، وخير دليل ما جاء في أوراق البردي من رسائل تبين ذلك، فقد كتب قره بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوة:

«فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد.

فإن القاسم بن سيار⁽³⁾ صاحب البريد ذكر لي أنك أخذت قرى في أرضك بالذي عليهم من الجزية فإذا جاءك كتابي هذا فلا تعترضن أحدا منهم بشيء حتى أحدث إليك فيهم - إن شاء الله - والسلام على من اتبع الهدى»⁽⁴⁾.

وهذا النص يبين أن مهمة البريد أول الأمر توصيل الأخبار إلى الخليفة من ولاية الأقاليم، ثم توسعوا فيه حتى جعلوا صاحبه عيناً للخليفة ينقل أوامره إلى ولايته كما ينقل أخبار ولايته إليه على الصحة⁽⁵⁾، كما يتبين لنا أن صاحب البريد له اليد الطولى في متابعة أخبار وأحوال الرعية وتظلماتهم من تعديت الولاة، وينقل ذلك إلى الخليفة مباشرة⁽⁶⁾.

2- وصية عمر بن عبد العزيز الخاصة بالاهتمام بالبريد وصفة من ييرد إليه

وصية عمر بن عبد العزيز لبعض عماله في الاهتمام بالبريد

-رقم: 92-

حظي نظام البريد أيضا باهتمام كبير في عهد عمر بن عبد العزيز؛ إذ أضاف إليه نفحة جديدة من نفحاته وهي الإكثار من بناء خانات للبريد على جوانب الطرق الرئيسية خصوصا بطريق خراسان لبيت فيها الناس، وأمكنة يقيم فيها الدواب من خيل وجمال ومياه في الأحواض للشرب⁽⁷⁾.

قال المدائني: كتب عمر إلى بعض عماله:

(1) - أنظر الوصية رقم: 84أ.

(2) - عبد الشافي: العالم الإسلامي، ص 481.

(3) - عامل البريد في قرية منخته، أدولف جروهمان: أوراق البردي، ج 3، ص 28.

(4) - المرجع نفسه، ج 3، ص 27 وما بعدها.

(5) - نفسه، ج 3، ص 28 وما بعدها.

(6) - مراد لكحل: كتاب الخلفاء ص 111.

(7) - نظير حسان: نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص 54.

«إن البريد جناح المسلمين، وبه نفاذ أمور السلطان، وتَعْجُل ما يحتاجون إلى معرفته من الأخبار، فأحسن تعهده، والقيام عليه، وإدرار أرزاق قَوَّامه وأعوانه، ولتجد له علوفته، وينظر في مصلحته - إن شاء الله - والسلام»⁽¹⁾.

وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في مواصفات صاحب البريد

الوصية - رقم: 93-

قال قتادة: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي:

«أما بعد. فإذا أبردت إلي بريدًا، فأبردوه حسن الاسم، حسن المنطق، خفيف اللحية يَفْهَمُ عني ويُفهمني، مثل عَدَامِ⁽²⁾ الضِّي⁽³⁾».

يأتي كل هذا الاهتمام من عمر بن عبد العزيز بصاحب البريد وأعوانه لاطلاعه على خطورة المهام التي أنيطت به لدرجة أنه يرسل إلى عماله بوصية خاصة في شأنه وهو الأمر الذي لم يرقم به سائر الخلفاء الأمويين إذ لم يصلنا منهم وصايا في شأن البريد على الرغم من اهتمامهم البالغ به.

يقول الدكتور مُحَمَّد فرقاني معلقًا على الوصية: «في تقديري أن ما اشترطه فيمن يرد إليه كان تأسيا منه بالنبي - ﷺ - الذي كتب إلى عماله بما يقارب الجزء الأول من مراسلة الخليفة، بالخصوص وأن قتادة راوي مراسلة الخليفة قد روى مراسلة الرسول من طريق بريدة»⁽⁴⁾.

وفي هذه الوصية يحدد عمر بن عبد العزيز الصفات التي يجب أن يتصف بها من يوكل إليه أمر البريد وقد اقتدى في ذلك بالنبي عليه الصلاة والسلام فحدد له صفات خَلْقِيَّة وأخرى خُلُقِيَّة بأن يكون

(1) - البلاذري: أنساب، ج 8، ص 185.

(2) - عدام الضبي: لم أجد له ذكرا في ما اطلعت عليه من كتب التراجم.

(3) - البلاذري: أنساب، ج 8، ص 161.

(4) - أخرجه النزاز في مسنده (البحر الزخار): «عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه - ﷺ - قال: قال رسول الله

- ﷺ - إذا أبردت إلي بريدًا فأبردوه حسن الوجه حسن الاسم»، ج 10، ص 278 رقم: 4383، وفي رواية

أخرى له «عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ -: إذا بعثتم إلي رجلا فابعثوه... إلخ»،

ج 15، ص 217، رقم: 8630، وفي رواية «عن أبي أمامة قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا بعث جيشا قال

لأميرهم: إذا بعثت إلي بريدًا فاجعله جسيما وسيما حسن الوجه»، الخرائطي: اعتلال القلوب، ص 167، رقم:

345؛ وأخرجه ابن حجر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ج 11، ص 685، رقم: 2658؛ الكتاني:

التراتب الإدارية، ج 1، ص 246؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 1، ص 148؛ أبو نعيم: تاريخ أصبهان، ج 1،

ص 306؛ لسان العرب، ج 3، ص 86. نقلًا عن مُحَمَّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2: ص 139.

حسن الإسم حسن المنطق خفيف اللحية، وربما لهذا جانب في الراحة النفسية التي تحدثها هذه الصفات لدى المتلقي، وقد أعطى مثالا لعدي بعدام الضبي الذي نتصور أنه خفيف اللحية وتنطبق عليه مواصفات عمر رغم أننا لم نجد له ذكر في مختلف المصادر، وبهاتين الوصيتين يكون عمر بن عبد العزيز قد قطع شأوا بعيدا في التأسيس للإدارة الإسلامية مراعيًا في ذلك كل النواحي بما فيها النواحي النفسية بأنه يريد أن يكون من يأتيه بالخبر حسن الوجه حسن المنطق يستبشر بمرآه خيرا.

ولما دخل الخلل في ديوان البريد في آخر الدولة الأموية كان ذلك أحد الأسباب الرئيسة في سقوطها، كما قال أحد شيوخهم لما سئل عن ذلك: «... وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا»⁽¹⁾

(1) - المسعود: مروج الذهب، ج3، ص228.

الفصل الثامن

وصايا الخلفاء الأمويين ووليتهم

في تحصيل مهام أحوالهم، وأساليب جبايتهم

❖ أولاً: تمهيد: سياسة خلفاء بني أمية المالية جباية وإنفاقا

❖ ثانياً: وصايا الخلفاء في تحديد مهام العمال

- 1- وصية عبد الملك للحجاج يمنعه من مصادرة ما زاد عن حاجة السكان
- 2- وصية سليمان بن عبد الملك لأسامة بن زيد لما عينه على خراج مصر
- 3- وصية عمر بن عبد العزيز لوالي الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن في الرفق بأهل الخراج وإزالة المظالم المالية غير الشرعية التي فرضت عليهم
- 4- وصية عمر بن عبد العزيز لعبد الحميد بن عبد الرحمن في معالجة هجرة أهل الخراج من أرضهم
- 5- وصية عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائي في العناية بموارد خراسان
- 6- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في الإحسان إلى أهل الذمة

❖ ثالثاً: أساليب تحصيل جباية الخراج

- 1- وصية زياد بن أبيه لعماله في الإحسان إلى المزارعين
- 2- وصية عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر بالرفق بأهل الخراج
- 3- وصايا قرة بن شريك لنائبه بسيل صاحب كورة أشقوة في تقدير الجزية والعدل في أهل الخراج

الفصل الثامن: وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم في تحديد مهام أعوانهم، وأساليب جبايتهم

أولاً: تمهيد: سياسة خلفاء بني أمية المالية جباية وإنفاقاً

من مهام الخلفاء الأمويين وولاتهم الرئيسة السعي إلى تحقيق الأمن والحفاظ على النظام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فيمكن أن يتساهلوا في أشياء أخرى ولكن في هذين لا يتساهلون، ذلك أن بهما تزكو الخيرات وتهنأ الحياة، «فالأمن والعافية قاعدتا النعم كلها، ولا يهنأ بشيء منها دونها»⁽¹⁾. وتأمل ما خطب به الخليفة عبد الملك على أهل المدينة سنة 75هـ فحذرهم من الفرقة والخلاف والإخلال بالأمن فكان مما جاء في هذه الخطبة «أيها الناس إنا نحتمل منكم كل الغرمة ما لم يكن عقد راية أو وثوب على منبر هذا عمرو بن سعيد⁽²⁾ حقه حقه قرابته وابنه قال برأسه هكذا فقلنا بسيفنا هكذا»⁽³⁾، فلما أهملت هذه القاعدة بعد التفريط في الرفق بالرعية عند الجباية وزيادة المغارم والمظالم سقطوا.

وبعد الأمن تأتي أمور جباية الأموال التي أولوها اهتماماً بالغاً فأفراطوا في ذلك حتى دفعهم ذلك إلى خرق قاعدة شرعية بإبقائهم الجزية عن أسلم فقد مضت السنة أنه لا جزية على مسلم، إنما هي على غيرهم ممن بقي على دينه⁽⁴⁾.

والأمر الملفت للنظر طوال مدة الخلافة الأموية أنهم جنبوا أبناءهم الولاية على جباية الخراج إلا في حالات قليلة، وهذه لغاية سياسية من ذلك أن عبد الملك بن مروان استشار الحرشي في أمر ابنه الوليد وقد عزم على تقليده العهد قال: «إني عزمتم أن أوليّه شيئاً من النواحي، فإذا مضت له مدة قلّدتّه العهد» فقال: «يا أمير المؤمنين، إنك بعثت الوليد يقسم الأموال بين الناس ما رضوا عنه، فكيف

(1) - الجويني: غياث الأمم في التياث الظلم، ص 212.

(2) - عمرو بن سعيد بن العاص: أبو أمية بن سعيد أبي أحيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس، كان يزيد بن معاوية قد ولاه المدينة سنة 60هـ، قتله عبد الملك بن مروان، وكان عمرو بن سعيد يدعي أن مروان بن الحكم جعل إليه ولاية العهد بعد عبد الملك، ثم نقض ذلك وجعله إلى عبد العزيز بن مروان، فلما خرج عبد الملك إلى حرب مصعب بن الزبير خالف عليه عمرو، وأغلق دمشق فرجع إليه عبد الملك فأعطاه الأمان ثم غدر به فقتله سنة تسعة وستين وقيل سبعين. ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 184؛ تاريخ ابن يونس، ج 2، ص 160؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 46، ص 40؛ تقي الدين الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج 5، ص 391 وما بعدها.

(3) - تاريخ خليفة، ص 273، ابن كثير: البداية والنهاية، ج 12، ص 383.

(4) - ابن جماعة: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص 103.

تبعته جابيا؟ إن احتاط ذم، وإن رفق عجز، وأنت تريد أن تجبيه، فولّه المعاون والصوائف، فيكون ذلك شرفا وذكرًا»⁽¹⁾.

وفي هذا النص دليل واضح على أن تولي الأقاليم يعني بالدرجة الأولى جباية مقدراتها المالية، كما يوضح كلام الحرشي أن هذه المهمة ليست بالهينة وغير مضمونة العواقب على مستقبل ولي العهد وسمعته.

يعتبر الخراج من أهم موارد الدولة المالية، ويعود الفضل في تنظيمه وتنظيمها دقيقا إلى الخليفة عمر بن الخطاب، الذي عين أشخاصا من ذوي الكفاءة والخبرة لمسح أراضي الأقاليم والولايات الإسلامية، وذلك ليتسنى له فرض الخراج على هذه المناطق بصورة عادلة⁽²⁾.

وترتبط سياسة الخلفاء في إدارة ضريبة الخراج وتنظيمها بأمرين رئيسيين هما: الأرض وبالذين يستغلونها، لصلتهما المباشرة بها، وقد أولى عمر بن الخطاب هذين الأمرين كل اهتمام، وكانت توجيهاته إلى المزارعين وأرباب الأرض صريحة للمحافظة على الأرض وعدم إنهاكها استمرارا لخيرها⁽³⁾.

تابع علي بن أبي طالب إجراءات عمر، فأوصى عماله على الخراج أن يهتموا بعمارة الأرض أولا قبل الاهتمام باستجلاب الخراج، لأن الجلب لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد، وكتب علي بن أبي طالب إلى أمراء الأجناد يوصيهم بفلاحي الأرض وينهاهم عن الظلم وأخذ أموال الناس عن طريق المصادرة بالباطل، ودعا إلى التخفيف عن أهل الخراج في حال الشكوى من ثقل الخراج أو إصابة الغلة بأفات⁽⁴⁾، فقال لمالك بن الحارث الأشتر حين ولاه مصر: «...تفقد أمر الخراج بما يصلح أهلهم، فإن في صلاحهم وصلاحه صلاحا لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهلهم... ولا يثقلنّ عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمدا أفضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما

(1) - ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج 2، ص 386.

(2) - «بعث عمر - رضي الله عنه - حذيفة بن اليمان على ما وراء دجلة، وبعث عثمان بن حنيف على ما دونه؛ فأتياه فسألهما: كيف وضعتما على الأرض، لعلكما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقون؟ فقال حذيفة: لقد تركت فضلا، وقال عثمان: لقد تركت الضعف ولو شئت لأخذته؛ فقال عمر عند ذلك: أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق

لأدعهم لا يفتقرون إلى أمير بعدي». أبو يوسف: الخراج، ص 47.

(3) - أبو يوسف: الخراج، ص 48؛ غيداء خزنة: الخراج، ص 235.

(4) - غيداء خزنة: الخراج، ص 237 وما بعدها.

عَوَدْتُمْ من عدلك عليهم ورفقتك بهم، فرما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لاشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر»⁽¹⁾.

سار الخلفاء الأمويون على ذلك النظام المالي الذي تقرر بالكتاب والسنة، كالزكاة، والغنيمة، والفيء، واجتهادا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كالعشور، وخراج الأرض.

ولكن أمام تزايد اتساع عمليات الفتوح في البر والبحر في المشرق والمغرب، إضافة إلى ما تتطلبه عمليات إخماد الفتن، والثورات الداخلية من إنفاق، وكذا ما تحتاجه متطلبات البناء والتعمير، وتوزيع العطاء على مستحقيه، عمل معاوية بن أبي سفيان ومن جاء بعده من الخلفاء على زيادة هذه الموارد المالية وبالخصوص في العراق والأقاليم الشرقية، بإعادة إحياء تلك الرسوم والضرائب العرفية الفارسية التي اعتاد الناس تقديمها إلى حكامهم في المناسبات المختلفة، وشجعهم على ذلك العناصر الفارسية المتنفذة في الأجهزة الإدارية، خاصة المالية منها، لما يعود ذلك عليهم بالنفع، وتنوعت هذه الرسوم بمرور الزمن، خاصة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان لمواجهة تقلص الموارد المالية بسبب كثرة الثورات والفتن، وكثرة الداخلين في الإسلام أيضا، مع ما حدث من تحول للأراضي الخراجية إلى عشرية، وهذه نتيجة منطقية تحصل في المناطق التي يحكمها الاستبداد، أو ينتشر فيها الاضطراب السياسي والإداري⁽²⁾.

وإضافة إلى ذلك جانبوا العدل في فرض الجباية واستيفائها على الأفراد والجماعات، مع ما صاحب ذلك من عنف وشدة في استخلاصها.

ولكن بمجرد استخلاف عمر بن عبد العزيز، سارع إلى إلغاء كل هذه الضرائب غير الشرعية. هذا ما وصلنا عن إيرادات الأمويين في مختلف المصادر التاريخية، غير أن وصاياهم في الجباية تبرز غير ذلك، فقد تبين من خلال هذه الوصايا شدة حرصهم على أن يكون تحصيل إيراداتهم بالعدل، وتجنب ظلم الرعية، وهذا ما سنبينه فيما يأتي.

(1) - النويري: نهاية الإرب، ج6، ص25 .

(2) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج1، ص414.

ثانيا: وصايا الخلفاء في تحديد مهام العمال

1-وصية عبد الملك للحجاج يمنعه من مصادرة مازاد عن حاجة السكان

رد الخليفة عبد الملك على للحجاج لما استأذنه

بمصادرة ما فاض عن حاجة الناس

-رقم:94-

واجهت الدولة زمن عبد الملك بن مروان أزمة مالية حادة، إذ تناقصت مواردها تناقصا ملحوظا، بسبب كثرة الثورات كثورة ابن الزبير في الحجاز والعراق، وثورة المختار بن أبي عبيد في الكوفة. كذلك كان لهجرة الفلاحين من القرى إلى الأمصار، وما أحدثته من نقص في الأيدي العاملة وخاصة في البصرة أثر، إضافة إلى حركة الزنج، واشتداد حركة الخوارج وتهديدهم منطقتي البصرة والكوفة، كل هذه الأمور كان لها دور في الأزمة أيضا، إضافة إلى انتشار الأوبئة كالتطاعون الجارف في البصرة، مما أثر في الزراعة والإنتاج وأضر بالخراج.

وقد وصف عبد الملك تلك الأوضاع بقوله:

«إن العراق كدر ماؤها، وكثر غوغاؤها، واملوح عذبتها، وعظم خطبها، وظهر ضرامها، وعسر إخماد نيرانها فهل من م مهد لهم بسيف قاطع، وذهن جامع، وقلب ذكي، وأنف حمي، فيخمد نيرانها، ويردع غيلانها، وينصف مظلومها، ويداوي الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد، وتأمّن العباد»⁽¹⁾، فاختر الحجاج بن يوسف لهذه المهمة الذي أعاد للإقليم الاستقرار خاصة، وتفرغ لفتح بقية الأقاليم التي لم تفتح في مشرق الدولة، بعد الأزمة المالية لحقت بالدولة في إقليم العراق بفعل كثر الإنفاق على إخماد الفتن التي تجاوزتها بعسر؛ إضافة إلى ما بدل الحجاج من جهود موفقة لتعمير السواد، وتنظيم النشاط الزراعي به⁽²⁾.

وكل هذا بتوجيه من الخليفة عبد الملك لخطوط سياسته العامة، من ذلك أن الحجاج كتب إليه يستأذنه في أخذ ما زاد عن حاجات أهل السواد، بعد أخذ خراجهم، قال الماوردي:

«حكى أن الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه في أخذ الفضل من أموال السواد، فمنعه من ذلك، وكتب إليه:

(1) - الأبشيهي: المستطرف، ص61.

(2) - البلاذري: فتوح البلدان، ص284؛ غيداء خزنة: الخراج، ص136.

لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك، وابق⁽¹⁾ لهم لحوما يعقدون بها شحوما»⁽²⁾.

ووصية عبد الملك تبين سعة أفق تفكيره الذي كان يرمي بما رد به على الحجاج إلى عدم مصادرة ما زاد عن نفقات أهل الخراج، فنصحه أن يترك لهم رؤوس أموالهم المعبر عنها باللحم ليحققوا بها ثراءهم المعبر عنه بالشحم لأن ذلك عائدة فائده على الدولة، متى طلبت المال وجدته، فثروة رعيته قوة لها على ما يتطلبه الإنفاق على مصالح المسلمين⁽³⁾.

فقد ذكر الصولي أن الحجاج قال يوماً للدهاقين: «كم كان عمر بن الخطاب يجي من السواد؟ قالوا: مائة ألف ألف درهم. قال: فكم جباه زياد؟ قالوا: مائة ألف ألف. قال: فكم نجبيه نحن اليوم؟ ثمانين ألف ألف»، وعندما استفسر منهم عن سبب انخفاض جباية السواد في أيامه⁽⁴⁾، أخبره جميل ابن بصبهري دهقان الفلوجتين⁽⁵⁾: «هذا كله لبيتين قاهما شاعركم الحارث بن حلزة، قال: و ما هما؟ قال قوله (السريع):

لا تكسع الشول بأخبارها *** إنك لا تدري من الناتج

واصبب لأضيافك ألبانها *** فإن شر اللبن الواج⁽⁶⁾

فاستعمل عمالكم هذا، فخربت الدنيا»⁽⁷⁾.

(1) - بداية نص الثعالبي «اترك أترك لهم لحوماً يعقدون بها شحوماً».

(2) - الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 231؛ وكتابه تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، ص 258؛ وكتابه: درر السلوك في سياسة الملوك، ص 115-116؛ الثعالبي: الإعجاز والإيجاز، ص 76؛ وكتابه: التمثيل والمحاضرة، ص 134؛ وكتابه: خاص الخاص، ص 87.

(3) - سيدة إسماعيل كاشف: الوليد بن عبد الملك، ص 57 وما بعدها.

(4) - وقد علق ابن رسته عن سبب هذا الانخفاض بقوله: «وهذا بسبب ظلمه وعسفه». الأعلام النفيسة، ص 105، وهذا فيه تجن على الحجاج، دون دليل، إذ السبب يرجع إلى أولئك الذين عكروا صفو الأمن وأثاروا الفتن من التوابين سنة 64-65 هـ والمختار بن أبي عبيد 65-67 هـ، والخوارج من سنة 64 إلى حدود سنة 78 هـ الذين قضى على تمردهم المهلب بن أبي صفرة، وهناك غيرهم.

(5) - الفلوجتين: هناك فلوجتان: الكبرى والصغرى، هما: قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر، الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص 275.

(6) - الأبيات في ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، ص 111.

(7) - وقد شرح الصولي معنى البيتين فقال: «إن العرب إذا أخصبت عاما لم تستقص الحلب، وتركت في الضرع بقية، وكسعت الضروع بالماء البارد ليتزاد اللبن، فيكون أقواها لظهورها، فإن كان في العام المقبل جذب، كان فيها فضل

ويبدو أن الحجاج لزم هذه الوصية فقد راعى حالة الفلاحين وعمل على مساعدتهم بالقروض المالية رغبة منه في دعمهم فبلغت ألفا درهم (1.000.000 مليون درهم)⁽¹⁾، واستثنى الضعفاء من مسؤولية تراجع الخراج في حال الأزمات والكوارث الطبيعية⁽²⁾، فقال لقتيبة بن مسلم عندما شكاه له ذهاب الغلات لكثرة الجراد: «إذا أزف خراجك فانظر لرعتك في مصالحها، فبيت المال أشدّ اطلاعا لذلك من الأرملة واليتيم وذوي العيلة»⁽³⁾.

2-وصية سليمان بن عبد الملك لأسامة بن زيد لما عينه على خراج مصر

الوصية المزعومة من سليمان بن عبد الملك لأسامة بن زيد

في الشدة في جباية خراج مصر

-رقم: 95-

من بين الحوادث التي خالف فيها سليمان بن عبد الملك رأي عمر بن عبد العزيز، قضية تعيين أسامة بن زيد⁽⁴⁾ على خراج مصر (96-99هـ)، ووصيته له عند انطلاقه لتسلم منصبه، التي تناقض تمام المناقضة ما أوصاه به عمر. وخلاصة القضية: أن سليمان ولي أسامة على خراج مصر، الذي لم يكن عمر راضيا عن سيرته، وحاول أسامة بعد هذا أن يظهر لعمر مودته في تصنع مكشوف، حتى لا يسعى لدى سليمان فيحمله على تغيير رأيه فيه فيعزله عما كان قد ولاه عليه، وهنا تختلف المصادر في الأسباب التي دفعت عمر أن ينصح أسامة⁽⁵⁾.

وقوة حتى لا ينقطع اللبن. قال الشاعر لا تكسع الشول: وهي النوق بأغبارها، وهي بقايا ألبانها، إنك لا تدري من الناتج، أي لعله يغار عليك فتؤخذ أو تموت، فيأخذ الوارث. فالصواب أن تتعجل بمنفعتها، أي أن عمل العمال هذا إذ أخذوا العاجل و لم يعمروا للعام المقبل فنقص الخراج لذلك». أدب الكاتب، ص 113 وما بعدها؛ وانظر المبرد: الكامل في اللغة، ج 1، ص 295؛ سهيل قاشا: تاريخ نصارى العراق، ص 233 وما بعدها.

(1) - ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص 105 .

(2) - غيداء خزنة: الخراج، ص 242.

(3) - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 4، ص 300.

(4) - أسامة بن زيد بن عدي التنوخي: ويقال الكلي مولاهم مولى، ولي كتابة الوليد بن عبد الملك ثم قدم دمشق على

يزيد بن عبد الملك ثم ولي الخراج لهشام بن عبد الملك، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 8، ص 83.

(5) - تطرق الدكتور محمد فرقاني إلى هذه الاختلافات، كما قام بتحليلها والتعليق عليها؛ وما أوردناه أخذناه نقلا عنه،

للاطلاع أكثر انظر: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 150-155.

فابن عساكر يذكر: أن أسامة بن زيد هو الذي اتصل بعمر قبل التحاقه بمنصبه. قال: «دخل أسامة على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أبا حفص! إنه والله ما على الأرض من رجل بعد أمير المؤمنين أحب إليّ منك، ولا أعز عليّ سخطاً منك، وإن أمير المؤمنين قد وجهني إلى مصر فمربي بما شئت وكتب إلي فيما شئت، فإنك لا تأمر بأمر إلا نفذ- إن شاء الله-»⁽¹⁾.
فقال له عمر: «ويحك يا أسامة! إنك تأتي قوماً قد ألح عليهم البلاء منذ دهر طويل، فإن قدرت أن تنعشهم فأنعشهم»⁽²⁾.

إلا أن أسامة يبالغ في تصنعه، وحتى يتنصل مما أوصاه به عمر يؤكد له شدة حرص سليمان على جمع المال، إذ يستغل وجوده مع الخليفة فيدخل أسامة عليه مظهرًا توديعه، فيطلب من الخليفة أن يعهد إليه بالذي يراه ليعمل به عند التحاقه بمنصبه بمصر، فقال له سليمان دون مقدمات:

«احلب حتى يَنْفِيكَ الدم فإذا أنفأك، فاحلب حتى ينفيك القبح، لا تبقيها لأحد بعدي!»⁽³⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 95أ-

يذكر الجهشيارى أن أسامة قدم على سليمان بما اجتمع عنده من مال الخراج لتقديم حساباته إليه، وكان قد بلغه: أن عمر يذمه على سوء سيرته في أهل مصر، فتوخى وقتاً يكون فيه عمر في مجلس الخليفة، فلما علم بوجوده معه دخل على سليمان كالمودع له، فطلب منه التخفيف مما فرض على أهل مصر من خراج، وأخبره بضعف حال الرعية في عملية مسرحية مكشوفة، وكأنه قال ما قال وهو على علم بما سيحويه به الخليفة سليمان، الذي قال له:

«هبلتك أمك! أحلب الدّر، فإذا انقطع فاحلب الدم والنجا»⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

(1) - تاريخ دمشق، ج 8، ص 85.

(2) - المصدر نفسه، ج 8، ص 86.

(3) - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 8، ص 86؛ ابن منظور: تهذيب تاريخ دمشق، ج 4، ص 257.

(4) - النجا: الجلد المسلوخ، وقيل: ما قطع من الشيء وألقي، يقال نجا الشجرة عيدانها وغصونها المقطوعة ونجا الذبيحة جلدها المسلوخ ونجا الرجل ما ألقى عنه من اللباس. أبو هلال العسكري: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء،

151؛ نشوان الحميري: شمس العلوم، ج 10، ص 6491؛ الزبيدي: تاج العروس، ج 40، ص 24. مادة

«نحو»؛ ابراهيم مصطفى وغيره: المعجم الوسيط، ج 2، ص 905.

(5) - الوزراء والكتاب، ص 52.

رواية أخرى لما سبق

-95ب-

ذكر الكندي أن سليمان بن عبد الملك كتب إلى أسامة بن زيد لما ولاه خراج مصر:

«احلب الدر حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم»⁽¹⁾.

ثم قال معلقاً على ذلك «فذلك أول شدة أصابت أهل مصر»⁽²⁾.

وقد أعجب الخليفة بسياسة أسامة، خاصة أمانته ونزاهته نحو المال، فقال مادحاً إياه: «هذا لا يرتشي ديناراً ولا درهما!»⁽³⁾.

يقول الدكتور محمد فرقاني معلقاً على ذلك: «أما إعجاب الخليفة بسياسته، فهذا الذي كان

يبحث عنه أسامة ووصل إليه، إذ لم يكن همه من وراء ما عمل به في أهل مصر إلا كسب رضا الخليفة، وقد تحقق، ورضاه عنه يكمن في حمل أكبر قدر من المال إلى خزينة دمشق، وهذا-فيما يظهر- هو الذي أدى بسليمان إلى الإعجاب به، وأدى بآبن عساكر أن يقول عنه في مبالغة لا تصدق: «وتولى خراج مصر للوليد بن عبد الملك فاستخرج ماها اثني عشر ألف ألف دينار»⁽⁴⁾ 12.000.000 مليون دينار)، والصحيح أنه تولى خراج مصر لسليمان وليس للوليد، ولم يحاول سليمان بعد أن سيطر أسامة على عواطفه بأمانته التي كانت على حساب أهل مصر أن يتدخل ليعدل من شططه، وترك له الحبل على الغارب يفعل ما يشاء، مقلداً سلفه قرة بن شريك في شدته،

(1)-الكندي: فضائل مصر المحروسة، ص37، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص231. ونقل ذلك عن الكندي كما صرح بذلك في أول الرواية.

(2)-ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص231.

(3)-المصدر نفسه، ج1، ص232.

(4)- تاريخ دمشق، ج8، ص84، وجاء عنده: «... فاستخرج ماها اثني عشر ألف دينار»، وهو خطأ مطبعي دون شك لأن المبلغ جاء في مختصر تاريخ دمشق: «فاستخرج ماها اثني عشر ألف ألف دينار»، ج4، ص256؛ ومثل ذلك في المهذب، بدران: تهذيب تاريخ دمشق، ج2، ص402. هذا الذي ذكر هو مبلغ خيالي لا يصدق. فالمبلغ الذي قدرته المصادر لا يزيد في أغلب الأحوال عن أربعة ملايين دينار سنوياً خلال مختلف العهود: الراشدي والأموي والعباسي، وإذا ما حولنا المبلغ المذكور أعلاه على أساس صرف الدينار بعشرة دراهم، كان المبلغ: 120 مليون درهم، وهذا يساوي وارد سواد العراق في عهد عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، وهذا لم يتحقق أبداً، إذ لا سواء بين وارد الإقليمين. المقريزي: الخطط، م2، ص98. الريس: الخراج، ص149 وما بعدها، 245 وما بعدها؛ نقلاً عن محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ص109.

بالخصوص على أهل الذمة، وإن لم تكن أول شدة دخلت على يده على أهل مصر كما أشار إلى ذلك ابن تغري بردي في روايته السابقة، وإنما كانت على يد عبد الله بن عبد الملك (87-90هـ) كما يذكر ذلك عنه المقريزي⁽¹⁾، وأيضا علي يد قرّة بن شريك من بعده (90-96هـ)»⁽²⁾.

وفي الأخير يجتّم دراسته لهذه الوصية بقوله: «والجدير بالذكر أننا لم نجد - فيما نعلم - أن أحدا من الخلفاء الأمويين السابقين على سليمان أو الذين جاءوا من بعده قام بمثل ما نسب إليه في وصيته لأسامة الأنفة الذكر، إضافة إلى التناقض الواضح بين حرص سليمان على جمع الأموال بغض النظر عن الوسيلة المستعملة في تحقيق ذلك، كما صورت ذلك المصادر...، وبين حرصه وحرص الخلفاء الذين سبقوه، أو الذين جاءوا من بعده على تحريمهم الحق والعدل ما أمكنهم ذلك فيما يرفعه إليهم ولا تهم من أموال الأقاليم الفائضة عن نفقات الأقاليم، إذ كانوا لا يقبلون درهما ولا دينارا حتى يقدّم عشرة من رجال الإقليم فيقسمون أمام الخليفة: أن ما أخذ شيء من ذلك المال إلا من حلال وبحق، وأن ما حمل إليه إلا الفضل بعد أن أخذ كل ذي حق حقه»⁽³⁾.

3- وصية عمر بن عبد العزيز لوالي الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن في الرفق بأهل الخراج

وإزالة المظالم المالية غير الشرعية التي فرضت عليهم

وصية عمر بن عبد العزيز لعبد الحميد بن عبد الرحمن

بوضع المظالم المالية غير الشرعية عن أهل الخراج

-رقم: 96-

استحدث الأمويون الأوائل موارد جديدة لبيت المال، لم ترد في كتاب ولا سنة، ولا عمل بها أحد من الخلفاء الراشدين، ولما رفع عمر بن عبد العزيز راية الإصلاح كان أول ما قام به إلغاء جميع ما استحدث واكتفى بما تحدد في عهد عمر بن الخطاب، وفي هذا الإطار ورد كتاب عنه أرسله إلى واليه على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن، ذكر فيه هذه الموارد غير الشرعية.

(1) - الخطط، م 1، ص 302. نقلا عن محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 153.

(2) - رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 153 وما بعدها.

(3) - المرجع نفسه، ج 1، ص 154 وما بعدها.

وقد قام الدكتور محمد فرقاني بتحقيق هذا الكتاب⁽¹⁾ الذي يحمل في طياته العديد من الوصايا المتعلقة بسبل جباية الخراج، ومعالجة المناسبة والحيثيات التي يدور حولها والوقوف على جميع الروايات والاختلافات الواردة بينها وشرح جميع مصطلحاتها، كما دعم دراسته بتعليقات وتحليلات وافية تتعلق بجوانب السياسة المالية للأمويين وإصلاحات عمر في ذلك، وقد رأينا أنه لا طائل من إعادة تحقيق هذه الكتب بل سنكتفي بنقل النص الأول منها مباشرة دون أي إضافة، وسنعلق على العبارات التي تتعلق بموضوعنا.

قال داود بن سليمان الجعفي: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو⁽²⁾ أما بعد. فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء، وشدة، وجور في أحكام الله⁽³⁾، وسنن خبيثة سنها عليهم عمال السوء⁽⁴⁾، وإن أقوم الدين العدل والإحسان، فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله، فإنه لا قليل من الإثم⁽⁵⁾. وأمرت⁽⁶⁾ أن تُطْرَزَ عليهم أرضهم، وأن لا تحمل خرابا على عامر، ولا عامرا على خراب⁽¹⁾، ولا تأخذ من الخراب إلا ما يطبق [وأصلحه حتى يعمر ولا تأخذ]⁽²⁾ من العامر إلا وظيفة الخراج⁽³⁾، في رفق وتسكين لأهل الأرض.

(1) - وقد أخذناه نقلا عنه بتعليقاته وشرح مصطلحاته، حتى يستقيم معنى الوصية، وللإطلاع على الروايات الأخرى للكتاب، أنظر: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج1، ص415-422.

(2) - ما أثبت من ابن زنجويه والطبري والحلية مع نقص البسمة عند الأولين.

- بداية نص أبي عبيد: «سلام عليك، أما بعد»، وابن الأثير «أما بعد»؛ وبداية نص اليعقوبي «أما بعد، فإن الناس»؛ وبداية نص ابن الجوزي: «سلام عليك فإن».

(3) - إضافة من ابن زنجويه والطبري واليعقوبي، وفي المصدر ناقصة.

(4) - اليعقوبي: «قلما قصدوا قصد الحق، والرفق والإحسان، ومن أراد الحج».

(5) - نهاية نص ابن الجوزي.

(6) - بداية نص ابن أبي شيبة: «أمرك أن تطرز أرضهم...». وكذا جاءت عند أبي نعيم، وهناك فرق بين صيغة أبي عبيد، وبين ما جاء عندهما، فالمعنى بالصيغة التي ذكرها: أن عمر كتب إليه لأول مرة يأمره بالذي جاء في النص. أما معناها عند أبي عبيد، فكأن عمر قد كتب إليه فتراخى في تنفيذ ما أمره به، فكتب إليه ثانية بهذا النص المذكور أعلاه.

(7) - الطروشوشى: «عمال السوء، فأحرز عليهم أرضهم ولا تحمل...».

وأمرتك⁽⁴⁾ ألا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة⁽⁵⁾ ليس لها آس⁽⁶⁾، ولا أجور الضرايين⁽⁷⁾، ولا إذابة الفضة، ولا هدية النيروز والمهرجان⁽¹⁾، ولا ثمن المصحف⁽²⁾، ولا أجور البيوت⁽³⁾، ولا دراهم النكاح.

- ابن القيم: «وأمرتك ألا تطرق»، وعلق عليها الدكتور صبحي الصالح-رحمه الله-في الهامش فقال: «كذا في الأصل (تطرق) بالقاف، وهو الصحيح»، مؤكدا أنها «من التطريق» وهو شق الطرق، ويدل عليه ما بعده. ولكن هناك فرق كبير بين معناها كما جاءت عند ابن القيم، ومعناها عند أبي عبيد وغيره، فعند الأول جاءت بصيغة النهي عن شق الطرق في أرضهم، وهذا بعيد عن الصواب، مع الإشارة إلى أن ابن القيم قد نقل نصه من الأموال.

وأما معناها عند الثاني فجاءت بصيغة الأمر بتطريق الأرض، وهو تقدير مساحتها لتقدير مساحة العامر والغامر والخراب ليؤخذ من كل نوع ما يلزمه من خراج يعدل كما جاء معناها عند ابن منظور: لسان العرب. ج 5، ص 368.

(1) - أبو نعيم: «وإني قد وليتك من ذلك ما ولاي الله». وينتهي نصه.

(2) - ما أثبت من ابن زنجويه، وابن أبي شيبه، والطبري، وفي المصدر ناقصة، وعندهم قبل هذا «وانظر الخراب فخذ منه ما أطاق».

(3) - الطروشني: «إلا دون سبعة ليس لها شراء، ولا أجور الضرايين»

(4) - ابن زنجويه، والطبري: «ولا تأخذ من الخراج إلا»

(5) - وزن سبعة: هي النسبة الشرعية الذي حدده السنة النبوية بين الدرهم والدينار، وتساوي $7 \div 10$ من وزن الدينار، واعتمد ذلك الخليفة عبد الملك-رحمه الله-عند سكه للعملة الجديدة. والمعنى: أن يلغي ما كان معتمدا بأخذ الخراج من العملات المختلفة الأوان، ويقتصر في أخذه بالنقد الشرعي الذي يزن سبعة مثاقيل. أبو عبيد: الأموال، ص 625-627؛ ابن الرفعة: كتاب الإيضاح والتبيان، ص 48 وما بعدها؛ الرئيس: الخراج، ص 232 وما بعدها.

أما دفع الجزية والخراج بالدرهم والدنانير الناقصة الوزن أمر كان جاريا من قبل السكان، وجباة الخراج من جهة أخرى ليس في العراق فقط وإنما في بقية الأقاليم، من ذلك أن قره بن شريك كتب ليسييل صاحب أشقوة: «فلا أعرفن ما استوفيت من الجزية... إلا كان على وزن بيت المال»، وأحيانا يذكر «دينارا وازنا نقد بيت المال» جاسم

أبو صافية: برديات قره بن شريك، ص 79 وما بعدها، 145

(6) - عند الطبري وابن الأثير: «آيين» وابن أبي شيبه: «اثنين»، وابن زنجويه «أبين» وكذا وجدها محقق الأموال. ومعنى «آيين» الرسم والعادة، وهو الأولى بالقبول، والمعنى ليس هناك زيادة على هذا المقدار.

(7) - أجور الضرايين، وإذابة الفضة، وظيفه ظهرت على يد الحجاج بن يوسف، إذ أنه لما بنى دار الضرب بواسطة أجير من يمتلكون سبائك وأموال قديمة على إعادة سكها، نقودا جديدة مقابل دفع نسبة درهم عن كل مائة درهم

قال عبد الرحمن⁽⁴⁾: -أو قال: النكاح-⁽⁵⁾.

ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض⁽⁶⁾. فاتبع في ذلك أمري، فقد وليتك من ذلك ما ولائي الله، ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه⁽⁷⁾.

وانظر من أراد من الدرية⁽⁸⁾ الحج فَعَجِّلْ له مائة يتجهز⁽¹⁾ بها، والسلام عليك⁽²⁾.

(1%) وتسمى هذه الأجرة أيضا ثمن الحطب والمقصود بها: ثمن الخدمة؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص 450 ؛

إحسان صدقي العمدة: الحجاج بن يوسف، ص 461؛ صالح أحمد العلي: الخراج في العراق، ص 161-164.
(1) - النيروز: كلمة فارسية تعني اليوم الجديد وهو عيد رأس السنة الشمسية في التقويم الفارسي الجديد، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من مارس، وهو بدء فصل الربيع، وتقدم فيه جوائز وهدايا للملوك.
- المهرجان: عيد رأس السنة في التقويم الفارسي القديم، هو بداية الشهر السابع -أكتوبر- قبل أن تحول منه إلى مارس. آرثر كر يستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص 162-163؛ صالح أحمد العلي: الخراج في العراق، ص 231-234.

(2) - كذا وردت وهي عند ابن زنجويه والطبري والرواية التالية «الصحف»، وهي ضريبة كانت تؤخذ على الورق المستخدم في الطلبات الرسمية، أو المستخدم في الجباية. أي رسم ضريبي نظير تقديم خدمة.
وجاء عند الطبري وابن الأثير إثر ذلك « ولا أجور الفيوج» والفيوج: كلمة فارسية تعني رسول السلطان يسعى بالكتب على رجله، ولعله مُبلغ الأوامر الخاصة بالجباية. ابن منظور: لسان العرب، ج 2، ص 350.

(3) - أجور البيوت: لعلها أجور البيوت المخصصة لمبيت الزوار والضيوف. صالح العلي: الخراج في العراق، ص 228 وما بعدها.

(4) - هو عبد الرحمن بن مهدي الذي روى عنه أبو عبيد هذا النص توفي سنة 198هـ. ابن قتيبة: المعارف، ص 513.

(5) - الشك من عبد الرحمن في ورود كلمة: «دراهم»، وفسرها إثر هذا الأثر فقال: «دراهم النكاح -أو النكاح- يعني به بغايا كان يؤخذ منهن الخراج»، ولا نرى ذلك صحيحا، كما أن هذا الشك من عبد الرحمن غير وارد عند ابن زنجويه والطبري وابن الأثير وابن أبي شيبه.

(6) - المقصود بالخراج هنا هو: جزية الرأس. وعند هذا الحد ينتهي نص ابن أبي شيبه، والطروشوشى.

(7) - هذا ما كان قد اقترحه على الخليفة الوليد، وتصدى له الحجاج بحمل الوليد على التراجع عنه.

(8) - شرح ذلك عبد الرحمن بن مهدي فقال: «... يعني من كان ليس من أهل الديوان»؛ وعند البيهقي: «...ومن أراد الحج فعجلوا عليه عطاءه حتى يتجهز منه» ثم ذكر منعه الأيدي إلا بإذنه، وينتهي نصه.

وللاشارة فإن للأطفال ديوان خاص بهم يأخذ بعضهم مائة درهم، وبعضهم أقل من ذلك، وسيأتي مزيدا من الكلام عن ذلك عند كلامنا عن العطاء. ولكن ما يجب التنبيه عليه أن ما ذكره عبد الرحمن يشك فيه، أي ما أمر به الخليفة لهم كان لمن هم في غير الديوان.

أرسل عمر بن عبد العزيز هذا الكتاب إلى عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن لرفع الغبن عن أهلها وإلغاء كل المساوىء المالية التي وظفت عليهم من لدن أوائل الأمويين. ورغم أن هذا الكتاب قد جاء بصيغة الأمر لعامله إلا أنه يحمل في طياته وصايا في شأن أساليب جباية الخراج سطرها لعامله، في إطار الإصلاح الإداري. وقد استهل عمر كتابه بالوعظ الديني، ويدل هذا على أن عمر أراد إصلاح عماله وولائه قبل إصلاح الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي ورثه عن سبقة من الأمويين.

ثم ركز على أساليب جباية الخراج في هذا الكتاب وهو ما يهمننا في دراستنا، إذ يبدو بشكل جلي في هذا الكتاب تركيز عمر على العدل في الجباية بين العامر والخرب من الأرض، بل التفرقة بينهما في ذلك، وبأن يُتعهد الخرب منها بالاستصلاح حتى يعمر ثم يقدر خراجه، وبذلك يسود العدل بين فلاحي ومتعهدي الأرض.

كما أشار عمر في كتابه إلى أسلوب آخر من أساليب الجباية بما يصلح الإدارة والرعية معا حيث أوصى عامله بأن يأخذ الخراج «في رفق وتسكين لأهل الأرض»، أي أوصاه بأن يتعد عن كل الأساليب العنيفة التي تثير حفيظة الفلاحين وأن تؤدي بهم إما إلى الانتفاض أو إلى الكف عن فلاحية الأرض وتركها للخراب فينكسر بذلك الخراج، إضافة إلى ما في ذلك من الإثم ويبدو أن هذا هو العنصر الأهم في نظر عمر بن عبد العزيز، فقد استعمل بعض الأمويين قبل ذلك أساليب العنف في تحصيل الخراج دون مراعاة لحالة الأرض ولا لحالة الفلاحين بل كان عليهم تحصيل مقادير محددة من الخراج كل سنة إرضاء للخلفاء مهما كانت الظروف، وهناك الكثير من النصوص التاريخية التي تدعم ذلك، فقد

(1) - عند ابن زنجويه: «فليتهدج [كذا] بما - إن شاء الله- والسلام» ولعله خطأ مطبعي، عند الطبري وابن الأثير: «يحب بما والسلام».

(2) - أبو عبيد: الأموال، ص122؛ ابن أبي شيبة: المصنف، ج12، ص260؛ ج6، ص569؛ ابن زنجويه: الأموال، ص170 وما بعدها؛ أبو نعيم: الحلية، ج5، ص286، ونصه مختصر؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ص114 ونصه أقل إختصاراً من نص أبي نعيم. وثله عن الملاء: الكتاب الجامع، ج1، ص256-257؛ ابن القيم: أحكام أهل الذمة، ص38-39؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص163؛ الطروشني: سراج الملوك، ص405، ونصه مضطرب ودون إسناد. نقلاً عن، محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج1، ص415-418.

كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز قائلاً: «أما بعد فإن أناساً قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسه شيء من العذاب»⁽¹⁾.

ومما يدعم سياسة عمر في إصلاح أساليب جباية الخراج ما رد به على كتاب عدي بن أرطاة هذا، إذ كتب إليه: «أما بعد فالعجب كل العجب من استئذائك إياي في عذاب البشر كأني جنة لك من عذاب الله، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله، إذا أتاك كتابي هذا فمن أعطاك ما قبله عفواً وإلا

فأحلفه؛ فوالله لا يلقوا الله بجنائياتهم أحب إلي من أن ألقاه بعدائهم، والسلام»⁽²⁾.

ففي برنامجه الإصلاحية، اكتفى عمر بأخذ ما يؤتى عفواً، ولا حاجة له في ما أخذ بعذاب. ومما كان عمر بن عبد العزيز يهدف إليه من وراء إلغاء هذه المظالم المالية، تحرير المجتمع من آثار سياسة العنف والشدة التي مورست تجاه سكانه من قبل الأطراف التي تصارعت على التمكين لنفسها في هذا الإقليم، حتى تنطلق طاقاته الإنتاجية بشكل فاعل في كنف من السكينة والهدوء والاستقرار. ولكن نهم الخلفاء إلى المال، وكذا الدهاقين، ومن ارتبطت مصلحته بمصلحتهم، عملوا على بعث هذه الضرائب من جديد بعد وفاة هذا الخليفة البار، فازدادت متاعب الجماهير مشقة لكثرة المظالم، وتنوعها، وتمت الخلاص، ولا خلاص، بعد أن بقيت تتفرج على نقض ما حققه أمير المؤمنين لصالحها، وكان العدل ليس فيه صلاحها وحرمتها وعزتها، فلم تتدخل لحماية هذه المكاسب، واستمرت تتلقفها الأيدي، وتعبث بمقدراتها، مستعينة بالبعض على ضرب البعض الآخر⁽³⁾.

⁽¹⁾ - أبو يوسف: الخراج، ص 132. وذكر الجهشياري أنه: «لما تولى سليمان الخلافة صرف يزيد بن أبي مسلم، كاتب الحجاج، عن العراق، حربه وخواجه، في سنة ست وتسعين، وقلد الحرب يزيد ابن المهلب، وكان قلده الحرب والصلاة والخراج، فكره يزيد تقلد الخراج، لإخراب الحجاج العراق، وخاف إن عسف أهله بالمطالبة أن يذموه، وإن قصر في العسف أن ينقص ما يستخرجه عما استخرجه الحجاج. فاستغفى يزيد بن المهلب سليمان من الخراج، وأشار عليه بصالح ابن عبد الرحمن الكاتب، ففعل سليمان ذلك». الوزراء والكتاب، ص 30.

⁽²⁾ - أبو يوسف: الخراج، ص 132.

⁽³⁾ - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 1، ص 426 وما بعدها.

4- وصية عمر بن عبد العزيز لعبد الحميد بن عبد الرحمن في معالجة هجرة أهل الخراج من أرضهم

رد الخليفة عمر لعبد الحميد بن عبد الرحمن يوصيه بالرفق بأهل الأرض

حتى لا يهاجروا منها

-رقم: 97-

نظرا لتزايد المغارم وتنوعها على أهل الخراج، إضافة إلى تدهور الأوضاع الأمنية في كثير من الفترات، بالخصوص في العراق، كل ذلك أدى إلى ترك الفلاحين لأراضيهم والهجرة منها نحو المدن، لقلّة المنفعة العائدة عليهم منها، ورغم المعالجة غير الصائبة من قبل الحجاج برد من هاجر إلى قراهم، فإن هجر خدمتها بقي قائما حتى استخلف عمر بن عبد العزيز.

ويبدو أن عبد الحميد بن عبد الرحمن، عامل عمر بن عبد العزيز على الكوفة، ربط بين الهجرة وظاهرة انكسار الخراج، وحاول معالجة هذا الأمر⁽¹⁾، فقد قال البلاذري:

«كتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر بن عبد العزيز: إن قوما من أهل الخراج كانوا إذا أرادوا كسر خراجهم جلوا من أرض إلى أخرى، وإني أمرت أن تُجعل أرض من جلا صافية، وأرجو أن يتركوا بذلك عادتهم- إن شاء الله-».

فكتب إليه عمر:

«أما بعد. فقد بلغني كتابك، ولعمري! لئن لم تدع رجلا خرج من أرض إلى أرض، ومن قرية إلى قرية، إلا أخذت أرضه، ثم عُزِلت، أو مُتَّ لينقطعن صاحب الأرض عنها وتبوء بإثمه، وما يجلو رجل عن أرضه، إلا بأن يُحمّل فوق طاقته، فإياك أن تعمل وعمالك بعمل ابن يوسف وعماله! فإنهم كانوا مفسدين، وقد قضى الله بأنه لا يصلح عمل المفسدين، وتألّف أهل الأرض، فإن أرضيهم وبلادهم أحب إليهم من الجلاء، إذا عُدل عليهم ورُفِق بهم- إن شاء الله- والسلام»⁽²⁾.

إن استصفاء الأرض، هو تحويل ملكيتها من ملكية الأمة إلى ملكية للدولة، يفعل بها الإمام بما يراه مناسبا لتحقيق المصلحة العامة، خلافا إذا بقيت في إطار النوع الأول، ولكن عمر أبي على عبد الحميد ذلك، ويبدو أنه فطن لمراهه، إن حولت إلى النوع الثاني الذي هو تمهيد لتحويلها إلى العشر⁽³⁾، وفوق ما فيه من ضرر لبيت المال إذ العشر أقل بكثير من مقدار الخراج، فإن فيه ظلم كبير للزراع إذ

(1)- غيداء خزنة: الخراج، ص 143.

(2)- أنساب، ج 8، ص 153 وما بعدها.

(3)- مُجَدُّ فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 404.

يجردون من أراضيهم، وتفطن عمر بثاقب نظره إلى سبب الجلاء ورأى أنه الظلم في الجباية تقديراً وتحصيلاً، فتوجه بالدواء والعلاج إلى السبب ولم يتجه بهما إلى النتيجة كما أراد أن يفعل واليه، فأوصى بالرفق بهم وبتابع العدل في الجباية وأن لا يحملوا فوق طاقتهم.

ويبدو أن هذا الأمر عاد كما هو بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، وكان له أعمق الأثر في انكسار الخراج وانحيار ملك بني مروان إذ سئل أحد رجال بني أمية، ما سبب زوال دولتكم فقال: «خصال أربع، أولها: أن وزراءنا كتموا عنا ما كان يجب إظهاره لنا؛ والثاني: أن جباة خراجنا ظلموا الناس فانجلوا عن أوطانهم فخربت بيوت أموالنا؛ والثالثة: انقطعت الأرزاق عن الجند فتركوا طاعتنا؛ والرابعة: ينسوا من إنصافنا فاستراحوا إلى غيرنا؛ فبذلك زالت دولتنا»⁽¹⁾

5- وصية عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائي في العناية بمورد خراسان

وصية عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة

بالاهتمام بموارد ثغر خراسان

-رقم: 98-

عزل الخليفة عبد الرحمن بن عبد الله القشيري⁽²⁾ عن خراج خراسان في أواخر سنة 100هـ لأسباب لم تشر إليها المصادر، وولى مكانه عقبة بن زرعة الطائي⁽³⁾، ثم كتب إليه كتاباً يوصيه فيه كيف يتعامل مع الخراج فقد رواه المدائني بسنده⁽⁴⁾ جاء فيه:

«إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها:

فالوالي ركن، والقاضي ركن، وصاحب بيت المال ركن، والركن الرابع أنا، وليس من ثغور المسلمين ثغرٌ أهم إلي، ولا أعظم عندي من ثغر خراسان، فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم، فإن يك كفافاً لأعطيتهم فسيب ذلك، وإلا فاكتب إلي حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطيتهم»⁽⁵⁾.

(1)-التبريزي: النصيحة للراعي والرعية، ص 104.

(2)- عبد الرحمن بن عبد الله القشيري: لم أعر له على ترجمة غير أنه كان على خراج خراسان لعمر بن عبد العزيز.

(3)- لم أجد له فيما اطلعت عليه من مصادر ترجمة له.

(4)- في المصدر: «قال» والقول يعود إلى علي بن محمد المدائني، ولعل الرواية من طريق طفيل بن مرداس، الذي لم يشر

الطبري إلى أي راوي آخر بعده حتى انتهى إلى ذكر الرسالة، محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2،

ص 481.

(5)- تاريخ الطبري، ج 6، ص 568.

هذا يدل دلالة قاطعة على شدة اهتمام عمر بهذا الثغر وبخراجه باستخلاصه من أهله بعدل وتوزيعه على مستحقه بعدل ومساواة، لما يقتضيه الواقع السياسي والاجتماعي في خراسان، خاصة وأن أبا مجلز صاحب بيت مالها قدم على عمر بن عبد العزيز في مناسبة سابقة فاشتكى إليه من قلة وارد بيت المال في هذا الإقليم، قال أبو مجلز لعمر: «إنك وضعتنا بمنقطع التراب فاحمل إلينا الأموال.

قال: قَلْبْتُ الأمر.

قال: يا أمير المؤمنين، أهو لنا أم لك؟

قال: بل هو لكم إذا قصر خراجكم عن أعطياتكم.

قال: فلا أنت تحمله إلينا، ولا نحمله إليك، وقد وضعت بعضه على بعض.

قال: أحمله إليكم- إن شاء الله-⁽¹⁾. ومرض من ليلته فتوفي- رحمه الله-.

وبذلك يكون قد حقق مكسبا هاما لأهل خراسان، بعدم نقل ما فاض عن نفقات الولاية إلى دمشق، خاصة وأن أعدادا كبيرة أضيفت إلى الديوان، وأنفق الفضل على ذوي الحاجة ممن كان قد أسلم وصلى من أهل هذا الإقليم.⁽²⁾

6- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في الإحسان إلى أهل الذمة

وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في الرفق بأهل الذمة ممن كبرت سنه

-رقم: 99-

لا شك أنه ليس هناك شيء يؤثر سلبا على التنمية والاعمار كالظلم ومضاعفة المغارم على الرعية، إذ لا تنشط النفوس ولا تتجدد الآمال عندما ترى ثمرة جهدها تذهب إلى جيوب غيرها، وتكون بذلك العاقبة أن تقل الموارد، ويؤثر ذلك على نفقات الدولة في مختلف المجالات، التي تؤدي إلى ضعف قوتها واستمرار وجودها، وقد حصل هذا بالفعل في العهد الأموي بتعرض المنتجين إلى مظالم شتى أدت بهم إلى الهجرة من الريف إلى المدن، فتعالت الصيحات بتدهور الخراج، مما أدى بالحجاج بن يوسف في العراق إلى معالجة هذا الوضع علاجا جائرا، فأمر بردهم إلى قراهم بالقوة، ملزما إياهم بخدمة الأرض، وبالتالي الاستمرار في دفع الخراج، بل لم يقتصر عمله على هذا، بل ألزم من أسلم أيضا بدفع جزية

(1)- تاريخ الطبري، ج6، ص570.

(2)- محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج2، ص482.

رأسه، ونتيجة لهذا نقم عليه المسلم والذمي على السواء، وأعطى بذلك الحجة لخصومه وخصوم بني أمية لمناهضة سياستهم.

إلا أنه وبمجيء أمير المؤمنين إلى الخلافة تغير كل شيء، إذ عمل بكل ما وسعه جهده لتدارك هذا الخطأ، بإلغائه لتلك المظالم، التي أثقلت كاهل المنتجين، فكسب بذلك مودة النافرين والناقمين على خلفاء بني أمية وولاتهم إلى حد كبير.

وأولى عمر أهل الذمة عنايته الفائقة باعتبارهم قوة فاعلة في وفرة الرخاء الاقتصادي، وتدفق الأموال إلى بيت المال، فحذب عليهم ورأف بهم، فهم والمسلمين عنده في الحق سواء⁽¹⁾، من ذلك ما ذكر جسر بن فرقد في موقف له نحوهم، قال: شهدت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة قرئ علينا بالبصرة:

«أما بعد. فإن الله - سبحانه -⁽²⁾ إنما أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الإسلام واختار الكفر عتياً⁽³⁾، وخسرانا مبينا، فضع الجزية على من أطاق حملها، وخل بينهم وبين عمارة الأرض فإن في ذلك صلاحا لمعاش المسلمين، وقوة على عدوهم. وانظر من قبلك من أهل الذمة [ممن]⁽⁴⁾ قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب⁽⁵⁾، فاجر عليه⁽⁶⁾ من بيت مال المسلمين ما يصلحه، فلو أن رجلا من المسلمين كان له مملوك كبرت سنه، وضعفت قوته ولت عنه المكاسب؛ كان من الحق عليه أن يقوته حتى يفرق بينهما موت أو عتق، وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ⁽⁷⁾ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شببتك، ثم ضيعناك في كبرك. قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه»⁽⁸⁾.

(1) - محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز، ج2، ص337 وما بعدها.

(2) - البلاذري: «...إنما جعل الجزية على من رغب».

(3) - ابن زنجويه: «عتوا». البلاذري: «...عن الإسلام غيا وخسرانا، فانظر من كان قبلك...».

(4) - ما أضيف من أنساب الأشراف وفي المصدر «...الذمة قد كبرت...».

(5) - البلاذري: «وولت محاسنه».

(6) - عنده: «... فاجر عليه قوته من بيت مال المسلمين، والسلام»، وتنتهي روايته.

(7) - انظر قصة هذا الشيخ في خراج أبي يوسف، ص126، والأموال لابن زنجويه، ص261-263.

(8) - أبو عبيد: الأموال، ص56-57. ط. دار الفكر؛ ابن زنجويه: الأموال، ص169-170؛ ابن القيم: أحكام

أهل الذمة، م1، ص37-38؛ البلاذري: أنساب، ج8، ص147 والرواية عن فضيل بن عياض، ص204

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 99ب-

فقد قال عمر بن بهرام الصراف: قُرى كتاب عمر بن عبد العزيز علينا
«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى عدي بن أرطاة ومن قبله من المسلمين والمؤمنين،
سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد. فانظر أهل الذمة فأرفق بهم، وإذا
كبر الرجل منهم وليس له مال فأنفق عليه، فإن كان له حميم فمر حميمه ينفق عليه وقاصه من
جراحه⁽¹⁾، كما لو كان لك عبد فكبرت سنه، لم يكن لك بد من أن تنفق عليه حتى يموت، أو
يعتق. قال⁽²⁾: وبلغني أنك تأخذ من الخمر العشور فتبقيه في بيت مال الله، فإياك أن تدخل بيت
مال الله إلا طيبا، والسلام عليكم⁽³⁾.

ثالثا: أساليب تحصيل جباية الخراج

1- وصية زياد لعماله في الإحسان إلى المزارعين

وصية زياد لجباة الخراج بالإحسان بالمزارعين

-رقم: 100-

كان ديوان خراج العراق من أهم وأبرز دواوين الخراج في الدولة لما كان يدره سواد العراق من أموال
خراجية اعتمدت عليها الخلافة الأموية في توطيد نفوذها وسلطانها، وقد اهتم ولاية العراق بهذا الديوان
اهتماما كبيرا ونظموه تنظيما دقيقا⁽⁴⁾، ومن أبرز هؤلاء الولاة زياد بن أبيه؛ إذ شهد العراق أيام زياد بن

وهي رواية أخرى له ملخصة دون سند؛ وانظر دانييل دينيت: الجزية والإسلام، ص 137؛ نقلا عن محمد فرقاني،

رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 338 وما بعدها.

(1) - جراحه: جرح الشيء واستخرجه: كسبه، ابن منظور: لسان العرب، ج 2، ص 423، وتعني: "قاصه من جراحه"

أي اقتطع له من مكاسبه، أي مكاسب المنفق عليه، وقد تعني اقتطع جزءا من خواجه لتنفق منه على هذا
الضعيف، أو تخفض عنه عند قبض خواجه جزءا منه مقابل ما أنفق عليه. محمد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز،

ج 2، ص 339.

(2) - أي الراوي عمر بن بهرام البصري.

(3) - ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 296. نقلا عن محمد فرقاني، رسائل عمر بن عبد العزيز، ج 2، ص 339 وما

بعدها.

(4) - صالح محمد: زياد بن أبيه، ص 160.

أبيه مزيدا من الاهتمام بعمارة الأرض وإنصاف القائمين عليها، بما يتناسب وحاجات الدولة أو متطلباتها، وسارت توجيهاته في مسارين: الأول، التخفيف عن دافعي الضريبة، والمسار الثاني، الحفاظ على وارد الخراج سليما⁽¹⁾.

كما كان زياد يشجع على إعمار الأرض بوسائل شتى من أبرزها تخفيف الخراج، فيذكر أنه خرج يوما إلى السوس فرأى عمارة حسنة، فخاف أهلها أن يزيد في خراجها، فقال لهم مشجعا إياهم: «بارك الله عليكم قد وضعت عنكم مائة ألف لما رأيت عمارة بلدكم»⁽²⁾.

كما شهد العراق أيام زياد استصلاحا في الأرض واستقرارا ملحوظا في مقدار الخراج، وذلك بفضل سياسته الحكيمة في الجباية، فقد أحسن السيرة في الفلاحين وأهل الخراج وأمر بعدم التشدد في تحصيل الخراج منهم ومراعاة ظروفهم⁽³⁾، وذكر الماوردي أن زياد كتب إلى عماله على السواد أن: «أحسنوا إلى المزارعين⁽⁴⁾ فإنكم لا تزالون سمانا ما سمعوا»⁽⁵⁾.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 100أ-

اعتمد زياد بن أبيه على الأعاجم في الأمور المالية لخبرتهم، فكان يقول: «ينبغي أن يكون كتاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج»⁽⁶⁾.

وقد أسلم جل الدهاقين في أرض السواد، وتعاونوا مع الإدارة في الجباية بصورة وثيقة، لمعرفة طبيعة الأرض وللخبرة في الشؤون الزراعية، ومعرفة ما يضر وما ينفع بهذا الجانب، وكان لاستعمال الدهاقين سبب آخر غير الخبرة وهو التخوف من كسر العرب للخراج إذا استعملوا في الجباية، لأنهم

(1) - غيداء خزنة، الخراج، 240..

(2) - ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 1، ص 440.

(3) - ذكر البلاذري أن زيادا «جبي عامل له خراج السنة في ثلث السنة فقال له زياد: لو أردنا هذا لقدرنا عليه، فاردد عليهم ثلثي ما جبيت». أنساب، ج 5، ص 223؛ صالح محمد: زياد بن أبيه، ص 172.

(4) - عند ابن حمدون والآبي والأصفهاني: «...أهل الخراج...».

(5) - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج 1، ص 63؛ الآبي: نثر الدر، ج 5، ص 6؛ الماوردي: تسهيل النظر، ص 161؛ الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج 1، ص 214؛ الطرطوشي: سراج الملوك، ص 123؛ الزمخشري: ربيع الأبرار، ج 1، ص 170؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 1، ص 301؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج 16، ص 198.

(6) - تاريخ يعقوبي، ج 2، ص 145.

يرون الوارد حقهم كمقاتلة، وهذه هي نظرهم لوارد البلاد التي فتحوها⁽¹⁾، إضافة إلى أنه كان من اليسير محاسبة ومعاقبة الأعاجم إذا ارتشوا أو أساءوا الاستغلال دون أن يخشى تدخل عشائريهم أو حقدهم على السلطان، فقد برر عبيد الله بن زياد استعماله الدهاقين على نطاق واسع بقوله: «وكننت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج فأقدمت عليه أو غرت صدور عشيرته، أو أغرمته فحملت على عطاء قومه أضررتهم، وإن تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه، فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون علي مطالبة»⁽²⁾.

وقد ذكر البلاذري أن زياد بن أبيه أوصى بالدهاقين فقال:

«أحسنوا إلى الدهاقين فإنكم لن تزالون سمانا ما سمنا»⁽³⁾.

من الطبيعي أن يوصي زياد بالمزارعين الذين يوفرون أهم مورد لبيت المال بغض النظر عن نوعية الأرض التي يتعهدونها بالزراعة أكانت عشرية أو خراجية، والكلام في هذه الوصية موجه إلى عماله على الأقاليم والدهاقين الذين يمثلون الوسطاء بين الإدارة والمزارعين، ومن المستبعد أن يوصي زياد بالدهاقين لأنهم جباة وليسوا مزارعين حتى يحسن إليهم فهم الذين يجلسون عند عين المال، ويظهر أنه أوصى جباة الخراج من الدهاقين أن يرفقوا بالمزارعين.

وقد عدد الماوردي في تنظيره للنظام المالي الإسلامي وفي ذكره لسبل إعمار الأرض والزيادة في مقادير الخراج، حقوق المزارعين على صاحب الملك، وركز على الرفق بهم والإحسان إليهم وذلك بأن «يحميهم من تخطف الأيدي لهم ويكف الأذى عنهم فإنهم مطامع أولي السلطة ومأكلة ذوي القوة ليأمنوا في مزارعهم... وتقدير ما يؤخذ منهم بحكم الشرع وقضية العدل حتى لا ينالهم في قدرها حيف ولا يلحقهم في أخذها عسف... فإن حيف عليهم في القدر أو عسف بهم في الأخذ انعكس الصلاح إلى ضده فدانوا وأدانوا»⁽⁴⁾.

(1) - عبد العزيز الدوري: أوراق في التاريخ و الحضارة، ص 194.

(2) - تاريخ اليعقوبي، ج 9، ص 410.

(3) - البلاذري: أنساب، ج 5، ص 223.

(4) - الماوردي: تسهيل النظر، ص 159.

2- وصية عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر بالرفق بأهل الخراج

وصية عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر بتقسيط أخذ الخراج والرفق بالرعي

-رقم: 101-

كان الولاة الأمويين حريصين على الارتقاء بأداء أعوانهم في إدارتهم لما ولوا عليه خصوصاً فيما يتعلق بجبايتهم الضرائب من المكلفين، وكانوا يرفضون تصرفات عمالهم بعدم التزامهم بمواعيد جباية الخراج التي يفترض أن تكون مقسطة ثلاثة أقساط⁽¹⁾، إذ الأصل ألا تجبي الضرائب مرة واحدة رفقاً بالمزارعين، فقد ذكر البلاذري أن زيادا لما علم أن عامله جبي له خراج السنة في ثلث السنة رفض ذلك وقال له: «لو أردنا هذا لقدرنا عليه، فاردد عليهم ثلثي ما جبيت»⁽²⁾.

تابع عبيد الله بن زياد إجراءات والده، فقد قال الأصفهاني أنه رفض هو الآخر تصرف عامله حارثة بن بدر⁽³⁾ عامله على نيسابور الذي جمع الخراج دفعة واحدة ثم قدم إليه، فقال له عبيد الله بن زياد:

«أو بذلك أمرتك؟ ارجع فاردد عليهم الخراج وخذه منهم نجوماً⁽⁴⁾ حتى تنقضي السنة وقد فرغت من ذلك، فإنه أرفق بالرعية وبك، واحذر أن تحملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التعنيف عليهم»⁽⁵⁾.

(1) - الدوري: أوراق في التاريخ والحضارة، ص 207.

(2) - البلاذري: أنساب، ج 5، ص 223.

(3) - حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني، كان أحد ووجهها وساداتها وشعرائها، وكان شجاعاً أصيلاً الرأي، تابعي من أهل البصرة، وقيل أدرك النبي ﷺ، وكان زياداً يستخضه، غرق في ولاية عبد الله بن الحارث، وذلك سنة 64 هـ، وذلك أنه كان أمر على قتال الخوارج فهزموه بنهر تيري، فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه، ففرقت به وبمن معه جميعاً، وقيل توفي بنيسابور ودفن بها. المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج 3، ص 223؛ الأزدي: الاشتقاق، ص 229؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج 8، ص 55؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 11، ص 397؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 11، ص 205؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج 2، ص 138.

(4) - نجوماً: مفردتها نجم وهو الوقت المضروب؛ يقال نجمت عليه المال إذا أدها في أوقات من الزمان يعلم كل وقت منها بطلوع نجم، أي يؤديه عند انقضاء كل شهر منها نجماً؛ وتنجم الدائن هو أن يقدر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة؛ وقيل أدى المال نجوماً أي أقساطاً. أما اصطلاحاً فهي الدفعات التي تؤدي الغلة فيها. ابن منظور: لسان العرب، ج 12، ص 570؛ الزبيدي: تاج العروس، ج 33، ص 478؛ سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي، ص 348؛ محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص 586.

(5) - الأغاني، ج 8، ص 511 وما بعدها.

ذكر الأصفهاني أن حارثة بن بدر كان عامل عبيد الله بن زياد على نيسابور وهذا ما لم تثبته المصادر؛ إذ تذكر أن عبيد الله بن زياد وولاه على سرق من أرض العراق، ولم تذكر ولايته على نيسابور؛ قال البلاذري: «واستعمل زياد حارثة على سرق⁽¹⁾ من الأهواز»⁽²⁾.

وقال ابن عبد ربه: «ولما ولي عبيد الله بن زياد بعد موت أبيه، أطرح حارثة بن بدر وجفاه، فقال له حارثة: مالك لا تنزلي التي كان ينزلي أبوك؟ أتدعي أنك أفضل منه أو أعقل؟ قال له: إن أبي كان برع في الفضل بروعا لا تضره صحبة مثلك، وأنا حدث أخشى أن تحرقني بنارك؛ فإن شئت فاترك الشراب وتكون أول داخل وآخر خارج، قال: والله ما تركته الله فكيف أتركه لك؟ قال: فتخير بلدا أوليكه. فاختر سرق»⁽³⁾.

فهذه النصوص وغيرها⁽⁴⁾، تؤكد ولاية حارثة بن بدر على سرق، ما يجعلنا نستبعد ولايته على نيسابور مع بعدها على سرق.

وقد نفذ حارثة وصية عبيد الله بن زياد؛ يقول الأصفهاني: «فرجع فرد الخراج عليهم، وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مضت السنة»⁽⁵⁾.

3-وصايا قره بن شريك لنائبه بسيل صاحب كورة أشقوة في تقدير الجزية والعدل في أهل الخراج

وصية قره لبسيل صاحب أشقوة بالعدل في تقدير الجزية كل حسب طاقته

وألا يحتجب عن أهل عمالته

-رقم: 102-

الذي يظهر من خلال هذه الوصية أنه قدمت شكاوى إلى قره ضد بسيل بأنه يحتجب عن رعيته، ولا يعدل في توزيع ما يجبي من الجزية ولا يلتفت إلى الشكاوى والظلمات المقدمة إليه للنظر فيها، فما كان منه إلا أن كتب إليه:

«... من قره بن شريك إلى بسيل صاحب أشقورة، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد.

(1) - سرق: لفظة عجمية: وتعني الحرير، وهي من أعمال الأهواز، فتحت على يد أبي موسى الأشعري إما 16هـ، أو 17، أو 19هـ نهر عليه مدينتها دورق. البلاذري: فتوح البلدان، ص368، تاريخ الطبري، ج4، ص77-78؛

الحموي: ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص214

(2) - أنساب، ج12، ص195.

(3) - العقد الفريد، ج2، ص373.

(4) - أنظر: المبرد: الكامل في اللغة و الأدب، ج1، ص250؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج11، ص392.

(5) - الأغاني، ج8، ص518.

فإن عبادة الله مقدمة على جمع الجزية من الكورة وعلى سياسة الدولة، لأنها السبب في جعل صاحب الكورة... [كذا في الأصل] دون تهرب من القيام بواجبه، والنظر في الظلمات المقدمة إليه من أهل كورته، ومقدرا على كل منهم ما يترتب عليه، مراعيًا مخافة الله في ذلك، وأن يتوخى العدل في التقدير في قيمة الضرائب والخدمة العامة.

فإذا جاءك كتابي هذا، فابذل نفسك لأهل كورتك، واستمع إليهم، واحكم بينهم بالعدل، ولا تحتجب عنهم، و يسر لهم أمر لقائك.

واجمع موارد⁽¹⁾ القرى، وأمرهم أن يختاروا من يوثق به، والأذكيا من الرجال، وليقسموا، وكلفهم تقدير الجزية على كل قرية حسب طاقتها، وتعهد ما قبلك، وكن العامل الأمين على كورتك.

وامرهم أن يقدروا القيمة بعد أن يقسموا. فإذا انتهوا من ذلك ارفعه إلي، واحتفظ بنسخة منه، واكتب لي أسماء الرجال الذين قدروا قيمة الجزية ونسبهم وقراهم.

واعلم أي إن وجدت قرية حملت فوق طاقتها، أو فرض عليها أكثر مما يتطلبه العدل في التقدير، أو إذا كانت قرية قد عجزت عن دفع القيمة المقررة من قبلهم فسأصيب المقدرين والعريف بعقوبة لا يمتثلونها، وأغرمهم قيمة ما عجزت عنه القرية، فاقراً عليهم كتابي هذا، وحثهم على أن يجعلوا مخافة الله نصب أعينهم، وأن يتوخوا الأمانة في تقديرهم. ولا ترسل الكتاب إلي حتى تنظر فيه، فإذا وجدتم قد قدروا أقل من ذلك أو أزيد، فاكتب إلي كيف فعلوا، كتب في 20 برمودة⁽²⁾، 8 أندكشن (91هـ) أرسلت مع عبيد البريد في تقدير الجزية⁽³⁾.

⁽¹⁾ -مواريت: جمع ماروت، بالراء المهملة عربية خالصة وجاءت في قوله تعالى: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾، سورة البقرة، الآية: 102، وقد أتت في برديات أخرى بلفظ: مازوت التي تعني رئيس القرية في اليونانية، أو مازون (ميغاس)، أما واجبات الماروت، فهي كثيرة، إذ هو صاحب القرية يصرف كل شؤونها فهو عضو في جماعة كبراء القرية، وعليه أن يفحص عن الأمور المالية عندما تقدر الضرائب أو تجبي، وهو يساعد في تجنيد الجيوش والبحارة للأسطول، وهو مكلف بالبحث عن العمال ونقلهم، كما يضمن الجوالي من الفلاحين، ويسلم الضرائب المجموعة إلى بيت المال. جاسر أبو صفية: برديات قره، ص 150 وما بعدها.

⁽²⁾ - برمودة: هو شهر أفريل. المسعودي: مروج الذهب، ح 2، ص 178.

⁽³⁾ - جاسر: برديات قره، ص 229-231.

وصية قرّة بن شريك لعامله بسيل بالعدل في تقدير الجزية

-رقم: 103-

وكتب قرّة بن شريك لعامله بسيل:

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،

من قرّة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوة: فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد.
 فإني كنتُ كتبتُ إليك في جمع الجزية لسنة 7 إندكشن⁽¹⁾، وإلى اليوم لم تول هذا الأمر
 عنايتك، ولم ترسل شيئاً، فأنت عاص ومهمل، وقد حضر عطاء مهاجري الفسطاط، وخروج
 الجيوش - إن شاء الله - فإذا جاك [كذا] كتابي هذا فعجل إلي بما اجتمع عندك من المال مع
 رسولك، وأمره أن يؤدي ذلك في بيت المال، وقد أمرت رسولي ألا يقدم من عندك حتى تبعث ما
 جمعت، فخذ في جمع المال المتأخر على كورتك، وعجل بإرساله، ولا أعرفن ما أخرت ما قبلك؛
 لئلا يبلغك مني ما يضيق عليك أرضك... في كورتك... بالعدل والمساواة دون محاباة أو ظلم.
 واعلم أن أول عمل العامل هو جباية الجزية؛ فلا يكونن في أمرك عجز ولا تأخير، ولا
 تَخْنَساً⁽²⁾ بما قبلك؛ لئلا يصيبك مني ما تكره⁽³⁾.

وصية قرّة بن شريك لعامله بسيل في توخي العدل والمساواة في تقدير

الغرامة المفروضة على السكان

-رقم: 104-

وفي وصية أخرى يوصي قرّة عامله بسيل بعدم المحاباة أو الظلم في تقدير الغرامة، كما يبين طريقة
 فرض الغرامة من قبل العريف ورجال آخرين، كما زوده ببعض التوجيهات في شأن تسيير عملية الجباية،
 فكتب إليه:

«... [كذا في الأصل] اتق الله وتوخ العدل والمساواة في تقدير الغرامة المفروضة من قبلهم،
 حسب ما... [كذا] كل ما يتولاه، وحسب مقدرته. وضم إلى العريف⁽¹⁾ أربعة رجال من وجهاء

(1) - اندكشن: كلمة يونانية تعني وحدة زمنية مؤلفة من 15 سنة كانت تستعمل في الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية
 وغيرها لتأريخ الأحداث المعتادة وتاريخ الرسالة هنا يقابل سنة 90هـ. جاسر أبو صفية: برديات قرّة، ص 221.

(2) - تخنسا: تخنس أي تغيب. الفيروز ابادي: القاموس المحيط، ج 16، ص 34، مادة «خنس».

(3) - جاسر: برديات قرّة، ص 240 وما بعدها.

كورتك [لمساعدتهم] في تقدير الغرامة المفروضة. وعندما ينتهون من ذلك أرسل إلينا كتابا يتضمن مقدار الغرامة المفروضة على كل شخص منهم، مبينا فيه الاسم والنسب ومكان إقامة الذين قدروا الغرامة.

ولا أعلمن أنك غششت أهل كورتك في أمر الغرامة التي فرضتها عليهم أو أنك أظهرت محاباة أو كراهية لأحد في تقدير الغرامة، لأننا نعلم أن الرجال الذين سيقدرونها لن يعصوك فيما تأمرهم به، فإذا وجدنا أنهم فرضوا على أحد أقل مما يجب محاباة له، أو زادوا في التقدير كراهية له، فسأعاقبهم في أبدانهم وممتلكاتهم - إن شاء الله - ولذا حذرهم من ذلك، وأخبرهم ألا يفرضوا على العمال فوق طاقتهم حتى لو كان بينهم نفور، وألا يعمل معهم أحد منهم في تقدير الغرامة، وعليهم أن يعاملوا كل واحد بالعدل، وأن يفرضوا عليه ما يحتمله. وأمر مقدري تلك الغرامة أن يكتبوا كتابا يتعهدون فيه أنهم إذا فرضوا على أحد فوق ما يحتمل، وعلى آخر أقل مما يترتب عليه، فعليهم أن يسدوا النقص الناتج عن الزيادة المرهقة بالتساوي فيما بينهم.

وأخبرهم أنهم سيسألون ويعاقبون لعصيانهم واستخفافهم بأوامرنا. وأرسل لنا هذا التعهد المكتوب وقيمة الغرامة المفروضة على كل شخص.
كتب في 6 طوبة 8 أندكشن⁽²⁾.

وصية قره لعامله بسيل في الغرض السابق

-رقم: 105-

وفي وصية لقره لبسيل في بردية أخرى يتجلى فيها أسلوب قره في كيفية جمع الجزية وعدم تأخير إرسالها، لدفع أرزاق المقاتلين من أهل العطاء في الفسطاط.
كما تبين أن جل اهتمامه بالجزية كان منصبا على طريقة فرضها وتوخي العدل في ذلك، وألا تجي بالقوة⁽³⁾، فقد كتب إليه:

(1) - العريف: وهو شاهد القوم وضمينهم، والعرفاء هم همزة الوصل بين الأمير وأهل العطاء، بهم يتعرف على أحوال رعيتهم ويقومون بالسهر على حفظ الأمن في عراقتهم، ويوزعون العطاء على جماعتهم، وينفذون أوامر الدولة في ناحيتهم. ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص238، محمد فرقاني: السياسة المالية لعمر، ص184.

(2) - جاسر: برديات قره، ص227 وما بعدها.

(3) - هذا التاريخ مخالف لما هو معروف أن عبد الله بن عبد الملك عزله الوليد سنة 90هـ، وليس سنة 89هـ، وولى مكانه قره بن شريك.

«... [كذا] في سبيل الله، مؤكدين أنهم رجال نبلاء، ويعلمون جميعا الأسس التي ينبغي أن تجبى بها الجزية، وأن لا يتأخر منها شيء... [كذا] ممن وقع عليهم الأذى من رجال بأعيانهم... فخذ في جمع الجزية، على بركة الله، بكفاية وأمانة، وتوخ العدل والإطاعة، وعلى كل رجل ينتقي الله أن يبذل جهده في تنظيمهم وإدارتهم وأن يقدم المساعدة، وعجل بإرسال ما جمعت من المال إلى بيت المال، ولا يكون في أمرك عجز ولا تأخير فإن أهل أرضك قد فرغوا من حراثتهم، وأنهم قادرون على أداء ما عليهم، وقد حضر عطاء مهاجري الفسطاط وغزو الناس؛ إذ يدفع عطاءهم من جزية سنة 7 اندكشن (89هـ)⁽¹⁾، فلا تتوان في إرسال ما على أهل أرضك؛ لأن العامل المحسن يجمع ما على الناس من حق أمير المؤمنين بإخلاص وحكمة وحسن نية دون أن يخسر أو يتلف شيء، ونعتزم إن شاء الله، أن نعرف كيف تعمل في عملك، وأنت لن تخفي عنا شيئا، لأننا نحب أن نراك محسنا وأميننا فإن كنت كذلك أحسن إليك وأصعبك بمعروف، وإن أجرك غير ذلك أعاقبك أشد العقوبة ويصعب مني ما يجزيك. وأنا أرجو أن تكون عندك أمانة وإجزاء وتنفيذ للعمل، فكن عند أحسن ظني بك.

واعلم أن من بين واجبات العامل جمع الجزية، وأن يكون مجدا موقرا حتى ينتهي من جمع الجزية- إن شاء الله- وكن متيقضا من الجوالي الذين أووا إلى كورتك ومن العمال المسيئين المضيعين، فلا تكن إليهم أي عمل يغضب الله أو يغضبنا»⁽²⁾.

يتبين لنا من خلال هذه الوصايا، اهتمام قرة بن شريك بعدالة حكام الأقاليم المختلفة وعدم الإجحاف بأهل الذمة، كما يتضح أنه كان يأمر عماله في الأقاليم ألا يقدروا على أهل الذمة ضرائب فوق طاقتهم أو أقل مما يستطيعون أداءه، وكان يهدد عماله بعقابهم أشد العقاب إذا ظلموا الأهالي في تقدير الضرائب المفروضة عليهم، كما كان يحذرهم من قبول الرشوة منهم، وفضلا عن ذلك فقد كان يتدخل في كل صغيرة ويراقب الأمور في البلاد مراقبة شديدة، ويجتهد في المحافظة على نشر الأمن في البلاد والعدل بين الرعية⁽³⁾.

(1) - جاسر: برديات قرة، ص 78.

(2) - المصدر نفسه، ص 229.

(3) - سيدة إسماعيل كاشف: الوليد بن عبد الملك، ص 99.

إن الإطار النظري التي تصوره رسائل قرّة ووصاياه لا تعكس صورته العملية التي تظهرها النصوص التاريخية في مختلف المصادر التاريخية والأدبية، والتي تصور قرّة بصورة الوالي الجائر الظالم⁽¹⁾، غير أن ما جاء في هذه الرسائل لا يجانب الصواب ولا يمكن أن يصنف إلا في حسن السياسة وجودة التدبير، في توزيع الجزية بعدل على من هم في قرّيته، وهذه هي المهمة الأساسية لمن يتولى الحكم في الإسلام، ويبدو أن قرّة كان واع تماماً بهذا الأمر فهو لا يرغب أبداً في أن يعاب على الإسلام نقص العدل في صورته التطبيقية، على الأقل هذا ما تبرزه هذه الوصايا.

ولكن لا يمكننا أن نحكم على الرجل من خلال وثائقه، فهو في الأخير لا يسفه نفسه ويكتب بما لا ينبغي أن يشاع عنه بل ينبغي عند الحكم عليه أن ننظر لأعماله من خلال ما كتب المؤرخون عنه وما ذكره الرواة المعاصرون له .

(1) - « كان قرّة من أمراء بني أمية وولاه الوليد مصر، وكان سيئ التدبير خبيثاً ظالماً غشوماً فاسقاً منهكاً»، انظر: ابن

تغري: النجوم الزاهرة، ج1، ص217.

العلم

جامعة الأمير عبد
الملك
العلم الإسلامي

الخاتمة

بعد أن وصلنا إلى هذه المرحلة من البحث نستطيع أن نلخص النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة فيما يلي:

- إنّ لوصايا الخلفاء والولاة الأمويين أهمية كبيرة، بما حملته من أبعاد ودلالات في كيفية مواجهة كثير من الصعوبات والتحديات التي واجهت الدولة في شتى مراحلها ومحطات تطورها، وبالرغم من أن هذه الوصايا ليست ملزمة للموصى له، ولم يُعمل بها في كثير من الأحيان إلا أنها تمثل معرفة مستقاة من خبرة وتجربة تناوب عليها النجاح والفشل.

- يعود عدم الالتزام بما جاء في الوصية في كثير من الأحيان، بآثار سلبية على الموصى له وعلى الدولة بل على أمة الإسلام بشكل عام، وهذا ما رأيناه مع يزيد بن معاوية الذي لم يحفظ وصية أبيه في نفر الذين امتنعوا عن البيعة، فنبذه التاريخ ونبذه المجتمع، وزاد الخنق على الدولة وكثر أعداؤها وترصبوا بها الدوائر وانقسمت الأمة واختلفت.

- استطاع الخلفاء الأمويون من خلال وصاياهم التي يعهدون فيها بالخلافة لأولياء عهدهم، الحفاظ على بقاء الخلافة في نسلهم لفترة من الزمن، واستنوا سنة توريثها التي لم يستطع الخروج عنها كل من جاء بعدهم، وقد حرص الخلفاء على تنشئة أولياء عهدهم تنشئة تهيئهم لتحمل مسؤولية وأعباء الخلافة، من خلال وصاياهم لمربيهم ومؤدبيهم، أو وصاياهم لهم المتضمنة لتجارهم واهتماماتهم، وخلاصة أفكارهم في التحديات التي تواجه الدولة، وقد أثمرت وآتت أكلها بأن ظهر من بينهم الكثير ممن له الكفاءة والكفاية وأضاف إلى قوة الدولة والأمة الشيء الكثير، ووسعت إنجازاته الآفاق كعبد الملك بن مروان وأبنائه الوليد والسليمان وهشام وابن أخيه عمر بن عبد العزيز الذي لا يدانيه في ذلك أحد، لكن من جانب آخر فإن هناك منهم من خالف وصية سلفه وحاد عن الطريق الذي رسمه له وارتضاه لنفسه وله، وعمد إلى كل ما صنعه فنقضه كيزيد بن عبد الملك، فأدخل الدولة في أتون صراعات ونزاعات لم تتعافى منها حتى حان بها الزوال.

- لم يكتف الأمويون باستحداث توريث الخلافة لأحد أبنائهم في وصاياهم، بل تعدّوا ذلك إلى تعيين اثنين منهم، ما ساهم في إشعال الصراع بين أفراد البيت الأموي على السلطة، إذ حاول بعضهم خلع إخوانهم من ولاية العهد وتعيين أحد أبنائهم، خروجاً عما جاء في وصايا آبائهم، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل ووجدوا أنفسهم مضطرين للعمل بما جاء في الوصايا، كمشاهدة عبد الملك بن مروان خلع أخيه عبد العزيز لكن المنية عاجلت هذا الأخير، ومحاولة ابنه الوليد خلع أخيه سليمان وتعيين ابنه لكن

صغر سنه حال دون ذلك، كما حاول هشام خلع الوليد إلا أنه لم يجد البديل عنه في ذريته فعدل عن ذلك.

- عكست وصايا الخلفاء وولاتهم في الأمصار معرفتهم وخبرتهم الواسعة بمعطياتها ومتطلباتها ودورها الخطير في تثبيت حكمهم وتوطيده، فجاءت وصاياهم في الحجاز احتراماً لمكانته الدينية والسياسية خاصة، وجاءت في العراق باستعمال سياسة الشدة لكثرة اضطراباته التي تشكل تهديد واضح للسلطة الأموية وراعت أهميته العسكرية والاقتصادية، كما جاءت في الشام وأهله اعترافاً لهم بالجميل وانطلاقاً من كونه مقراً لسلطانهم.

- كما تفتن الخلفاء الأمويين لأهمية طبقة الأشراف بمختلف فئاتها من الصحابة وآل بيت النبي - ﷺ - وزعماء القبائل وغيرهم، وأدوارها المختلفة في تدعيم السلطة وتعميقها وتسكين الجبهة الاجتماعية، أو في القدرة على زعزعة استقرار الدولة وتقويض أركانها وتحريك الرعية وتأليبها على الأمويين فراعوا خصوصية كل فئة في وصاياهم بما تستحق من الاهتمام، إلا أن الكثير من وصاياهم فيها لم تلق الأذان الصاغية فكانت النتائج كارثية ك مقتل الحسين - ﷺ -.

- رغم تعدد وصاياهم بالرعية خيراً وبسياستها بالعدل والابتعاد عن ظلمها، إلا أن أغلبها لم يطبق نتيجة لفتور الموصى لهم وعدم أخذهم لأنفسهم بالحزم، من جهة ومن جهة أخرى لصعوبة ذلك في ظل الظروف التي كانت تمر بها الدولة وشساعة المساحة وتنوع التركيبة الاجتماعية المتغيرة باستمرار نتيجة لتواصل عمليات الفتح، إلا أن هناك بعض الحالات التي طبقت فيها هذه الوصايا إلى أبعد الحدود كما هو الحال في عهد عمر بن عبد العزيز الذي حمل راية الإصلاح والعدل وساس به رعيته وأجبر عماله عليه، فجاءت نتائج ذلك مبهرة.

- من جانب آخر فقد احتاجت الدولة في شتى مراحلها إلى تجميع وتطوير نظمها وإدارتها بما يتماشى مع التطورات السياسية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تمر بها فغطت العديد من وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم هذا الجانب كضرورة لتبادل وتمير الرؤى والتطلعات والخبرات.

- سيطر الأمويون على أقاليم دولتهم باختيار الولاة والعمال والموظفين من بين الأفضل والأكفاً والأنسب لهم ولخاصتهم وعامتهم في الأغلب، وضمنوا وصاياهم الكثير من آرائهم حول الشروط والمواصفات التي يجب أن يكون عليها عمالهم.

- ما وصلنا من وصايا الأمويين في تحديد مهام الولاة وسائر العمال ركزت على مهمة جباية الأموال وتضمنت النهي عن الظلم في تقدير الخراج والعنف في جبايته وحثت على اللين في استخلاص الجزية من أهل الذمة.

- كانت وصايا الأمويين في الجباية أكثر ما تباعد فيه جانبه النظري التصوري عن جانبه التطبيقي، فبالرغم من كثرت الوصايا التي تنهى عن الظلم وتحث على العدل والاتزان في جباية الأموال إلا أن ما وصلنا من نصوص وأخبار عنهم لا يعكس ذلك بل شاع عنهم الظلم والجور في فرض الخراج والجزية على من أسلم واستحداث العديد من الضرائب التي لم يكن لها أصل في الإسلام مما أضر برعيتهم كثيرا، حتى جاء عمر بن عبد العزيز وخصص كل فترة خلافته في رد المظالم وإصلاح أجهزة إدارة الدولة.
- في حين كانت وصاياهم في خطة القضاء وما عكسته من جانب نظري وتصوري يطابق تماما الجانب التطبيقي إذ لم يصلنا في عامة أخبار الأمويين من مختلف المصادر التاريخية ما يناقض ذلك.
- وصلنا الكثير من الوصايا التي تعود لعمر بن عبد العزيز، وذلك لاهتمام علماء التاريخ وأصحاب السير والتراجم بأخباره لاعتبار أن سيرته كانت مرضية عند أولي الفضل من التابعين والعلماء، إضافة إلى أن فترة خلافته خصصها لإصلاح ما أفسده من جاء قبله.
- معظم هذه الوصايا صدرت عن أقوى وأبرز الشخصيات الأموية والتي كان لها دورا في التأسيس أو التطوير أو الإصلاح كعماوية وعبد الملك وعمر بن عبد العزيز وكالحجاج وزباد وقره.
- لم تغط الوصايا التي وصلتنا من الأمويين جميع الجوانب والأجهزة أو الخطط الإدارية، فجاء العديد منها في الحجابة وأقلها في القضاء والبريد، في حين لم ترد أي وصايا في الدواوين أو الكتابة.
- ورغم ما قيل عن الإدارة الأموية وما تداولته مصادر التاريخ والتي أغلبها لم يكن منصفاً للأمويين إلا أن مجمل هذه الوصايا غيرت كثيرا من الصورة العامة لإدارتهم فهي لم تخل من الإبداع والابتكار، رغم ما شاب بعضها من أخطاء، إلا أن الأهم من هذا كله أنه لم تنعدم النية الحسنة والقصد الطيب في كل ما صدر عنهم من وصايا، ولئن سجلت عنهم بعض الإخفاقات في بعض الشؤون الإدارية أو في بعض الأقاليم وعدم التوفيق في اختيار بعض الرجال الذين أساءوا لسمعة الدولة إلا أن ما وصل إليه الأمويون لم يصل إليه غيرهم ولم يجارهم أو يقاربهم حتى فيه من جاء بعدهم .

معلق بالرسائل

المشكوكة في صحتها

جامعة الأمير
العلوم الإسلامية

ملحق بالرسائل المشكوك في صحتها

وصية معاوية بن أبي سفيان المزعومة لسعيد بن العاص بالحسين خيرا

-رقم: 1-

ذكر ابن قتيبة أن سعيد بن العاص بعث بكتاب إلى معاوية يخبره كراهية أهل المدينة البيعة لابنه « لاسيما بني هاشم، فإنه لم يحبه منهم أحد وكان ابن الزبير أشد الناس إنكارا لذلك، وردا له»⁽¹⁾. فكتب إليه كتابا يوصيه فيه بأن يراعي حق الحسين، ولا يصله منه مكروه كما حذره من ابن الزبير، جاء فيه:

« أما بعد، فقد أتاني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس عن البيعة، ولا سيما بني هاشم، وما ذكر ابن الزبير، ولقد كتبت إلى رؤسائهم كتبا، فسلمها إليهم، وتنجز جواباتها وأبعث بها إلي، حتى أرى في ذلك رأيي، وعليك بالرفق، وإياك والخرق، فان الرفق رشد والخرق نكد.

وانظر حسينا خاصة فلا يناله منك مكروه فإنه له قرابة وحقا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليث عربي، ولست آمنك إن شاورته أن لا تقوى عليه. فأما من يرد على السباع إذا وردت، وينكس إذا نكست، فذلك عبد الله بن الزبير، فأحذره أشد الحذر ولا قوة إلا بالله، وأنا قادم إليك إن شاء الله والسلام»⁽²⁾.

تفرد ابن قتيبة بذكر هذه المراسلة، وقد جاءت ردا على كتاب سعيد بن العاص بسبب كراهية أهل المدينة ببيعة يزيد، في حين أن سعيد بن العاص لم يكن واليا على المدينة عند أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد إنما كان مروان بن الحكم⁽³⁾ الذي عينه معاوية بعد عزل سعيد بن العاص سنة 54هـ⁽⁴⁾. مما يحدوا بنا إلى التعامل مع هذا النص بحذر شديد، إلا أن ما جاء في نص الوصية لا يخرج عن الإطار العام لسياسة معاوية في التعامل مع آل البيت، كما أنها لا تخرج عن السياق العام الذي جاء في وصيته لابنه يزيد و التي سبق ذكرها.

(1) - الإمامة والسياسة، ص 261.

(2) - المصدر نفسه، ص 262 وما بعدها .

(3) - تاريخ الطبري، ج 5، ص 304.

(4) - المصدر نفسه، ج 5، ص 293.

عهد الاستخلاف المزعوم لوصية معاوية بالخلافة لابنه يزيد

-رقم: 2-

قال ابن أعثم: دعى معاوية بالضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة فقال لهما: أخرجنا ما في وصادتي، فأخرجنا كتابا كتب فيه معاوية بخطه قبل ذلك:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا ما عهده معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى ابنه يزيد، أنه قد بايعه وعهد إليه، وجعل له الخلافة من بعده، وأمره بالرعية والقيام بهم والإحسان إليهم، وقد سماه "أمير المؤمنين"، وأمره أن يسير بسيرة أهل العدل والإنصاف، وأن يعاقب على الجرم ويجازي على الإحسان، وأن يحفظ هذا الحي من قريش خاصة، وأن يبعد قاتلي الأحبة، وأن يقدم بني أمية وآل عبد شمس على بني هاشم، وأن يقدم آل المظلوم المقتول أمير المؤمنين عثمان بن عفان على آل أبي تراب وذريته، فمن قرئ عليه هذا الكتاب وقبله حق قبوله وبادر إلى طاعة أميره يزيد بن معاوية فمرحباً به وأهلاً، ومن تأبى عليه وامتنع فضرب الرقاب أبداً حتى يرجع الحق إلى أهله والسلام على من قرئ عليه وقبل كتابي هذا»⁽¹⁾.

تفرد ابن أعثم الكوفي بهذا النص ولم يذكره أحد قبله ولا بعده، مما يثير الشك حول صحته، خاصة وأنه زُمي بالتشيع وهذا باد على ما كتب⁽²⁾، ولا يخفى أن معاوية أعدى أعداء الشيعة، كما أن هذا النص جاء خلوا من السند مما يضعف كثيراً من قيمته التاريخية، كما أن ما ورد فيه من توصيات لا تتماشى تماماً مع الخط الذي سار عليه معاوية في فترة حكمه كما صورته المصادر التاريخية الموثوقة.

(1) - الفتوح، ج 3، ص 348.

(2) - ذكر ياقوت الحموي أنه: «كان شيعياً وهو عند أصحاب الحديث ضعيف»، وعليه اعتمد ابن حجر؛ وقد وصف بروكلمان كتابه الفتوح، بأنه تاريخ قصصي للفتوح والخلفاء الأول من وجهة النظر الشيعية. معجم الأدباء، ج 1، ص 202؛ ابن حجر: لسان الميزان، ج 1، ص 138، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج 3، ص 55؛ نور الولي: أثر التشيع على الروايات التاريخية، ص 263 وما بعدها.

وصية معاوية لابنه يزيد حين حضرته الوفاة

-رقم: 3-

ذكر ابن أعثم رواية مطولة للوصية دون سند جاء فيها أن معاوية قال ليزيد:

«يا بني! خبّرني الآن ماذا أنت صانع بهذه الأمة! أتسير فيهم بسيرة أبي بكر الصديق الذي قاتل أهل الردة وقاتل في سبيل الله حتى مضى والناس عنه راضون؟

فقال: يا أمير المؤمنين! إني لا أطيق أن أسير بسيرة أبي بكر الصديق، لكني آخذ الرعية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال: يا بني! أتسير فيهم بسيرة عمر بن الخطاب الذي مصرّ الأمصار وفتح الديار وجنّد الأجناد وفرض الفروض ودوّن الدواوين وجبى الفياء وجاهد في سبيل الله حتى مضى والناس عنه راضون؟

فقال يزيد: لا يتهيأ لي أن أصنع كما صنع عمر، ولكني آخذ الناس بكتاب الله والسنة.

فقال معاوية: يا بني! أتسير فيهم بسيرة ابن عمك عثمان بن عفان الذي أكلها في حياته وورثها بعد مماته واستعمل أقاربه؟

فقال يزيد: قد خبّرتك يا أمير المؤمنين أن الكتاب بيني وبين هذه الأمة، به أطالبهم وعليه أقاتلهم.

قال: فتنفس معاوية الصعداء، وقال: إني من أجلك آثرت الدنيا على الآخرة ودفعت حق علي بن أبي طالب وحملت الوزر على ظهري، وإني لخائف أن لا تقبل وصيتي فتقتل خيار قومك ثم تعدو على حرمة ربك فتقتلهم بغير الحق، ثم يأتيك اليوم بغتة فلا دنيا تصيب ولا آخرة تحب!

يا بني! إني جعلت هذا مطعماً لك ولولدك من بعدك وإني موصيك بوصية فاقبلها، فإنك تحمد عاقبتها: كن حازماً صارماً، انظر إن تأتاك نائبة تثب وثوب الشهم البطل، ولا تجبن جبن الضعيف الوكل؛ فإني قد كفيتك الجدّ الترحال؛ وجوامع الكلام والمنطق ونهاية البلاغة، ودفع المؤنة وسهولة الحفظ، ولقد وطأت لك يا بني البلاد، وذللت لك رقاب العرب الصعاب، وأقمت لك المنار وسهلت لك السبل، وجمعت لك اللجّين والعقيان⁽¹⁾، ومهدت لك الملك من بعدي

(1) - اللجّين: الفضة، والعقيان: الذهب. ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص379، مادة «لجن»، ج13،

ص288، مادة «عقن».

تمهيداً، فعليك يا بني من الأمور ما قرب مأخذه وسهل مطلبه، ودّر عنك ما اعتاص عليك واعلم يا بني! أن سياسة الخلافة لا تتم لك إلا بثلاث: بجأش ربيط، وكف أذى، وخلق رحيب، وثلاث آخر: علم ظاهر، وخلق طاهر، ووجه طلق، ثم تردف ذلك بعشر آخر: بالصبر، والأناة، والتودد، والوقار، والسكينة، والمروءة الظاهرة، والشجاعة، والسخاء، والإحتمال للرعية بما تحب وتكره.

ولقد علمت يا بني أي كنت في أمر الخلافة خائفاً شعباً يشهى شهواناً أصبح عليها جزعاً وأمسى هلعاً، حتى أعطاني الناس ثمرة قلوبهم وبادروا إلى طاعتي، فادخل يا بني من هذه الدنيا في حلالها واخرج من حرامها، وانصف الرعية واقسم فيهم بالسوية.

واعلم يا بني أي أخاف عليك من هذه الأمة أن تنازعك في هذا الأمر الذي قد رفعت لك قواعده، وخصوصاً أربعة نفر من قريش، منهم عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وشبيهه أبيه الحسين بن علي.

فأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه إذا صنع أصحابه شيئاً صنع مثلهم، وإن لم يصنعوا أمسك، وهو رجل همه النساء، ولذة الدنيا، فذره يا بني وما يريد ولا تأخذ عليه في شيء من أمره فلقد علمت ما لأبيه من الفضل على هذه الأمة وقد يرمى ذمام الوالد في ولده.

وأما عبد الله بن عمر فإنه رجل صدق قد توحش من الناس وآنس إلى العبادة ورضي بالوحدة، فترك الدنيا وتخلّى منها، فهو لا يأخذ منها شيئاً، وإنما تجارته من هذه الدنيا كتجارة أبيه عمر بن الخطاب؛ فأقرئه مني السلام، وتعاهده بالعطاء الموفر أفضل تعاهد.

وأما عبد الله بن الزبير، فما أخوفني أنك تلقى منه عتياً! فإنه صاحب خلل في القولن وزلل في الرأي، وضعف في النظر، مفرط في الأمور مقصر في الحقوق، وإنه سيجنثو لك كما يجنثو الأسد في عرينه، ويرواغك رواع الثعلب، فإذا أمكنه منك فرصة لعب بك كيف شاء؛ فكن له يا بني كذلك، واجزه صاعاً بصاع، واحذه حذو النعل إلا أن يدخل لك في الصلح والبيعة وبتوبة فأقمه على ما يريد.

وأما الحسين بن علي فأوّه أوّه يا يزيد! ماذا أقول لك فيه! فاحذر أن لا يتعرض لك ومدّ له حبلاً طويلاً وذره يضرب في الأرض حيث شاء ولا تؤذّه، ولكن ارعد له و ابرق، وإياك والمكاشفة له في محاربة سل سيف أو محاربة طعن رمح، ثم أعطه ووقره وبجّله، فإن حال أحد من أهل بيته فوسّع عليهم وأرضهم، فإنهم أهل بيت لا يرضيهم إلا الرضى، و لا يسعهم إلا المنزلة الرفيعة؛

وإياك يا بني أن تلقى الله بدمه فتكون من الهالكين؛ فإن ابن عباس حدثني فقال: إني حضرت رسول الله ﷺ وهو في السياق؟ وقد ضم الحسين بن علي إلى صدره وهو يقول: هذا من أطاب أرومتي وأنوار عترتي وخيار ذريتي، لا بارك الله فيمن لا يحفظه بعدي. قال ابن عباس: ثم أغمي على النبي ﷺ ساعة ثم أفاق وقال: يا حسين! إن لي ولقاتلك يوم القيامة مقاما بين يدي ربي وخصومه، وقد طابت نفسي إذ جعلني الله خصيماً لمن قتلك يوم القيامة، يا بني! هذا حديث ابن عباس، وأنا أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه قال: أتاني جبريل يوماً فخبّرني وقال: يا محمد! إن أمتك ستقتل ابنك حسيناً وقاتله لعين هذه الأمة، ولقد لعن النبي ﷺ يا بني قاتل الحسين مراراً، فانظر لنفسك ثن انظر أن لا يتعرض له بأذية، فحقه والله يا بني عظيم، ولقد رأيتني كيف كنت أحتمله في حياتي وأضع له رقبتي وهو يواجهني بالكلام الذي يمضي ويؤلم قلبي، فلا أجيبه ولا أقدر له على حيلة، فإنه بقية أهل الأرض في يومه هذا، وقد أعذر من اندر.

قال: ثم أقبل على الضحاك ومسلم بن عقبة فقال لهما معاوية: أشهدا على مقاتلي هذه، فوالله إن فعل بي الحسين كل ما يسوءني لا احتملته أبداً ولم يكن الله يسألني عن دمه، أفهمت عني ما أوصيتك به يا يزيد؟ فقال: فهمتُ يا أمير المؤمنين

ثم قال معاوية: انظر في أهل الحجاز فهم أصلك وفرعك، فأكرم من قدم عليك منهم ومن غاب عنك فلا تجفهم ولا تعقهم؛ وانظر أهل العراق فإنهم لا يحبونك أبداً ولا ينصحونك، ولكن دارهم مهما أمكنك واستطعت، وإن سألوك على كل يوم أن تعزل عنهم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل واحد هو أيسر وأخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف.

وانظر يا بني أهل الشام فإنهم بطانتك وظهارتك وقد بلوهم واخبرتهم فهم صبر عند اللقاء حماة في الوغى، فإن رابك أمر من عدو يخرج عليك فانتصر بهم، فإذا أصبت منهم حاجتك فارددهم إلى بلادهم يكونوا بها إلى وقت الحاجة إليهم»⁽¹⁾.

واضح جدا في رواية ابن أعثم هذه أن الفقرات الأولى منها أقحمت إقحاما في نص الوصية، وذلك لأن فيها تتبع للأحداث التي وقعت في خلافة يزيد مرتبة ترتيباً زمنياً دقيقاً، وكأن معاوية تنبأ بها، فقوله: «فتقتل خيار قومك»، يقصد مقتل الحسين، وقوله: «وتغزو حرم ريك بأوباش الناس»، يقصد بذلك وقعة الحرة وحصار مكة، وقوله: «فتدركك موته فجأة»، وبالفعل فقد مات يزيد فجأة، فأنا

⁽¹⁾ - الفتوح، ج 3، ص 348-350.

لمعاوية معرفة كل هذا؟ وعليه فلا مجال للشك في أن هذه الفقرات كتبت بعد حدوث هذه الأحداث فعلا.

الوصية المزعومة لمعاوية لابنه يزيد في إرسال مسلم بن عقبة المري لقتال أهل المدينة إن شقوا

الطاعة

-رقم: 4-

كان معاوية يوصي ابنه يزيد بإكرام أهل الحجاز وتعهدهم وتشريفهم⁽¹⁾، لأن أهم الشخصيات المعارضة لحكمه وحكم ابنه من بعده متواجدة فيه: عبد الله بن عباس والحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، وإقامة كل هؤلاء بالمدينة المنورة، وتجاهل الحجاز أو قطيعة أهله تؤدي إلى الاحتقان، وأي ما معارض يرفع لواء الخروج عن الأمويين سيلقى الأتباع والأرض خصبة لبدور معارضته. وقد كان معاوية يعرف أن أهل المدينة لن يكونوا راضين كل الرضا عن خلافته، فهم أهل السنة، وحفظه الحديث ومؤرخو الدعوة الإسلامية، يعرفون مقدار الرجال، متأثرون بما سمعوا أو حفظوا من الأحاديث في مقامات الصحابة، ولهذا فهم يعتبرون عليا خيرا من معاوية، ورأى أهل المدينة كيف خص الأمويون أنفسهم بالخيرات منذ عهد عثمان، وبالتالي فإن معاوية سوف يخص أهله بالكثير.

وبناء على هذه المقدمات فإن نفوس أهل المدينة قد انقبضت لولاية معاوية، ومعاوية لم يستطع أن ينزع ما في نفوس أهل المدينة، لأن ما في نفوسهم أصبح بمنزلة الاعتقاد الراسخ، وكان يزداد يوما بعد يوم، لأن تصرفات الخليفة تجاه أهل المدينة لم تكن مرضية، خاصة بعد أن طلب منهم مبايعة ابنه يزيد ورفضهم البيعة تبعاً لزعماء المدينة، وقد استطاع معاوية بالترغيب تارة وبالتهيب تارة أخرى أن يمر عهده على المدينة دون فتن أو حركات عنف ولكنه كان يعلم أنه لن يستطيع أن يقتلع من النفوس ما فيها، وإنما استطاع أن يؤجل الثورة لعلها تخمد نارها، أو يخف أوارها فيقل أثرها عندما تندلع، ولذلك حظيت المدينة من وصيته ليزيد بحظ وافر، وتوقع حدوث فتن في المدينة⁽²⁾ فقال لابنه يزيد لما حضرته الوفاة، عن محمد بن سعيد: «قد وطأت لك البلاد وفرشت لك الناس ولست أخاف عليك إلا أهل الحجاز فإن رابك منهم ريبة فوجه إليهم مسلم بن عقبة المري فأني قد جربته غير مرة فلم أجد له مثلاً في طاعته ونصيحته»⁽³⁾.

(1) - أنظر الوصية رقم: 7- ولواحقها

(2) - محمد بن محمد: المدينة المنورة، ص 125-127.

(3) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 58، ص 113.

رواية أخرى لما سبق

-رقم: 4-

قال أبي محنف فيما يرويه بسنده عن جويرية بن أسماء قال: سمعت أشياخا من أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيد فقال له: «إن لك من أهل المدينة يوما فإن فعلوها فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفنا نصيحته»⁽¹⁾.

هذه الرواية حقها أن تكون مع وصية معاوية لابنه يزيد، لو صحت ولا أراها تصح، وهذا لما يلي:

- أن معاوية لم يشر إليه في وصيته ليزيد، وهو الذي أوصى إليه وإلى الضحاك بن قيس أن يبلغا يزيد وصيته، إذا اعتبرنا يزيد غائبا. على ضوء ما ذكرناه هناك حول غيابه وحضوره.

- أن يزيد بن معاوية اقترح على عمرو بن سعيد بن العاص أن يسير لمقاتلة أهل المدينة بعد أن وصلته رسالة من آل بيته من المدينة يخبرونه بحصار أهل المدينة لهم، ثم إخراجهم منها، وخلعهم طاعته، قال الطبري: « فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأخبره الخبر وأمره أن يسير إليهم في الناس فقال له قد كنت ضبطت لك البلاد وأحكمت لك الأمور فأما الآن إذ صارت إنما هي دماء قريش تهرق بالصعيد فلا أحب أن أكون أنا أتولى ذلك يتولها منهم من هو أبعد منهم مني »، وفي رواية أخرى له أنه كتب إلى عبيد الله بن زياد أن يسير لمقاتلة ابن الزبير وأهل المدينة، فأبى عليه، وهذا أمر مشكوك في صحته بل مستبعد، فعرض الأمر على مسلم بن عقبة المري، فاستجاب له⁽²⁾.

(1)- تاريخ خليفة، ص 238؛ البلاذري: أنساب، ج 5، ص 334؛ ابن قتيبة: الامامة والسياسة: ص 307؛ تاريخ الطبري، ج 5، ص 495؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 58، ص 104 وما بعدها؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 212؛ ابن طباطبا: الفخري، ص 119؛ النويري: نهاية الإرب، ج 20، ص 488؛ السمهودي: خلاصة الوفا، ج 1، ص 290

(2)- تاريخ الطبري، ج 5، ص 482-483؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 3، ص 210-211.

-عهد سليمان المزعوم لعمر بن عبد العزيز بالخلافة-

-رقم: 5-

ذكر ابن قتيبة أن رجاء بن حيوة لما سمع بوفاة الخليفة سليمان، قام إلى جانب المنبر فحمد الله وحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة، وأعلمهم بما في الفرقة والاختلاف من ذهاب الدين والدنيا، ثم أخرج العهد ففضه بحضور منهم، ثم قرأه عليهم فإذا فيه⁽¹⁾:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

هذا ما عهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين؛ عهد أنه يشهد الله بالربوبية والوحدانية، وأن محمدًا عبده ورسوله، بعثه إلى محسني عباده بشيرا، وإلى مذنبهم نذيرا، وأن الجنة حق، وأن النار حق مخلوقتان، خلق الجنة رحمة لمن أطاعه، والنار عذابا لمن عصاه، وأوجب العفو لمن عفا عنه، وأن إبليس في النار، وأن سليمان مقرر على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه، موجب على نفسه استحقاق ما خلق من النعمة راج لما وعد من الرحمة والمغفرة، وأن المقادير كلها خيرها شرها من الله وأنه هو الهادي وهو الفاتن، لم يستطع لمن خلق الله لرحمته غواية، ولا لمن خلق لعذابه هداية، وأن الفتنة في القبور بالسؤال عن دينه وبنيه الذي أرسل إلى أمته حق يقين، لا منجي لمن خرج من الدنيا إلى الآخرة من هذه المسألة، وسليمان يسأل الله بوسع فضله وعظيم منه، الثبات على الحق عند تلك المسألة، والنجاة من أهوال تلك الفتنة، وأن الميزان حق يقين، يضع الموازين القسط ليوم القيامة، فمن ثقلت موازينه فؤلك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فؤلك هم الخاسرون، وأن حوض محمد -ﷺ- يوم الحشر والموقف حق، عدد آنيته كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبدا، وسليمان يسأل الله برحمته أن لا يرده عنه عطشان، وأن أبا بكر وعمر خير هذه الأمة، بعد نبينا -ﷺ-، والله يعلم بعدهما حيث الخير، وفيمن الخير من هذه الأمة، وأن الشهادة المذكورة في عهده هذا، يعلمها من سره وإعلانه، وعقد ضميره، وأن بها عبد ربه في سالف أيامه، وماضي عمره، وعليها أتاه يقين ربه، وتوفاه أجله، وعليها يبعث بعد الموت إن شاء الله، وأن سليمان كانت له بين هذه الشهادة بلايا وسينات، لم يكن له عنها محيص، ولا دونها

(1) -الإمامة والسياسة، ص 166.

مَقْصَر⁽¹⁾ بالقدر السابق والعلم النافذ في محكم الوحي، فإن يعفو ويصفح، فذلك ما عرف منه قديماً، ونسب إليه حديثاً، وتلك الصفة التي وصف بها نفسه في كتابه الصادق وكلامه الناطق، وإن يعاقب وينتقم فيما قدمت يداه، وما الله بظلام للعبيد، وإني أخرج على من قرأ عهدي، وسمع ما فيه من حكمة، أن ينتهي إليه في أمره ونهيه بالله العظيم وبمحمد -ﷺ-، وأن يدع الإحن⁽²⁾، ويأخذ بالمكارم ويرفع يديه إلى السماء بالابتغال الصحيح والدعاء الصريح، يسأله العفو عني والمغفرة لي، والنجاة من فزعي، والمسألة في قبوري، لعل الودود أن يجعل منكم مجاب الدعوة بما عليّ من صفحه يعود إن شاء الله.

وإن وليّ عهدي فيكم وصاحب أمري بعد موتي، في كل من استخلفني الله عليه، الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز ابن عمي، لما بلوت من باطن أمره وظاهره، ورجوت الله بذلك وأردت رضاه ورحمته إن شاء الله، ثم ليزيد بن عبد الملك من بعده، فإني ما رأيت منه إلا خيراً ولا اطلعت له على مكروه، وصغار ولدي وكبارهم إلى عمر إذ رجوت ألا يألوهم رشداً وصلاحاً، والله خليفتي عليهم وهو أرحم الراحمين، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

ومن أبي عهدي هذا وخالف أمري فالسيف، ورجوت ألا يخالفه أحد، ومن خالفه فهو ضال مضل يستعتب، فإن أعتب وإلا فالسيف، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان⁽³⁾.

علق الدكتور مُجَّد فرقاني على هذا النص قائلاً: «من قرأه، ممن كانت له الإمامة بتاريخ بني أمية يحكم عليه بأنه غير صحيح بالمرّة، بل هو من وضع بعض الفرق لتنتصر به- في زعمها- لرأيها بأن الخليفة سليمان من جماعتها، كما كان ذلك من المعتزلة بانتحالهم للحسن البصري وعمر بن عبد العزيز⁽⁴⁾».

(1) - مَقْصَر: رضي فلان بمَقْصَر، بفتح الصاد، لغة في مَقْصِر، بالكسر، أي بدون ما كان يطلب. الصغاني: التكملة والذيل والصلة، ج3، ص169، مادة «قصر».

(2) - الإحن: الضغائن والأحقاد. أحمد مختار: معجم اللغة العربية، ج1، ص68، مادة «أحن».

(3) - ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص166-168.

(4) - رسائل عمر بن عبد العزيز، ص129.

وصية عمرو بن العاص لابنه عبد الله بحاجبه خيرا

-رقم: 6-

قال عمرو بن العاص لابنه وقد ولى ولاية:

«انظر حاجبك فإنه لحمك ودمك، ولقد رأيتنا بصفين وقد أشرع قوم رماحهم في وجوهنا يريدون نفوسنا مالنا ذنب إليهم إلا الحجاب»⁽¹⁾.

لم يرد في نص الوصية اسم الموصى له، إلا أنه ذكر قرينة وهي أنه شهد معه صفين، وعبد الله هو الذي شهد معه صفين إلى جانب معاوية⁽²⁾.

أما عن الولاية التي تولها عبد الله بن عمر بن العاص فقد ذكر ابن سعد أنه خرج مع أبيه إلى مصر، فلما حضرت عمرو بن العاص الوفاة استعمله على مصر فأقره معاوية ثم عزله⁽³⁾.

ولم نجد فيما اطلعنا عليه من مصادر ما يثبت هذه الولاية،

وذكر ابن عساکر في رواية له عن خليفة، أنه ذكر عبد الله بن عمرو بن العاص في تسمية عمال معاوية على الكوفة، ثم عزله وولى المغيرة بن شعبة⁽⁴⁾، وتبعه في ذلك الذهبي⁽⁵⁾، ولكننا لم نجد في تاريخ خليفة ما يثبت ذلك.

كما ذكر ابن خلدون أن معاوية استعمل أول خلافته سنة أربعين عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة ثم عزله⁽⁶⁾.

وهذا من أخطائه إذ في هذه السنة لم يسلم الحسن الأمر لمعاوية وإنما كان سنة 41هـ⁽⁷⁾.

وجاء عند الطبري: «واستعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة، فأتاه المغيرة بن شعبة وقال لمعاوية: استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمروا على مصر، فتكون أنت بين لحبي الأسد! فعزل عبد الله، واستعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة»⁽¹⁾.

(1) - الآبي: نشر الدر، ج 2، ص 59، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج 8، ص 198، النويري: نهاية الأرب، ج 6، ص 91.

(2) - ابن سعد: الطبقات، ج 4، ص 202.

(3) - المصدر نفسه، ج 7، ص 344.

(4) - ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 60، ص 45.

(5) - سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 91؛ تاريخ الإسلام، ج 5، ص 165.

(6) - تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 169.

(7) - تاريخ خليفة، ص 203.

وهذا يُظهر أن عبد الله لم يكن على علم بالأمر وهو اقتراح من عمرو، فلما بلغ المغيرة ذلك قال له ما قال وإلا فإن عبد الله لم تكن له رغبة في الحكم والإدارة زاهدا فيها، فولى المغيرة سنة 41هـ. كما نفى الطبري هذه الولاية بقوله:

«ولم يكن عبد الله بن عمرو بن العاص مضى فيما بلغني الى الكوفة ولا أتاها»⁽²⁾.
 مما يجعلنا نشك في صحة هذه الوصية.

وصية خالد بن عبد الله القسري المزعومة لحاجبه بأن لا يمنع عنه أحدا

-رقم: 6-

جاءت هذه الوصية عند ابن أبي الحديد في نص مطول ذكرها في آخره نسبه لأبرويز، مع العلم أن نفس النص ذكره ابن قتيبة نسبه لأبرويز نقلا عن كتاب التاج، ولم يذكر في آخره نص هذه الوصية بل على العكس من ذلك ذكرها مستقلة أسفل وصية أبرويز لحاجبه مباشرة ونسبها لخالد بن عبد الله القسري.

فقد ذكر ابن أبي الحديد أن أبرويز قال لحاجبه:

«لا تضعن شريفا بصعوبة حجاب، ولا ترفعن وضعيا بسهولة، وضع الرجال مواضع أخطارهم، فمن كان قديما شرفه ثم ازدرعه ولم يهدمه بعد آبائه فقدمه على شرفه الأول، وحسن رأيه الآخر، ومن كان له شرف متقدم ولم يصن ذلك حياطة له، ولم يزدرعه تثمير المغارسة، فألحق بآبائه من رفعة حاله ما يقتضيه سابق شرفهم، وألحق به في خاصته ما ألحق بنفسه، وال تأذن له إلا دبريا وإلا سرارا، ولا تلحقه طبقة الأولين، وإذا ورد كتاب عامل من عمالي فلا تحبس عني طرفة عين إلا أن أكون على لا تستطيع الوصول إلي فيها، وإذا أتاك من يدعي النصيحة لنا فلتكتبها سرا ثم أدخله بعد أن تستأذن له، حتى إذا كان مني بحيث أراه فادفع إلي كتابه، فإن أحمدت قبلت، وإن كرهت رفضت، وإن أتاك عالم مشتهر بالعلم والفضل يستأذن، فأذن له، فإن العلم شريف وشريف صاحبه،⁽³⁾ ولا تحجب عني أحد من أفناء الناس، إذا أخذت مجلسي مجلس العامة، فإن الملك لا

(1) - تاريخ الطبري، ج5، ص166؛ وانظر: ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج69، ص47.

(2) - تاريخ الطبري، ج6، ص166.

(3) - بداية رواية الجاحظ: «عن الهيثم بن عدي قال: قال خالد بن عبد الله القسري لحاجبه: لا تحجبني عني أحدا إذا أخذت مجلسي؛ فإن الوالي لا يحتجب إلا عن ثلاث: إما رجل عبي يكره أن يُطلع على عيّه، وإما رجل مشتمل على سوءة، أو رجلٌ بخيل يكره أن يدخل عليه إنسانٌ يسأله شيئا». رسائل الجاحظ، ج2، ص36، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج1، ص156، النويري: نهاية الأرب، ج6، ص87؛ الأبشيهي: المستطرف، ص104.

يجب إلا عن ثلاث: عي يكره أن يطلع عليه منه، أو بخل يكره أن يدخل عليه من يسأله، أو ريبة هو مصر عليها فيشفق من إبدائها ووقوف الناس عليها ولا بد أن يحيطوا بها علما، وإن اجتهد في سترها»⁽¹⁾.

هذه التصنيفات المعقدة في هذه الوصية ألصق بملوك الفرس بدليل قوله «فإن الملك لا يجب..» والموصى إليه وال وليس ملكا لمن يتأمل فيها بعمق، ويقرأ تاريخ ملوك الفرس، وما جاء فيها بعيد عن سيرة الخلفاء المسلمين وولاتهم، وإن كان المسلمين يحترمون الشريف ويقدمونه، ولكن بخلاف الفرس فطابع التصنيف الطبقي الاجتماعي بارز عندهم بحيث حددت في طبقات بحيث لا تصعد طبقة عند الأخرى ولا تنزل الأعلى عند الأدنى وأضفوا على هذا لتقسيم طابع القداسة⁽²⁾.
ومما سبق فهذه الوصية مما نحل إلى خالد بن عبد الله القسري.

وعند ابن عبد البر: «قال بعض الأكاسرة لحاجبه: لا تحجب عني أحداً إذا أخذت مجلسي، فإن الوالي لا يجب إلا عن ثلاث: عي يكره أن يطلع عليه، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله، أو ريبة». بجهة المجلس، ج 1، ص 269.

(1) - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 17، ص 92 وما بعدها.

(2) - آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص 84 وما بعدها.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ-المصادر

1-القرآن الكريم

-آ-أ-

- 2-الآبي، منصور بن الحسين الرازي (ت 421هـ): نثر الدر في المحاضرات، تحقق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.
- 3-ابن الأبار، مُجَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت 658هـ): التكملة لكتاب الصلوة، تحقق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1995م.
- 4-الأبشيهي، شهاب الدين مُجَّد بن أحمد (ت 852هـ): المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1999م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري عز الدين (ت 630هـ):
- 5-أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقق: علي مُجَّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994 م.
- 6-الكامل في التاريخ، تحقق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997م.
- 7-ابن الأزرقي، مُجَّد بن علي بن مُجَّد الأصبحي (ت 896هـ): بدائع السلك في طبائع الملك، تحقق: علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط1، دت.
- 8-الإمام أحمد ابن حنبل بن مُجَّد أبو عبد الله (ت 241هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقق: أحمد مُجَّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1995 م.
- 9-أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، مجهول (ت ق 3هـ): تحقق: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، 1971م.
- 10- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، لمجهول(ق4هـ) تحقق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.
- 11-الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت 430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م.

- 12-الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن الهيثم المرواني الأموي الأموي (ت 356هـ):
الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1995م.
- 13-ابن أعثم، أبو مُجَدِّد أحمد الكوفي(ت314هـ): كتاب الفتوح، تحق: علي شيري، دار الأضواء،
بيروت 1991م
- 14-الأفطسي، أمين الدولة مُجَدِّد بن مُجَدِّد بن هبة الله العلوي (ت بعد 515هـ): المجموع الليف، دار
الغرب الإسلامي، بيروت 2005م.
- ب-
- البخاري، مُجَدِّد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت256هـ):
15-التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، الهند، دت.
- 16-صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)،
تحق: مُجَدِّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2002م.
- 17-البيزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد (ت 292هـ): مسند البيزار المنشور
باسم البحر الزخار، تحق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة
2009م.
- 18-بطلال، مُجَدِّد بن أحمد بن مُجَدِّد بن سليمان بن بطلال الركي (ت 633هـ): التَّظْمُ المُسْتَعْدَبُ فِي
تفسير غريب ألفاظ المهذب، تحق: مصطفى عبد الحفيظ سالم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة،
ج. ط 1988، ج.2. ط 1991 م
- 19-البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحق:
عبد السلام مُجَدِّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997 م.
- 20-البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن مُجَدِّد بن عبد الله (ت 429هـ): الفرق بين الفرق وبيان
الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1977م.
- 21-البغوي، أبو القاسم عبد الله بن مُجَدِّد بن عبد العزيز (ت 317هـ): معجم الصحابة، تحق: مُجَدِّد
الأمين بن مُجَدِّد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، 2000 م.
- 22-البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن مُجَدِّد الأندلسي (ت 487هـ): معجم ما استعجم
من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت 1983م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ):

- 23- جمل من أنساب الأشراف، تحق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت 1996م
24- فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م.

-ت-

- 25- التبريزي، أبو الحخير بدل بن أبي المعمر بن إسماعيل (ت 636هـ): النصيحة للراعي والرعية ،
تحق: أبو الزهراء عبيد الله الأثري، دار الصحابة للتراث، مصر 1991م.
26- التنوخي، زين الدين المنجى بن عثمان بن أسعد ابن المنجى الحنبلي (ت 695 هـ): الممتع في
شرح المقنع، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسد، مكة المكرمة 2003 م.
27- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ت 728هـ): منهاج السنة النبوية في
نقض كلام الشيعة القدرية، تحق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،
1986م

-ث-

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ):
28- الإعجاز والإيجاز، مكتبة القرآن، القاهرة، دت.
29- خاص الخاص، تحق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966م.

-ج-

- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ):
30- البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2003م.
31- البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل، بيروت 1990م.
32- التاج في أخلاق الملوك، تحق: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة 1914.
33- رسائل الجاحظ، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964 م.
34- الرسائل السياسية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1987م.
35- ابن جماعة، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني (ت 733هـ): تحرير الأحكام في
تدبير أهل الإسلام، تحق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الثقافة، قطر 1988م.
36- الجهشيار، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت 331هـ): الوزراء والكتاب، تحق: مصطفى السقا،
إبراهيم اليباري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر 1938م.

-ح-

- ابن حبان، مُجَّد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت 354هـ):
 37-الثقات، دائرة المعارف العثمانية، الهند 1973م.
 38-المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب 1976م.
 39-مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 1991م.
 40-روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تح: مُجَّد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1977م.
 41-ابن حبيب، مُجَّد بن أمية بن عمرو (ت 245هـ): المحبر، تحقق: إيلزة ليختن شتيتز، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دت.
 42-ابن حبيش، مُجَّد بن منصور ابن الحداد (ت بعد 673هـ): الجواهر النفيس في سياسة الرئيس، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، 1996م.
 - بن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُجَّد بن أحمد العسقلاني (ت 852هـ):
 43-تقريب التهذيب، تحقق: مُجَّد عوامة، دار الرشيد، سوريا 1986م.
 44-الإصابة في تمييز الصحابة، تحقق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي مُجَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت 1995م.
 45-تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند 1326هـ.
 46-رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقق: علي مُجَّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.
 47-فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1959م.
 48-لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1971م.
 49-المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، 1998م.
 50-ابن أبي حاتم، أبو مُجَّد عبد الرحمن بن مُجَّد (ت 327هـ): الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1952م.
 51-ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت 656هـ): شرح نهج البلاغة، تحقق: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1959م.
 52-ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت 1983م.

- 53- ابن حمدون، مُجَّد بن الحسن بهاء الدين البغدادي (ت 562هـ): التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت 1997م.
- 54- الحَمِيرِي، أبو عبد الله مُجَّد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت 1980م.
- 55- الحَمِيرِي، نشوان بن سعيد اليميني (ت 573هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحق: حسين بن عبد الله العمري ، مطهر بن علي الإرياني، يوسف مُجَّد عبد الله، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق 1999 م
- ياقوت بن عبد الله الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله شهاب الدين (ت 626هـ):
- 56- معجم الأدياء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993م.
- 57- معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1995م.
- 58- أبو حيان التوحيدى، علي بن مُجَّد بن العباس (ت نحو 400هـ): البصائر والذخائر، تحق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت 1988م.
- خ-
- 59- الخرائطي، أبو بكر مُجَّد بن جعفر بن مُجَّد (ت 327هـ): اعتلال القلوب للخرائطي، تحق: حمدي الدمرداش، مطبعة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة 2000م.
- 60- الخزاعي، أبو الحسن علي بن مُجَّد التلمساني (ت 789هـ): تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م
- 61- الخشني القروي (ت 661هـ): قضاة قرطبة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1989م.
- 62- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ): تاريخ بغداد، تحق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 63- الحَلَّال، أبو بكر أحمد بن مُجَّد الحنبلي (ت 311هـ): أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، تحق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

- 64- ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُجَّد بن مُجَّد، أبو زيد (ت 808هـ): تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 1988 م.
- 65- خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري أبو عمرو (ت 240هـ):
- 66- تاريخ خليفة بن خياط، تحق: أكرم ضياء العمري، دار القلم و مؤسسة الرسالة ، دمشق ، بيروت 1977 م.
- 67- طبقات خليفة بن خياط، تحق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1993 م.
- د-
- 68- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد (ت 385هـ): المؤتلف والمختلف، تحق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986 م.
- 69- ابن الدجاجي، سعد الله بن نصر بن سعيد الحنبلي (ت 564هـ): سفت الملح وزوح الترح، تحق: خالد أحمد الملا سويدي، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2009 م.
- ابن دريد، أبو بكر مُجَّد بن الحسن الأزدي (ت 321هـ):
- 70- الاشتقاق، تحق: عبد السلام مُجَّد هارون، دار الجيل، بيروت 1991 م.
- 71- تعليق من أمالي ابن دريد، تحق: السيد مصطفى السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1984 م.
- 72- جمهرة اللغة، تحق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت 1987 م.
- 73- المجتني، دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1962 م.
- 74- الفوائد والأخبار، تحق: إبراهيم صالح، مؤسسة الرسالة ، ط2، 1986 م.
- 75- ابن أبي الدم، إبراهيم بن عبد الله الهمداني (ت 642هـ): كتاب آداب القضاء، تحق: محي هلال السرحان، وزارة الأوقاف، العراق 1984 م.
- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن مُجَّد بن عبيد (ت 281هـ):
- 76- حلم معاوية، تحق: إبراهيم صالح، دار البشائر 2003 م.
- 77- ذم الملاهي، تحق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، مكتبة العلم، السعودية 1996 م.

78-الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبيك (ت بعد 736هـ): كنز الدرر وجامع الغرر، تحق: بيرند راتكه وآخرون، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1960-1994م

79-الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (ت 310هـ): الكنى والأسماء، تحق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت 2000م.

80-الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان المالكي (ت 333هـ): المجالسة وجواهر العلم، تحق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1999م.

81-الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ): الأخبار الطوال، تحق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط1، 1960 م.

-ذ-

-الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ):

83-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1993 م.

84- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

85-سير أعلام النبلاء، تحق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م.

86-العبر في خبر من غير، تحق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوي زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

-ر-

87-الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 666هـ): مختار الصحاح، تحق: يوسف

الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت 1999م.

88-الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت 2000م.

89-ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت نحو 300هـ): الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1892م.

89-ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت 520هـ): البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م.

90- ابن الرفعة، نجم الدين الأنصاري أبو العباس (ت710هـ): كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحق: مُجَّد أحمد إسماعيل الخاروف، منشورات جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1980م.

-ز-

91- الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي (ت 256هـ): الأخبار الموفقيات، تحق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت 1996م.

92- الزمخشري، جار الله (ت 583 هـ): ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1992م.

93- ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة (ت 251هـ): الأموال، تحق: شاعر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية 1986 م.

94- ابن أبي زيد القيرواني، أبو مُجَّد عبد الله عبد الرحمن النفري (ت 386هـ): النوادر والزوائد على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحق: عبد الفتاح مُجَّد الحلو وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999 م.

-س-

95- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي (ت 654 هـ): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحق: مُجَّد بركات، وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق 2013 م.

- ابن سعد، أبو عبد الله مُجَّد بن سعد بن منيع (ت 230هـ):

96- الجزء المتمم لطبقات ابن سعد (الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ﷺ. وهم أحداث الأسنان)، تحق: مُجَّد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف 1993م.

97- الطبقات الكبرى، تحق: مُجَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1990 م.

- الطبقات الكبرى، تحق: علي مُجَّد عمر، طبع: مكتبة الخانجي القاهرة 1421 هـ - 2001 م

98- السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني (ت 911هـ): خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، تحق: مُجَّد الأمين مُجَّد محمود أحمد الجكني، 1998م.

99- السنيكي، زكريا بن مُجَّد بن زكريا الأنصاري (ت 926هـ): أسنى المطالب في شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، دت.

- 100- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت 458هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت 2000 م.
 -السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ):
 101- الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2004 م.
 102- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت 1998 م.

-ش-

- 103- الشرييني، شمس الدين مُجَّد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت 977هـ): مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت 1994 م.
 104- ابن شمائل، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت 1992 م.
 105- الشهرستاني، أبو الفتح مُجَّد بن عبد الكريم (ت 548هـ) : الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، 1975 م.
 106- الشوكاني، مُجَّد بن علي بن مُجَّد بن عبد الله اليميني (ت 1250هـ): نيل الأوطار، تحق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر 1993 م.
 106- الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت 476هـ): طبقات الفقهاء، تحق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت 1970 م.
 107- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت نحو 590هـ): المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحق: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، 1987 م.
 108- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن مُجَّد بن إبراهيم (ت 235هـ): الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض 1989 م.

-ص-

- 109- الصغاني، الحسن بن مُجَّد بن الحسن (ت 650 هـ): التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحق: عبد العليم الطحاوي وآخرون، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1970 م.
 -الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ):
 110- الشعور بالعمور، تحق: الدكتور عبد الرزاق حسين، دار عمار، الأردن، ط1، 1988 م.

111- نكت الهميان في نكت العميان، تحق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 2007 م.

112- الوافي بالوفيات، تحق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.

113- الصولي، أبو بكر مُجَّد بن يحيى (ت 335هـ): أدب الكتاب، تحق: مُجَّد بمحة الأثري، المطبعة السلفية، مصر، المكتبة العربية، بغداد، 1341هـ.

-ط-

-الطبري، أبو جعفر مُجَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت 310هـ):

114- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، دار التراث، بيروت 1967م.

115- جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد مُجَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت 2000 م

116- الطرطوشي، أبو بكر مُجَّد بن مُجَّد ابن الوليد الفهري (ت 520هـ): سراج الملوك، مصر، 1872م.

117- ابن الطقطقي، مُجَّد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول

الإسلامية، تحق: عبد القادر مُجَّد مايو، دار القلم العربي، بيروت 1997م.

118- الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصري (ت 204هـ): مسند أبي داود

الطيالسي، تحق: مُجَّد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر 1999م.

-ع-

119- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو (ت 287هـ): الآحاد والمثاني، تحق: باسم فيصل

أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض 1991م.

-ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت 463هـ):

120- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحق: علي مُجَّد البجاوي، دار الجيل، بيروت 1992م.

121- بمجة المجالس وانس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، تحق: مُجَّد مرسي الخولي، دار الكتب

العلمية، بيروت، 2008م.

122- جامع بيان العلم وفضله، تحق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية

السعودية 1994م.

123- العبدري، مُجَّد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف الغرناطي المالكي (ت 897هـ): التاج

والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

- 124- ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون بن توما الملقبي، أبو الفرج (ت 685هـ): تاريخ مختصر الدول، تحق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت 1992 م.
- 134- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت 660هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحق: سهيل زكار، دار الفكر، 1988م.
- 125- ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله بن أعين بن ليث بن رافع (ت 214هـ): سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت 1984م.
- 126- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ): فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، 1995م.
- 127- ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (ت 328هـ): العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت 1404هـ.
- 128- عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافي القزويني (ت 623هـ): التدوين في أخبار قزوين، تحق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م
- أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224هـ):
- 129- السلاح، تحق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع 1985م.
- 130- كتاب الأموال، تحق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت 1395هـ-1975م
- 131- أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت 209هـ): شرح نقائض جرير والفرزدق، تحق: محمد إبراهيم حور، وليد محمود خالص، الجمع الثقافي أبو ظبي الإمارات 1998م.
- 132- ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني (ت 365هـ): الكامل في ضعفاء الرجال، تحق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.
- 133- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو 695هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت 1983م.
- 134- أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي (ت 333هـ): المحن، تحق: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض 1404هـ- 1984م.
- 135- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ): تاريخ دمشق، تحق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1995 م.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت نحو 395هـ):
 136-الأوائل، دار البشير، مصر 1988م.
- 137-التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقق: عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر
 دمشق 1996 م.
- 138-العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت 1111هـ): سمط النجوم العوالي
 في أبناء الأوائل والتوالي، تحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية،
 بيروت 1998م.
- 139-ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من
 ذهب، تحقق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق 1986 م.
- 140-العيون والحدائق في أخبار الحقائق، لمجهول، تحقق: م.ج. دوجويج و ب.دوجونغ، مطبعة
 بريل، 1869م
- 141-عياض أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي(ت 544هـ): مشارق
 الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة 1979م.
- غ-
- 142-الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت 505هـ): التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقق:
 أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1988 م.
- ف-
- 143- ابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت 395هـ): معجم مقاييس اللغة،
 تحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
- 144-أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت 732هـ): المختصر في أخبار البشر،
 المطبعة الحسينية المصرية، مصر 1907م.
- 145-الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت 170هـ): العين، تحقق: مهدي
 المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دت.
- 146-الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان (ت 277هـ): المعرفة والتاريخ، تحقق: أكرم ضياء العمري،
 مؤسسة الرسالة، بيروت 1981 م.

- 147- ابن الفراء، عبّيد الله بن علي بن مُجّد بن مُجّد بن الحسين (ت 580هـ): تجريد الأسماء والكنى المذكورة في كتاب المتفق والمفترق للخطيب البغدادي، تحق: شادي بن مُجّد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن 2011 م.
- 148- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن مُجّد (ت 799هـ): تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر 1986 م.
- 149- ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن مُجّد (ت 365هـ): البلدان، تحق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت 1996 م.
- 150- ابن فندمه، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد البيهقي (ت 565هـ): تاريخ بيهق، دار أقرأ، دمشق 2005 م.
- 151- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر مُجّد بن يعقوب (ت 817هـ): القاموس المحيط، بإشراف: مُجّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2005 م.
- ق-
- 152- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيدون (ت 356هـ): الأمالي، اعتنى به ورتبه: مُجّد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية 1343هـ - 1926 م.
- ابن قتيبة، أبو مُجّد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ):
- 153- الإمامة والسياسة، المنسوب إليه، طبع: موفم للنشر، الجزائر، 1989 م.
- 154- الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 2003 م.
- 155- عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998 م.
- 156- غريب الحديث، تحق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد 1977 م.
- 157- المعارف، تحق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992 م.
- 158- ابن قدامة، أبو مُجّد موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي (ت 620هـ): المغني، مكتبة القاهرة، مصر، 1968 م.
- 159- القضاء، أبو عبد الله مُجّد بن سلامة بن جعفر بن علي (ت 454هـ): مسند الشهاب، تحق: حمدي بن عبد المجيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986 م.
- 160- القلعي، أبو عبد الله مُجّد بن علي بن الحسن الشافعي (ت 630هـ): تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، مكتبة المنار، الأردن، 1985 م.

- 161- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت 821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م.
- 162- ابن قيم الجوزية، : مُجَدِّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت 751هـ): أحكام أهل الذمة، تحق: يوسف بن أحمد البكري، شاعر بن توفيق العاروري، رمادي للنشر، الدمام 1997م.

-ك-

- 163- الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد، الحنفي (ت 587هـ): بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت 1986م.
- 164- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ): البداية والنهاية، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان 1997 م. وطبعة دار المعارف بيروت. 1401هـ 1981م
- 165- الكجراتي، جمال الدين مُجَدِّد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتِّي (ت 986هـ): مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، 1967م.
- الكندي، أبو عمر مُجَدِّد بن يوسف بن يعقوب المصري (ت بعد 355هـ):
- 166- فضائل مصر المحروسة، مكتبة الخانجي، مصر، 2009م.
- 167- كتاب الولاية وكتاب القضاة، تحق: مُجَدِّد حسن مُجَدِّد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، بيروت 2003 م.

-م-

- 168- ابن ماكولا، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت 475هـ): الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت 1990م.
- 169- الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي (ت 179هـ): الموطأ، تحق: بشار عواد معروف ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م.

- 170- المالكي، أبو بكر عبد الله بن مُجَدِّد (ت بعد 460هـ): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونسآكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1994م.
- الموردي، أبو الحسن علي بن مُجَدِّد (ت 450هـ):
- 171- الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، 2006م.
- 172- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تحق: محي هلال السرحان، حسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
- المبرد أبو العباس مُجَدِّد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي (ت 285هـ):
- 173- التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، تحق: إبراهيم مُجَدِّد حسن الجمل، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دت.
- 174- الكامل في اللغة والأدب، تحق: مُجَدِّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة 1997م.
- 175- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت 975هـ): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة 1981م.
- 176- أبو المحاسن ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله الظاهري (ت 874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، 1963م.
- 177- أبو المحاسن، يوسف بن أحمد بن محمود اليعموري (ت 673هـ): كتاب نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء للمرزباني، تحق: رودلف زهايم، فرانتر شنايتر، فيسبادن 1964م.
- 178- ابن مزار، أبو عمرو إسحاق الشيباني بالولاء (ت 206هـ): الجيم، تحق: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974م
- 179- مُجَدِّد بن مُجَدِّد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين (ت 786هـ): العناية شرح الهداية، دار الفكر، بيروت، دت.
- 180- محمود الوراق (ت نحو 225هـ): ديوان محمود الوراق، شاعر الحكمة والموعظة، تحق: وليد قصاب، مؤسسة الفنون، عجمان 1991.
- 181- مرتضى الزبيدي، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزاق الحسيني (ت 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 1984م.

- 182- المرزباني، أبو عبيد الله مُجَّد بن عمران (ت 384 هـ): معجم الشعراء، تحق: ف . كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت 1982 م.
- 183- المزني، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (المتوفى: 742هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت 1980م.
- 183- ابن مَنَدَه، أبو عبد الله مُجَّد بن إسحاق بن مُجَّد بن يحيى (ت 395هـ): فتح الباب في الكنى والألقاب، تحق: أبو قتيبة نظر مُجَّد الفاريابي، مكتبة الكوثر، السعودية 1996م
- ابن منظور، مُجَّد بن مكرم بن علي أبو الفضل الإفريقي (ت 711هـ):
- 184- لسان العرب، دار صادر، بيروت 1994م.
- 185- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، مُجَّد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق 1984م.
- 186- ابن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي (ت 584هـ): لباب الآداب، تحق: أحمد مُجَّد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة 1987 م.
- 187- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ):
- 188- التنبيه والإشراف، تحق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، دت.
- 189- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحق: أسعد داغر، دار الهجرة، قم، 1989م.
- 190- مسكويه، أبو علي أحمد بن مُجَّد بن يعقوب (ت 421هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران 2000 م.
- 192- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحق: مُجَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1991م.
- 193- المعاني، أبو الفرج بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني (ت 390هـ): المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت 2005 م.
- 194- المقري، شهاب الدين أحمد بن مُجَّد التلمساني (ت 1041هـ): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ):

- 195-المقفى الكبير، تحق: مُجَّد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006 م.
 196-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م.
 197-النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، مكتبة الأهرام، مصر، دت.
 198-المنأوي، زين الدين مُجَّد المدعو بعد الرؤوف (ت 1031هـ): فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1936م.
 199-ابن الموصلبي، مُجَّد بن مُجَّد بن عبد الكريم (ت 774هـ): حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، تحق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض، 1416هـ، 1996م.

-ن-

- 200-الأنبأري، مُجَّد بن القاسم بن مُجَّد بن بشار، أبو بكر (ت 328هـ): الزاهر في معاني كلمات الناس، تحق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت 1992م.
 201-النبأهي، أبو الحسن علي بن عبد الله الأندلسي (ت نحو 792هـ): تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1983م.
 202-النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت 450هـ): رجال النجاشي، شركة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت 2010م.
 203-ابن النديم، أبو الفرج مُجَّد بن إسحاق بن مُجَّد الوراق (ت 438هـ): الفهرست، تحق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت 1997 م.
 204-النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ): تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
 205-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة 2003م.

-ه-

- 206-الهجراني، أبو مُجَّد الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت 947 هـ): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحق: بوجعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج، جدة، 2008 م.
 207-الهرروي أبو منصور مُجَّد بن أحمد بن الأزهري (ت 370هـ): تهذيب اللغة، تحق: مُجَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2001م.

-و-

208- ابن الوردى، عمر بن مظفر بن عمر بن مُجَدِّد (ت 749هـ): تاريخ ابن الوردى، دار الكتب العلمية، لبنان 1996م.

209- الوطواط، أبو إسحق برهان الدين مُجَدِّد بن إبراهيم (ت 718هـ): غرر الخصائص الواضحة، وعبر النقائص الفاضحة، تحق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 2008م.

210- وكيع، أبو بكر مُجَدِّد بن خَلَفِ (ت 306هـ): أخبار القضاة، تحق: عبد العزيز مصطفى المراغى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1947م.

-ي-

211- اليافعى، أبو مُجَدِّد عفيف لدين عبد الله بن أسعد (ت 768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.

-اليعقوبى، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد 292هـ):

212- البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م.

213- تاريخ اليعقوبى، تحق: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 2010م.

214- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد (ت 182هـ): الخراج، تحق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن مُجَدِّد، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر. د.ت

215- ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد الصديقي (ت 347هـ): تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين)، دار الكتب العلمية، بيروت 2001م.

ب- المراجع العربية:

-أ-

- 1- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ت.
- 2- احمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت.
- 3- أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- 4- احمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- 5- أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت 2008م.
- 6- أحمد مفتاح: مفتاح الأفكار في النثر المختار، مطبعة جريدة الإسلام، مصر، 1314هـ.

- 7- إحسان صدقي العمء: الحجاج بن يوسف حياؤه وآراءه السياسية، ءار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت 1973م.
- 8- إءريس سليمان مءء: نظام الحجابة في الءول العربية الإسلامية، ءراسة مقارنة (41-447هـ)، ءار زهوان، الأردن 2014م.
- 9- أزهار هاءي فاضل: سياسة تعيين ولاء العراق، المكءب العربي للمعارف، ءء.
- 10- أكرم بن مءء زيادة الفالوجي الأءري: المعجم الصغير لرواء الإمام ابن جرير الطبري، الءار الأءرية، الأردن، ءار ابن عفان، القاهرة، ءء.

-ب-

- 11- بئينة بن حسين: الءولة الأموية ومقوماءها الإيءيولوجية والاجءماعية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. ءء.

-ج-

- 12- جاسر بن خليل أبوصفية: برءيات قرة، ءراسة وءءقيق، مركز الملك فيصل للبعوء والءراساء الإسلامية، الرياض، 2004م.

-ح-

- حسين عطاءن:
- 13- الأمويون والءلافة، ءار الجيل، بيروت، 1986م.
- 14- نظام ولاءة العهد ووراءة الءلافة في العصر الأموي، ءار الجيل، بيروت، ط1، 1991م
- 15- حسين مؤنس: فجر الأءءلس، ءار رشاء، القاهرة 2008م.
- 16- حمء مءء العرينان: إباءة المءينة وءريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية بين المصادر القءيمة والءءيئة، مكءبة ابن ءيمية، الكويت 1988م.
- 17- حمءي عبد المنعم: ءيوان المظالم، نشأؤه وءطوره واءءصاصائه، ءار الشروق، بيروت، 1983م.

-خ-

- 18- خليل ابراهيم وآءرون: ءاريخ العرب وءضارءهم في الأءءلس، ءار الكءاب الجءيء المءءءة، بيروت، 2000م.

-ر-

19- رشيد عبد الله الجميلي: تاريخ الدولة العربية الإسلامية، مكتبة المعارف، الرياض 1983.

-ز-

20- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 2002 م.

21- زريف مرزوق المعايطه: نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام، مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات العربية المتحدة 2000م.

-س-

22- سالم بن عبد الله الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2003م.

23- سامي حسن نجم عبد الله: الإدارة المحلية وتطبيقاتها في العراق والدول المقارنة، المركز القومي للاصدارات القانونية، مصر 2014م.

24- سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق 1988 م.

25- سلامة مُجَّد الهرفي البلوي: القضاء في الدولة الإسلامية، تاريخه ونظمه، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1994م.

26- سهام عبد الوهاب الفريح: الوصايا في الأدب العربي القديم، مكتبة المعلا، الكويت، 1988م.

27- سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت 2010م.

28- سهيل قاشا: تاريخ نصارى العراق، دار الرافدين، بيروت 2014م.

-سيدة اسماعيل كاشف:

29- عبد العزيز بن مروان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005م.

30- الوليد بن عبد الملك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005م.

31- شاعر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت 1983.

-صالح أحمد العلي:

32- الحجاز في صدر الإسلام، دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1990م.

33- الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1990م.

34- صالح مُجَّد الرواضية: زياد بن أبيه ودوره في الحياة العامة في صدر الاسلام، جامعة مؤتة، الأردن 1994م.

- 35- صلاح الدين الهادي: الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة الخانجي، القاهرة 1987م.
- 36- عبد الحي الكتاني: التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة ، تحق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط2، دت.
- 37- عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، دار ابن حزم ، لبنان 1999م.
- 38- عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد البرقوقي: الذخائر والعبقريات، معجم ثقافي جامع، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دت.
- 39- عبد الشافي مُجَّد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، دراسة سياسية، دار السلام، القاهرة 2008.
- عبد العزيز الدوري:
- 40- أوراق في التاريخ و الحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2007م.
- 41- نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات القومية العربية، بيروت، ط1، 2005م.
- 42- عبد المجيد مُجَّد صالح الكبيسي: عصر هشام بن عبد الملك، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، 1975.
- عبد الواحد ذنون طه:
- 43- العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2005م.
- 44- دراسات في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، دار المدار الإسلامي للتوزيع، بيروت، 2004م.
- علي مُجَّد الصلابي:
- 45- الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، مؤسسة اقرأ، مصر 2005م.
- 46- معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره، دار الاندلس الجديدة للنشر، مصر 2008م.
- 47- عمار العشي: تاريخ بلاد الشام في القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2009م.
- 48- عمر سليمان العقيلي: يزيد بن معاوية حياته وعصره، الرياض، 1988م.
- 49- عمر فاروق فوزي: الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي 41-334هـ، مجدلاوي، الأردن 2005م.

- 50- غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، الممارسات والنظرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1997م.
- 51- فالخ حسين: محاسبة العمال والموظفين، دراسة في إدارة الدولة في صدر الإسلام والعصر الأموي، جداول للنشر والتوزيع، لبنان 2011م.
- 52- فريال بنت عبد الله بن محمود الهديب: صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية، دراسة نقدية، دار آجا 1995م.
- 53- فنون النثر العربي القديم، مقرر جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2007م.
- 54- محمد ابراهيم الاصبيعي: الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، دت.
- 55- محمد الزحيلي: تاريخ القضاء في الإسلام، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع مصر 1995م.
- 56- محمد الشيخ جعفر: الوصية وأحكامها في الفقه الإسلامي، دار التراث الإسلامي، بيروت، دت.
- 57- محمد بن عبد الهادي بن رزان الشيباني: مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية (60-64هـ)، دار طيبة، السعودية، ط2، 2009.
- 58- محمد جاسم الحديثي: وصايا الخلفاء والامراء السياسية والإدارية في العصر العباسي الأول، دراسة تحليلية، منشورات المجمع العلمي، بغداد، 2002م.
- 59- محمد رجب النجار: النثر العربي القديم من الشفاهية إلى كتابية، فنونه، مدارسه، أعلامه، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط2، 2002.
- 60- محمد زينهم محمد عزب: الإدارة المركزية للدولة الأموية، دار الفرجاني، القاهرة، دت.
- 61- محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار التراث، القاهرة 1985م.
- 62- محمد عبد الوهاب خلف: تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري، المؤسسة العربية الحديثة 1992م.
- 63- محمد عسب دسوقي: القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م.
- 64- محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، مصر 1993م.
- 65- محمد محمد حسن شراب: المدينة المنورة في العصر أموي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1984م.
- 66- محمد نايف الديلمي: جمهرة وصايا العرب، دار النضال، بيروت 1991م.

- 67- مُجَّد يونس عبد العال: في النثر العربي، قضايا وفنون ونصوص، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، دت.
- مُجَّد كرد علي :
- 68- رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، 1913م.
- 69- الإسلام والحضارة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة 1968م.
- 70- محمود زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السلام، مصر 1995م.
- 71- مسعود أحمد مصطفى: أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الادارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.
- 72- مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتب اللبناني، بيروت 1987م.
- 73- نبيه عاقل: تاريخ خلافة بني أمية، دار الفكر، بيروت 1975م.
- 74- نجدة خمّاش: الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق 1980م.
- 75- نصر فريد مُجَّد واصل: السلطة القضائية ونظام القضاء في الاسلام، المكتبة التوفيقية، مصر 1983م.
- 76- نظير حسان سعداوي: نظام البريد في الدولة الإسلامية، دار مصير للطباعة، مصر، 1953م.
- 77- يوسف العث: الدولة الأموية والاحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق 1985م.

ج-الدوريات

- 1- عبد الستار إسماعيل عبد الرحمن الطائي: وصايا الخلفاء في العصر الأموي، دراسة في المنظور السياسي والعسكري، مجلة التربية والعلم، (ص132-146)، مج: 18، عدد: 2، العراق، 2011م.
- 2- علي مُجَّد التمر: الوصايا في عصر صدر الإسلام، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج 20، ع1، العراق، 2012م.
- 3- فواز علي بن جنيدب الدهاس: الدور القيادي لمكة المكرمة خلال العصر الأموي 40-132هـ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، (ص240-330)، ج19، عدد: 41، 2008م.
- 4- محمود علي مكي: رواد الثقافة الدينية الأولى في الأندلس، مجلة البينة، (ص67-70)، العدد6، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1962م.

د- الرسائل الجامعية

- 1- حذيفة عبد الله عزام: الوصايا في الأدب الأندلسي، رسالة ماجستير في اللغة وآدابها، اشراف الدكتور صلاح جرار، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، جوان 2007م.
- 2- حسن حسين عبد الله عياش: الولاة والعمال في الجهاز الإداري في صدر الإسلام منذ فترة الرسول ﷺ وحتى نهاية الدولة الاموية (1- 132هـ)، رسالة ماجستير، اشراف: عدنان مُجّد ملحم، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2002م.
- 3- رحمون عبد القادر: السياسة المالية للدولة الأموية وأثرها على سقوطها، 105-132هـ، رسالة ماجستير، اشراف: إبراهيم بكير بحاز، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2011م.
- 4- سهام حمدان مُجّد دبابرة: التظلم في المجال السياسي الاسلامي، رسالة ماجستير في الفقه والتشريع، اشراف: جمال احمد زيد الكيلاني، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، 2010م.
- 5- سهيل أحمد أبو لبدة: تطور جهاز الشرطة في صدر الإسلام والعهد الأموي، رسالة ماجستير، اشراف: رياض مصطفى شاهين، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011م.
- 6- مُجّد فرقاني: رسائل عمر بن عبد العزيز جمعاً ودراسة وتحقيقا، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف: غازي مهدي جاسم الشمري، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2003م.
- 7- مراد لكحل: كُتاب الخلفاء الأمويين، دراسة في المهام والوظائف، رسالة ماجستير، اشراف: الدكتور مُجّد فرقاني، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2010/2009م.

ه- المراجع المعربة

- 1- أدولف جروهمان: أوراق البردي العربية، دار الكتب المصرية، مصر، ط1، 1955م.
- 2- آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، تر: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، دت.

و- المراجع الأجنبية

- 1- R.Dozy: Recherches sur L'histoire et la Literature de L'Espagne pendant le Moyen Age, Brill, 3^{eme} Edition, 1882.

الفهارس

❖ فهرس عام لعناوين الرسائل الواردة في البحث

❖ فهرس الأعلام

❖ فهرس البلدان والمواقع

❖ فهرس الموضوعات

فهرس عام لعناوين الرسائل الواردة في البحث

الفصل الأول

رقم الوصية	عنوان الوصية والموصي والموصى له
1	وصية معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بالأشراف
أ1	رواية أخرى لما سبق
2	وصية معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد ببلال بن أبي بردة خيرا
3	وصية معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بإكرام ابن صهيب الرومي
4	وصية معاوية لابنه يزيد بالحلم الذي يدفع به مضلات الأمور
5	وصية معاوية لابنه يزيد في الغرض السابق
6	وصية معاوية لابنه يزيد ببسط الخير
7	وصية معاوية لابنه يزيد في كيفية التعامل مع قادة الرأي الثلاثة في المدينة وكيف تكون سياسته مع أهل العراق والشام
أ7	وصية أخرى لمعاوية لابنه يزيد في الغرض السابق
ب7	رواية أخرى
ج7	رواية أخرى
د7	رواية أخرى
ه7	رواية أخرى
و7	رواية أخرى
ز7	رواية أخرى
ح7	رواية أخرى
8	وصية معاوية لبني أمية في الحلم
9	وصية معاوية بن يزيد فيمن يصلي عليه وبالناس حتى يختاروا خليفة عليهم
10	وصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز بما ينبغي فعله مع رؤساء القبائل
11	وصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز في كيفية سياسته لرعيته
12	وصية أخرى له لابنه عبد العزيز في الحفاظ على الصلوات، والإيفاء بما يعد

	ومشاوره ذوي الرأي
13	وصية عبد الملك لأبنائه في خاصة أنفسهم وعلاقتهم ببعضهم ومع الحجاج وبقيه الرعية
13أ	رواية أخرى لما سبق
13ب	رواية أخرى لما سبق
13ج	رواية أخرى
13د	رواية أخرى لما سبق
13هـ	رواية أخرى
13و	رواية أخرى
14	وصية سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز بولاية العهد
14أ	رواية أخرى لما سبق
15	وصية الخليفة عمر بن عبد العزيز ليزيد بالأمة خيرا
15أ	رواية أخرى لما سبق
15ب	رواية أخرى لما سبق
15ج	وصية أخرى له إلى يزيد في هذا الشأن
15د	رواية أخرى لما سبق
15هـ	رواية أخرى لما سبق
15و	رواية أخرى لوصيته
16	وصية مروان بن محمد لابنه عبد الله لما أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي
16	مجموع الوصايا الأساسية
22	مجموع الوصايا المكررة

الفصل الثاني

رقم الوصية	عنوان الوصية والموصي والموصى له
17	رد معاوية على عمرو بن العاص لما عاتبه على التأني
17أ	رواية أخرى لما سبق
18	رد معاوية على زياد بن أبيه يبين له كيف تكون سياسته مع الرعية
18أ	رواية أخرى
18ب	رواية أخرى
18ج	رواية أخرى لما سبق
18د	رواية أخرى
19	وصية معاوية لزياد في كيفية تعامله مع القبائل
19أ	رواية أخرى لما سبق
20	وصية معاوية لعبيد الله بن زياد كيف تكون سياسته مع الناس
20أ	رواية أخرى لما سبق
21	وصية معاوية بن أبي سفيان لعبيد الله بن زياد بعدم قتل يزيد بن مفرغ
22	وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة باستباحة المدينة ثلاثا
22أ	رواية أخرى
22ب	رواية أخرى
22ج	رواية أخرى
22د	رواية أخرى لما سبق
23	وصية عبد الملك للحجاج بالشدة على أهل العراق
23أ	رواية أخرى لما سبق
24	وصية عبد الملك بن مروان للحجاج في الغرض السابق
25	وصية عبد الملك للحجاج بعد أن أسرف في قتل من خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
26	وصية سليمان بن عبد الملك لمحمد بن يزيد بتحقيق العدل في ولايته
27	وصية عمر بن عبد العزيز لبعض عماله يحثهم على تحقيق أكبر قدر من العدل

وصية عمر بن عبد العزيز لعدي لن أرطاة بالابتعاد عن ظلم الرعية	28
رواية أخرى لما سبق	28أ
رواية أخرى لما سبق	28ب
رواية أخرى لما سبق	28ج
رواية أخرى وهي مرسله إلى عدي	28د
رواية أخرى ولكنها مرسله إلى الجراح، أو غيره	28هـ
وصية عمر بن عبد العزيز لأمرء الأجناد بتحري الحق عند العقوبة ويرشدهم إلى كيفية سياستهم لبطانتهم ورعيتهم	29
وصية عمر بن عبد العزيز للجراح بن عبد الله ينهاه عن التسرع في العقوبات	30
وصية أخرى منه لأحد عماله في العرض السابق	31
وصية أخرى منه لأمرء الأجناد في العقوبة وتحسين أحوال السجناء	32
وصية أخرى منه لعدي والي البصرة في نفس الشأن	33
وصية عمر بن عبد العزيز لعماله يوصيهم بالرعية خيرا	34
وصية أخرى منه لأحد عماله يرشده إلى كيفية معاملة رعيته	35
وصية أخرى منه لأمير الجزيرة في الغرض السابق	36
وصية أخرى منه لعبد الحميد في الغرض السابق	37
وصية أخرى منه لصاحب حرسه في الضعفاء من الرعية	38
وصية عمر بن عبد العزيز للضحاك بن عبد الرحمن يحثه على محاربة العصبية القبلية	39
	22
مجموع الوصايا الأساسية	
	17
مجموع الوصايا المكررة	

الفصل الثالث

رقم الوصية	عنوان الوصية والموصي والموصى له
40	وصية المهلب لابنه عبد الملك في عدم التسرع، وموقفه من مطالب الناس

رواية أخرى لما سبق	40أ
وصية المهلب لابنيه بضروب من الخير	41
رواية أخرى لما سبق	41أ
رواية أخرى لما سب	41ب
رواية أخرى	41ج
رواية أخرى	41د
رواية أخرى	41هـ
وصية قرّة بن شريك لبسيل صاحب أشقوة بالعدل في استيفاء ما على أهل الأرض من خراج	42
وصية الحجاج لمطرف بن المغيرة لما عينه على المدائن	43
وصية الحجاج عند موته فيما يفعل بما ترك من سلاح	44
وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد فيما ينبغي أن تكون عليه سيرته في نفسه ومع من ولي عليهم	45
رواية أخرى لما سبق	45أ
وصية خالد بن عبد الله القسري لأبان بن الوليد أن يحسن في سياسته للرعية	46
7	مجموع الوصايا الأساسية
7	مجموع الوصايا المكررة

الفصل الرابع

رقم الوصية	عنوان الوصية والموصي والموصى له
47	وصية معاوية بن أبي سفيان للمغيرة بن شعبة بشتم علي بن أبي طالب - عليه السلام -
48	وصية معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بإكرام عبد الله بن جعفر
49	وصية يزيد لعبيد الله بعزل النعمان بن بشير عن الكوفة
50	رد يزيد على عبيد الله لما أخبره بقتل مسلم، يخبره بخروج الحسين نحوه ويوصيه بالإحترس وقتال من قاتله
50أ	رواية أخرى لما سبق
50ب	رواية أخرى

وصية عبد الملك للحجاج بعدم التعرض لمحمد بن الحنفية	51
رد عبد الملك على الحجاج يوصيه أن يتجنب سفك دماء آل ابي طالب	52
رواية أخرى لما سبق	52أ
رواية أخرى لما سبق	52ب
رواية أخرى لما سبق	52ج
رواية أخرى لما سبق في آل البيت	52د
وصيته لبشر بن حميد لما أرسله إلى أبي بكر بن حزم يأمره أن يوزع المال الذي أرسله إليه على آل البيت	53
رواية أخرى لما سبق	53أ
7	مجموع الوصايا الأساسية
7	مجموع الوصايا المكررة

الفصل الخامس

رقم الوصية	عنوان الوصية والموصي والموصى له
54	وصية يزيد بن معاوية لسلم بن زياد لما ولاه على خراسان
54أ	رواية أخرى
55	وصية عمر بن عبد العزيز لعبد الرحمن بن نعيم يرشده إلى من ينبغي أن يعتمد عليهم في إدارته
56	وصيته إلى عدي بن أرطاة في الغرض السابق
56أ	رواية أخرى لما سبق
57	وصيته إلى عدي بن أرطاة يأمره أن يختار العرفاء من ذوي الأمانة
58	وصية عمر بن عبد العزيز لعماله بأن يستعينوا بأهل القرآن
59	وصية عمر بن عبد العزيز لعماله يأمرهم ألا يستعينوا إلا بأهل الخير في أعمالهم
60	وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة بتجنب استعمال بلال بن أبي بردة في أعماله
61	وصية عمر لعدي ألا يستعين في عمله بكاتبه النصراني
62	كتاب عمر إلى عدي ألا يستعمل في عمله أهل الذمة

وصية عمر بن عبد العزيز لعامل له بأن لا يولي أمور المسلمين أحدا من الذميين	63
وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في الغرض السابق	64
شروط زياد بن أبيه على من يريد الاستعانة به	65
وصية زياد لعماله في الاستعانة بعمال العذر	66
وصية عمر بن هبيرة لمسلم بن سعيد في الغرض في الاستعانة بعمال العذر	67
رواية أخرى لما سبق	أ67
رواية أخرى لما سبق	ب67
وصية قرّة بن شريك لبسيل يوصيه بأن يكون أمينا في عمله	68
وصية الخليفة عمر لرياح بن عبيدة أن يسأل الناس في العراق عن سيرة ولائهم فيهم	69
وصية عمر بن عبد العزيز لمزاحم بمراقبته ووعظه إذا رأى منه خطأ	70
وصية هشام بن عبد الملك ليوسف بن عمر بمحاسبة خالد بن عبد الله القسري وعماله	71
وصية قرّة بن لعامله بمراقبة عماله وتفقدهم	72
مجموع الوصايا الأساسية	19
مجموع الوصايا المكررة	4

الفصل السادس

رقم الوصية	عنوان الوصية والموصي والموصى له
73	وصية معاوية بن أبي سفيان لمسلمة بن مخلد يحدد له من يجب عليه توليته على القضاء
74	وصية عبد الملك للحجاج يبين له صفات من لا يولي على القضاء
75	وصية هشام بن عبد الملك للوليد بن رفاعة بأن يتخير للقضاء على جنده
76	كتاب مروان بن محمد لأهل مصر يبحثهم على البحث عن يسدد القاضي حوثرة بن سهل
77	رد عمر على عدي بن أرطاة يبين فيه مصادر الأحكام الشرعية ويوصيه بأن يحكم بالعدل

رواية أخرى لما سبق	أ77
رواية أخرى	ب77
وصية عقبة بن الحجاج السلولي لمهدي بن مسلم عند توليته القضاء	78
وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلى بما يجب أن تكون عليه حاله عند القضاء	79
وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلى	80
رواية أخرى	أ80
وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في رد المظالم	81
رواية أخرى لما سبق	أ81
9	مجموع الوصايا الأساسية
4	مجموع الوصايا المكررة

الفصل السابع

رقم الوصية	عنوان الوصية والموصي والموصى له
82	وصية معاوية لحاجبه سعد أبو درة بتسهيل الإذن بالدخول
83	وصية مروان لابنه عبد الملك
84	وصية عبد الملك بن مروان لحاجبه في نفس الغرض
أ84	رواية أخرى لما سبق
85	وصية عبد الملك لحاجبه بعدم حجه قبيصة بن ذؤيب
86	وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز في ما يجب أن يتصف به حاجبه وما ينبغي القيام به
أ86	رواية أخرى لما سبق
87	وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز بحسن اختيار حاجبه
88	وصية زياد بن أبيه لابنه بضرورة اتخاذه للحاجب
89	وصية زياد بن أبيه لحاجبه عجلان فيمن يأذن لهم في مقابلته
أ89	رواية أخرى لما سبق
ب89	رواية أخرى لما سبق
90	وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد باستعقال حاجبه

رواية أخرى لما سبق	90أ
رواية أخرى لما سبق	90ب
رواية أخرى لما سبق	90ج
وصية عمر بن هبيرة لبعض عماله بان يحسن اختيار حاجبه وسائر عماله	91
وصية عمر بن عبد العزيز لبعض عماله في الاهتمام بالبريد	92
وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في مواصفات صاحب البريد	93
12	مجموع الوصايا الأساسية
7	مجموع الوصايا المكررة

الفصل الثامن

رقم الوصية	عنوان الوصية والموصي والموصى له
94	رد الخليفة عبد الملك على للحجاج لما استأذنه بمصادرة ما فاض عن حاجة الناس
95	الوصية المزعومة من سليمان بن عبد الملك لأسامة بن زيد في الشدة في جباية خراج مصر
95أ	رواية أخرى لما سبق
95ب	رواية أخرى لما سبق
96	وصية عمر بن عبد العزيز لعبد الحميد بن عبد الرحمن بوضع المظالم المالية غير الشرعية عن أهل الخراج
97	رد الخليفة عمر لعبد الحميد بن عبد الرحمن يوصيه بالرفق بأهل الأرض حتى لا يهاجروا منها
98	وصية عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة بالاهتمام بموارد ثغر خراسان
99	وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في الرفق بأهل الذمة ممن كبرت سنه
99أ	رواية أخرى لما سبق
100	وصية زياد لجباة الخراج بالإحسان بالمزارعين
100أ	رواية أخرى لما سبق
101	وصية عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر بتقسيط أخذ الخراج والرفق بالرعية

وصية قره لبسيل صاحب أشقوة بالعدل في تقدير الجزية كل حسب طاقته وألا يحتجب عن أهل عمالته	102
وصية قره بن شريك لعامله بسيل بالعدل في تقدير الجزية	103
وصية قره بن شريك لعامله بسيل في توخي العدل والمساواة في تقدير الغرامة المفروضة على السكان	104
وصية قره لعامله بسيل في الغرض السابق	105
مجموع الوصايا الأساسية	12
مجموع الوصايا المكررة	4

المجموع العام للوصايا الأساسية	105
المجموع العام للوصايا المكررة	72

فهرس الأعلام

- البخاري: 49. 273ز
 بسيل صاحب أشقوة: 175. 236. 242. 329.
 331. 332.
 بشر بن حميد: 209. 210.
 بكر بن سهل: 254.
 البلاذري: 10. 40. 41. 48. 50. 61. 116.
 128. 131. 132. 183. 193. 203.
 241. 327. 329.
 بلال بن أبي بردة: 27. 223. 224.
 _ ت _
 ابن تغري بردي: 59.
 توبة بن أبي أسد: 284.
 توبة بن نمر: 254.
 _ ث _
 ثور بن يزيد: 153.
 _ ج _
 أبو الجهم: 30.
 ابن الجوزي: 67.
 أبو جعفر المنصور: 116. 178.
 ابن الجارود: 149.
 الجراح الحكمي: 155. 157.
 الجرجاني: 180.
 جهم بن ذخر: 182. 183.
 ابن الجوزي: 226.
 الجهشياري: 313.
 الجاحظ: 11. 43. 174. 218. 289. 294.
 _ ح _
 حجر بن عدي: 27. 31.
 حميد بن أبي هلال: 28.
- _ أ _
 أبان بن الوليد: 184. 185.
 إبراهيم عليه السلام: 52.
 الأبرش الكلبي: 285.
 الأبشيهي: 32.
 ابن أعثم الكوفي: 11. 66. 173.
 ابن الأثير: 11. 47. 49. 50. 131. 170.
 192.
 أبو أيوب الأنصاري: 37.
 الآبي: 26. 35. 251.
 الأحنف بن قيس: 131.
 أسامة بن زيد: 312. 313.
 أسامة بن منقذ: 14.
 أسد بن عبد الله القسري: 216.
 أسماء بنت أبي بكر: 50.
 إسماعيل بن عبيد الله المخزومي: 248.
 الأصفهاني، أبو الفرج: 11. 329.
 الأصمعي: 234.
 الأعمش: 195.
 أمية بن عبد شمس: 187.
 أنس بن مالك: 273.
 أيوب بن سليمان: 75.
 _ ب _
 أبو بردة بن أبي موسى: 28.
 أبو بكر الصديق: 34. 37.
 أبو بكر بن حزم: 209. 210. 211.
 أبو بكر بن عبد الله بن أبي سيرة: 38.
 أبو بكر بن عبد الله بن جعفر: 188.
 أبو بكر بن عياش: 43.

- حفص بن عمر: 41.
- أبو حنيفة الدينوري: 44. 45.
- ابن حبان: 49.
- حصين بن نمير: 52. 141.
- حرملة بن عمران: 57.
- حوثة بن سهل: 254.
- الحسن البصري: 220.
- حوشب بن يزيد: 224.
- الحارث بن يزيد: 249.
- ابن حجر: 262.
- حسين مؤنس: 263. 264.
- حارثة بن بدر: 328. 329.
- الحجاج بن يوسف: 60. 61. 62. 61. 71. 81.
143. 145. 146. 147. 148. 150.
168. 173. 177. 187. 310. 311.
312. 323.
- حسان بن ثابت: 67.
- ابن حمدون: 125.
- حمزة بن المغيرة: 177.
- ابن أبي الحديد: 180.
- حاتم بن قبيصة: 180.
- الحسن بن الحسن: 194.
- الحر بن يزيد: 204.
- الحصري: 218.
- الحسين بن علي: 3. 25. 36. 37. 40. 42.
43. 44. 47. 40. 51. 52. 53. 134.
141. 142. 143. 189. 190. 198.
199. 200. 201. 202. 203. 204.
205. 206. 208. 337.
- الحسن بن علي: 3. 9. 22. 23. 24. 25. 35.
126. 187. 189. 193.
- خ -
- ابن خلدون: 11. 31. 182. 291.
- ابن خلكان: 132.
- خالد بن الريان: 161.
- خالد بن عبد الله القسري: 184. 185. 192.
216. 241. 242. 275.
- خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص: 67.
- خالد بن يزيد بن معاوية: 67. 72.
- الخزرج التغلبي: 235.
- الخشنبي: 264.
- خليفة بن خياط: 11. 116. 215.
- د -
- ابن أبي الدنيا: 53.
- ابن دريد: 121. 122. 179.
- أبو الدرداء: 289.
- داود بن سليمان الجعفي: 316.
- داود بن عبد الحميد: 160.
- ذ -
- الذهبي: 74. 139.
- ر -
- رجاء بن حيوة: 75. 76. 78. 150. 151.
- روح بن قبيصة المهلي: 299.
- رياح بن عبيدة: 237. 238.
- ز -
- زهير الحموي: 5.
- زيد بن علي: 53. 190. 191.
- زياد بن أبيه: 120. 122. 124. 125.
126. 127. 128. 216. 217. 218. 231.
232. 233. 244. 247. 284. 295.
312. 325. 326. 327.
- الزبير بن بكار: 153. 203.

- الزبير بن العوام: 23 .50
- ط —
- ابن طباطبا: 29.
- ابن طيفور: 11.
- الطبري: 11 .44 .48 .49 .137 .170 .194
- الطرطوشي: 287.
- طلحة بن عبد الله: 23.
- ع —
- ابن عبد الأعلى الشيباني: 69.
- ابن عبد الحكم: 78 .155 .159 .236
- ابن عبد ربه: 154 .208 .234 .236
- أبو عبيد القاسم: 10.
- عابس بن سعيد المرادي: 58.
- عابس بن سعيد: 251.
- عاتكة بنت يزيد: 75.
- عائشة أم المؤمنين: 23 .50.
- عباد بن زياد: 132.
- عباس بن هشام الكلبي: 41.
- عبد الأعلى بن مسهر: 161.
- عبد الحميد بن حبيب: 40.
- عبد الحميد بن عبد الرحمن: 315 .321 .322
- عقبة بن زرعة: 322.
- عبد الحميد بن يحيى: 82 .114 .115 .44 .43 .42 .40 .37 .47 .48 .49 .50 .53 .58
- عبد الرحمن بن حجيرة: 58.
- عبد الرحمن بن سمرة: 23.
- عبد الله بن عامر: 23.
- عبد الرحمن بن عبد الله القشيري: 312 .55
- عبد الرحمن بن عقبة بن جحدم: 55.
- عبد الرحمن بن معاوية بن يزيد: 72 .22
- عبد الرحمن بن ملجم: 22.
- س —
- ابن سعد: 10 .38 .79 .11 .5 .11 .201 .287 .287
- سالم بن بشير: 79.
- السجستاني: 5 .11 .201 .287 .287
- سرجون: 201.
- سعد أبو درة: 287 .287
- سعد بن مسعود الثقفي: 23 .79
- سعيد بن أبي عروبة: 79 .34
- سعيد بن عثمان بن عفان: 34 .235
- سعيد بن عمر الحرشي: 235 .219 .218 .132
- سلم بن زياد: 132 .198 .189
- سليمان بن صرد: 198 .189 .75 .73 .72 .67 .60 .82 .77 .76 .191 .183 .151 .150
- سليمان بن عبد الملك: 60 .67 .72 .73 .75 .191 .183 .151 .150 .82 .77 .76 .298 .311 .314 .336
- سليمان بن موسى: 78 .139
- السمهودي: 139 .15 .5
- سهام عبد الوهاب الفريح: 5 .15 .206
- سهل بن عبد الله الخابوري: 206
- ش —
- ابن شرملة: 248 .177
- شبيب الخارجي: 177 .294 .275 .31
- الشعبي: 31 .275 .294 .228
- شعيب بن صفوان: 228 .204
- شمر بن ذي الجوشن: 204
- ض —
- الضحاك بن عبد الرحمن: 162 .118 .116 .80
- الضحاك بن قيس الشيباني: 80 .116 .118 .54 .48 .45 .43 .41 .38
- الضحاك بن قيس: 38 .41 .43 .45 .48 .54 .276 .55
- ضمرة: 153 .22

- عبد الرحمن بن نعيم: 221 . 215 .
عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: 79 .
عبد العزيز بن مروان: 59 . 58 . 57 . 56 . 55 .
293 . 60 .
عبد الله بن الزبير: 43 . 42 . 40 . 37 . 33 . 32 .
44 . 45 . 47 . 50 . 52 . 53 . 55 . 60 .
132 . 134 . 136 . 138 . 139 . 144 .
195 . 199 . 200 . 206 . 207 . 210 .
عبد الله بن المغيرة: 248 .
عبد الله بن جعفر: 198 . 197 . 133 . 135 .
عبد الله بن عباس: 199 . 197 . 188 . 53 . 37 .
عبد الله بن عبد الملك: 213 .
عبد الله بن عمر: 44 . 43 . 42 . 40 . 37 . 35 .
47 . 50 .
عبد الله بن عمر: 81 .
عبد الله بن قنفذ: 273 .
عبد الله بن مروان بن محمد: 115 . 80 . 20 . 11 .
عبد الله بن موسى: 272 .
عبد الملك بن المهلب: 173 . 167 .
عبد الملك بن مروان: 66 . 62 . 60 . 58 . 51 .
67 . 68 . 71 . 73 . 74 . 75 . 76 . 143 .
145 . 147 . 149 . 150 . 206 . 207 .
208 . 209 . 226 . 251 . 252 . 290 . 291 .
292 . 293 . 294 . 295 . 297 . 302 .
303 . 307 . 310 . 311 .
عبد الملك بن نوفل: 137 . 44 .
عبيد الله بن زياد: 189 . 130 . 128 . 51 .
198 . 199 . 200 . 202 . 203 . 204 .
205 . 213 . 237 . 327 . 328 .
العتبي: 62 .
عثمان بن عفان: 194 . 147 . 53 . 29 . 22 .
273 .
- عدي بن أرطاة: 221 . 158 . 154 . 152 .
222 . 226 . 228 . 255 . 256 . 271 .
272 . 304 . 320 . 323 . 324 . 325 .
عروة بن المغيرة: 177 .
عروة بن محمد السعدي: 257 .
ابن عبد البر: 257 .
عقبة بن الحجاج السلولي: 259 . 258 . 237 .
260 . 262 .
عقبة بن زرعة: 255 .
علي بن عبد الله بن عباس: 70 . 64 .
علي بن أبي طالب: 187 . 144 . 31 . 22 .
193 . 194 . 195 . 196 . 273 . 308 .
علي بن الحسين: 194 . 139 .
عمر بن الخطاب: 144 . 143 . 37 . 34 . 31 .
216 . 229 . 233 . 246 . 258 . 309 .
315 .
ابن عساكر: 192 . 122 . 121 . 76 . 10 .
235 . 313 .
عمر بن بهرام الصراف: 325 .
عمر بن ذر: 270 .
عمر بن سعد بن أبي وقاص: 204 . 201 .
عمر بن عبد الرحمن بن الحارث: 199 .
عمر بن عبد العزيز: 73 . 72 . 32 . 7 . 6 . 5 .
75 . 76 . 79 . 80 . 151 . 152 . 153 .
154 . 155 . 157 . 159 . 160 . 161 .
162 . 183 . 191 . 209 . 210 . 211 .
213 . 214 . 219 . 220 . 221 . 222 .
223 . 224 . 225 . 226 . 227 . 228 .
229 . 237 . 238 . 239 . 240 . 247 .
248 . 255 . 256 . 258 . 270 . 271 .
272 . 303 . 304 . 305 . 309 . 313 .

- ابن كثير: 11 . 50 . 70 . 315 . 316 . 319 . 320 . 321 . 322 . 323 . 324 . 325 . 326 .
 _ ل _
 ابن أبي ليلى: 265 . 267 . عمر بن عبد الله المرادي: 285 .
 ابن لهيعة: 249 . 251 . عمر بن هبيرة: 234 . 248 . 284 . 300 .
 _ م _
 عمرو بن الزبير: 216 . أبو المعطل: 288 . عمرو بن العاص: 121 . 122 .
 أبو مخنف: 44 . 48 . 182 . 202 . عمرو بن بشر: 180 .
 أبو موسى الأشعري: 127 . 246 . عبد الرحمن بن أبي ليلى: 195 .
 مالك بن الحارث الأشتر: 308 . عمرو بن سعيد: 70 . 200 . 307 .
 مالك بن هبيرة: 27 . عمرو بن مهاجر: 161 .
 المبرد: 5 . 11 . 62 . 168 . 174 . 297 . عمير بن ضابئ البرجمي: 147 .
 مُجَدِّدُ النَّفْسِ الرَّكِيَّةِ: 141 . عوانة بن الحكم: 41 . 44 . 48 . 201 .
 مُجَدِّدُ بَنِ أَبَانَ الْقَرَشِيِّ: 129 . عيسى بن زيد: 70 .
 مُجَدِّدُ بَنِ الْأَشْعَثِ: 60 . 131 . عيسى بن يزيد: 78 .
 مُجَدِّدُ بَنِ الْحَنْفِيَّةِ: 199 . 206 . 207 . _ ف _
 مُجَدِّدُ بَنِ كَعْبٍ: 220 . ابن فضل الله العمري: 205 .
 مُجَدِّدُ بَنِ مِصْطَفَى الْحَمْصِيِّ: 155 . ابن الفرضي: 264 .
 مُجَدِّدُ بَنِ يَزِيدٍ: 150 . 298 . فاطمة بنت عبد الملك: 67 . 72 .
 مُجَدِّدُ بَنِ يَزِيدٍ: 299 . فرات بن السائب: 157 .
 مُجَدِّدُ رَجَبِ النَّجَارِ: 15 . الفرزدق: 200 .
 مُجَدِّدُ ﷺ: 2 . 8 . 22 . 26 . 28 . 29 . 33 . 34 . _ ق _
 35 . 36 . 37 . 46 . 50 . 52 . 72 . 75 . 79 . ابن قتيبة: 11 . 71 . 153 . 185 .
 126 . 134 . 164 . 187 . 189 . 191 . ابن قديد: 253 .
 196 . 228 . 231 . 256 . 260 . 261 . قبيصة بن ذؤيب: 292 .
 262 . 273 . 287 . 288 . 289 . 301 . قتيبة بن مسلم: 183 . 311 .
 304 . قرة بن شريك: 175 . 213 . 236 . 242 . 243 .
 مُجَدِّدُ فَرْقَانِي: 3 . 6 . 7 . 75 . 77 . 304 . 244 . 303 . 315 . 329 . 331 . 334 .
 314 . 316 . القلقشندي: 11 . 34 . 82 . 114 .
 مُجَدِّدُ نَايِفِ الدَّلِيمِيِّ: 5 . قيس بن سعد: 2 .
 محمود شيث خطاب: 151 . قتادة: 29 . 79 .
 المختار بن أبي عبيد: 189 . 195 . 310 . _ ك _
 ابن منظور: 197 . 235 . الكندي: 11 . 253 . 314 .

- المختار بن أبي عبيد: 23 .44 .45 .47 .48 .49 .52 .53 .120 .
مخلد بن يزيد بن المهلب: 178 .182 .183 .121 .122 .123 .124 .125 .126 .
المقرزي: 187 .128 .139 .170 .286 .242 ،
المدائني: 272 .213 .216 .217 .231 .249 .251 .
مروان بن أبي سعيد: 38 .269 .274 .276 .284 .287 .288 .
مروان بن الحكم: 29 .55 .56 .57 .58 .200 .277 .
معاوية بن يزيد: 52 .54 .289 .290 .301 .309 .
المغيرة بن شعبة: 35 .120 .177 .193 .194 .213 .290 .293 .
المفضل الضبي: 170 .114 .80 .20 .12 .11 .6 .3 .
مروان بن محمد: 116 .115 .237 .254 .255 .278 .
المسعودي: 11 .206 .207 .269 .مسكويه: 172 .
مسلم بن سعيد: 234 .284 .مسلم بن عقبة المري: 38 .41 .43 .45 .48 .
مسلم بن عجيل: 198 .200 .201 .202 .52 .132 .137 .276 .
مسلمة بن عبد الملك: 61 .62 .66 .67 .68 .مسلمة بن عمار: 71 .73 .80 .
مسلمة بن محارب: 124 .129 .مسلمة بن مخلد: 249 .251 .
مسلمة بن هشام: 75 .نظر بن حسان: 302 .
النويري: 49 .144 .199 .200 .202 .
أبو هلال العسكري: 291 .
هاشم بن عبد مناف: 127 .
هشام بن إسماعيل: 194 .
هشام بن الكلبي: 26 .44 .137 .182 .
هشام بن عبد الملك: 67 .75 .77 .190 .
محمد بن مروان: 66 .69 .191 .216 .237 .240 .241 .253 .
معاوية بن أبي سفيان: 3 .5 .9 .11 .22 .23 .
24 .25 .26 .27 .28 .29 .30 .31 .32 .
33 .34 .35 .36 .38 .40 .41 .42 .43 .

- ابن الوشاء: 263.
 وكيع بن أبي أسود: 183.
 وكيع: 11. 248.
 الوليد بن رفاعة: 253.
 الوليد بن عبد الملك: 12. 64. 66. 67. 68.
 69. 75. 76. 178. 191. 307.
 الوليد بن عتبة: 54.
 الوليد بن يزيد: 75.
 - ي -
 أبو يوسف القاضي: 10.
 يحيى بن زيد: 53. 191.
 يزيد بن عبد الملك: 76. 78. 79. 80. 165.
 316.
 يزيد بن مفرغ: 130.
 يعقوب بن عبد الرحمن: 152.
 يحيى بن سعيد: 158.
 يزيد بن المهلب: 170. 173. 178. 179.
 182. 298. 299.
 يوسف بن عمر: 190. 191. 240. 241.
 242. 248. 265. 267.
 يحيى بن ميمون: 253.
 يحيى بن عثمان بن صالح: 254.
 يحيى بن زيد التجيبي: 263.
 يزيد بن الوليد: 12. 75.
 يزيد بن معاوية: 11. 25. 26. 28. 29. 31.
 32. 33. 34. 35. 37. 38. 40. 41. 42.
 43. 44. 45. 47. 49. 50. 51. 52. 54.
 132. 136. 137. 139. 140. 142.
 144. 149. 189. 190. 197. 198. 199.
 202. 204. 205. 206. 209. 218.
 219. 336.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس البلدان

دمشق: 55 .58 .120 .133 .143 .247	أ -
.288 .248	أذربيجان: 3 .81
.180: دهستان	أرمينية: 81
ر -	افريقيا: 3
.160: الرقة	أفريقية: 150 .151 .248 .284 .286
س -	الأندلس: 3 .5 .258 .263
.148 .132: سجستان	ب -
.3: السند	البرانس: 3
ش -	البصرة: 24 .120 .128 .143 .146 .158
.43 .42 .40 .39 .38 .36 .33 .24: الشام	.168 .231 .295 .324
.189 .141 .140 .82 .57 .55 .52 .45	ج -
.293 .290	جرجان: 178 .182 .183 .298 .299
ص -	الجزيرة الفراتية: 81 .160
.23: صفين	جنوب فرنسا: 258
ط -	ح -
.120: الطائف	الحجاز: 28 .33 .35 .40 .41 .45 .120
.182 .180: طبرستان	.133 .145 .152 .190 .209 .213
.286: طنجة	.310
ع -	حران: 118
.61 .45 .43 .41 .40 .38 .23: العراق	الحرّة: 52 .134 .140
.149 .145 .143 .141 .1331 .120	حزرموت: 250
.237 .225 .205 .189 .183 .168	حلب: 75
.329 .326 .310 .240 .238	حلوان: 58 .59
.56: عين شمس	خ -
.189: عين الوردة	خراسان: 129 .132 .148 .170 .178
ف -	.179 .182 .183 .216 .219 .231
.24: فارس	.234 .255 .298 .322
.138: فلسطين	د -
.3: فرغانة	دراجرد: 24

الفسطاط: 332. اليمن: 3. 240. 257.

ق -

قرطبة: 259.

القسطنطينية: 37. 75.

القوقاز: 3.

ك -

كربلاء: 52. 134. 198. 201.

كرمان: 215.

كس: 150.

الكوفة: 24. 25. 81. 88. 120. 143.

146. 177. 189. 190. 191. 198.

199. 201. 203. 267. 315.

م -

المدائن: 23. 177.

المدينة: 25. 34. 38. 41. 52. 120. 132.

133. 136. 139. 191. 192. 198.

253. 239. 307.

مرج راهط: 54.

مرو: 170. 173.

مصر: 3. 11. 55. 56. 57. 58. 59. 69.

175. 213. 214. 249. 293. 312.

المغرب: 161. 259.

مكة: 41. 52. 120. 133. 187. 192.

214.

الموصل: 82. 116.

ن -

نصيبين: 118.

النوبة: 3.

نيسابور: 329.

ي -

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس البلدان

دمشق: 55 .58 .120 .133 .143 .247	أ -
.288 .248	أذربيجان: 3 .81
.180: دهستان	أرمينية: 81
ر -	افريقيا: 3
.160: الرقة	أفريقية: 150 .151 .248 .286
س -	الأندلس: 3 .5 .258 .263
.148 .132: سجستان	ب -
.3: السند	البرانس: 3
ش -	البصرة: 24 .120 .128 .143 .146 .158
.43 .42 .40 .39 .38 .36 .33 .24: الشام	.168 .231 .295 .324
.189 .141 .140 .82 .57 .55 .52 .45	ج -
.293 .290	جرجان: 178 .182 .183 .298 .299
ص -	الجزيرة الفراتية: 81 .160
.23: صفين	جنوب فرنسا: 258
ط -	ح -
.120: الطائف	الحجاز: 28 .33 .35 .40 .41 .45 .120
.182 .180: طبرستان	.133 .145 .152 .190 .209 .213
.286: طنجة	.310
ع -	حران: 118
.61 .45 .43 .41 .40 .38 .23: العراق	الحرّة: 52 .134 .140
.149 .145 .143 .141 .1331 .120	حزرموت: 250
.237 .225 .205 .189 .183 .168	حلب: 75
.329 .326 .310 .240 .238	حلوان: 58 .59
.56: عين شمس	خ -
.189: عين الوردة	خراسان: 129 .132 .148 .170 .178
ف -	.179 .182 .183 .216 .219 .231
.24: فارس	.234 .255 .298 .322
.138: فلسطين	د -
.3: فرغانة	دراجرد: 24

الفسطاط: 332. اليمن: 3. 240. 257.

ق -

قرطبة: 259.

القسطنطينية: 37. 75.

القوقاز: 3.

ك -

كربلاء: 52. 134. 198. 201.

كرمان: 215.

كس: 150.

الكوفة: 24. 25. 81. 88. 120. 143.

146. 177. 189. 190. 191. 198.

199. 201. 203. 267. 315.

م -

المدائن: 23. 177.

المدينة: 25. 34. 38. 41. 52. 120. 132.

133. 136. 139. 191. 192. 198.

253. 239. 307.

مرج راهط: 54.

مرو: 170. 173.

مصر: 3. 11. 55. 56. 57. 58. 59. 69.

175. 213. 214. 249. 293. 312.

المغرب: 161. 259.

مكة: 41. 52. 120. 133. 187. 192.

214.

الموصل: 82. 116.

ن -

نصيبين: 118.

النوبة: 3.

نيسابور: 329.

ي -

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المختص

إن الوصايا فن من الفنون النثرية في الأدب العربي القديم ينقل لنا رؤية صاحبه وفلسفته في الحياة والناس، وتعكس الوصايا واقع الفترة التاريخية والتطورات الحادثة والطارئة على شؤونها، إضافة إلى كونها وثائق تاريخية هامة متعددة الاختصاصات يستمد منها المؤرخ الكثير من المعطيات وينفذ من خلالها للرؤية التي يحملها صاحبها ويفسر بها كثير من سلوكاته وتصرفاته واستراتيجيته في الحكم وتديره في السياسة والحكم والادارة.

وقد وصلنا من تراث الأمويين الكثير من النصوص التي تندرج ضمن الوصايا غير أنها مشتتة في بطون المصادر باختلاف أنواعها وتعدد تخصصاتها، تلقي الضوء الكثير على مدى تمرس الأمويين في السياسة وشؤون الحكم وعبقريّة قادتهم في تعاطيهم مع ما طرأ من تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية على المجتمعات التي ساسوها، ومجاراتهم لكل هذه التغيرات بتطوير نظمهم الإدارية بشكل عجز عنه غيرهم ممن جاء بعدهم، ويشمل مفهوم الوصايا الأمر المعروف والنهي عن المنكر والتحذير من الزلل، والتبصرة بصالح العمل، وقد اقتصر في هذه الدراسة على ما تعلق من هذه الوصايا بالجانبين السياسي والإداري، لارتباطهما ببعضهما البعض وليتسنى لنا الكشف عن التجربة السياسية للأمويين ونقف على حقيقة الأحداث التاريخية الكبرى التي حدثت في زمنهم بما توفره نصوص وصاياهم هذا إضافة إلى التطورات الحاصلة في الجهاز الإداري وربطه بالرؤية التي كان يحملها خلفاء وولاة البيت الأموي وضمنوها وصاياهم، ويشمل الإطار الزمني لهذه الدراسة فيشمل كامل الفترة الأموية، وتجدر بنا الإشارة إلى ما تتميز به هذه الفترة من خصوصية حيث عاش في هذه الفترة كثيرا من الصحابة من أولي الفضل والسابقة وانتشروا في كثير من أقاليم الدولة، إضافة إلى شخصيات وأفراد آل البيت من العترة الطاهرة كسبطي النبي عليه الصلاة والسلام الحسن والحسين -عليهما السلام- فامتحن بهم خلفاء الأمويين وولايتهم، ومن خلال بلائهم معهم حكم عليهم، وامتألت مصادر التاريخ بتنوع مشاربها واختصاصاتها بأخبارهم، وقد عكست وصاياهم السياسية والإدارية كثيرا من آرائهم وتعاطيهم مع هذه الفئات التي لم يُتلى بها غيرهم.

وتعالج هذه الدراسة عديد الإشكاليات والتساؤلات التي يتضمنها العنوان وتعلق بتصورات الخلفاء الأمويين وولايتهم لحلّ شتى المسائل والمشاكل السياسية، ورؤيتهم واستراتيجيتهم في تطوير

مختلف النظم الإدارية من خلال وصاياهم لأبناءهم وأولياء عهدهم وقومهم وولاتهم وقضاتهم وحجباهم وسائر عمالهم .

وقد استخلصت من خلال هذه الدراسة أنّ لوصايا الخلفاء والولاة الأمويين أهمية كبيرة، بما حملته من أبعاد ودلالات في كيفية مواجهة كثير من الصعوبات والتحديات التي واجهت الدولة في شتى مراحلها ومحطات تطور أجهزتها، وبالرغم من أن هذه الوصايا ليست ملزمة للموصى له، ولم يُعمل بها في كثير من الأحيان إلا أنها تمثل معرفة مستقاة من خبرة وتجربة تناوب عليها النجاح والفشل.

قد يعود عدم الالتزام بما جاء في الوصية في بعض الأحيان، بآثار سلبية على الموصى له وعلى الدولة، كما انعكست بعض وصايا الأمويين سلبا على دولتهم وكان لها تأثير عميق في تصدع البيت الأموي كتوريث الخلافة والعهد لاثنين من أفراد البيت الاموي ما ساهم في إشعال الصراع بينهم على السلطة، أما بعضها الآخر فقد كان لها تأثيرا ايجابيا على الدولة إذ ساهمت في نقل خبراتهم السياسية والإدارية لأبنائهم وعمالهم، ومن جانب آخر فقد احتاجت الدولة في شتى مراحلها إلى تحين وتطوير نظمها وإدارتها بما يتماشى مع التطورات السياسية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تمر بها فغطت العديد من وصاياهم هذا الجانب كضرورة لتبادل وتمير الرؤى والتطلعات والخبرات، وقد كانت وصاياهم في الجباية أكثر ما تباعد فيه جانبه النظري التصوري عن جانبه التطبيقي، فبالرغم من كثرت الوصايا التي تنهى عن الظلم وتحث على العدل والاتزان في جباية الأموال إلا أن ما وصلنا من نصوص وأخبار عنهم لا يعكس ذلك بل شاع عنهم الظلم والجور في فرض الخراج والجزية على من أسلم واستحداث العديد من الضرائب التي لم يكن لها أصل في الإسلام مما أضر برعييتهم كثيرا، حتى جاء عمر بن عبد العزيز وخصص كل فترة خلافته في رد المظالم وإصلاح أجهزة إدارة الدولة، في حين كانت وصاياهم في خطة القضاء وما عكسته من جانب نظري وتصوري يطابق تماما الجانب التطبيقي إذ لم يصلنا في عامة أخبارهم من مختلف المصادر التاريخية ما يناقض ذلك.

معظم هذه الوصايا صدرت عن أقوى وأبرز الشخصيات الأموية والتي كان لها دورا في التأسيس أو التطوير أو الإصلاح كعماوية وعبد الملك وعمر بن عبد العزيز وكالحجاج وزياد وقره.

Summary

The commandments are an art of prose in the ancient Arabic literature that conveys to us the vision of the author and his philosophy in life and people. The commandments reflect the reality of the historical period with its major events and significant developments. In addition, commandments serve as important multidisciplinary historical documents from which the historian draws a lot of data and implements the vision he is carrying and explain many of his behavior and strategy in governance and management in politics.

Many texts have come to us from the heritage of the Umayyad. These texts fall within commandments and were scattered throughout sources of different types and of various disciplines. Commandments shed light on the mastery of the Umayyads in politics and governance, and the genius of their leaders in dealing with the political, social and cultural changes that the communities they governed had experienced. These texts cast light as well on how those leaders coped with those changes by developing administrative systems that their successors failed to manage. The concept of commandments includes promoting virtue, preventing vice, warning of slippage, and incitation to good doing. This study is confined to the interrelated political and administrative aspects of commandments. It allows us to reveal the political experience of the Umayyads and to have a clear picture of the major historical events that took place in their time as provided by the texts of their commandments. The study provides a view of the developments in the administrative system and links it to the vision held by the governors (Califs and Walis) of the Umayyad house that was included in their commandments. The time framework of the study covers the entire Umayyad period. It should be noted that many outstanding venerable Sahabah lived in this period and were spread in many regions of the country as well as other personalities and members of the Al-Bayt family like the Prophet's two grandsons Al-Hassan and Al-Hussein whose treatment by the Umayyads triggered a lot of contention in the literature around the topic. No other dynasty has had such a test as the Umayyads with those groups. There is a rich literature on the handling of these groups by the Umayyads whose political and administrative commandments reflect many of their opinions and attitudes towards such groups.

This study deals with the many problems and questions that the title entails. It concerns the views of the Umayyad Califs and their dependents on solving various political issues and problems, their vision and their strategy in developing the various administrative systems through their commandments to their children, successors, clansmen and their employees in general.

It was concluded through this study that the commandments of the Umayyad caliphs are of great importance in that they reflect their handling of the many difficulties and challenges the state faced in all stages of the evolution of its organs. Although those commandments were not binding and were rarely executed, they provide evidence of deep knowledge derived from experience alternating success and failure.

The lack of commitment to the commandment may sometimes result in negative effects on both rulers and the state. In addition to that, some commandments ultimately brought about the collapse of the Umayyad state as a result of a series of wrong decisions like naming two crown princes of the Umayyad family which led to the struggle between them. Other commandments had positive impact on the state as they contributed to the transfer of political and administrative expertise from Caliphs to their children and employees. On the other hand, the State had in various stages to modernize and develop its systems and administration to cope with the political, security, social and economic developments of the era, thus many commandments covered well this aspect as a necessity to exchange and pass on visions, aspirations and experiences. Taxation was the most controversial question in commandments. Despite the strict warning against injustice in commandments and the clear call for moderation in taxation, it was common for the Umayyad rulers and their employees to levy heavy taxes on converted Muslims who were not supposed to be subjected to such measures after embracing Islam. They also introduced new taxes that were not complying with Islam laws. It was not until the coming to power of Omar bin Abdul Aziiz that reform started taking place. The new Caliph devoted all his reign for establishing back justice and paying back injustices made prior to his rule. At the judicial level it seems there was no gap between what ocommandments devised and practice.

Most of these commandments were issued by the most powerful and most prominent Umayyad figures who had a role in the establishment, development or reform of the state like Muawiya, Abd al-Malik, Omar bin Abdul Aziz, Al-Hajjaj, Ziad and Qora.

Résumé

Les commandements sont un art de la prose dans la littérature arabe ancienne qui nous transmet la vision de l'auteur et sa philosophie dans la vie et les gens. Les commandements reflètent la réalité de la période historique avec ses grands événements et développements importants. De plus, les commandements sont d'importants documents historiques multidisciplinaires à partir desquels l'historien tire beaucoup de données et met en œuvre la vision qu'il véhicule et explique nombre de ses comportements et stratégies en matière de gouvernance et de gestion en politique. De nombreux textes nous sont parvenus de l'héritage des Omeyyades. Ces textes relèvent des commandements et ont été dispersés à travers des sources de différents types et de diverses disciplines. Les commandements éclairent la maîtrise des Omeyyades dans la politique et la gouvernance, et le génie de leurs dirigeants face aux changements politiques, sociaux et culturels que les communautés qu'ils gouvernaient ont vécues. Ces textes éclairent aussi la façon dont ces dirigeants ont fait face à ces changements en développant des systèmes administratifs que leurs successeurs n'ont pas réussi à gérer. Le concept de commandements comprend la promotion de la vertu, la prévention du vice, l'avertissement de dérapage et l'incitation au bien faire. Cette étude se limite aux aspects politiques et administratifs interdépendants des commandements. Cela nous permet de révéler l'expérience politique des Omeyyades et d'avoir une image claire des événements historiques majeurs qui ont eu lieu à leur époque tel que prévu par les textes de leurs commandements. L'étude fournit une vue des développements dans le système administratif et le relie à la vision tenue par les gouverneurs (Califs et Walis) de la maison Umayyad qui a été incluse dans leurs commandements. Le cadre temporel de l'étude couvre toute la période omeyyade. Il convient de noter que de nombreux vénérables Sahabah ont vécu dans cette période et se sont répandus dans de nombreuses régions du pays ainsi que d'autres personnalités et membres de la famille Al-Bayt comme les deux petits-fils du Prophète Al-Hassan et Al-Hussein. Les Omeyyades ont suscité beaucoup de controverse dans la littérature autour du sujet. Aucune autre dynastie n'a eu un tel test que les Omeyyades avec ces groupes. Il existe une abondante littérature sur la manière dont ces Omeyyades traitent ces groupes, dont les commandements politiques et administratifs reflètent nombre de leurs opinions et attitudes à l'égard de ces groupes. Cette étude traite des nombreux problèmes et questions que le titre implique. Il concerne les vues des califes omeyyades et de leurs dépendants sur la résolution de divers problèmes et problèmes politiques, leur vision et leur

stratégie dans le développement des différents systèmes administratifs à travers leurs commandements à leurs enfants, leurs successeurs, leurs clans et leurs employés en général. Il a été conclu à travers cette étude que les commandements des califes omeyyades sont d'une grande importance dans la mesure où ils reflètent leur prise en charge des nombreuses difficultés et défis auxquels l'état est confronté à tous les stades de l'évolution de ses organes. Bien que ces commandements ne soient pas contraignants et qu'ils soient rarement exécutés, ils fournissent la preuve d'une profonde connaissance dérivée de l'expérience, alternant le succès et l'échec. Le manque d'engagement envers le commandement peut parfois avoir des effets négatifs sur les dirigeants et l'État. En plus de cela, certains commandements ont finalement provoqué l'effondrement de l'état Umayyad à la suite d'une série de mauvaises décisions comme nommer deux princes de la couronne de la famille Umayyad qui ont mené à la lutte entre eux. D'autres commandements ont eu un impact positif sur l'état car ils ont contribué au transfert de l'expertise politique et administrative des califes à leurs enfants et employés. D'un autre côté, l'État a dû, en diverses étapes, moderniser et développer ses systèmes et son administration pour faire face aux développements politiques, sécuritaires, sociaux et économiques de l'époque. De nombreux commandements ont bien couvert cet aspect comme une nécessité d'échanger et de transmettre visions, aspirations et expériences. La fiscalité était la question la plus controversée dans les commandements. Malgré l'avertissement sévère contre l'injustice dans les commandements et l'appel clair à la modération fiscale, il était courant que les dirigeants omeyyades et leurs employés imposent de lourdes taxes aux musulmans convertis qui n'étaient pas censés être soumis à de telles mesures après avoir embrassé l'Islam. Ils ont également introduit de nouvelles taxes qui ne respectaient pas les lois de l'Islam. Ce n'est qu'à l'arrivée au pouvoir d'Omar bin Abdul Aziiz que la réforme a commencé à avoir lieu. Le nouveau calife a consacré tout son règne à rétablir la justice et à réparer les injustices commises avant son règne. Au niveau judiciaire, il semble qu'il n'y ait pas de fossé entre ce que les commandements ont conçu et la pratique. La plupart de ces commandements ont été émis par les figures les plus puissantes et les plus importantes des Omeyyades qui ont joué un rôle dans l'établissement, le développement ou la réforme de l'État comme Muawiya, Abd al-Malik, Omar bin Abdul Aziz, Al-Hajjaj, Ziad et Qora.

فهرس المحتويات

1	مقدمة
14	تمهيد: الوصايا، أنواعها وغاياتها
15	أولا: تعريف الوصية
15	1- لغة
15	2- اصطلاحا
16	ثانيا: أنواع الوصايا
16	1- الوصية الشرعية
16	2- الوصية الدينية
17	3- الوصية السياسية
18	4- الوصية الإدارية
18	5- الوصية الحربية
19	6- الوصية الاقتصادية
19	7- الوصية الاجتماعية
21	الفصل الأول: وصايا الخلفاء الأمويين لأبنائهم وأولياء عهودهم فيما ينبغي أن تكون عليه..
22	أولا: تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية سنة 41هـ، الأسباب والدوافع
26	ثانيا: وصايا خلفاء الفرع السفياي: 41-64هـ
26	1- وصايا معاوية لابنه يزيد في كيفية سياسة الناس
	2- وصية معاوية ليزيد ولي عهده عند مرضه فيما يجب أن يكون موقفه من رجال الحجاز الثلاثة الذين عارضوا عهده إليه، وكيف تكون سياسته مع أهل العراق والشام
35	تمهيد: أسباب عهد معاوية لابنه يزيد بولاية العهد
35	3- وصية معاوية لبني أمية
53	4- وصية معاوية بن يزيد
54	ثالثا: وصايا خلفاء الفرع المرواني لأبنائهم: 64-132هـ
56	

- 1- وصايا مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز..... 56
- 2- وصية عبد الملك بن مروان عند وفاته 60
- 3- وصية سليمان بن عبد الملك بولاية العهد لعمر بن عبد العزيز..... 76
- 4- وصية عمر بن عبد العزيز حين قرب أجله ليزيد بن عبد الملك بالأمة خيرا 78
- 5- وصية مروان بن مُجَّد لابنه عبد الله 82
- الفصل الثاني: وصايا الخلفاء الأمويين لولاآهم فيما ينبغي أن تكون عليه سياستهم للرعية، ومعالجة الأحداث السياسية 119**
- أولا: وصايا خلفاء الفرع السفياي لولاآهم..... 120**
- 1- وصية معاوية لعمر بن العاص بين له عاقبة التأني..... 121
- 2- وصية معاوية لزياد يرشده إلى كيفية سياسته لرعيته 122
- 3- وصية معاوية لزياد في كيفية التعامل مع القبائل 126
- 4- وصية معاوية لعبيد الله بن زياد فيما ينبغي أن تكون عليه سيرته وسياسته مع الرعية..... 129
- 5- وصية معاوية لعبيد الله بن زياد ينهاه عن قتل يزيد بن مفرع 130
- 6- وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة باستباحة المدينة ثلاثا..... 132
- تمهيد: كيفية معالجة يزيد لثورة أهل المدينة وثورة وابن الزبير 132
- ثانيا: وصايا الفرع المرواني لولاآهم 143**
- 1- وصايا عبد الملك للحجاج في كيفية التعامل مع أهل العراق..... 143
- 2- وصية سليمان لمحمد بن يزيد والي إفريقية الجديد 150
- 3- وصايا عمر بن عبد العزيز لعماله 151
- أ- وصية عمر بن عبد العزيز لبعض عماله في تحقيق مزيد من العدل 151
- ب- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة يحذره من ظلم الرعية 152
- ج- وصايا عمر بن عبد العزيز لأمرء الأجناد في تحري الحق عند معاقبتهم للناس..... 155
- د- وصيته لعماله بالإحسان للرعية والرفق في سياستهم لها 159
- هـ- وصية عمر بن عبد العزيز للضحاك بن قيس يدعو لمحاربة داء العصية القبلية..... 162
- الفصل الثالث: وصايا ولاة بني أمية لأبنائهم وعمالهم في كيفية سياستهم لرعيته..... 166**
- 1- وصيتي المهلب بن أبي صفرة الأزدي لأبنائه..... 167

- أ- وصيته لابنه عبد الملك 167
- ب- وصية المهلب بن أبي صفرة الأزدي لأبنائه عند احتضاره..... 168
- 2- وصية قرّة بن شريك لبسيل نائبه على كوم شقوة 175
- 3- وصية الحجاج لمطرف بن المغيرة واليه على المدائن..... 177
- 4- وصية الحجاج عند وفاته في توزيع السلاح الذي تركه..... 178
- 5- وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد..... 178
- 6- وصية خالد بن عبد الله القسري لأبان بن الوليد يرشده كيف تكون سياسته مع
الرعية..... 184
- الفصل الرابع: وصايا الخلفاء الأمويين الخاصة بسياستهم نحو آل البيت 186**
- أولا: تمهيد: موقف خلفاء بني أمية من آل البيت 187**
- ثانيا: وصايا خلفاء الفرع السفياي الخاصة بآل البيت والصحابة وغيرهم..... 193**
- 1- وصايا معاوية في شأن آل البيت..... 193
- أ- وصيته للمغيرة بن شعبة بالخط من قدر الإمام ﷺ 193
- ب- وصيته لابنه يزيد بعبد الله بن جعفر خيرا 197
- 2- وصايا يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد في كيفية معالجة خروج الحسين ﷺ نحو الكوفة.. 198
- أ- حادثة كربلاء واستشهاد الحسين ﷺ في عاشوراء سنة 61هـ..... 198
- 1- تحرك الحسين ﷺ للانتحاق بالكوفة ونصح الناصحين له ألا يذهب 200
- 2- وصية يزيد لعبيد الله بن زياد بعزل النعمان بن بشير عن الكوفة 200
- 3- وصية يزيد لعبيد الله بن زياد بالاحتراس من الحسين ﷺ لما بلغه خروجه نحو العراق،
وأمره له بقتال من قاتله..... 202
- ثالثا: وصايا خلفاء الفرع المرواني 207**
- 1- وصايا عبد الملك بن مروان للحجاج في تجنب إيداء آل البيت 207
- 2- وصية عمر بن عبد العزيز لبشر بن حميد لما أمره أرسله إلى أبي بكر بن حزم
لوزع ما أرسل إليه من مال على آل البيت 210

الفصل الخامس: شروط ومواصفات اختيار الخلفاء والولاة الأمويين لعمالهم،

- 212 مراقبتهم ومحاسبتهم من خلال وصاياهم
- 213 أولاً: تمهيد
- 218 ثانياً: شروط تعيين الخلفاء الأمويين لعمالهم من خلال وصاياهم
- 1- وصية يزيد لسلم بن زياد 218
- 2- وصايا عمر بن عبد العزيز لولائه 219
- أ- وصايا عمر بن عبد العزيز في مواصفات من يستعان به على أمور المسلمين 221
- ب- وصايا عمر بن عبد العزيز في عدم الاستعانة بأهل الذمة في أعمال المسلمين 225
- 230 ثالثاً: وصايا الولاة لعمالهم
- 1- تمهيد: شروط ومواصفات اختيار الولاة الأمويين لعمالهم، وما ينبغي ان يتصفوا به 230
- 2- وصايا زياد بن أبيه لعماله 232
- أ- عهد زياد بن أبيه في وصية له لمن يرد الاستعانة بهم في الأعمال 232
- ب- وصية زياد لعماله أن يستعينوا على أعمالهم بعمال العذر 233
- 3- وصية عمر بن هبيرة لعماله 234
- 4- وصية قره بن شريك لبسيل نائبه على كورة أشقوة 236
- 237 رابعاً: وصايا الخلفاء والولاة المتعلقة بمراقبة أعوانهم ومحاسبتهم
- 1- وصية عمر بن عبد العزيز لرياح بن عبيدة أن يسأل أهل العراق عن سيرة عمالهم ... 237
- 2- وصية عمر بن عبد العزيز لمزاحم بن أبي مزاحم بمراقبته ووعظه إذا أخطأ 239
- 3- وصية هشام بن عبد الملك ليوسف بن عمر بمحاسبة خالد بن عبد الله القسري 240
- وعماله 240
- 4- وصية قره بن شريك لعماله بسيل بمراقبة عماله وتفقدهم 242
- 245 الفصل السادس: وصايا الخلفاء الأمويين وولااتهم الخاصة بالقضاء والمظالم والشرطة
- 246 أولاً: تمهيد: القضاء في العهد الأموي وما يشترط فيمن يولى عليه
- ثانياً: وصايا الخلفاء الأمويين الخاصة بالقضاء ومواصفات من يولى عليه
- 249 ومصادر الأحكام
- 1- وصية معاوية لمسلمة بن مخلد أن يولي على القضاء الأزديين أو اليمينيين 249

- 2- وصية عبد الملك للحجاج ينبهه إلى من يبعد عن تولي القضاء 251
- 3- وصية هشام للوليد بن رفاعة يحدد له صفات من يوليه على القضاء 253
- 4- وصية مروان بن محمد إلى أهل مصر يوصيهم بالبحث عن من يعاون حوثرة في القضاء ... 254
- 5- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في تحديد أصول الأفضية والأحكام 255
- ثالثا: وصايا الولاة للقضاة..... 258**
- 1- وصية عقبة بن الحجاج السلولي لمهدي بن مسلم عند توليته القضاء..... 258
- 2- وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلى فيما ينبغي مراعاته عند الجلوس للقضاء 265
- 3- وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلى يحدد له أوقات الجلوس للقضاء 267
- رابعا: وصايا الخلفاء والولاة الأمويين الخاصة بالنظر في المظالم 268**
- 1- تمهيد: ولاية المظالم في العهد الأموي الوظائف والمهام..... 268
- 2- وصية عمر لعدي بن أرطاة برد المظالم على أهلها..... 271
- خامسا: وصايا الخلفاء والولاة الأمويين المتعلقة بالشرطة..... 272**
- 1- تمهيد: الشرطة المهام والأدوار وصفات من يولى عليها..... 272
- الفصل السابع: وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم في الحجابة والبريد..... 280**
- أولا: تمهيد: الحجابة والحجاب في العهد الأموي مهامهم وصفات من يولى 281**
- ثانيا: وصايا الخلفاء الخاصة بالحجابة والحجاب 287**
- 1- وصية معاوية بن أبي سفيان لحاجبه سعد 287
- 2- وصية مروان بن الحكم لابنه عبد الملك في كيفية التعامل مع حاجبه..... 290
- 3- وصايا عبد الملك لحاجبه 291
- أ- وصية عبد الملك لحاجبه في الذي يعجل بإخباره به 291
- ب- وصية عبد الملك لحاجبه ألا يحجب عنه قبيصة بن ذؤيب 292
- ج- وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز فيما ينبغي أن يتصف به حاجبه 293
- د- وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز أن يحسن اختيار حاجبه 295
- ثالثا: وصايا الولاة الخاصة بالحجابة والحجاب..... 295**
- 1- وصية زياد لابنه أن يتخذ حاجبا 295
- 2- وصية زياد بن أبيه لحاجبه عجلان في الذي يسمح له بالدخول عليه 296

- 3- وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد أن يحسن اختيار حاجبه 298
- 4- وصية عمر بن هبيرة لبعض عماله أن يحسن اختيار حاجبه 300
- رابعاً: وصايا الخلفاء المتعلقة بالبريد 301
- 2- تمهيد نشأة البريد وتطوره عند الأمويين 301
- 3- وصية عمر بن عبد العزيز الخاصة بالاهتمام بالبريد وصفة من يرد إليه 303
- الفصل الثامن: وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم في تحديد مهام أعوانهم،
- وأساليب جبايتهم 306
- أولاً: تمهيد: سياسة خلفاء بني أمية المالية جباية وإنفاقاً 307
- ثانياً: وصايا الخلفاء في تحديد مهام العمال 310
- 1- وصية عبد الملك للحجاج بمنعه من مصادرة ما زاد عن حاجة السكان 310
- 2- وصية سليمان بن عبد الملك لأسامة بن زيد لما عينه على خراج مصر 312
- 3- وصية عمر بن عبد العزيز لوالي الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن في الرفق بأهل الخراج وإزالة المظالم المالية غير الشرعية التي فرضت عليهم 315
- 4- وصية عمر بن عبد العزيز لعبد الحميد بن عبد الرحمن في معالجة هجرة أهل الخراج من أرضهم 321
- 5- وصية عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائي في العناية بموارد خراسان 322
- 5- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في الإحسان إلى أهل الذمة 323
- ثالثاً: أساليب تحصيل جباية الخراج 325
- 1- وصية زياد بن أبيه لعماله في الإحسان إلى المزارعين 325
- 2- وصية عبید الله بن زياد لحارثة بن بدر بالرفق بأهل الخراج 328
- 3- وصايا قرة بن شريك لنائبه بسيل صاحب كورة أشقوة في تقدير الجزية والعدل في أهل الخراج 329

335	الخاتمة
339	الملاحق
352	قائمة المصادر المراجع
	الفهارس
377	فهرس عام لعناوين الوصايا الواردة في البحث
387	فهرس المحتويات

مقتت

مكتبة
عبد القادر للعطوم الإسلامية

فهرس المحتويات

1	مقدمة
14	تمهيد: الوصايا، أنواعها وغاياتها
15	أولا: تعريف الوصية
15	1- لغة
15	2- اصطلاحا
16	ثانيا: أنواع الوصايا
16	1- الوصية الشرعية
16	2- الوصية الدينية
17	3- الوصية السياسية
18	4- الوصية الإدارية
18	5- الوصية الحربية
19	6- الوصية الاقتصادية
19	7- الوصية الاجتماعية
21	الفصل الأول: وصايا الخلفاء الأمويين لأبنائهم وأولياء عهودهم فيما ينبغي أن تكون عليه..
22	أولا: تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية سنة 41هـ، الأسباب والدوافع
26	ثانيا: وصايا خلفاء الفرع السفياي: 41-64هـ
26	1- وصايا معاوية لابنه يزيد في كيفية سياسة الناس
	2- وصية معاوية ليزيد ولي عهده عند مرضه فيما يجب أن يكون موقفه من رجال الحجاز الثلاثة الذين عارضوا عهده إليه، وكيف تكون سياسته مع أهل العراق والشام
35	تمهيد: أسباب عهد معاوية لابنه يزيد بولاية العهد
35	3- وصية معاوية لبني أمية
53	4- وصية معاوية بن يزيد
54	ثالثا: وصايا خلفاء الفرع المرواني لأبنائهم: 64-132هـ
56	

- 1- وصايا مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز..... 56
- 2- وصية عبد الملك بن مروان عند وفاته 60
- 3- وصية سليمان بن عبد الملك بولاية العهد لعمر بن عبد العزيز..... 76
- 4- وصية عمر بن عبد العزيز حين قرب أجله ليزيد بن عبد الملك بالأمة خيرا 78
- 5- وصية مروان بن مُجَّد لابنه عبد الله 82
- الفصل الثاني: وصايا الخلفاء الأمويين لولاآهم فيما ينبغي أن تكون عليه سياستهم للرعية، ومعالجة الأحداث السياسية 119**
- أولا: وصايا خلفاء الفرع السفياي لولاآهم..... 120**
- 1- وصية معاوية لعمر بن العاص بين له عاقبة التأني..... 121
- 2- وصية معاوية لزياد يرشده إلى كيفية سياسته لرعيته 122
- 3- وصية معاوية لزياد في كيفية التعامل مع القبائل 126
- 4- وصية معاوية لعبيد الله بن زياد فيما ينبغي أن تكون عليه سيرته وسياسته مع الرعية..... 129
- 5- وصية معاوية لعبيد الله بن زياد ينهاه عن قتل يزيد بن مفرع 130
- 6- وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة باستباحة المدينة ثلاثا..... 132
- تمهيد: كيفية معالجة يزيد لثورة أهل المدينة وثورة وابن الزبير 132
- ثانيا: وصايا الفرع المرواني لولاآهم 143**
- 1- وصايا عبد الملك للحجاج في كيفية التعامل مع أهل العراق..... 143
- 2- وصية سليمان لمحمد بن يزيد والي إفريقية الجديد 150
- 3- وصايا عمر بن عبد العزيز لعماله 151
- أ- وصية عمر بن عبد العزيز لبعض عماله في تحقيق مزيد من العدل 151
- ب- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة يحذره من ظلم الرعية 152
- ج- وصايا عمر بن عبد العزيز لأمرء الأجناد في تحري الحق عند معاقبتهم للناس..... 155
- د- وصيته لعماله بالإحسان للرعية والرفق في سياستهم لها 159
- هـ- وصية عمر بن عبد العزيز للضحاك بن قيس يدعو لمحاربة داء العصية القبلية..... 162
- الفصل الثالث: وصايا ولاة بني أمية لأبنائهم وعمالهم في كيفية سياستهم لرعيته..... 166**
- 1- وصيتي المهلب بن أبي صفرة الأزدي لأبنائه..... 167

- أ- وصيته لابنه عبد الملك 167
- ب- وصية المهلب بن أبي صفرة الأزدي لأبنائه عند احتضاره..... 168
- 2- وصية قرّة بن شريك لبسيل نائبه على كوم شقوة 175
- 3- وصية الحجاج لمطرف بن المغيرة واليه على المدائن..... 177
- 4- وصية الحجاج عند وفاته في توزيع السلاح الذي تركه..... 178
- 5- وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد..... 178
- 6- وصية خالد بن عبد الله القسري لأبان بن الوليد يرشده كيف تكون سياسته مع
الرعية..... 184
- الفصل الرابع: وصايا الخلفاء الأمويين الخاصة بسياساتهم نحو آل البيت 186**
- أولا: تمهيد: موقف خلفاء بني أمية من آل البيت 187**
- ثانيا: وصايا خلفاء الفرع السفياي الخاصة بآل البيت والصحابة وغيرهم..... 193**
- 1- وصايا معاوية في شأن آل البيت..... 193
- أ- وصيته للمغيرة بن شعبة بالخط من قدر الإمام ﷺ 193
- ب- وصيته لابنه يزيد بعبد الله بن جعفر خيرا 197
- 2- وصايا يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد في كيفية معالجة خروج الحسين ﷺ نحو الكوفة.. 198
- أ- حادثة كربلاء واستشهاد الحسين ﷺ في عاشوراء سنة 61هـ..... 198
- 1- تحرك الحسين ﷺ للانتحاق بالكوفة ونصح الناصحين له ألا يذهب 200
- 2- وصية يزيد لعبيد الله بن زياد بعزل النعمان بن بشير عن الكوفة 200
- 3- وصية يزيد لعبيد الله بن زياد بالاحتراس من الحسين ﷺ لما بلغه خروجه نحو العراق،
وأمره له بقتال من قاتله..... 202
- ثالثا: وصايا خلفاء الفرع المرواني 207**
- 1- وصايا عبد الملك بن مروان للحجاج في تجنب إيداء آل البيت 207
- 2- وصية عمر بن عبد العزيز لبشر بن حميد لما أمره أرسله إلى أبي بكر بن حزم
لوزع ما أرسل إليه من مال على آل البيت 210

الفصل الخامس: شروط ومواصفات اختيار الخلفاء والولاة الأمويين لعمالهم،

- 212 مراقبتهم ومحاسبتهم من خلال وصاياهم
- 213 أولا: تمهيد
- 218 ثانيا: شروط تعيين الخلفاء الأمويين لعمالهم من خلال وصاياهم
- 1- وصية يزيد لسلم بن زياد 218
- 2- وصايا عمر بن عبد العزيز لولائه 219
- أ- وصايا عمر بن عبد العزيز في مواصفات من يستعان به على أمور المسلمين 221
- ب- وصايا عمر بن عبد العزيز في عدم الاستعانة بأهل الذمة في أعمال المسلمين 225
- 230 ثالثا: وصايا الولاة لعمالهم
- 1- تمهيد: شروط ومواصفات اختيار الولاة الأمويين لعمالهم، وما ينبغي ان يتصفوا به 230
- 2- وصايا زياد بن أبيه لعماله 232
- أ- عهد زياد بن أبيه في وصية له لمن يرد الاستعانة بهم في الأعمال 232
- ب- وصية زياد لعماله أن يستعينوا على أعمالهم بعمال العذر 233
- 3- وصية عمر بن هبيرة لعماله 234
- 4- وصية قره بن شريك لبسيل نائبه على كورة أشقوة 236
- 237 رابعا: وصايا الخلفاء والولاة المتعلقة بمراقبة أعوانهم ومحاسبتهم
- 1- وصية عمر بن عبد العزيز لرياح بن عبيدة أن يسأل أهل العراق عن سيرة عمالهم ... 237
- 2- وصية عمر بن عبد العزيز لمزاحم بن أبي مزاحم بمراقبته ووعظه إذا أخطأ 239
- 3- وصية هشام بن عبد الملك ليوسف بن عمر بمحاسبة خالد بن عبد الله القسري 240
- وعماله 240
- 4- وصية قره بن شريك لعماله بسيل بمراقبة عماله وتفقدهم 242
- 245 الفصل السادس: وصايا الخلفاء الأمويين وولاةهم الخاصة بالقضاء والمظالم والشرطة
- 246 أولا: تمهيد: القضاء في العهد الأموي وما يشترط فيمن يولى عليه
- ثانيا: وصايا الخلفاء الأمويين الخاصة بالقضاء ومواصفات من يولى عليه
- 249 ومصادر الأحكام
- 1- وصية معاوية لمسلمة بن مخلد أن يولي على القضاء الأزديين أو اليمينيين 249

- 2- وصية عبد الملك للحجاج ينبهه إلى من يبعد عن تولي القضاء 251
- 3- وصية هشام للوليد بن رفاعة يحدد له صفات من يوليه على القضاء 253
- 4- وصية مروان بن محمد إلى أهل مصر يوصيهم بالبحث عن من يعاون حوثرة في القضاء ... 254
- 5- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في تحديد أصول الأفضية والأحكام 255
- ثالثا: وصايا الولاة للقضاة..... 258**
- 1- وصية عقبة بن الحجاج السلولي لمهدي بن مسلم عند توليته القضاء..... 258
- 2- وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلى فيما ينبغي مراعاته عند الجلوس للقضاء 265
- 3- وصية يوسف بن عمر لابن أبي ليلى يحدد له أوقات الجلوس للقضاء 267
- رابعا: وصايا الخلفاء والولاة الأمويين الخاصة بالنظر في المظالم 268**
- 1- تمهيد: ولاية المظالم في العهد الأموي الوظائف والمهام..... 268
- 2- وصية عمر لعدي بن أرطاة برد المظالم على أهلها..... 271
- خامسا: وصايا الخلفاء والولاة الأمويين المتعلقة بالشرطة..... 272**
- 1- تمهيد: الشرطة المهام والأدوار وصفات من يولى عليها..... 272
- الفصل السابع: وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم في الحجابة والبريد..... 280**
- أولا: تمهيد: الحجابة والحجاب في العهد الأموي مهامهم وصفات من يولى 281**
- ثانيا: وصايا الخلفاء الخاصة بالحجابة والحجاب 287**
- 1- وصية معاوية بن أبي سفيان لحاجبه سعد 287
- 2- وصية مروان بن الحكم لابنه عبد الملك في كيفية التعامل مع حاجبه..... 290
- 3- وصايا عبد الملك لحاجبه 291
- أ- وصية عبد الملك لحاجبه في الذي يعجل بإخباره به 291
- ب- وصية عبد الملك لحاجبه ألا يحجب عنه قبيصة بن ذؤيب 292
- ج- وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز فيما ينبغي أن يتصف به حاجبه 293
- د- وصية عبد الملك لأخيه عبد العزيز أن يحسن اختيار حاجبه 295
- ثالثا: وصايا الولاة الخاصة بالحجابة والحجاب..... 295**
- 1- وصية زياد لابنه أن يتخذ حاجبا 295
- 2- وصية زياد بن أبيه لحاجبه عجلان في الذي يسمح له بالدخول عليه 296

- 3- وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد أن يحسن اختيار حاجبه 298
- 4- وصية عمر بن هبيرة لبعض عماله أن يحسن اختيار حاجبه 300
- رابعاً: وصايا الخلفاء المتعلقة بالبريد 301
- 2- تمهيد نشأة البريد وتطوره عند الأمويين 301
- 3- وصية عمر بن عبد العزيز الخاصة بالاهتمام بالبريد وصفة من يرد إليه 303
- الفصل الثامن: وصايا الخلفاء الأمويين وولاتهم في تحديد مهام أعوانهم،
- وأساليب جبايتهم 306
- أولاً: تمهيد: سياسة خلفاء بني أمية المالية جباية وإنفاقاً 307
- ثانياً: وصايا الخلفاء في تحديد مهام العمال 310
- 1- وصية عبد الملك للحجاج بمنعه من مصادرة ما زاد عن حاجة السكان 310
- 2- وصية سليمان بن عبد الملك لأسامة بن زيد لما عينه على خراج مصر 312
- 3- وصية عمر بن عبد العزيز لوالي الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن في الرفق بأهل الخراج وإزالة المظالم المالية غير الشرعية التي فرضت عليهم 315
- 4- وصية عمر بن عبد العزيز لعبد الحميد بن عبد الرحمن في معالجة هجرة أهل الخراج من أرضهم 321
- 5- وصية عمر بن عبد العزيز لعقبة بن زرعة الطائي في العناية بموارد خراسان 322
- 5- وصية عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة في الإحسان إلى أهل الذمة 323
- ثالثاً: أساليب تحصيل جباية الخراج 325
- 1- وصية زياد بن أبيه لعماله في الإحسان إلى المزارعين 325
- 2- وصية عبید الله بن زياد لحارثة بن بدر بالرفق بأهل الخراج 328
- 3- وصايا قرة بن شريك لنائبه بسيل صاحب كورة أشقوة في تقدير الجزية والعدل في أهل الخراج 329

335	الخاتمة
339	الملاحق
352	قائمة المصادر المراجع
	الفهارس
377	فهرس عام لعناوين الوصايا الواردة في البحث
387	فهرس المحتويات

مقت

مكتبة
عبد القادر القادر للعلوم الإسلامية

The People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research

Emir AbdelKader University
of Islamic Sciences – Constantine



Faculty. Literatures and Islamic Civilization
Department of History

THE COMMANDMENTS OF THE CALIPHS AND GOVERNORS
POLITICAL AND ADMINISTRATIVE
In the Umayyad Covenant
An analytical study

Thesis submitted for to get doctorate sciences In medieval Islamic history
Specialization: Islamic Orient - History and Civilization - until the seventh century AH

Preparation of the studente:

–AYADI HASSINA

Under the supervision of the professor:

Pr.FERGANI MOHAMMED

University Season 2018/2019 – 1439/1440